

دور الإنكشارية في ضعف الدولة العثمانية

«الجيش الجديد»

أماني بنت جعفر بن صالح الغازي



١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
تليفون: ١١٣٥٤ / ٢٠٢٠٠

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية
إدارة الشئون الفنية
المغازي ، أماني بنت جعفر بن صالح
دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية
والجيش الجديد، / أماني بنت جعفر بن صالح المغازي
- القاهرة : دار القاهرة ، ٢٠٠٧
٤٥٥ ص ؛ سم
٩٧٧ ٦٠٤٨ ٤٨ X
١- الإمبراطورية العثمانية - عصر
الضعف
٢- العنوان

اسم الكتاب : دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية
تأليف : أ . أماني بنت جعفر بن صالح المغازي
رقم الطبعة : الأولى
السنة : ٢٠٠٧
رقم الإيداع : ٢٠٨٦٣
الترقيم الدولي : I.S.B.N
977-6048-48-X
اسم الناشر : دار القاهرة
العنوان : ١١٦ شارع محمد فريد
البلد : جمهورية مصر العربية
المحافظة : القاهرة
التليفون : ٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٨٥٩
فاكس : ٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٣٥٤
المحمول : ٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى المثل الأعلى

أمي .. وأبي

إلى إخوتي وزهرة قلبي محمد

أهدي هذا الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص الكتاب

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد ...

الكتاب بعنوان «دور الإنشكارية في إضعاف الدولة العثمانية» تشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، إضافة إلى عدد من الملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

تضمنت المقدمة على بيان بأهمية الدراسة ومصادرها وتوضيح مراحل إنجازها، واختص التمهيد بتعريف مصطلح الإنشكارية وأصل الكلمة مع توضيح لمعنى كل مقطع فيها.

أما الفصل الأول فقد ركز على نشأة الإنشكارية في ثلاث مباحث، الأول منها: خصص لمعالجة الأوضاع العسكرية في أوائل العهد العثماني، بينما خصص المبحث الثاني لموضوع تأسيس الإنشكارية، أما المبحث الثالث فقد ركز على مناقشة آراء المستشرقين الذين هاجموا الإنشكارية والرد عليهم بالأدلة والبراهين.

وعالج الكتاب في الفصل الثاني موضوع «تسلط الإنشكارية وجبروتهم» وفيه ثلاث مباحث، الأول منها ناقش أسباب تمرد الإنشكارية وزيادة ثوراتها مع مرور الزمن، وعالج المبحث الثاني موضوع نفوذ الإنشكارية داخل القصر السلطاني وعزلهم للسلطين والوزراء بل وقتلهم للبعض منهم، بينما ركز المبحث الثالث على تدخل الإنشكارية في مسائل السياسة العليا.

وفي الفصل الثالث ركز الكتاب على موضوع «تفاقم خطر الإنشكارية» وأفرد

لذلك مبحثين الأول منها يتعلق بموقف الإنشكارية من النظم العسكرية الحديثة، والثاني خاص بإلغاء فيالق الإنشكارية كما ناقش وجهات النظر حول إلغاء الإنشكارية ومدى مصداقية ذلك. وفي الخاتمة ركز الكتاب على تقديم أهم النتائج التي تمثل خلاصة محتويات فصوله.

وذيل الكتاب في الأخير ببعض الملاحق وقائمة المصادر والمراجع والله الموفق.

المؤلفة

أماني جعفر الغازي

تقديم

بسم الله وكفى والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا المصطفى محمد بن عبدالله
وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

هذا الكتاب المعنون بـ «دور الإنشكارية في إضعاف الدولة العثمانية»
يحتوي على موضوعات في غاية الأهمية. لم يسبق ان جمعت وعولجت في
دراسة مستقلة، وهذا ما يضيف على الكتاب صفة الجدة والإبتكار، أضف الى ذلك
ان معالجة الباحثة لموضوعات الكتاب زادت من أهميته لأنها إتبتعت منهج التعمق
في معالجة الأحداث مما يحقق الفائدة العلمية للقاريء المتخصص والقاريء العام
على حد سواء.

الجيش الجديد هو الرديف العربي لمصطلح الإنشكارية باللغة العثمانية، كان
له الدور الفاعل في نجح الفتوحات العثمانية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، ولكن
مع مرور الوقت تغيرت الأوضاع وبرزت عوامل مؤثرة في أضواء الدولة
العثمانية في الداخل والخارج، وبدأ الأعداء في الغرب الأوربي وروسيا يتخذون
المواقف المختلفة لكسر شوكة وطموحات الدولة العثمانية التي وصلت الى عقر
دارهم في الوسط الأوربي، واستخدموا في ذلك وسائل متعددة للإطاحة بالدولة
بدأوها بالمؤامرات والمؤتمرات ثم تبع ذلك المجابهات العسكرية، ووجدوا في
الجيش العثماني فرصتهم الضالة للتأثير عهليه بطريق غير مباشر فيغن العصيان
مرة ويثور على السلطان مرة أخرى، ليصل في النهاية الى التحكم في شؤون
الدولة الداخلية والخارجية ومن ثم المساعدة على إضعافها.

هذا الكتاب الذي أتحدثنا الباحثة أمانى الغازي به يحمل بين طياته معلومات
فريدة، جمعتها الباحثة من المصادر والمراجع المتخصصة، وأضفت عليه طابع
التحليل للأحداث والمقارنة والاستنتاج لتصل في النهاية الى التوضيح بأن الدولة

العثمانية تألّبت عليها القوى المجاورة لها واستخدمت في آخر الأمر جيشها الجديد الإنشكارية كسلاحاً فتاك ساعد على تثبيط مضاجع الدولة العثمانية لتقع في آخر المطاف فريسة سائغة لأعدائها.

أرجو للباحثة التوفيق والسداد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أ. يوسف بن علي الثقفي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

بقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

بكلية الشريعة بجامعة أم القرى

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد المرسلين وأشرف خلق العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة المائدة آية ٣٥]

﴿أَنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ

خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة آية ٤١]

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [سورة الحج آية ٧٨]

ومن هذا المنطلق التشريعي في نشر الإسلام، قامت الدولة العثمانية بفتوحات عظيمة وصلت بها في التاريخ الحديث إلى أن أصبحت من أعظم الدول وأكثرها اتساعاً.

وكان لفرقة الإنشكارية «الجيش الجديد» الدور الفاعل في الفتوحات الإسلامية العثمانية، ثم تداخلت عليها عدة أسباب أدت إلى أن يكون لهذا الجيش دوره في إضعاف الدولة وسقوطها في النهاية، ولهذا كانت الإنشكارية في نظر معظم المؤرخين من العوامل الرئيسة التي أدت إلى سقوط الدولة العثمانية.

ونظراً لأن الجيش الجديد من أهم المؤسسات التي لعبت دوراً مهماً في تأسيس الدولة العثمانية وارتفاع نجمها إلى عنان السماء بالانتصارات التي حققتها في كثير من الحروب. فقد كانت هذه المؤسسة العسكرية على رأس الغاصر المستهدفة في هدم الدولة العثمانية، فلا نستغرب إذا وجدنا أن كثيراً من

الأوردة الخارجية غذت هذه الفرقة لإفسادها.

ومن هنا جاءت أهمية الكتاب^(*) حيث يجمع خيوط وجذور الصراع ما بين الإنشكارية والسلطين مع التعمق في أسباب هذا الصراع الذي تخللته كثير من صور الصدام العنيف الدامي، حتى انتهى المطاف بالقضاء على هذه الفرقة بطريقة عنيفة فيما سمي بالوقعة الخيرية.

والكتاب يلقي الضوء على خلفيات وآفاق هذا الصراع بحيث تكشف حقائق جديدة في الكتابة عن تاريخ الدولة العثمانية وأسباب سقوطها.

وقد حرصت على استقاء المادة العلمية لهذا الكتاب من مصادرها الأصلية، حيث تمكنت بفضل من الله وتوفيقه من القيام برحلتين علميتين الأولى إلى القاهرة، حيث تمكنت من الحصول على بعض المصادر والمراجع من الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، والتي كونت قاعدة معلومات البحث، أما الرحلة الثانية فكانت إلى إستانبول حيث زرت أرشيف رئاسة الوزراء وقمت باستخراج الوثائق ذات الصلة الوثيقة بالموضوع، كما زرت أرشيف توب قابي سراي، وأستفدت من الوثائق والفرمانات الموجودة في الأرشيف ونقلت من هذه الوثائق المعلومات التي تخص موضوع الدراسة.

كما قمت بجمع بعض الكتب القديمة التي كتبت بالخط العثماني من المكتبات العامة. والتي أفادت في إثراء معلومات البحث. وكانت رحلة إستانبول مفيدة جداً في جمع المادة العلمية للدراسة.

على أن أهم الصعوبات التي واجهتني هي عدم إتقاني للغة التركية. مما أثر على عدم الحصول على الوثائق المطلوبة بسهولة، واستلزم الأمر الانتظار وقتاً

(*) هذا الكتاب في الأصل هو رسالة ماجستير تقدمت بها إلى قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة بجامعة أم القرى تحت إشراف أ. د. يوسف بن علي الثقفي وحصلت فيها على تقدير ممتاز.

طويلاً حتى يتم ترجمتها في مركز للترجمة في إستانبول، ثم يتم إرسالها عن طريق البريد.

كذلك عانيت الأمرين لكي أتمكن من الدخول للإرشيف العثماني نفسه فالأمر يتطلب إجراءات طويلة تمتد إلى عدة شهور حتى يتم استخراج إذن الدخول، فبداية الإجراءات في القنصلية التركية في جدة، وينتهي المطاف باستخراج الإذن من أنقرة لدخول الأرشيف واستخدام الوثائق في نطاق زمن محدد يوضع مسبقاً، كما أن طلب أرشيف طوب قابي سراي له إجراءات أخرى ويحتاج إلى إذن خاص به وهذا ما زاد الأمر تعقيداً.

ومن الأمور التي لاحظتها أثناء جمع المعلومات هو ندرة المراجع الدقيقة الحيادية، فعلى الرغم من أن كثيراً من المؤرخين والمفكرين السياسيين كتبوا عن الدولة العثمانية إلا أن كتاباتهم جاءت مكررة لما سبق تدوينه وينقصها الدقة، في أغلب الأحيان. ويرجع ذلك إلى أن كثيراً من الكتب طبعت منذ فترة طويلة ونفذت من الأسواق ولم يعاد طبعها وبالتالي يصعب الحصول عليها.

أما عن أهم المصادر التي استقيت منها المادة العلمية للدراسة، فقد اعتمدت على وثائق غير منشورة من أرشيف رئاسة الوزراء وأرشيف توب قابي سراي، وقد ترجمت خصيصاً للدراسة، كما رجعت إلى مخطوطات تركية تحدثت وعاصرت الواقعة الخيرية وإلغاء فيالق الإنكشارية. ومن أهمها مخطوط أس ظفر لمحمد أسعد.

أما عن المصادر والمراجع التي استغنت بها فقد كانت في الأغلب تركية غير مترجمة مثل علي رشاد، عبد الرحمن شرف، كامل باشا، تاريخ أبي الفاروق، إسماعيل حقي أوزن جارشيل.

أما المصادر العربية فأهمها محمد فريد المحامي ويلمازا وزتوناء، أحمد جودت، إسماعيل سرهنك.

وهناك بعض المراجع التي أفادت البحث ولا يمكن إنكار فضلها على الدراسة. وبالنسبة للكتب التي أخرجها المستشرقون عن الدولة العثمانية، ومن سار على نهجهم، فقد أخذت بعين الاعتبار وهي بلا شك تمثل وجهة نظر معينة، كما أن معلوماتها في أغلب الأحيان لا تتصف بالصدق والحيادية والموضوعية، إلا أنها على أي حال حملت في طيات صفحاتها الكثير من المعلومات المفيدة والتي أخضعها للتحليل والاستنتاج والخروج بكثير من المعلومات التي تخدم موضوع الرسالة.

أما فيما يتعلق بالخطة التي سار عليها الكتاب فهي تتضمن تمهيداً وثلاثة فصول إضافة إلى الخاتمة والملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

تضمن التمهيد تعريف وشرح لمصطلح الإنشكارية وأصل الكلمة مع توضيح لمعنى كل مقطع فيها، إضافة إلى تعريف لكلمة دوشرمة.

أما الفصل الأول فقد اشتمل في البداية على التشكيل العسكري السائد في أوائل العهد العثماني قبيل تأسيس الإنشكارية، وحيث اعتمدت الدولة العثمانية في فترة مبكرة من تاريخها على المجاهدين الذين يجتمعون وقت الجهاد، ثم اعتمدت على فرقة المشاة، ولكن تطور الحركة الجهادية في الدولة العثمانية أوجب تأسيس فرقة مشاة دائمة مهمتها الجهاد في سبيل الله أطلق عليها فيما بعد " الإنشكارية ".

ثم تطرق الفصل إلى إنشاء وتأسيس هذه الفرقة وأهم الأنظمة التي وضعت لها، مع مناقشة أهم آراء المستشرقين، الذين هاجموا الإنشكارية ووصموا فرقته بالعار عن طريق ما أسموه بضريبة الغلمان، والرد عليهم بالأدلة والبراهين لإثبات أنها مجرد ترهات وتشويه لهذه الفرقة المجاهدة في سبيل الله.

أما الفصل الثاني فقد اختص بشرح أسباب تمرد الإنشكارية وزيادة ثوراتهم مع مرور الزمن، مع دراسة لأهم الأسباب سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو

اجتماعية ونفسية. كما تضمن هذا الفصل ثورات الإنشكارية داخل القصر السلطاني، وعزلهم للسلطين والوزراء بل وقتلهم للبعض منهم وذلك من منطلق سيطرتهم وتحكمهم في سياسة القصر الداخلية، حتى تم القضاء عليهم.

كما عالج هذا الفصل دورهم الواضح في إيقاف بعض الفتوحات والمعارك، وتعليمهم على حرمة أهالي البلاد المفتوحة، ونهبهم وسلبهم للأموال والأعراض، ونقضهم لكثير من المعاهدات، إضافة إلى تبرمهم الواضح والدائم من الحرب.

أما الفصل الثالث فقد تناول محاولات الإصلاح الحثيثة التي قام بها السلطين وجاءت ضد رغبات الإنشكارية فوقفت منها موقفاً عدائياً، واعتبرت التعلم على الأسلحة الحديثة ضللاً وكفراً ورفضته تماماً، وينتهي الفصل بمناقشة الآراء التي دارت حول القضاء على الإنشكارية، ومدى صحة هذه الخطوة الجريئة التي قام بها محمود الثاني.

وفي الخاتمة يعالج الكتاب أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج وحقائق تاريخية تثبت دورهم الفعال في إضعاف الدولة العثمانية.

وأخيراً: أود الإشارة إلى أن ما قمت به من عمل فهو محاولة علمية لطالبة علم مبتدئة في مشوار البحث العلمي فإن أصبت فيما قمت به فهو توفيق من الله تعالى وإن أخطأت فاستغفر الله تعالى من الخطأ وجل من لا يخطئ.

وأخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلفة

أمانى جعفر الغازي

التمهيد

تعريف مصطلح الإنكشارية

التمهيد

تعريف مصطلح الإنكشارية :

لقد اعتمد العثمانيون منذ نشأتهم على القوة العسكرية وذلك على اعتبار أنها القوة المؤثرة، والعامل الرئيسي في نشر الإسلام وبهذا أصبح الجيش في الدولة العثمانية شرياناً رئيسياً، أولى كل الإهتمام والرعاية حتى غدا اليد الأولى في نشر الإسلام والمحافظة على الدولة وكيانها، وهكذا تمكنت الدولة العثمانية من تنشئة جيش قوي فتح البلاد، وضرب بيد من حديد على الخارجين والطامعين، وكان له دوره المميز في الفتوحات العثمانية وإتساعها في ثلاث قارات عالمية في أوروبا وأسيا وأفريقيا.

وكان العنصر الرئيسي في الجيش العثماني هو ما عرف بالانكشارية، وهي هيئة عسكرية فريدة حظيت من الدولة العثمانية بإهتمام بالغ لم تحظ به أي هيئة حكومية أخرى.^(١)

والإنكشارية هي كلمة عربية وقد حرفت عن الكلمة التركية عند ترجمتها وهي "يني تشاري" وترسم بالتركية "يكيجري" وهنا نرى أن الكاف في اللغة التركية تنطق نوناً وتكتب يكجري ولكن تنطق "يني تشري"^(٢).

وهكذا نجد أن الكلمة مكونة من مقطعين الأول يكي yeni بالنون الخيشوميه بمعنى جديد، جري cery بالجيم المشوبة بمعنى العسكر، فيأتي المعنى الكامل

(١) عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، د.ط، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م، ج١، ص ٤٧٠.

(٢) محمد فريد المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، الطبعة السابعة، بيروت: دار النفائس،

العسكر الجديد أي الجيش الجديد^(١)، وتأتي أيضاً بمعنى الجند الجدد.^(٢)

وإذا كان حرف الكاف في اللغة التركية ينطق نوناً فإنه في اللغة الفارسية يلفظ تاء وشيناً، وكذلك كلمة يكي تأتي بمعنى حديث لهذا يطلق عليهم أيضاً العسكر الحديث^(٣).

وهكذا نجد أن "يكجري" حسب النطق التركي، و "يني جري" حسب النطق العربي^(٤). "جري" تعني جندي، ولكن هناك كلمة أخرى في اللغة التركية القديمة وهي صو su، لكن "جري" أصدق في المعنى وكذلك كلمة "أوردوه" تعني جيش، ولكن كلتا الكلمتين لا تستعملان في اللغة التركية منذ عدة عصور^(٥).

وقد أكد حليم بك أن العثمانيين أنشأوا جيشاً من المسلمين يدعى "يكي جري" وهم العسكر الجدد.^(٦)

(١) زين العابدين شمس الدين نجم: الوظائف العسكرية والتشكيلات القتالية في العهد المملوكي والعهد العثماني، مجلة كلية خالد العسكرية، العدد ٣٩، السنة العاشرة، ١٤١٣هـ، ص ٢٩.

(٢) فون هامر: التاريخ العثماني الكبير، م ١، د.ط، استانبول: دار نشر مج دال، ١٩٨٩م، ص ٩٩.

(٣) عبد العزيز محمد عوض: بحوث في تاريخ العرب الحديث، الطبعة الأولى، عمان: مكتبة المحتسب، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٦٤.

(٤) الصفصافي أحمد المرسي: استانبول عبق التاريخ روعة الحضارة، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص ٥٥.

(٥) يلمازا وزتوننا: تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، استانبول، مؤسسة فيصل للتمويل، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج ٢، ص ٣٨٩.

(٦) إبراهيم حليم: تاريخ الدولة العثمانية العليا المعروف بكتاب التحفة الحليمة، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٣٦. راجع عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٧٤.

وعليه فإن كلمة الإنكشارية هي يكي جري بالتركية ولكنها حرفت عندما ترجمت للعربية، وقد يكون هذا التحريف جاء نتيجة إختلاف نطق الحروف العربية في اللغة التركية عنها في اللغة العربية.

ونجد أن كلمة الإنكشارية أطلقت على نوع من الجنود الجديدة، أي مجموعة من فرق المشاة النظاميين والتي كونها السلطان أورخان العثماني في القرن الرابع عشر الميلادي^(١)، وهم مجموعة من الجنود المدربين تدريب على أعلى مستوى من التقدم - بالنسبة لزمانهم - وقد دربوا على أسلحة ووسائل حربية حديثة، كما تعلموا اللغة التركية، إضافة إلى أنهم جنود محترفين،^(٢) أي متفرغين للحرب متفانين في فتح البلاد ونشر الإسلام. وكانوا من أكبر عوامل نجاحهم في الفتوحات التي قاموا بها في القرن الرابع عشر الميلادي والقرون التي تليه.^(٣)

وقد جاء لفظ الإنكشارية yeniceri في بعض المصادر بمعنى مصطلح عسكري، أطلق على الجنود الموظفين في الدولة العثمانية، فيما قبل سنة ١٢٤١هـ / ١٨٢٦م. وكانوا يتبعون السلطان مباشرة ومرتبون به شخصياً يأترون بأمره ولا يعرفون أب سواه و من هذا المنطلق جاء لقب عبيد الباب^(٤) أي باب السلطان.

(١) شمس الدين سامي: قاموس تركي، إقدام مطبعة سي: إستانبول ١٣١٧هـ مادة " يكي جري " ص ١٥٥١ - ١٥٥٢. سليمان صالح الخراشي: كيف سقطت الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، الرياض: دار القاسم، ١٤٢٠هـ، ص ١٤.

(٢) Mehmet Zeki Pakalin Osmanli Deyimliri ve Terimleri Sozlugu, Istanbul 1977, cilt III., S, 617 - 634 الموسوعة العربية العالمية: ج ٣، الطبعة الأولى، مؤسسة أعمال الموسوعة، مادة الإنكشارية، ص ٢٨١.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية: مكتبة الشعب، المجلد الخامس، مادة الإنكشارية، ص ١١١.

(٤) جاءت مثلاً في تاريخ الإسقافي، تاريخ ابن زنبيل، وزيني دحلان. الصفصافي أحمد المرسي: مرجع سابق، ص ٥٥.

أما عن معنى لفظ الجيش الجديد، فإن القدم والجده في شيء معين مسألة نسبية، فعندما أطلق على يكي جري جيشاً جديداً، فهذا يعني أن هناك نظاماً حربياً كان سائداً قبله وأقدم منه، وهذا هو التجمع الاختياري، وقد تغير هذا المفهوم بعد أن قام السلطان محمود الثاني بإنشاء العساكر المنصورة المحمدية والتي أطلق عليها مسمى "الجيش الجديد" أو "النظام الجديد".^(١) وكذلك فقد حدث في عهد السلطان سليم الثالث أثناء محاولات إصلاح الهيكل العسكري للدولة العثمانية، أن قام بإنشاء فرقة جيش مدربة على الطريقة الحديثة وأطلق عليها النظام الجديد، وهكذا أطلقت الكلمة حتى بوجود الإنشكارية لأنه لم يكن قد قضي عليها.

هناك مصطلح آخر له علاقة بالإنشكارية وهو "دوشرمه" وهي كلمة تركية تكتب هكذا Dos,orme، وفيما سبق كانت تكتب دوشرمه بزيادة الفاء، ولكن الأصح أنها تكتب بدون الفاء.^(٢) وقد أطلق عليها المستشرقون وأعداء الدولة العثمانية هذا المسمى وذلك بهدف تشويه هذا النظام كما سيتضح بعد ذلك.

Dersime هي أيضاً مصطلح عسكري، وقد أطلق على أبناء المسيحيين المشردين في الشوارع، وكانوا يجمعون من شوارع البلدان المسيحية التي تم فتحها حديثاً، وخاصة من بلاد البلقان وذلك بهدف الالتحاق بالإنشكارية أو للعمل في السراي.^(٣)

وفسر زياد أبو غنيمه مصطلح الدوشرمه بأنها تعني الإسقاط أو السقوط، وهي كلمتان فالأولى تعني عندما تسقط الأم جنينها قبل إتمام شهور الحمل

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة ١٣، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٢٠٤.

(٢) زياد أبو غنيمه: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، الطبعة الثانية، عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ١٢٦.

(٣) الصفصافي أحمد المرسى: المرجع السابق، ص ٥٥.

التسعة وهي لا تطلق على المواليد الذين تكتب لهم الحياة وإنما الذين يموتون في الشهور الأولى من الحمل. ^(١) أما السقوط فهو يعني سقوط شيء من على علو سواء كان إنسان أو جماد، وتطلق على الشيء المعنوي كالسقوط في هاوية الرذيلة أو ما شابه ذلك من تعبيرات. ^(٢)

كذلك تطلق على الأطفال اللقطاء والذين تلدهم أمهاتهم في السر، فيصبحوا مشردين في الشوارع، أو يوضعوا في الطرقات أو على أبواب المساجد وأبواب الملاجئ، ثم أصبحت تطلق على كل طفل لقيط أو حتى مشرد في الشارع لأي سبب آخر. وقد ساد في بلاد العرب إطلاق كلمة داشر على الرجل الذي لا يعرف له ولي أمر يرجع إليه في شؤونه، كذلك الحال في المرأة فيقال عليها "إمرأة داشرة" أي لا يعرف لها ولي أمر ترجع له في شؤونها. ^(٣)

وكلمة داشر لا تزال متعارف عليها في المجتمعات العربية حتى اليوم على أساس أنها تعني ذلك النوع من البشر ممن لا يلتزم بالمسؤولية وانجرف عن جادة الطريق دون الإلتزام بالتقاليد والعادات الإيجابية في مجتمعه وهذا النوع ينطبق على الجنسين من الذكور والإناث.

كما تأتي كلمة ديوشر بمعنى جمع الثمار والتقاطها في اللغة الفارسية. ^(٤)

(١) زياد أبو غنيمه: المرجع السابق، ص ١٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢٧.

(٤) محمد الأرناؤوط: دراسات ووثائق حول الدوشرمة، الطبعة الأولى، الاردن: دار

الفصل الأول

نشأة الإنكشارية

المبحث الأول:

الأوضاع العسكرية في أوائل العهد العثماني

المبحث الثاني:

تأسيس الإنكشارية.

المبحث الثالث:

آراء المستشرقين ومن شايعهم حول الإنكشارية والرد على هذه الآراء.

المبحث الأول

الأوضاع العسكرية في أوائل العهد العثماني

منذ ظهور الدولة العثمانية وفكرة بعث الحركة الجهادية من جديد كانت أولى إهتماماتهم وبالتالي كانت القوة الحربية وتطوير الجيش من أولى إهتمامات السلاطين العثمانيين خاصة وأنها تمثل الركيزة الأولى لإنتلاق الفتوحات العثمانية.

ومنذ بداية الدولة العثمانية إعتد السلاطين على المتطوعين للحرب والجهاد، و لم ينتظروا حتى ينشئوا جيشا خاصا بهم، لأنه لم يكن هناك أي شكل للقوة العسكرية إلا المجاهدين والذين أسهموا في تثبيت أركان الدولة وإرساء قواعدها لذلك إعتدوا على المتطوعين للحرب.

وكان لظهور العثمانيين أثر في تجديد فكرة الجهاد الإسلامي بعد أن انطفأت وتوقعت فترة طويلة من الزمن، وتراجعت على أثر تلك الفتوحات الإسلامية، ومرت بحالة ركود، فقيض الله الدولة العثمانية لحمل راية الجهاد، ضد أعداء الإسلام وعلى رأسهم الدولة البيزنطية، التي كانت حدودها متاخمة للعثمانيين في أسيا الصغرى، ثم ظهرت الدول الأوروبية وأعلنت عداها للدولة العثمانية، كما كان لظهور البرتغاليين في البحر الأحمر ومحاولتهم إحتلال الأماكن المقدسة الإسلامية ومحاوله الدولة الصفوية نشر المذهب الشيعي دور في ظهور حركة الجهاد العثمانية.

هذا الوضع حتم عليهم الجهاد ضد أعداء الإسلام والمسلمين، وهنا تظهر على الساحة حقيقة مهمة فرضت نفسها عليهم إذ كانوا يندفعون بكل قوة في سبيل الجهاد الإسلامي، ولم تكن حياة الدعة والرفاهية والقصور قد نالت منهم

بعد، فحماسهم الديني كان مشتتلاً وضوءه وهاج لم يخبو بعد. (١)

ولقد تمكن العثمانيون من تحقيق هذا الهدف بفضل الله ثم بفضل تطبيقهم للنظرة الإسلامية والتي تجعل بلاد الكفر هي دار الحرب وبلاد المسلمين هي دار السلام، وبهذه النظرة خاضوا حروب كثيرة لنشر الإسلام، وعلى هذا فإننا نجد ان الدولة العثمانية بقيت على الدوام دولة محاربة وجهادية. (٢)

وهكذا تبرز أهمية القوة العسكرية ودورها البارز في الفتوحات، فقد حظي الجيش بمكانة عالية الأهمية في حياة الدولة العثمانية، كانت وسيلتهم في الحرب والحكم معاً، ويرى أحد المؤرخين أن الدولة العثمانية كانت عبارة عن جيش قبل أي شيء آخر، وأعتمد في رأيه هذا على أن كبار موظفين الدولة أنفسهم كانوا قادة الجيش (٣).

وحقيقة الأمر أن الدولة العثمانية كانت دولة إسلامية قبل كل شيء، ولكنها استخدمت القوة العسكرية لمقاومة أعداء الإسلام من البيزنطيين المجاورين لها في الفترة المبكرة، من جهة الحدود الغربية وأستمرت فتوحاتها في مناطق أوروبا على مر السنين.

ولا يمكن أن يفسر أحداً أن الدولة العثمانية أعتمدت على القوة العسكرية

(١) علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، دمشق: منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، ١٩٩١م، ص ٢٣.

(٢) سيد مصطفى: الإصلاح العثماني في ق ١٨م نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية، تحقيق خالد زيادة، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩م، ص ١٠.

(٣) إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الطبعة الثانية، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٩ هـ / ١٩٨٩م، ص ٢٣.

كمحرك أول للفتوحات وإقامة الدولة، ولاسيما وأن الجيش العثماني كان على مستوى من الكفاءة الحربية والمقدرة كفرسان بارعين يمتلكون الجرأة والشجاعة التي قد تصل بهم في بعض الأحيان إلى حد التهور، ولكن كان المحرك الأول للفتوحات هو الجهاد الإسلامي ونشر الإسلام في أصقاع جديدة.

والعثمانيون عندما قدموا إلى آسيا الصغرى كانت سمات البداوة من أصالة وشجاعة تظهر عليهم، يجاهدون تحت راية واحدة وهي راية أميرهم، وعند إنتهاء المعركة يدخلون ساحة القتال ويجمعون الغنائم ويقتسمونها، وإذا انتهت الحرب عادوا إلى شؤونهم.^(١)

ويصف أحد مؤرخي الدولة العثمانية أنها نشأت في بادئ أمرها كإمارة غزاة، وشغلها الشاغل هو الغزو العسكري و ذلك للتوسع الإقليمي، وكان الطابع العسكري من خصائصها الرئيسية.^(٢)

ولكن يبدو من الواضح أن الدولة العثمانية في نشأتها كانت إمارة إسلامية عملت على نشر الإسلام في البلاد المفتوحة وبناء المساجد، وإتخذت سياسة التسامح الديني حتى لا تفرض إعتناق الإسلام على الأهالي، من الجائز أن يكون التوسع هو أحد أهداف الدولة ولكنه لم يكن الشغل الشاغل أو أولى أهدافها، ومن المعروف أن الدولة إذا غلب عليها الطابع العسكري، أنتهت بسرعة، لأن العقلية العسكرية تفشل في حكم دولة واسعة الأطراف. وهذا ما حدث للدولة العثمانية في نهاية عهدها وليس منذ نشأتها.

(١) خلف دبلان الوديناتي: الدولة العثمانية والغزو الفكري، دط، رسالة دكتوراه مطبوعة، مكة المكرمة: مكتبة أم القرى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص ٩٠. انظر جورج زيدان: تاريخ الجند العثماني، مجلة الهلال، العدد الثامن، السنة السابعة عشر، ١٩٠٩م / ١٣٢٦هـ، ص ٤٥٧.

(٢) عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٧١، ٤٧٢.

وكانت الفتوحات العثمانية نتيجة طبيعية، لأنها أمتلكت مجاهدين فرسان في وقت أفتقدت فيه الدول المعاصرة للجيش المنظمة^(١). لقد اتخذت الدولة العثمانية أسلوب الفتوحات معتمدة على قوتها العسكرية مثل أي دولة إسلامية مرت في التاريخ فلم تأت بنظام أو عرف جديد وإنما سارت على نفس خطوات الدولة الأموية في الفتوحات الإسلامية.

وقد أضاف مؤرخ آخر، أن الدولة العثمانية دولة غزاة، وأن الغزو والفتح هما دستورهما،، وأضاف أن الجيش كان الأساس والدولة كانت قاعدة له، والبلاد تسخر لخدمته وحدد أن الجيش كان يقوم بمهمتين: الحرب والحكم، فإن رجال الدولة في نظره يقومون بمناصب الدولة ماعدا القضاء والوظائف الدينية إضافة إلى خوض الحروب.^(٢)

وحقيقة الأمر أن الدين الإسلامي كان الأساس والمحرك الأول للفتوحات، وليس الجيش، صحيح أنه لا يمكن إنكار أهمية الجيش في الدولة العثمانية، ولكن هذه الأهمية جاءت لتحقيق الأساس الأول وهو نشر الإسلام.

كما أن البلاد المفتوحة والتي أصبحت تحت الحكم العثماني لم تكن مسخرة للجيش، وإنما كان حكم العثمانيين لها حكماً عادياً مثل حكم الدولة الأموية والدولة والعباسية وغيرها من الدول الإسلامية، وإذا حدثت بعض التجاوزات في الفترات المتأخرة من عهد الدولة العثمانية، فقد كانت من الولاية المحليين ودون علم السلاطين.

أما عن بدايتهم الحقيقية في التاريخ الحديث، فقد ذكر أحد المؤرخين أنه منذ

(١) عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٧١.

(٢) عبد الوهاب بكر: الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني من ق ١٨م، الطبعة الأولى،

القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢، ص ٥٧.

نيف وستة قرون هاجرت جماعة من حوض نهر الفرات العليا ووجهتهم الجهات الغربية وكان يرافقهم قوة مسلحة قوامها مالا يزيد عن ٤٤٤ فارساً بقيادة زعيمهم أرطغرل (*).

وقد قيل بأن هذه القوة كانت عبارة عن جموع مسلحة من المتطوعين الذين كانوا يهرعون على ظهور خيولهم لتلبية دعوة زعيمهم وإذا أنتهت الحرب ووضعت أوزارها تفرقوا أو أنفرط عقد إجتماعهم وأنصرفوا إلى حيث أتوا. (١)

وعندما وضع عثمان الأول (٦٩٩ هـ - ٧٢٦ هـ / ١٢٩٩م - ١٣٢٥م) الأساس لدولته الناشئة كانت على أنقاض دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، وكان لابد له أن يبحث على من يعاونه في المحاربة والجهاد لبناء دولة إسلامية كبرى، تكون بمثابة حصن يدافع عن الإسلام والمسلمين، وقد جاءت فكرة تجميع المتطوعين الذين يرغبون في الفتح والجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام، جاءت تلقائية نتيجة لحياة البداوة والتنقل التي كانوا يعيشونها. (٢)

وكانت هذه فكرة جديدة فعند ظهور الدولة العثمانية كان أكثر الجند في الدول الأخرى، على شكل مرتزقة ومماليك يباعون ويشترون بالمال أو المقايضة أو جنود من أسرى الحروب (٣)، وبما أن السلطان العثماني عثمان الأول كان لا يفضل الإعتماد على الجنود المرتزقة لنشر الإسلام، فقد اعتمد على أبناء قبيلة آل عثمان الذين يتجمعون للحرب ثم ينصرفون لقضاء شؤونهم مثل سائر القبائل كما أشير

(*) معناه الرجل السليم القلب. لمزيد من المعلومات مؤلف مجهول: تاريخ الأتراك العثمانيين،

ترجمة حسين ليبب، د. ط، القاهرة: مطبعة الواعظ، د. ت، ج ١، ص ٣-١٠.

(١) مرجع سابق، ص ٣-١٠.

(٢) خلف الوديناتي: مرجع سابق، ص ٩٠.

(٣) مجلة الهلال: جورجي زيدان، ص ٤٥٧.

إلى ذلك سابقاً.

وقد كانت أكثر العساكر في عهد السلطان عثمان الأول من فرسان التركمان، الذين كانوا من البدو ليس لهم خبرة في الضبط والربط العسكري ولا الانتظام في القتال^(١)، ولم يكونوا جنوداً منتظمة تحمل السلاح بشكل مستمر وإنما كانوا يقدمون على الحرب من تلقاء أنفسهم^(٢).

وكان الرجال من أبناء قبيلة آل عثمان "قابي خان" كلهم قادرين على الحرب وحمل السلاح حتى أن النساء كن يساعدن الرجال في المعارك كجميع القبائل البدوية الأخرى^(٣)، وكان السلطان عثمان يحارب على رأس الفرسان التركمان والذين يمتشقون حسام المعركة فإذا انتصروا تفرقوا بعد أخذ الغنيمة وعادوا لأشغالهم المعتادة^(٤). كما أنهم لم يلتزموا برداء معين أو لباس خاص ذا طراز محدد لهم ولكنهم يرتدون ما يرغبون به^(٥).

وعلى هذا النحو فالجيش الذي كونه عثمان لم يأخذ صفة الجيش النظامي الذي تعتمد عليه الدول وقت الحاجة، وإنما كان أفراده يتجمعون وقت الإعلان عن الحرب عند انتشار المنادين بين قوات العشائر الأخرى^(٦)، فيجتمع آلاف

(١) أحمد الأتصاري الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، د.ط، طرابلس: مكتبة الفرجاتي، د.ت، ص ٣٣٣.

(٢) مجلة الهلال: جورج زيدان، ص ٤٥٧.

(٣) محمد جميل بيهيم: فلسفة التاريخ العثماني - أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها، د.ط، د.م، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، ص ١٢٤، ١٢٥.

(٤) حبيب السيوفي: الإنشكارية في الدولة العثمانية، د.ط، بيروت: صيدا مطبعة الرحابنية، ١٩٤٠م، ص ١٣.

(٥) مجلة الهلال: جورج زيدان، ص ٤٥٧.

(٦) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تعريب صالح السعداوي، د.ط، إستانبول، ١٩٩٩م، ج ١، ص ٢٨١.

المجاهدين من مختلف المناطق المجاورة ومن القبائل التركية راغبين في المشاركة في الجهاد متلهفين عليه^(١).

وقد أطلق عليها اسم المرابطين في الحدود "مجاهدي النفير"^(*) وكان يطلق عليهم أهل النفرة وهم الذين يستجيبون لنداء الجهاد إمتثالاً لقوله تعالى ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾^(**) وهم في حقيقتهم ليسوا جيشاً نظامياً وإنما مئات من فرسان عشيرته ومن المجاهدين وأمراء الروم وجنودهم الذين دخلوا الإسلام بعد الفتوحات العثمانية، وعندما يطلق النفير بقوله "حي على الجهاد". تتوافد عليه الأعداد الكثيرة من كل حدب وصوب، فإذا وضعت الحرب أوزارها عاد المجاهدون إلى قراهم ومن حيث أتوا في إنتظار دعوة أخرى.^(٢)

هؤلاء أتبعوا عثمان كظله في الغزوات طمعاً في الأجر والثواب وفي الأجرة أي الغنيمة^(٣).

لقد كانوا فرساناً مجاهدين رحل قضاو عمرهم على ظهور الخيل متقلين من معركة إلى أخرى، وطالما أن العمر يمضي بالمجاهد وهو ممتطي خيله، فإن أغلب إجتماعاتهم كانت تعقد وهم على ظهور الخيل يتبادلون خلالها الآراء والقرارات الشفهية، وهم على ظهور الخيل فرقة مدججة بالسلاح، وكان بنو عثمان يشكلون

(١) عبد اللطيف عبد الله بن دهيش: قيام الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: النهضة الحديثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ص ٢٨، ٢٩.

(*) ويطلق عليهم بالتركية Akincilar أي المندفعون. أنظر خلف الوذيناتي: مرجع سابق، ص ٩٠.

(**) سورة التوبة آية ٤١.

(٢) خلف الوذيناتي: مرجع سابق، ص ٩٠.

(٣) محمد جميل بيبهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٢٥.

أمة عسكرية يطلق على الواحد منهم " الألبى " الفارس المجاهد" وكان يحمل السيف (*) معه دائماً. هم بهذه الصفات ساروا على خطى العرب في حب الخيل وإعزازه (١). وإستخدامه كوسيلة أولى للتنقل والمجاهدة.

وكان هؤلاء المجاهدون يطلق عليهم أكنجي (***) و كانوا يتدربون على الحركات العسكرية تدريباً جيداً، كما أنهم اشتهروا بحسن إنتظامهم في الصفوف، وكانوا إذا سار فرسانهم كونوا صفّاً واحداً مثل الحائط، وإذا أراد عثمان الحرب بعث المنادين في القرى والبلاد ليجتمع شمل المجاهدين في معسكر الأمير، وإذا أراد عثمان الحرب سراً بعث للمنادي سراً لدعوة من يريد الإشتراك في الجهاد (٢).

وكان المجاهدون يبدأون خططهم العسكرية بفتح الأراضي المستوية بسرعة، ثم فتح القرى، التي تليها ثم ينشؤون الأبراج الصغيرة حول القلاع ثم يحاصرونها حتى تضطر إلى الإستسلام، وبهذا نجحوا في فتح كثير من المدن مثل إزنيق وإزميد، وبورصة تلك المدينة التي استغرق فتحها عشر سنوات (٣).

وفاجأ العثمانيون البيزنطيين بهذا الأسلوب البارع وأثبتوا تفوقهم على القوات البيزنطية لأنهم وقفوا مدافعين عن أراضيهم مجاهدين في سبيل الله، وكانوا في

(*) كانوا يحملون السيوف التي يعتزون بها، ولا تستطيع تمييز واحد على الآخر لأنهم جميعاً أطلق اسم السيفية على نفسه. أنظر على سلطان: مرجع سابق، ص ٢٤.

(١) علي سلطان: مرجع سابق، ص ٢٤.

(**) في بعض الكتب والمصادر أطلق عليها أفتجي بالقاف، معناها "الفرسان الخفاف" دائرة المعارف الإسلامية، ج ٥، ص ١١١.

(٢) مجلة الهلال: جورجي زيدان، ص ٤٥٧. أنظر خلف الوديناتي: مرجع سابق، ص ٩٠.

(٣) أكمل الدين إحسان أوغلي: المصدر السابق، ص ٣٨١.

هجومهم لا يستغرقون وقتاً في تحضير الهجوم، مما أربك الجيش البيزنطي، الذي كان يستخدم أسلوبه المعتاد في ممارسة خطة عسكرية منظمة يسير عليها القائد والجند من بعده، وكانوا فرساتاً يحاربون على ظهور خيولهم بخفة وسرعة كالبرق، وإذا انتصروا ربحوا كل الغنيمة، وإذا أنهزموا لم يخسروا شيئاً لأنهم لا يحملون معهم شيء، ولا يمتلكون في أرض المعركة إلا الخيل، وكان شعارهم "ليس هناك خط دفاعي بل سطح دفاعي" وهذا يدل على أنهم كانوا يهجمون بشكل أفقي، وكانت هجماتهم متواصلة صيفاً وشتاءً، مما أربك أعدائهم البيزنطيين. وكانوا يأخذون الأسرى ويضمون البلاد والممتلكات^(١).

وبهذا التنظيم الفني الجيد بالنسبة للإمكانيات المتوفرة لديهم فإن هذه القوة الإسلامية الناشئة استطاعت الوصول إلى أهدافها وتمكنت من إرباك البيزنطيين وإدخال الفرع على قلوبهم من هذه القوة الإسلامية الناشئة.

وهذا يدحض آراء المستشرقين القائلة بأن هذه القوة الأولى كانت تفتقر لمعنى التنظيم الفني وأن العثمانيين لا يفقهون فيه شيء، فهذا يثبت أنهم استطاعوا التفوق على البيزنطيين الذين يدعون العراقة في فن الحرب ولكن جيشهم في الواقع يتألف من جنود منحلين متفسخين، معروف عنهم الهروب من أرض المعركة^(٢). ويدحض أيضاً من يقول بأن كل عثماني مُجنّد في الجيش العثماني كان يُنسب إلى أحد شيوخ الطرق الصوفية وإلى أحد التكايا^(*)^(٣). بهدف

(١) علي سلطان: المرجع السابق، ص ٢٧.

(٢) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون وحضارتهم، الطبعة ١٢،

بيروت: دار العلم، ١٩٩٣، ص ٤١٠.

(*) لم يرد ذكر هذا الرأي في كثير من المراجع ولكن إن ذكرت في بعضها فهذا يدل على تغلغل الفكر الصوفي في المنطقة وليس هم من ابتدعه كما يصور بعض المؤرخين.

(٣) يلماز أوزتونا، مصدر سابق، ج ١، ص ٨٨.

التقليل من شأن الجنود العثمانيين وحماسهم وشجاعتهم الإسلامية. ويدحض أيضاً من يقول بأن الدولة العثمانية استعانت في فتوحاتها بجماعات الدراويش.^(١) إذ أن الدولة العثمانية حرصت على أخذ مشورة العلماء وشيوخ الإسلام في كل أمورها.

ومع هذه الانتصارات وهذه النجاحات المتتالية ومع استمرار حركة الفتح الإسلامي ومجابهة العثمانيين مع البيزنطيين، فقد طفت على السطح فكرة ضرورة وجود قوة مشاة قادرة على حرب الحصون. وذلك لأن حرب الحصون المنيعة كانت تتطلب مقدرة عسكرية غير التي كانت تتمتع بها هذه القوة البدوية، وظهرت الحاجة أمس ما تكون إلى إنشاء جيش مشاة^(٢).

ومع مرور الزمن أصبح إنشاء "قوة المشاة" أمراً ضرورياً لأن القوات المؤقتة لا تأتي إلى الحروب إلا في وقت محدد ولا تتحمل القيام بعمليات حصار طويلة، فأصبح تأسيس قوة المشاة أمر لا بد منه.^(٣) وعلى سبيل المثال فقد استغرق حصار "بورصة" عشر سنوات لعدم وجود قوة المشاة بينما لو كانت هذه القوة الدائمة متوفرة لما استغرق فتحها تلك المدة الطويلة.^(٤) أضف إلى هذا وذلك أن استمرار القتال بهذه الفئة القليلة قد يؤدي إلى فناءها وتضاءلها، وهي أصلها من قبيلة الأتراك العثمانية.^(٥)

(١) أكمل الدين إحسان أوغلي: مرجع سابق، ص ٣٨١.

(٢) كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص ٤١٤.

(٣) أكمل الدين إحسان أوغلي: مرجع سابق، ص ٣٨١.

(٤) عبد الرحمن شرف: تاريخ دولة عثمانية، الطبعة الأولى، إستانبول: معارف نظارات جلييلة،

مطبعة سي، ١٣٠٩هـ، مجلد ١، ص ٦٥. علي سلطان: مرجع سابق، ص ٢٧.

(٥) أميرة مداح: نظرة متأنية في تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، الطائف: دار الحارثي،

كما أن الإحتكاك بالأوروبيين قد أوجد هذه الضرورة، إذ أن الأوروبيين قد تعلموا من حروبهم الطويلة في العصور الوسطى ألواناً من التنظيمات التي أوجدتها تجاربهم العسكرية.^(١)

وأخيراً فإن هناك نقطة مهمة وهي أن الوقت الذي تتجمع فيه هذه القوة يستغرق مدة طويلة مما يؤدي إلى ضياع الفرصة في فتح المدن، ويُمكن العدو من تنظيم صفوفه وتعزيز مواقعه. كما أن بقاء المحاربين مع قبائلهم يجعلهم أكثر ارتباطاً بها مما يؤدي إلى انفصام عرى الوحدة العثمانية بين الجند، والتي تسعى الدولة العثمانية جاهدة لتحقيقها.^(٢) وبما أن الهدف من الفتوحات العثمانية كان الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام، خاصة وأن تهديد الدولة البيزنطية للمسلمين قد زاد، فكان لابد من اتخاذ موقف صارم، وإذا ما أضيف صعوبة تجميع المحاربين، كل هذه الأمور شغلت بال السلطان أورخان وجعلته يفكر ملياً في طرح الحلول،^(٣) هذا بالإضافة إلى أن أورخان كان يعرف أنه لا يمكن لدولة إسلامية تطبيق النظم الإسلامية، أن يكون جيشها من المرتزقة^(*)، لأن هذا لا يحقق معنى الجهاد، ولهذا فكر في التجميع الإختياري^(**). فهذا يدل على أنه نظام موجود قديماً أو على الأقل نظام أتبعته أي دولة سابقاً.^(٤)

(١) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، الطبعة الثامنة، القاهرة: مكتبة دار النهضة المصرية، ١٩٩٠م، ج ٥، ص ٨٤٩.

(٢) خلف الوديناني: مرجع سابق، ص ٩٠.

(٣) مرجع السابق، ص ٩١.

(*) المرتزقة: جنود بالأجرة، يقاتلون لمن يدفع أكثر، ولا يقاتلون لمبدأ أو عقيدة دينية.

(**) فكرة الجهاد الإسلامي السائدة منذ بدء الدولة العثمانية كانت تتم عن طريق المنادة للجهاد الإسلامي وينضم كل من يكون قادر على حمل السلاح.

(٤) أميرة مداح: مرجع سابق، ص ١٩.

ومن خلال هذا العرض يتضح أن الجهاد الإسلامي أوجد الحاجة إلى تكوين جيش من قبائل التركمان للفتح ونشر الإسلام.

هذه الأسباب جميعاً اجتمعت لتخرج للسلطان أورخان وأخيه علاء الدين (*) فكرة ضرورة إنشاء قوة مشاة، لأن أورخان عندما ورث السلطنة عن والده عثمان كان يعتمد على الفرسان التركمان الذين كونوا نواة الجندية أي فرقة الخيالة، ولكن بحس أورخان الحربي أدرك ضرورة إنشاء قوة المشاة لكي يستطيع من خلالها فتح القلاع والحصون والأسوار المنيعة التي أشتهرت بها بلاد البلقان بشكل خاص. (١)

ولأن أورخان وقع على عاتقه مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين ونشر الإسلام، فقد حفل عهده بعدة تنظيمات، خاصة في الجيش حيث وضع نظاماً خاصاً له (٢) ساعده على ذلك أخوه علاء الدين الذي وضع نظاماً خاصاً للجيش العثمانية، حيث جعلها بشكل دائم (٣) وقد رأى هذا الأخير أن يؤكد انتصارات العثمانيين القادمة بإنشاء فرقة مشاة مأجورة أطلق عليها اسم (بيادة) وكانوا يسكنون

(*) إن الأمير علاء الدين هو الأخ الأكبر للسلطان أورخان، ولكنه تنازل عن الحكم لأخيه الأصغر، وهذا يعتبر ظاهرة نادرة وفريدة في التاريخ، ليس على المستوى الإسلامي بل على المستوي العالمي، لأن هذا يدل على أنه فضل مصلحة السلطنة الناشئة على مصلحته الشخصية، لقد وجد أن أخيه أفضل في قيادة الدولة فتنازل عن طيب خاطر لأخيه، بل وأعانه على الحكم.

(١) محمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، الطبعة الأولى، بيروت: دار بيروت المحروسة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٢٥.

(٢) عاصم تاريخي: عاصم باشا، ص ٣٤. أميرة مداح: ص ١٩.

(٣) مخطوط باضيه حاصر ليان: مبدأ قانون يكيجري أو جاغي تاريخي، ترجمة أيدن أوك سوزي، ورقة أ ٥٠، محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ١٢٢.

التكنات العسكرية في إستعداد دائم للحرب، وقسمت إلى عشرات ومئات وألوف، وعلى رأس كل فرقة من فئة الألف ضابط عظيم الشأن ومن فئة المائة ضابط أقل منه شأنًا وللفرقة العشرة زعيم صغير وأصبحت فرقة عظيمة الشأن^(١) وفي بعض الأحيان تكون الوحدة أصغر من عشرة أشخاص^(٢)، وأطلقوا على ضباطهم أسماء تركية، حيث أنه في الدولة العباسية أطلق عليهم اسم "عريف" في حين أنه في الدولة العثمانية سمي "أونباشي" أي رئيس العشرة، ورئيس المئة سمي "يوزباشي" وكان عند العباسيين "نقيب" أما رئيس الألف فسمي "بكباشي" وكان اسمه "قائد"^(٣). وكان جيش المشاة في بادئ الامر من الأتراك أنفسهم، ثم بدأت تدخل عناصر أخرى، أدت إلى تحزب كل عنصر لأخيه مما أدى إلى فشل هذا النظام كما سنرى^(٤) ومن الواضح هنا أنهم اعتمدوا في جيشهم على القبيلة التركية نفسها وتنظيمه حسب الطريقة السائدة في الجيوش الإسلامية. كما أنه أصبح لهم زي عسكري خاص بهم^(*) تعلوه زركشة استمدوا طريقة حياكته من زي القبيلة الأصلي.^(٥)

وقد خصصت لهؤلاء أماكن خاصة بهم، يقيمون فيها على استعداد تام

(١) حسين ليبب: تاريخ الأتراك العثمانيين، ص ١٠، انظر أميره مداح: مرجع سابق، ص ١٩.

(٢) محمد كمال الدسوقي: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، د.ط، القاهرة، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م، ص ١٧.

(٣) مجلة الهلال: جورجي زيدان، ص ٤٦٥.

(٤) محمد كمال الدسوقي: مرجع سابق، ص ١٧.

(*) كان الجيش الوحيد المنظم الذي له زي مميز هو جيش الرومان، حيث يرتدي ملابس حمراء، أثناء الحرب. انظر محمود شوكت: التشيكلات و الأزياء العسكرية العثمانية، ترجمة يوسف نعيسه، محمود عامر، الطبعة الأولى، دمشق: دار طلاس، ١٩٨٨، ص ٦٧.

(٥) مرجع سابق، ص ٦٨.

للحرب، وخصص لكل فرد منهم راتباً يومياً قدره ربع درهم من الفضة، ويعتبر مثل هذا المبلغ في ذلك الزمن الغابر كبير جداً بالنسبة لرخص الأسعار وقتها^(١). وهو ما يعادل أقجة يومياً طوال أيام الحملة حتى يؤمنوا من الإقطاعات جنود المشاه^(٢)، كما أنهم كانوا يعفون من ضريبة الزراعة عند عودتهم إلى أراضيهم، ويحصلون على أجور أيام الحرب، وقد سميت فرقة المشاة هذه بـ "اليايا"^(*) (٣). وهذه الوحدة كانت مقصورة على الأناضول فقط^(٤).

وقد خصص خمس الغنائم للاتفاق على هذا الجيش، وكان لا يجتمع إلا وقت إعلان الحرب. (٥) ويتصف هؤلاء بالخشونة، وكانوا رجالاً أشداء، ولهم إحساس غريب بعيداً عن الإحساس بالجندية، حيث كانوا يرون لأنفسهم الحق في أن يصبحوا سادة^(٦)، وبدأوا إظهار أنهم لا يستطيعون البقاء مشاة. وأخذوا في التمرد^(٧)، كما أنهم لا ينقادون بسهولة وكان صعباً إبعاده في فتوحات بعيدة عن إقطاعاتهم، خوفاً من تمردهم على السلطان، فكان طبيعي أن يفكر السلاطين في

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٣، راجع أحمد محمد الحموي: فضائل سلاطين بني عثمان، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ص ٧٥.

(٢) كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص ١٧.

(*) بالتركية بياذة. انظر دائرة المعارف الإسلامية، ص ٤٦٥.

(٣) علي سلطان: مرجع سابق، ص ٢٧.

(٤) ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، الطبعة الثانية، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٠ م، ص ٧٧.

(٥) أميره مداح: مرجع سابق، ص ١٩.

(٦) أحمد شلبي: مرجع سابق، ص ٨٤٩.

(٧) علي سلطان: مرجع سابق، ص ٢٧.

استبدالهم متى سنحت الفرصة لذلك. ^(١) وبهذا قوي شأنها وزاد طغيانها وأصبحت موضع قلق السلطان أورخان وخوفه ^(٢).

وهذا لا يدل على فشل العثمانيين في تكوين جيش مشاة نظامي، وإنما يدل على قلة خبرة العثمانيين في مجال المشاة، حيث كانت خبرتهم منصبة على الخيالة، وفشلت تجربة أورخان في تحويل الفارس التركي إلى جندي مشاة، أضف إلى ذلك أن تكتل كل فرقة في الجند لقبائلها أدى إلى إنفراط عقد التحالف الذي كان يسعى إليه أورخان دائماً، كما أدى إلى وجود تناحر بين الجند وتحزبت كل فئة إلى قبيلتها التي تنتسب لها فتجزأ الجيش، كما أن الحرب ضد البيزنطيين كانت تتطلب وجود جيش دائم وجاهز ^(٣)، مما جعل فكرة القضاء عليهم يشكل خطراً ونقصاً في عدد المحاربين ^(٤).

كما أنهم تmadوا في مطالبهم المالية، وغالوا في مزاعمهم مما جعل أورخان يفكر جدياً في الاستغناء عنهم وإحلال غيرهم ممن يسهل قيادتهم، ولهم فائدة أكثر ^(٥) خاصة وأن هذا التنظيم لم يصمد للتجارب ^(٦).

وبدأت فرقة المشاة في التراجع، وأثبتوا مع مرور الزمن عدم جدارتهم، فكان لابد من التحول إلى فكرة جديدة وهي إنشاء الإنشكارية.

ولا شك أن القبائل التركمانية وهم البدو الرحل الذين جاءوا من أقصى شرق

(١) ساطع الحصري: مرجع سابق، ص ٧٧.

(٢) حسين لبيب: مرجع سابق، ج ١، ص ١٠، ١١.

(٣) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٥. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق،

ص ١٢٢.

(٤) علي سلطان: مرجع سابق، ص ٢٧.

(٥) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ١٣.

(٦) كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص ٤١.

أسيا الوسطى إلى أسيا الصغرى والأناضول هم من قام بالفتوحات الأولى ونشر بذور الإسلام هناك، وأكملوا ما كان يقوم به السلاجقة قبلهم، وقد علمتهم حياة البداوة والترحال والشدة فنون القتال، ولم يكن جل غايتهم من الفتوحات السلب والنهب، كما ذكر المستشرقون المغرضون^(١)، لأن السلب والنهب من دون سبب هو صفة قطاع الطرق والعصابات، ولكن الجدير بالذكر أن هؤلاء المحاربون كانوا يطبقون ما نصت عليه الشريعة الإسلامية في توزيع الغنائم بعد إنتصارهم، وبذلك يختلفون عن الأوربيين الذين تجاهلتهم أقلام المستشرقين إذ كانوا يحرقون المدن تماماً بعد إحتلالها ويقومون بسرقة أهلها ويستبيحوا نساءها.^(٢)

أما عن كلمة "إقطاع" فقد تحدث المؤرخون عن ذلك وأولوه إهتمامهم فهاهو المستشرق هاملتون جب يورد قوله " أن نظام الإقطاع قد أصطنعه العثمانيون منذ ظهورهم على ساحة التاريخ، وذلك لتأمين مورد ثابت للجيوش يغنيهم عن إنشاء جيش نظامي دائم، ويوفر لهم النفقات، وجاء بشكل مطابق لما في أوروبا"^(٣)،

(١) هاملتون جب هارولد بون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة عبد المجيد حسين القيسي، الطبعة الأولى، دمشق: دار المدني، ١٩٩٧م، ج ١، القسم الأول، ص ١٠٢.

(٢) مرجع السابق، ص ١٠٢.

(*) في أوروبا نظام الإقطاع منح المحاربين جزءاً من المقاطعات الزراعية مقابل الإلتزام بأن يكونوا دوماً على إستعداد للسير إلى الحرب متى يدعون إليها، لا بأشخاصهم فحسب بل وأن يتولوا أيضاً إعداد عدد من الفرسان والمحاربين من أتباعهم يتناسب عددهم ومساحة الإقطاع الممنوح لكل منهم وأن يجهزهم بكل ما يحتاجون إليه من خيل وسلاح وكان هذا النظام الإقطاعي يقوم في أساسه على الملتمزم أي صاحب الإقطاع والفلاحين الساكنين في الأرض يقوم الفلاحون بزراعة الأرض وحصادها ويدفعون لأصحاب الإقطاع ما يكفل لهم مورداً من العيش على شكل حصص عينية من المحاصيل الزراعية أو على شكل رسوم وأعشار. للاستزادة عن النظام الإقطاعي في الدولة العثمانية الرجوع إلى محمد عبد اللطيف البحرأوي: حركة الإصلاح العثماني، مرجع سابق: ص ٩.

كما صنفه إلى ثلاثة أصناف " الخاص - الزعامة - التيمار ". وأن العثمانيين سمحوا في وقت متأخر بأن لا يذهب أصحاب الإقطاع للحروب ويكتفوا بدفع المال ولكنه عاد فأوضح أن شروط الخدمة لم تكن واحدة للجميع بل كان بعضهم مفروض عليه الإلتحاق بالجيش^(١).

ولكن الفتوحات الأولى تمت على يد المجاهدين المتحمسين لنشر الإسلام، ولقد سبق التنويه إلى أن القبائل التركمانية أخذت على عاتقها أمر الفتوحات الإسلامية لكنهم فئة قليلة ستفنى مع إستمرار القتال، مما اضطر السلاطين إلى إنشاء جيش المشاه، وبعد فترة من الزمن بدأوا في إقطاعهم جزء من الأراضي في مقابل الخدمة العسكرية، وهذا يدل على أن جيش "المشاه" جاء بعد فترة من نشوء الدولة وليس من بداية ظهورها كما أدعى هاملتون، كما أنه لم يكن يشبه في محتواه إقطاع أوروبا المليء بالعبيد الذين يعملون بالسخرة، إذ أن صاحب الإقطاع يخرج بنفسه للحرب، وكان هذا أحد أسباب ضعفهم وتقاعسهم عن الخروج للحروب في فترة متأخرة من إنشاء جيش المشاه في عهد أورخان، لذا لا يمكن مقارنة نظام الإقطاع في الدولة العثمانية بالإقطاع الأوروبي، لأن الإقطاع في الدولة العثمانية كان يخضع للدين الإسلامي وأحكامه وليس لتسلط صاحب الإقطاع وجبروته وهذا يناقض آراء المستشرقين، فإذا كان أصحاب الإقطاع يدربوا فرساناً ليرسلوهم إلى الحرب بدلاً عنهم، فلما يريدوا الرجوع من المعارك بسرعة من أجل أراضيهم^(٢).

وهكذا نجد أن الجهاد الإسلامي للدولة العثمانية كان يتطلب أفكار متطورة بالنسبة للجيش، والدولة العثمانية أخذت على عاتقها مسئولية نشر الإسلام، مما يجعل الدولة في أمس الحاجة إلى جيش حاضر ومستعد للحرب، وفتح المدن،

(١) هاملتون جب: مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٢) مرجع سابق، ص ٩٢.

فكانت بداية الجيوش في الفترة المتقدمة من تاريخ الدولة العثمانية هي الأرضية الصلبة التي مهدت لظهور جيش فريد غريب من نوعه في التكوين وهو جيش الإنكشارية، الذي حول العثمانيين إلى دولة قوية، وحول الجيش من النظام القبلي، إلى النظام الحربي المنظم.

المبحث الثاني

تأسيس الإنشكارية

لقد وقع على عاتق الدولة العثمانية منذ نشأتها، نشر الإسلام والقيام بالفتوحات الإسلامية، وحمل راية الجهاد، ومن أجل تحقيق هذا الهدف، بدأ العثمانيون ممارسة سياسة عسكرية قائمة على الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام، والقيام بفتوحات أدت إلى جذب القبائل التركمانية للإشتراك في الفتوحات والحصول على الغنائم، ولكن بعد مرور فترة من الزمن، أثبتت القبائل التركمانية عدم جدواها في الحروب والفتوحات التي كانت آخذت في التزايد، وعلى هذا كان لابد من التفكير في إنشاء فرقة قوية تستطيع خوض غمار المعارك.

لقد كان الطابع العسكري من خصائص الدولة العثمانية^(١)، حيث اشتهر الأتراك بأنهم فرسان بارعون جريئون إلى حد التهور، على الرغم من أنهم أثبتوا قوتهم على المرتزقة البيزنطية في ميدان القتال، إلا أن حرب الحصون والمراكز المنيعه تتطلب مقدرات عسكرية أخرى، والحق أن الحاجة كانت أمس ما تكون إلى إنشاء جيش من المشاة، ولقد عمل السلطان أورخان بادئ الأمر على تأليف ذلك الجيش من الأتراك أنفسهم، على غرار الجيوش الفارسية في ذلك الوقت، وقد كانوا من أصحاب الإقطاعات العسكرية أصلاً، فكانت الدولة تدفع للمنتخبين منهم أجرة^(٢) واحدة كل يوم طوال

(١) عبد الوهاب بكر: المرجع السابق، ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) أجرة: تعني لغةً الضارب إلى البياض، وأصلها مغولية معناها نقد أبيض وهي قطعة صغيرة من الفضة ضربت لأول مرة في عهد أورخان عام ٧٢٩هـ وتزن أربعة جرامات =

أيام الحملة.^(١)

كما لاحظ الأمير علاء الدين أخو السلطان أورخان الأول وساعده الأيمن في إدارة السلطنة، لاحظ تحزب كل فئة من هذا الجيش للقبيلة التي ينسب إليها، ولذلك تم حل هذه القوة بعد وقت قصير وبدأ التفكير في تنظيم جند آخر لا خوف من تحزبه لعشيرته على أن يكون غريباً عن الرعية لا يمت لهم بصله.^(٢) ويكون الهدف الرئيسي من وراء تشكيل هذا الجيش هو مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين، وفتح المزيد من أراضيهم، والفتح في البلقان لنشر الإسلام في تلك البقاع، والإستفادة من البيزنطيين الذين يدخلون في الإسلام، وذلك لنشر الدين الإسلامي في مجتمعهم بعد أن يكونوا قد تلقوا تربية إسلامية خاصة.

وباشر أورخان إنشاء هذا الجيش في عام ٧٣١ هـ / ١٣٣٠م إلا أن تنظيمه لم يكتمل إلا في عهد السلطان محمد الثاني ثم في عهد السلطان سليمان القانوني.^(٣) ومن ثم كانت الدولة العثمانية أول دولة عرفها التاريخ الحديث أقامت جيشاً عظيماً^(٤) منظماً حسن التدريب ميسور النفقة من المشاه والخياله،^(٥) في فترة كانت الدولة في طور النشأة، وفي عهد الفتوحات التي هيئات حصول هذه الفرقة الجديدة على خير الغذاء والملبس والهدايا

= تقريباً، ولم تضرب بعد عام ١٢٣٤هـ. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، د.ط، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٢٠.

(١) كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص ٤١٠. أنظر دائرة المعارف الإسلامية: ج ٥، ص ١١١
(٢) مخطوط متن باضيه حاصرليان: مبدأ قانون يكجري أوجاغي تاريخي، ورقة أ ٥. محمد جميل بيهيم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٣) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٦.

(٤) حسين ليبب: تاريخ المسألة الشرقية، د. ط، القاهرة: مطبعة الهلال، ١٩٢١م، ص ٢١-٢٢

(٥) المرجع السابق، ص ١٠

والعطايا،^(١) وقد سبقت بذلك الدولة العثمانية بقرن من الزمان شارل السابع ملك فرنسا الذي أنشأ أول فرقة من الجنود المنظمة عرفتها أوروبا في التاريخ الحديث.^(٢) وقبل إنشاء فرقة الرماة بالسهام ببريطانيا، والذين سادوا بطريقة ونظام في جمع أفراد هذه الفرقة بشكل مختلف عن سابقه، حتى جاء نظام الجنود الإنشكارية بشكل لا نظير له في التاريخ.^(٣)

وعلى أية حال فقد أستطاع العثمانيون عن طريق هذا الجيش أن يحققوا الفتوحات الواسعة التي قاموا بها، في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي وفي القرون التي تلتها.^(٤) حيث اعتمدوا عليه في تلك الفتوحات وفي الصمود أمام التحالفات الأوروبية التي واجهتهم.^(٥) وبفضل الله ثم هؤلاء انتصرت الدولة العثمانية على فرسان أوروبا وأحرزت أعظم إنتصاراتها وخطت أمجادها التاريخية^(٦) وبذلك احتلت الإنشكارية مركزاً ممتازاً بين فرق الجيش العثماني.

وحقيقة الأمر أن السلطان أورخان الغازي ورث عن والده دولة ليست لها قوانين أو عملة، أو حدود واضحة ويحيط بها جيران أقوي منها. وكان عليه أن يقيم دولة راسخة الأقدام، والتوسع على حساب جيرانه، وتحويل اتباعه إلى أمة، فألتفت أورخان في بداية حكمه إلى سن القوانين، وإحداث التنظيمات الضرورية لحماية إمارته وأدرك أن الأعباء الملقاه على إمارته الصغيرة أكبر من إمكانياتها خاصة بعد أن أضحت الدولة البيزنطية تنظر إليها بعين الخوف، ولهذا عني أولاً

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٥٠.

(٢) حسين لبیب: تاريخ المسألة الشرقية، ص ١٠.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية: ج ٥، ص ١١١.

(٤) عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٥) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٦) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ١٥.

بإعادة تنظيم الجيش.^(١)

وكان أورخان قد قرأ كتاب لنظام الملك الوزير السلجوقي وهو سفر نامة وهو كتاب في فن الحكم، وتجاربه، والأنظمة والدواوين، وقد وضع نظام الملك تفصيلاً عن الطريقة المثالية لإيجاد قوة محاربة، إذ أشار إلى اختيار عدد من الأولاد في سن مبكرة، وتقوم الدولة بتعليمهم والعاية بهم، وتعليمهم الإسلام وفنون الحرب واللغات والتاريخ والمنطق، وهكذا بدأ أورخان في البحث عن مصادر جديدة للقوة المحاربة.^(٢)

وقد استحسن هو وأخيه علاء الدين^(٣) هذا النظام وشرعوا في إنشاء جيش نظامي من المشاة يسمى الإنشكارية.^(٤)

وقد رأى أورخان أن يستفيد من أسرى الحرب في المعارك الدائرة على حدود العالم المسيحي، ثم تطور الأمر وصارت تقدم الأسر المسيحية أبنائها لإحاقهم بهذه القوة الجديدة مستفيداً من خمس الغنائم التي يحصل عليها السلطان كحق شرعي له في الإنفاق على هذا الجيش.

وبدأ أورخان منذ عام ٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م في تكوين الجيش النظامي الجديد

(١) عبد الرحمن شرف: تاريخ دولة عثمانية، ج ١، ص ٧٠، محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٤، ٢٥. خلف الوديناني: مرجع سابق، ص ٨٢. أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٢) عبد الرحمن شرف: المصدر السابق، ج ١، ص ٧٢، أميرة مداح: مرجع سابق، ص ٢٠.
(*) تعزو الروايات المتداولة أن التشريع العثماني الأول، وتنظيم الجيش إلى الأمير علاء الدين. الذي كان رجل سلام، أعتزل العالم، وهو في سن الصبا، ولم يشترك في قتال قط، فرض إقتسام أراضي عثمان، ثم عينه أورخان صدراً أعظم، ولقبه بالباشا، وقام بسن القوانين، وتنظيم الجيش، أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سابق، ص ٣٨.

(٣) عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٤٧ م، ص ٣٥.

" بني جري أو يكي جري " الذي عرف محرفاً بالإنشكارية.^(١)

ولأن الدولة العثمانية دولة إسلامية منذ نشأتها فقد ارتبطت بالطرف الصوفي^(*) كمظهر إسلامي، لذلك صحب أورخان الأطفال في نفس اليوم إلى الشيخ بكتاش^(**) صاحب الطريقة المشهورة البكتاشية التي كانت منتشرة في المنطقة آنذاك وطلب منه أن يبارك الجيش الجديد، فأعطى كل واحد منهم قطعة من طرف عباءته فعلقها الضابط على رؤوسهم تبركاً بها، فكانوا ينسبوا قطع اللباد الموجودة في أغطية رؤوسهم إلى القصة السابقة.^(٢)

(١) على سلطان: مرجع سابق، ص ٢٧ - ٢٨.

(*) يؤخذ على الدولة العثمانية أنها آزرت الطرق الصوفية منذ نشأتها، فقد أولتهم برعاية وبالمال وجعلت فرقة في الجيش تابعه لهم، وأنتسب السلاطين للطرق الصوفية. وانتشرت في البلقان مثل المولوية والنقشبندية والبكتاشية والرفاعية. أنظر الصفصافي أحمد المرسى: الدولة العثمانية والولايات العربية، مجلة الدار، العدد ٤، السنة ٨، رجب ١٤٠٣ هـ - إبريل ١٩٨٣ م، ص ٧٢.

(**) ولد الحاج بكتاش في نيسابور سنة ٦٤٥ هـ، وفي سنة ٦٨٠ هـ، أشار عليه الشيخ أحمد يسوي بالتوجه إلى الأناضول، وسافر إليها واستقر بمكان بالقرب من قبر شهير وتوفي في ٧٣٨ هـ في حين تشير الرواية الأخرى أنه كان رجلاً من خراسان في بلاد فارس عاش في منتصف ق ١٤ م وكان لديه كرامات، كما أنه كان ولي من أولياء الله، أغدق بركاته على الإنشكارية. أنظر الصفصافي أحمد مرسى: مرجع سابق، ص ٥٦. انظر إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، د. ط، القاهرة، ١٩٤٦ م، ج ٢، ص ٦٧٩. انظر دائرة المعارف الإسلامية: ج ٢٧، ص ٤٦٧، ٤٦٨. كما أن حاجي بكتاش عُرف بإسم سيد محمد أفندي في زمن السلطان أورخان ولكن خلفاء الحاج بكتاش أدخلوا في الشريعة ما ليس منها. محمد عبد اللطيف البحراري: مرجع سابق، ص ٥١.

(٢) عاشق زاده: تواريخ آل عثمان، إستانبول، د. ط، ١٣٣٢ هـ، ص ٢٠٤ - ٢٠٦، محمد عبد اللطيف البحراري، من خصائص تاريخ العثمانيين، مجلة الدار، العدد ٤ السنة ١٣ =

وقال " سيدعى هؤلاء الجنود بني شري فيكون وجههم أبيض بهياً، وساعدهم مريعاً قوياً، وسيوفهم مؤسلة ماضية. فالنصر يلزمهم في الحروب التي يخوضونها، ولا يرجعون أبداً من ساحة القتال إلا وراية الظفر معقودة لهم ^(١). وبعد هذه المقابلة بدأوا يلبسون قلنوسة من اللباد الأبيض كالتى كان يلبسها الشيخ بكتاش، مضافاً إليها من الخلف قطعة قماش تدلى خلفهم، تذكراً من الشيخ، وكانوا يعطون بطرفها ملعقة خشب، ومنذ تلك الزيارة أتبعوا الطريقة البكتاشية حتى أن قائدهم الأعلى كان شيخ تلك الطريقة ^(٢). وعلى عكس تلك الرواية هناك فريق من المؤرخين والباحثين يتشككون في صحتها، بل ينفونها نفيّاً باتاً تأسيساً على أن الحاج بكتاش كان قد جاز إلى ربه قبل إنشاء أو جاق الإنشكارية بقرن من الزمان ^(٣).

على أية حال ترى الدراسة أن الإنشكارية ارتبطت إرتباطاً وثيقاً منذ نشأتها بالطريقة البكتاشية سواء كانت قصة مقابلة الشيخ بكتاش بهؤلاء الأطفال صحيحة أم لا، فإن إرتباطهم جاء مبكراً جداً، والدليل على ذلك أن جميع حركات العصيان

= رجب ١٤٠٨هـ - فبراير ١٩٨٨م، ص ٢٠٤، محمد عبداللطيف البحراوي: مرجع سابق، ص ٥١.، زيد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص ٣٤، عرفان كوندوز: الدولة العثمانية والتصوف، د. ط، إستانبول، ١٩٨٤م، ص ١٣٣، أحمد جودت: تاريخ جودت: بيروت، ١٣٠٨هـ، ج ١، ص ٣٩. أنظر أحمد زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، الطبعة الأولى، بيروت: دار الصادر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ج ٢، ص ١٢٠.

(١) محمد جميل بيهيم، فلسفه التاريخ العثماني، ص ١٢٥ - ١٢٦. أنظر حبيب السيوفي، مرجع سابق ص ٤، ٥. حسين لبیب: تاريخ الأتراك العثمانيين، ج ١، ص ١١، ١٢.

(٢) إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ٢، ص ٤٨٨، ٤٩١. أنظر أيضاً محمد

سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٦، ٢٧.

(٣) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٦، ٢٧.

التي كانت تقوم بها الإنكشارية نجد أن شيوخ البكتاشية كانوا يساندونهم فيها، وفي بعض الأحيان يشتركوا معهم، كما أننا نجد أنه في أعقاب القضاء على الإنكشارية، يأمر السلطان محمود الثاني بإلغاء هذه الطريقة وإغلاق تكاياها.

وقد كان الإنكشاريون ملتصقون إتصافاً قوياً بالطريقة البكتاشية وعلى اتصال وثيق بهم، ويظهرون نحو شيوخها طاعة تامة وصلت إلى حد الولاء العميق، ولذلك كان يطلق على الإنكشارية أحياناً "عسكري بكتاشية" أي أبناء الحاج بكتاش، والواقع أن الأهمية السياسية التي اكتسبتها الطريقة البكتاشية إنما يرجع إلى ارتباطها الوثيق بالإنكشارية الذين كانوا ينظرون إلى شيوخ هذه الطريقة بمثابة أئمة لهم^(١).

ومن ثم نجد أن الإنكشارية قد انضموا تحت الطريقة البكتاشية، ويقال أن الأورطة العثمانية قد أعترفت بإرتباطها بالبكتاشية رسمياً عام ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م، وكان عدد الشيوخ ثمانية ممن سكنوا ثكنات الإنكشارية. وارتبط الطرفان بعلاقات شخصية حميمة متبادلة.^(٢)

نظام الدوشرمة:

بعد أن أنتقل الأتراك إلى الأراضي الأوروبية، وتضاعفت فتوحاتهم في منطقة الروملي زادت حاجتهم إلى الجنود، فاتجهوا لأجل هذا إلى الإستفادة من أسرى الحرب بموجب قانون عرف بإسم "ينجيك قانوني" أي قانون الخمس الذي يحتمل أنه صدر عام ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م. فكان ينص على أن تحصل الدولة على خمس أسرى الحرب حسب الشريعة الإسلامية. وكان يجري في البداية إلحاقهم بأوجاق

(١) عاشق باشا زاده: مصدر سابق، ص ٢٠٤، ٢٥٠. عبد العزيز الشاوي: ج ١، مرجع

سابق، ص ٤٨٠، ٤٨١: أنظر دائرة المعارف الإسلامية: ج ٧، ص ٤٧٠.

(٢) على سلطان: مرجع سابق، ١٦٧.

الإتشكارية بعد مرحلة تدريب قصيرة، فلما رأوا بعض المحاذير في ذلك قرروا أن يسلم هؤلاء الفتيان من أسرى الحرب للأسر التركية في الأناضول، بذلك يمكن للأسرى أن يعملوا بالزراعة لقاء أجر زهيد، ويتعلموا في الوقت ذاته العادات والتقاليد الإسلامية والتركية، وكانوا يتلقون التعليم العسكري الأساسي في أوجاق العجمية الذي ينتقلون له حيث يتم تحويلهم إلى أوجاق الإتشكارية - وهو ما سأحدث عنه فيما بعد - الذي تشكل في غاليلبولي على أيام السلطان مراد الأول.^(١)

وهذه كانت أول وسيلة للحصول على الأطفال المسيحيين، كما كانت هناك وسائل أخرى منها الهدايا أو شرائهم من النخاسين وهم تجار الرقيق والجواري^(٢) غير أنه كانت أهم وسيلة هي جمع الأطفال الذين فقدوا أهلهم في الحروب وتعليمهم الدين الإسلامي.

بعد أن ينتهوا من جمع الأطفال يجري تنظيمهم في قوافل يتراوح عدد أفرادها بين مائه إلى مائتي غلام، ثم يتم فحصهم لأخر مره، قبل إرسالهم إلى المركز، وبعد ذلك تجري لهم عملية الختان - على إعتبار أنهم أصلاً من المسيحيين ثم يؤخذ البعض منهم لأجل السراي.^(٣) ثم يربوا تربية إسلامية عسكرية وفكرية، ويعتقوا الإسلام، ويتعلموا اللغة التركية، ويعيشون في ثكنات خاصة بهم، لا يختلطوا بالمجتمع، وإنما وهبوا أنفسهم للدفاع عن الدين الإسلامي والسلطان.^(٤)

(١) تاريخ أبو الفاروق: تاريخ عثمانيد ٥، ج ١، ص ٧١، أكمل الدين إحسان أو غلي: مصدر سابق، ج ١، ص ٨٢.

(٢) عمر عبد العزيز عمر: محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية، د. ط، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩، ص ٣٧، ٣٨.

(٣) أكمل الدين إحسان أو غلي: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٨٣.

(٤) عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية العصر الحديث، د. ط، القاهرة: دار الفكر =

كذلك يتم تدريبهم على الفنون الحربية فهم ليس لديهم عملاً غير الجندية، ولا دين غير الإسلام، كانوا في غاية الطاعة والثبات في المعارك. ^(١) وهكذا نجد أن أورخان أنشأ جيشاً اعتمد فيه على أبناء النصارى الذين لا أهل لهم، وتنشئتهم على الإسلام. ^(٢) وقد أخذ أورخان يشجع تحويل الرعايا المسيحيين إلى رعايا عثمانيين مسلمين. ^(٣)

وقد إتبع أورخان في ذلك المبدأ الإسلامي " لا إكراه في الدين ". وقد درّبوا هؤلاء الغلمان تدريباً جسمانياً وعقلياً حتى تظهر مواهبهم، ثم قسموا إلى قسمين:

القسم الأول:

يختارون من تظهر عليه علامات الذكاء والفطنة، ويطلق عليهم " أوج أوغلان " وهؤلاء يرحلوا ^(٤) لينشأوا في دور الحجاب الأربع، في أدرنه، وفي بيره. وكانوا يصنفون أصنافاً خمسة. ^(٥) ومن الصنف الخامس كان يؤخذ المرشحون إلى سراي القصر، ويدربون في مدرسة يتخرج منهم مرشحون يتولون أعلى مناصب الدولة، فيصلون إلى مناصب الوزراء والصدور العظام،

= العربي، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ص ٦٣. أحمد جودت، ورقه ٩.

(١) جورجى زيدان: مصر العثمانية، تحقيق محمد حرب، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الهلال، إبريل ١٩٩٧ م، ص ٦٥.

(٢) زين العابدين شمس الدين نجم: الوظائف العسكرية والتنشكيلات القتالية في العهد المملوكي والعهد العثماني، ص ٢٩.

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي: من خصائص تاريخ العثمانيين، ص ٢٠٤.

(٤) محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣ م، ص ٧٧. أحمد محمد الحموي: فضائل سلاطين بني عثمان، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ص ٥٨.

(٥) كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص ٤٦٥.

وكانوا جميعاً يدرّبون تدريباً إنسانياً رغم صرامته، وكانت الغاية من تلك الصرامة خلق رجال شجعاناً أكفاء، وكان سليمان القانوني ٩٢٦هـ - ٩٧٤هـ / ١٥٢٠م - ١٥٦٦م نفسه يتفقد أطفال مدرسة القصر ليلاً ليطمئن على أحوالهم.^(١)

القسم الثاني:

إرسال باقي الأطفال لينضموا إلى أوجاق العجمية لمدة سبعة أو ثمانية أعوام كخطوة مبدئية لينتقلوا بعدها إلى أوجاق الإنشكارية، أو إلى أحد الفرق الأخرى، حيث يتم تسجيل أسماء وأوصاف الأطفال الداخلين إليه في دفتر يقال له كوتوك أي "السجل" وهي عملية يطلقون عليها اصطلاح "قيويه جيقمه" أو "نذكراه" أي الخروج إلى الباب أو التخرج. وعندئذ تزداد لهم الرواتب، وأستمر أوجاق العجمية يقوم بهذه الوظيفة حتى عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م^(٢) وهنا يجدر الحديث عن الغلمان الأعاجم.

ويراد بالغلمان الأعاجم الصبيان الذين يقيمون في الثكنات للتمرّن على الحركات العسكرية استعداداً للدخول في الوجاقات وكانوا على زمن أورخان ألف غلام من النصاري، ثم أخذ السلاطين يستكثرون منهم، ويبنون لهم الثكنات، أو القلاع لإقامتهم. وكان لهم في إختيارهم شروط من جملتها أن يكونوا صحاح الأبدان والعقول فلا عجب إذ تألف منهم جند كاد يفتح أوروبا، ويكتسح العالم المسيحي.

(١) محمود السيد: تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، الطبعة الأولى، جده: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٩م، ص ١٩٩.

(٢) أكمل الدين إحسان الدين أوغلي: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٨٤. أنظر أحمد جودت: تاريخ جودت، تحقيق: عبد اللطيف محمد الحميد، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ١٧١، ١٧٢. أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول "BOA" تصنيف مهمة دفترى رقم ٧/ص ٣١٢.

ويجمع أولئك الغلمان من خمس السلطان في الغنائم، ولهم ديوان تقيد فيه أسماؤهم، ومدارس يتعلمون فيها الحركات العسكرية، وأساتذة يعلمونهم كل ما يلزم للجندي، وهؤلاء غير الذين كانوا ينتظمون في الجندية الإنشكارية. كانوا يقومون أيضاً بأعمال أخرى مثل الإشتغال بالنجاره لإصطناع السفن، ولهم ثكنات خاصة بذلك. ومنهم فئة قليلة يلحقون بأغا^(١) الإنشكارية لخدمته في الحلاقة وغيرها، ويسيروا وراءه إذا مشى في المدينة، والذين يعرفون التركيّة منهم كانوا يلحقونهم بالقصر السلطاني للخدمة في المطابخ.

هذا يدل على مدى القوة التي وصل إليها أغا الإنشكارية، والمكانة التي أحتلها في الدولة العثمانية، حتى أنه كان يجعل الجند الصغار ييسرون خلفه.

وكانت أول ثكنة للإنشكارية في أدرنه، ثم زاد هذا العدد في إستانبول وكان أكبر ضباط في أوجاق العجمية يسمى غاليبولي وكان ينقسم الأوجاق إلى ثمانية بلوكات " المشاة - يايا " يترأس كل واحد منها ضابط يعرف باسم " بلوكباشي"، ويضم الأوجاق أربعمئة جندي، ولم تلبث أهمية هذه الأوجاق أن تضاعلت بعد فتح القسطنطينية أواسط القرن الخامس عشر الميلادي وتحويلها إلى إستانبول، إذ جرى فيها تشكيل أوجاق جديد للعجمية أكبر وأكثر نظاماً. أما المشاة الذين يُعرفون باسم "جماعت" الجماعة، وينقسمون إلى مئة وواحد بلوك.^(١)

(*) عند ما زاد الاعتماد على الإنشكارية، زاد نفوذ الأغا وتمركز في العاصمة، وصار مسؤولاً عن تعيين أغا حامية الإنشكارية في مركز كل ولاية. وهذه الحامية تقيم في القلعة ووظيفتها حراسة أبواب المدينة وأسوارها، وفي بعض الأحيان الإشتراك في حملات الوالي المحلية أو حملات السلطان على الجهات الرئيسية. أنظر الصفصافي أحمد المرسي: الدولة العثمانية والولايات العربية، ص ٨١.

(١) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول (BOA) تصنيف مهمة دفترى رقم ٧/ ص ٣١٢ رقم ٢٦/ ص ٩١ . أكمل الدين إحسان أو غلي: مصدر سابق، ص ٣٨٣، عاشق زادة: تواريخ آل عثمان، ص ١٢٠-١٦٠.

هذا عن الغلمان الأعاجم، أما الإنشكارية فكانت تدريباتهم تختلف ونظامهم

مختلف:

فعلى النسق المتبع في الجيوش العثمانية، فإن جنود الإنشكارية كانوا يدرّبون على الولاء والإنضباط الكامل، وكانت قواتهم تسكن في ثكنات خاصة بهم، وحسب نظام دقيق فيما بينهم، ويجري الحفاظ على الحماس الديني لديهم.^(١)

وحسب الأنظمة التي وضعها السلطان سليمان القانوني كانت هذه الثكنات، في العاصمة وهي مما كانت تضم فيلقاً مكوناً من مائة ألف إنشكاري يعملون بشكل دائم على التدريب وعلى الفنون العسكرية.^(٢)

وقد كان قائد الفوج رقم أربعة وخمسون هو الذي يترأس هذه التدريبات بصفته رئيس التدريب العسكري، وفي أوقات التدريب، فإن رئيس كتاب الفوج مع ستة مأمورين يحضرون التدريبات، التي تشارك فيها أربعة طوابير دفعة واحدة، والمكان المخصص لذلك يعرف بإسم ساغرديم محله، ومكانه خارج طوب قابي التي هي إحدى بوابات المدينة القديمة. ويتدربوا في كل سنة من الرابع من مايو إلى أول نوفمبر، حيث يتدربوا على استخدام البنادق مرتين في الأسبوع، مره في سعد آباد " حقل المياه العذبة " ومرة في ساغرديم محله. وفي الشتاء أيضاً يجب أن يستغلوا كل الأيام المشرقة ليكونوا في أماكن التدريب، وهكذا يكونوا دائماً عاكفين على العمل والدولة هي التي تؤمن البارود والرصاص لهم.

هذه القوانين المتعلقة بالتدريب تسري على كل الإنشكاريين الموجودين في المقاطعات أيضاً، وليس في العاصمة فقط، فجميع الإنشكارية خاضعون

(١) الصفصافي أحمد المرسى: إستانبول عقب التاريخ، ص ٥٦

(٢) محمود رثيف أفندي: التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، تعريب خالد زياده، د.ط، د.م،

للتجنيد.^(١) وكانوا على ثلاثة أنواع:

النوع الأول:

جنود الخدمة الفعلية أو الإشكندجي (Eschkindjis)

النوع الثاني:

الأفراد المسجلون للإنخراط بهذا الجيش، ليمأثوا الفراغ فيه عند الضرورة، أي في زمن الحرب، بينما يتابعون في الاوقات العادية أعمالهم ومهنتهم، ولا يقبضوا أجرهم إلا عن الفترة التي ينخرطون خلالها في الجيش، وكان عدد هؤلاء يربو عن المائة والخمسين ألف رجل.

النوع الثالث :

هم العثمانيون، على إختلافهم، وكان عددهم كبيراً، وكان هؤلاء يفتخرون بأن ينتسبوا إلى هذا الجيش العريق في دولتهم، فيحملون إسم الإنشكاري ويلبسون زيّه، ويسمون المرشحون " Tesseradjis " .^(٢)

أما عن قوانين الإنشكارية، فهي تتلخص في الآتي:

- (١) الطاعة العمياء لقوادهم، وضباطهم، أو من ينوب عنهم.
- (٢) تبادل الإتحاد بين الفرق، كأنها فرقة واحدة، وتكون مساكنها متقاربة.
- (٣) التجافي عن كل ما لا يليق بالجندي الباسل من الإسراف، أو الانغماس في الملذات مع التعود على روح البساطة في كل شيء.

(١) محمود رفيف أفندي: مرجع سابق، ص ٤١، ٤٢.

(٢) ياسين سويد: التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الإماراتين الإمارة المغنييه

١٥١٦م - ١٦٩٧م، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسه العربية للدراسات، ١٩٨٠م،

(٤) الإخلاص في الإلتواء إلى الحاج بكتاش، من حيث الطريقة مع القيام بفروض الإسلام.

(٥) إن الحكم عليهم بالإعدام ينفذ بشكل خاص - سيأتي الحديث عنه فيما بعد.

(٦) يكون الترقى في المراتب حسب الأقدمية.

(٧) لا يجوز أن يوبخ الإنشكارية، ولا يعاقبهم غير ضباطهم.

(٨) إذا عجز أحدهم عن العمل يحال على المعاش.

(٩) لا يجوز لهم أن يتزوجوا.

(١٠) لا يجوز لهم إطالة لحاهم.

(١١) لا يجوز لهم الابتعاد عن ثكناتهم.

(١٢) لا يجوز لهم أن يتعاطوا عملاً غير الجندية.

(١٣) يقضون أوقاتهم بالرياضة البدنية والتمرين على الحركات العسكرية.^(١)

وإذا تدبرنا هذه القوانين وعلمنا مدى الأعمال العظيمة التي قام بها هؤلاء

الجند من فتوح عظيمه لمصلحة الدولة العثمانية.^{(٢) (٣)}

(١) جورجى زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص ٤٥٩.

(٢) جورجى زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص ٤٦٠.

(*) يروي أن السلطان سليم أحتاج في أثناء فتوحه بين حلب ومصر إلى المال، فأفترض دفتر داره مبلغ ٦٠.٠٠٠ ريال من أحد التجار اليهود ريثما تصل الحملة ومعها النقود. فلما وصلت بعث الدفتردار إلى التاجر أن يأتي لقبض المال فأتي الرجل، وقال له أنه يريد أن يتخلى عن المال مقابل ادخال ابنه في جند الإنشكارية فرفع الدفتردار الأمر إلى السلطان سليم. فأكبر السلطان ذلك وبألف في توبيخ الدفتردار حتى أنه قال له "لو لا أن يقول الناس أن السلطان سليماً قتل تاجراً طمعاً في ماله لأمرت بقتلك وقتل كل اليهود حفاظاً على قدسية وخصوصية الإنشكارية وأمر بدفع المال إلى صاحبه، على أن لا يعود لهذا مرة أخرى، فلا يتجاسر غريباً على الدخول في الإنشكارية إلا ونصيبه القتل". أنظر =

أما عن تقسيمات الإنكشارية: كان الجيش الإنكشاري يسمى أوجاق وكانت الترقية تحدث بحصول الإنكشارية على الرتبة الأعلى بعد رتبته بشكل عام ^(١) وأوجاق معناها موقد النار ^(٢)، وكان مؤلفاً من أربعة أنواع من الفرق تتألف كل منها من عدد من الوحدات التي تدعى أورطة، وهي الوحدة الأساسية في هذه الفرق جميعها، ويتراوح عددها بين مائة وخمسمائة رجل، أي بين سرية وكتيبة من خمسمائة رجل، ولم يكن عدد الأورطة موحداً بين مختلف الفرق في الجيش الإنكشاري كما كانت هذه الوحدات موزعة بين العاصمة إستانبول، والأقاليم، ومواقع الحدود. ^(٣)

وقد كان يوجد في عصر السلطان سليمان القانوني مائة وخمسة وستين أورطة، وكل أورطة من تلك الأورط تتولى تربية الغلمان وتنشأهم حتى يتخرج منهم الضباط، وكان هؤلاء الضباط تحت مسئولية أو إشراف أحد أغوات الإنكشارية، أو أحد القادة الباشوات. ^(٤)

ويلى الأورطة من حيث الأهمية ما يلي:

= جورجى زيدان، تاريخ الجند العثماني، ص ٤٥٩ وقد أكد هذا الأخير أن سليم قتل اليهودي برغم أنه في الرواية أكد سليم أنه لن يقتل اليهودي وأنه أعاد له المال. راجع سليمان قوجسه باش: التدخل الأجنبي في الثورات العثمانية، د. ط، إستانبول، ١٩٩٣م، ص ١٢.

(١) Abdulkadir Rzcan: fatin'in Tes kilat kanunnamesi ve Nizam -1
Alem için kade s Katli meselesi , istanul 1973. TD. s, 33.31

(٢) على سلطان: مرجع سابق، ص ١٦٩.

(٣) ياسين سويد: مرجع سابق ج ١، ص ٩١-٩٢. أنظر عبد الكريم رافق، مرجع سابق، ص ٤٨.

(٤) ألبرت هويرلبير: إدارة الإمبراطورية العثمانية في عهد القانوني، الطبعة الأولى، إستانبول: دار نشر سورج، ١٩٨٧م، ص ٩٥. أنظر محمد أنيس: مرجع سابق، ص ٧٧.

- (١) السكمان أو السكبات وهي تعني خادم الكلاب، أو حارسها، وسموا كذلك لأنهم كانوا يقودون الكلاب أمام أمرائهم عند مسيرهم للصيد، وقد كانت بلوكات السكباتية مستقلة في البداية، ثم ألحقت بأوجاق الإنشكارية في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي - سوف يتم الحديث عنها فيما بعد -
- (٢) أبناء الأعاجم، وهم الذين سبق الحديث عنهم.^(١)
- (٣) المشاة "يايا" وكانوا يعرفون بإسم "الجماعة" وكانت موزعة بين العاصمة أستانبول، ومواقع الحدود.^(٢)

أهم الرتب والوظائف في الجيش الإنشكاري:

١- أغا^(٣) الإنشكارية:

"يني جري أغاسي" هو القائد الأعلى للجيش الإنشكاري بإعتباره أعلى ضباط هذا الجيش رتبة. ^(٣) وكان للواء الإنشكارية ضباط آخريين ذوي رتب عالية، مثل السكبان باشي وكتخدا العبيد ورئيس فرقة الألغام، وكاتب الإنشكارية وكان يطلق على هؤلاء الضباط قديماً أغوات القطار ثم أطلق عليهم بعد ذلك أغوات الإنشكارية.^(٤)

وأغا الإنشكارية يعد شخصية بارزة في الدولة العثمانية والقصر السلطاني،

(١) مخطوط متن باضيه حاصر ليان: مبدأ قانون بكيجري، ورقة ٢٥، ٢٦، انظر ص ٤١.

ياسين سويد: مرجع سابق، ج ١، ص ٩١، ٩٢.

(٢) أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ص ٣٨٤.

(*) الأغا: - صار معناها الرجل الذي تم إخصاءه بعملية جراحية وهو طفل صغير.

(٣) مخطوط متن باضيه حاصر ليان: ورقة ٢٥، ٢٦. شمس الدين سامي: قاموس مادة

يكجري، ص ١٥٥١، ١٥٥٢ ياسين سويد: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٨٢.

(٤) عبد الرحمن شرف، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٠.

وكانت القوات التي تحت قيادته تعد من أهم الفرق فهي سلاح المشاة ودائماً تحت تصرف السلطان، كما أنه بحكم منصبه ومكانته شغل وظيفتين أخرتين، هما: رئيس قوات الشرطة في العاصمة أستانبول، وعضوية مجلس الدولة وإن كانت مثل هذه العضوية لا تعد وظيفة بالمعنى العام^(١)

وأغا الإنشكارية هو الشخص الوحيد الأمر الناهي لجنود الإنشكارية وهو يعد بمثابة قائد القوات البرية، وللأغا مكانة خاصة في القصر السلطاني، حيث له محلاً مخصوص وباب وديوان يجتمع فيه وينظر في كل الأمور العسكرية، ومن هنا جاءت خطورة هذا المنصب، فقد كان يمتلك إمتيازات خاصة وصلاحيات جسيمة منها تحديد مقدار وعدد الجنود الموجودين في القلاع والأماكن الإستراتيجية.^(٢)

وعلى هذا الأساس كان لهم تأثير مباشر على الإنشكارية، فقد حرضوهم في أغلب تمرداتهم، مستندين على صلاحياتهم الواسعة على الإنشكارية خاصة وعلى السلطان والدولة عامة وبعد فساد الإنشكارية، أصبحوا المتحكمين في كل الأمور.

وكان يجري إختيار أغا الإنشكارية للتعين في هذا المنصب من قبل السلطان مباشرة ويختاروا من ضباط الأوجاق حتى القرن العاشر الهجري، أوائل القرن السادس عشر الميلادي ويجري تنصيبه في القصر السلطاني ويكسى خلعة الأغا^(٣)، أما بعد عودة السلطان سليم الأول من حملة إيران، فقد تغير نظام إختيار أغوات الإنشكارية فكان يجري إختياره من بين رؤساء السكبانية بوجه عام، ولما بدأ يشارك رؤساء السكبانية في بعض التمردات شرعت الدولة في تعيين أغا الإنشكارية من بين ضباط السراي أي الجنود السلطانية، وذلك في عهد السلطان

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٨٢.

(٢) عبد الرحمن شرف: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٠٠.

(٣) أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول: وثيقة رقم ١٧٢٣٧ HAT.H.

سليمان القانوني حتى يحد من طغيانهم وجبروتهم، وابتداء من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي حدث تغيير في تعيين أغوات الإنشكارية حيث رُؤى أن يختار من بين الضباط أصحاب رتب وكيل الأغا " قوكتخدا سي " والزغارجية، بل ومن بعض السعاة المعروفين بإسم " جوخه دار "، كما كان أغا الإنشكارية في الوقت نفسه كبير ضباط أوجاق العجمية.^(١)

والأغوات أعضاء في ديوان همايوني " مجلس الوزراء " برتبة بكربك " فريق أول " أي على رتبة وزير، ويمكنهم التكلم والتصويت في الديوان حول الموضوعات التي تهم حاميمهم، الجيش والحرب فقط فلا يمكنهم التصويت كالوزراء في كل الموضوعات، كما أنه ينتظر حتى نهاية الاجتماع ليدخل غرفة العرض " عرض أوطه سي " ويعرض على السلطان أمور الأوجاق. أي أن الأغا ناظر من الدرجة الثانية، وأكثر هؤلاء الأغوات متخرجون من الأندرون^(٢) مقربون إلى السراي، سياسيون أكثر مما هم عسكريون.^(٣) وأغا الإنشكارية فضلاً عن مهامه العسكرية، كان مسؤولاً عن الأمن في قسم كبير من استانبول، وحفظ النظام وحماية الأملاك، ولذلك يبدو وكأن أعماله بعيدة عن اهتمامات القصر السلطاني إلا أنه بصفته الرئيس الأعلى للإنشكارية فقد كان دائم التحريض لأتباعه داخل القصر وكان أتباعه سريعي الاستجابة له. كما كان مسؤولاً أيضاً عن إطفاء الحرائق التي تشب في العاصمة بجانب الصدر الأعظم. وله ديوان يعقد تحت رئاسته يشكل مع قادة الإنشكارية، ويعرف بإسم " ديوان الأغا "

(١) أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق ج ١، ص ٣٨٤، أنظر عبد العزيز الشناوي،

مرجع سابق ج ١، ص ٤٨٢. أنظر أيضاً عبد الرحمن شرف، مرجع سابق، ج ١ ص ٣٠١.

أرشيف رئاسة مجلس الوزراء: خط همايوني H.H. وثيقة رقمها ١٥٨٣٧.

(*) الأندرون:- مدرسة القصر السلطاني. عبد العزيز الشناوي: ج ١، ص ٤٨٢

(٢) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٠.

"أغا ديواني" يناقش فيه أمور الأوجاق ويستمع إلى القضايا المتعلقة به، وإصدار القرارات الخاصة بالحامية مثل أمور العزل والتعيين داخل الأوجاق، أما القضايا التي تختص بكاتب الإنشكارية تتم بعرض طلب منه، والمسائل التي تتجاوز صلاحياته، فكان الأغا يحولها إلى الديوان الهمايوني، وكان له مهمة التجول مرتين أو ثلاثة مرات في الأسبوع صباحاً ومساءً ليتفقد حالة الأهالي والطرق، وله حق معاقبة المخالف.^(١) وكان الأغوات يسكنون في قصور كبيرة تسمى "أغا شراري" ويوجهون الحامية من هناك.^(٢)

وفي بعض الأحيان يحصل الأغا على رتبة وزير حيث يتم تعيينه على هذه الرتبة من قبل السلطان مباشرة، ويمنح الوزارة ويكسى الخلعة من الباب العالي، ويطلق على الأغا في هذه الحالة إسم "أغاباشي" وكان يقيم في الحي المعروف بإسم "باب الأغا" "أغاقا بيسي" في إستانبول.^(٣)

وطبقاً للمراسم السلطانية العثمانية فقد كان الأغا الذي بدرجة وزير يتقدم من نقل رتبته عن وزير، يتقدم أيضاً جميع القادة العسكريين^(٤) مهما كانت رتبهم خصوصاً في أيام الأعياد، والإحتفالات الرسمية، وكان له مقر خاص في عاصمة الدولة ومكاتب في المناطق التي تتواجد فيها الفرقة، وكان لا يتقدم الأغا القائد للإنشكارية في ميدان القتال.^(٥)

(١) عبد الرحمن شرف: مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠١. يلمازا وزتوننا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩١.

(٢) Eyyub Efendi: Kanunnamesi. i. u. ktp. Ty. 734. s, 14 a -b.

(٣) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: رقم الوثيقة ١٦٤٠٤. أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ص ٣٨٦.

(*) وكانت الأسبقية عليه لقادة فرق السباهية وبولوكات السلحدار، لأن هذين السلاحين أقدم عهداً من سلاح الإنشكارية. أنظر عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٨٢.

(٤) مرجع سابق، ج ١، ص ٤٨٢.

وأول أغا للإنشكارية مُنح رتبة وزير هو سليمان كنعان أغا باشا في عام ١٠٦٤ هـ / ١٦٥٣ م وبعض الأغاوات أعتلى هذا المقام مرتين، وأعتلاه الواحد منهم عدة مرات، وحصل تسعة وعشرون أغا على مرتبة وزير، ثلاثة منهم ظلّوا في هذا المقام أطول مدة، ما يقارب من ست إلى تسع سنوات، ووصل خمسة وعشرون من الأغاوات إلى مراتب الصدور العظام. بعضهم توفي بعضهم أثناء الخدمة، والبعض الآخر استشهد، وأولهم شجاع الدين أغا الذي استشهد في فتح المجر. (١)

وفرض القانون على الشخص الذي يعين أغا للإنشكارية أن يقدم للصدر الأعظم هدايا أو تعرف بإسم " جائزة " كان يتلقاها هو الآخر من ضباط الأوجاق الآخرين، وإذا تدنت مكانة أغا الإنشكارية أو عزل وأخرج من الأوجاق كانت العادة أن يعين في الغالب أميراً على سنجق قسطنطيني، أما إذا أُستحق الترقية، فهو يتحول إلى " بكسر بكى " أمير الأمراء أو يصبح قائداً للأسطول العثماني " قبطان دريا " وكان عزل الأغا بيد السلطان واستمر ذلك حتى، عام ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٣ م. ثم أصبح من صلاحيات الصدر الأعظم بعد هذا التاريخ. (٢)

حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي بالتحديد عام ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م كان أغا الإنشكارية يخرج إلى الحملة مع السلطان " البادشاه " فقط، وإذا كانت قيادة الجيش لدى الصدر الأعظم، يشترك الإنشكارية في الحملة بقيادة سكبانباشي. ويبقى أغا الإنشكارية برفقة السلطان في إستانبول. وبسبب قلة خروج السلاطين إلى الحملات بعد القرن السادس عشر الميلادي أصبح أغاوات

(١) يلماز أوزتونا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩١.

(٢) Eyyub Efendi: kanunnamisi i.u. ktp. Ty. 734. S,14 a-b . أكمل الدين

إحسان أو غلي: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٨٦.

الإنشكارية يشتركون في الحملات مع الصدور العظام.^(١)

مما زاد في نفوذ الأغوات بدرجة كبيرة في أعقاب القرن الحادي عشر الهجري على إعتبار أنهم صاروا يختارون من بين رجال القصر وكبار ضباطه خاصة بعدما زاد نفوذهم داخل القصر بحكم وضعهم.

وفي وقت الحرب كان يلتف حول أغا الإنشكارية مجموعة من الجنود يطلق على الواحد منهم لفظ شاطر ولهم علماً مخصوصاً بهم ابيض اللون ويمتطون جياداً ويتعقبون أغا الإنشكارية بالموسيقى العسكرية، ويصاحبونه عند ذهابه إلى الديوان.^(٢)

أما عن لباس أغا الإنشكارية فقد تميز بزي خاص حيث كان زيه الرسمي من المخمل، أو الستان الموشى، ويضع على رأسه غطاء رأس يعرف بإسم "مُجَوَّزة" أثناء توجهه إلى الديوان، أما في الأيام المعتادة فكان يرتدي معطفاً من الفراء "الشمور" مكسواً بالمخمل الأحمر، ويضع على رأسه عمامة حمراء اللون وبيضاوية الشكل.^(٣)

٢ - سكبان باشي:

كان يساعد الأغا في قيادة فرقة السكمان، ويدعى "سكبان باشي" أو سكمان باشي الذي كان بالإضافة إلى وظيفته كمساعد أول للأغا، وكقائد لفرقة السكمان، كان ينوب عن الأغا في قيادة الجيش أثناء الحرب، وفي قيادة العاصمة.^(٤)

(١) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج٢، ٣٩١.

(٢) عبد الرحمن شرف: مرجع سابق، ج١، ص ٣٠١.

(٣) الدين إحسان أوغلي: مرجع سابق، ج١، ص ٣٨٦. لمزيد من المعلومات عن لباس

أغا الإنشكارية الرجوع إلى محمود شوكت: مرجع سابق، ص ٨٩ - ٩٠.

(٤) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ج١، ص ٨٢.

ورئيس السكباتية هو قائد بلوكات السكبان، أي القائمة على تربية الكلاب التي تشكلت في البداية لأجل رحلات الصيد، وهو تابع لأغا الإنكشارية، وصارت فرقة السكبان تحت إدارة أغا الإنكشارية وصار موقعة الضابط الثاني في أوجاق الإنكشارية بعد أن جرى إلحاق تلك البلوكات به على أيام السلطان محمد الثاني الفاتح وكان يصبح السكبان عند الترقية أغا للإنكشارية في الغالب، أما في حالة خروجه من الأوجاق، فكان يعين أميراً على أحد السناجق، أو ضابطاً من ضباط الفرق. (١)

ويقوم السكبان باشي مقام أغوات الإنكشارية في حالة واحدة فقط، وهي الحرب وذلك عندما يكون أغوات الإنكشارية مع الجيش، فيبقوا رؤساء السكبان في إستانبول قائمون مقام الأغا. (٢)

كان السكبان باشي بدرجة سنجق بل "لواء" وفي حالة ترقية يصح بك على لواء كبير، وبعد القرن السابع عشر الميلادي رقي إلى بكربك. لقد ظهر من بين السكبان باشي قادة حرب مقتدرين بعضهم شغل فيما بعد منصب الصدارة العظمى، والسكبان باشي يدير الحامية من الناحية العسكرية بصورة مباشرة بسبب كون "أغا الإنكشارية" و "قول كتخداسي" - الذي سيأتي ذكره - شخصيتين سياسيتين (٣).

وقد بدأ يفقد أهميته ابتداءً من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي حتى حل محله وكيل الأغا. أو وكيل الجند "قول كتخداسي". (٤)

(١) أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٨٦.

(٢) عبد الرحمن شرف: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٠٢.

(٣) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٢.

(٤) أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٨٧.

٣ - قول كخيا أو كخيابك نائب الأغا. ^(١)

وهو الرجل الثالث للحامية، ووكيل الجنود أو وكيل الأغا ومعاون لأغا الإنشكارية وخلال بعض الفترات تقدم على سكبان باشي، وأصبح الشخص الثاني، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، وهو برتبة لواء، وفي حالة علو شأنه يصبح بكربك، وكان مسؤولاً عن ثكنات الإنشكارية الموجودة في إستانبول وعن حاميتها، وكذلك عن أمن المدينة. ^(٢)

٤ - يني جري كاتبي "كاتب الإنشكارية": ^(٣)

يطلق عليه بلغة الشعب يني جري أفند يسي " أفندي الإنشكارية "وهو الرجل الرابع للحامية، لكنه ليس إنشكاريًا، وليس عسكرياً " وهو لواء مالي يعينه الصدر الأعظم ويختار عادة من أمناء المخازن السابقين. وميزانية الحامية العظمى والمصروفات والرواتب كلها في عهدة هذا اللواء المالي، أصبح عمله خطيراً بعد أن صارت حامية الإنشكارية وكراً لسوء التصرفات إعتباراً من أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وقد كان تحت إشرافه مائة من الكتبة. ^(٤)

٥ - قورنا جيباشي:

هو الرجل الخامس للحامية، وكان في الحقيقة قائد الأورطة " سرية

(١) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول "BOA": تصنيف مهمة دفترى رقم ٢٦/ص ٩١. جوزجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص ٤٥٨. أنظر جوزجي زيدان: مصر العثمانية، تحقيق محمد حرب، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الهلال، ١٩٩٧م، ص ٦٦، ٦٧.
(٢) يلمازا وزتوننا: مصدر سابق ج ٢، ٣٩٢ لمزيد من المعلومات الرجوع محمد شوكت، مرجع سابق، ص ٩٥.

(٣) جوزجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص ٤٥٩.

(٤) يلمازا وزتوننا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٢. أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، تصنيف

الإنشكارية " الثامنة والستين، إلا أن هذه السرية يديرها أحد الرواد نيابة عنه، ويعمل القورنا جيباشي في المقر. (١)

٦ - صولا قباشي:

هو الرجل السادس في الحامية، وأحد قواد الخاصة التابعين لشخص السلطان، والصولا قباشي هو قائد سرايا الإنشكارية رقم ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، وكان حملة ألقاب صولاق يرتدون الملابس المزينة بالجواهر، ويرافقون السلطان، ويشتركون في القتال بصورة فعلية، وهؤلاء يجب أن يكونوا ذوي مظهر خارجي أنيق، ومهرة في استعمال الأسلحة، ومن مهامهم الأساسية في الحروب حماية السلطان والحفاظ على حياته، إذ لم يكن بإمكان أي شخص الإقتراب من السلطان قبل أن يقتل جميع هؤلاء الصولاق، وكان هؤلاء يضعون على رؤوسهم " صور غوج " وهي شارات مزينة بالرياش النادرة، وكان لباس راس الصولاق كذلك مزينا بهذه الشارات " صول " يسار، " صولات " معنى أعسر، وقد سُموا بهذا الاسم لتمكنهم من استعمال السلاح بأيديهم اليسرى. (٢)

٧ - سمونجي باشي: هو قائد الأورطة نمرة ٧١. (٣)

٨ - زغرجي باشي: قائد الأورطة نمرة ٦٤. (٤) ضمن أورطات (*) الجماعة، وتأتي

(١) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٢.

(٢) مصدر سابق: ج ٢ ص ٣٩٣.

(٣) جوزجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص ٤٦٠. أنظر هاملتون جب: مرجع سابق، ص ٣٨٧.

(٤) زغار: هو كلب الصيد الخفيف الحركة، وكان هؤلاء الزغارجية، مكلفين بتربية هذا النوع من الكلاب والحفاظ عليها، لمزيد من التفاصيل شمس الدين سامي: قاموس تركي، د. ط، إستانبول مطبعة سي، ١٣١٧هـ، ٦٦٨. جوزجي زيدان: مصر العثمانية، ص ٦٧.

(*) لمزيد من التفاصيل: أنظر شمس الدين سامي: المصدر السابق، ص ٦٨٥.

درجته بعد وكيل الجند، وقد تشكلت تلك الأورطة لتربية كلاب الصيد، واستمر وجودها حتى بعد أن ترك السلاطين هذه الرياضة.^(١) كما وجد رئيس الصكسونجية.^{(٢)(*)}

٩- محضر أغا: وهو المقدم الثالث للحامية، ويعمل في الخدمة المباشرة للصدر الأعظم مع ٦٠ إنكشاري يسمون "محضر" وهو العسكري الحارس "حرس" له، وفي الوقت نفسه ينفذ أوامره^(٣) وكانت وظيفة المحضر الأساسية هي تولي عملية الارتباط بين الباب العالي والأوجاق.^(٤)

١٠- خصكي أوباشا خصكي: وهو قائد الوحدات الرابعة عشرة والتاسعة والأربعين المؤلفة من جنود الحرس السلطاني الذين يسمون "خاصكي"^(٥) وكان ينوب عن الأغا في القيادة على الحدود^(٦).

١١- باشجاويش «الباش تشاويش»: وهو قائد الأورطة الخامسة، ورئيس مجموع التشاويشات المكلفين بنقل الأوامر، والذي يحل في نهاية الأمر محل الكيتخدايك والمهزر أغا، الذي هو أيضاً قائد إحدى وحدات الأغا، كما أنه الوسيط ما بين الأغا والديوان السلطاني^(٧).

(١) أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٨٧.

(*) هكسون نوع من الكلاب المستخدمة في القبض على المجرمين، وهؤلاء الصكسونجية كانوا يقومون على تربيتها ورعايتها.

(٢) شمس الدين سامي: المصدر السابق، ص ٨٢٩.

(٣) يلمازا وزتونا: مصدر سابق ج ٢، ص ٣٩٣، ٣٩٤.

(٤) أكمل الدين إحسان أو غلي: مصدر سابق، ص ٣٨٨.

(٥) شمس الدين سامي: مصدر سابق، ص ٥٦٨ هاملتون جب: مرجع سابق، ص ٢٨٩.

(٦) جورج زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص ٤٩٩.

(٧) هاملتون جب: مرجع سابق، ص ٢٨٩.

١٢- كخيابري: وهو ينوب عن الأوجاق لدى الإغا. ^(١) وهو معاون قول كتخدا، وعندما يعلو شأنه يصبح محضر باشي ^(٢)

١٣- ديوه جيباشي: ويسمى كذلك " باشا ديوه جي " أي الجمال الأول. ^(٣) ويسمى بالفارسية " سرشترپان " وقد كان رئيساً لـ ٢٥ أورطة يقومون بنقل حاجيات الإنشكارية من أسلحة ونخيرة ومؤنة بالجمال إلى المناطق التي سيتوجه لها الإنشكارية. ^(٤)

١٤- باشياياجى: وهو قائد السرية ١٠١، وكان يشرف على معامل البنادق الخاصة بالحامية.

١٥- عسى باشى: قائد الانضباط للحامية، ورئيس الشرطة العسكرية.

١٦- بيك باشى: قائد جماعة " البيك " وهم جنود الخاصة للبادشاه أي السلطان.

١٧- باشبولوكباشى: قائد سرايا الإنشكارية الخيالة.

١٨- زمير كجيباشى: أوزنير كجى باشى: وهو قائد سرية الزمبركجي ال ٨٢، والزمبرك عبارة عن مدفع هاون صغير يحمل على البغال. ^(٥) وأفراد هذه السرية جميعاً من ضباط الأوجاق من الدرجة الثانية، وكان يعين أمام الأوجاق من بين

(١) جورجى زيدان: مصر العثمانية، ص ٦٧.

(٢) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٤.

(٣) أكمل الدين إحسان: أو غلى: مرجع سابق، ص ٣٨٨.

(٤) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٤. أرشيف توب قابى سراي: وثيقة رقم ٩٢٩٨

E ١٣/

(٥) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٤.

جنوده الذين حصلوا على العلم في المدارس الدينية.^(١)

١٩- تعليمخانه خافة جيياشي: وهو المسؤول عند تدريب الأسلحة لأفراد الحامية.

٢٠- أوجيياشي: وهو ضابط للتدريب على الأسلحة النارية فقط.^(٢)

٢١- تفنكجيياشي: وهو رئيس مصلي البنادق، حيث يقوم بفحص بنادق الإنشكارية التي أعطيت لهم.^(٣)

٢٢- باشفنكجي: وهو المهندس المسؤول عن صناعة البنادق للحامية.

٢٣- يني جري أمامي: وهو رجل دين وليس عسكرياً.

كما كان يوجد بالجيش الإنشكاري ما يسمى بالشورجي، لقواد الأورطة " السرية " وفي بعض السرايا يا باشي وباشبولو كباشي، أخذ مكان هذه الالفاظ كلمة "بكباشي" اعتباراً من النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي.^(٤)

وإلي جانب ذلك كان يوجد لكل أورطة ضباط يقتسمون قيادتها، وإدارة شؤونها على هذه الصورة:-

(١) الجورجي وهو رئيس الأورطة.

(٢) أوده باشي وهو نائب الجور جي في المناورات العسكرية.

(٣) وكيل الخرج وهو الذي يتولى أمر الطعام والشراب.

(٤) بيرقدار وهو الذي يتولى الأعلام والبيارق.

(١) أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٨٨.

(٢) يلمازا ورتونا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٤.

(٣) أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ص ٣٨٨.

(٤) يلمازا ورتونا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٤-٣٩٥.

(٥) باشي أسكي وهو الذي يتولى قيادة فرقة القراقولات.

(٦) اشجى وهو الطاهي. (١)

أعداد جند الإنشكارية:

كان الإنشكارية يتألفون من أبناء النصاري الأيتام، وهؤلاء لم يكن عددهم في أول الأمر يتجاوز ألف جندي. (٢) وأخذ يتزايد مع مرور الوقت، فقد كان عدد فرقة الإنشكارية أثناء فتح إستانبول ثلاثة آلاف، وأرتفع هذا العدد عند وفاة السلطان الفاتح إلى عشرة آلاف، ثم أنخفض إلى ثمانية آلاف، وأستمر هذا العدد في عهد السلطان سليم الأول. (٣)

وعندما تولى السلطان مراد الثالث لم يكن عدد الإنشكارية يتجاوز عشرين ألفاً، لم يكن الاعتماد الرئيسي عليها في حروب الدولة العثمانية، وإنما كان على فرق أخرى من الجنود التي كان الأمراء والعمال يأتون بها من الولايات، وتعرف كل منها بإسم خاص كالتمرجية والعزب وغيرهم، ويسمون " يرلي قولي " أي الجند المحلي. (٤)

وقد ازدادت أهمية الإنشكارية، وتزايد عددهم، حتى بلغ في عهد مراد الثالث ٢٧ ألف. (٥) على أن بعض السلاطين اهتموا بتنقية الإنشكارية، والتدقيق في طرق الدخول، فقل عددهم، ثم عادوا للتكاثر. ومن إحصاء أعداد الإنشكارية نستنتج ما يلي: (٦)

(١) جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص ٤٩٩، مصر العثمانية، ص ٦٧.

(٢) علي سلطان: مرجع سابق، ص ٢٨.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية: ص ٤٧٥.

(٤) جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص ٤٦٢.

(٥) أحمد جودت باشا: ورقة ١١٠. انظر روبيرما نتران: مرجع سابق، ج ١، ص ٢٨٨.

(٦) أنظر الجدول في الملاحق.

النمو المطرد لأعداد الإنكشارية عبر فترات السلاطين العثمانية ويبدو أن السبب في ذلك هو اعتماد الدولة العثمانية اعتماداً كبيراً على الإنكشارية في الفتوحات التي قامت بها، ويؤيد هذا الرأي المؤرخ الإنجليزي الأستاذ جرانت حيث يقول " إن المشاة الإنكشارية كانوا أكثر أهمية من سلاح الفرسان. وكان مصير أو مستقبل الدولة العثمانية يعتمد إلى حد كبير جداً على الإنكشارية " ويقول أيضاً " أن الدولة العثمانية أحرزت انتصاراتها في ساحات القتال بفضل الإنكشارية. ^(١)

وقد صدق هذا المؤرخ في قوله إلى حد بعيد إذ أنه بمجرد تمرد الإنكشارية وفساد نظامها تراجعت فتوحات الدولة العثمانية، بل وبدأت تخسر أراضيها تباعاً، ووقفت موقف المدافع عنها. وهذا يثبت أن الدولة العثمانية لم تعتمد عليها في الفتوحات فقط بل في الدفاع عن البلاد المفتوحة أيضاً.

يُمثل عهد السلطان مراد الثالث ٩٥٣هـ — ١٠٠٣هـ / ١٥٤٦م - ١٥٩٦م عهد ازدهار للجند الإنكشارية، فقد ازدادت أهميتهم وكثرت أعدادهم حتى وصلت إلى سبعة وعشرين ألف جندي. ^(٢)

وبنهاية القرن الثامن عشر الميلادي قُدر عدد الإنكشارية ما بين مائة وخمسين ألفاً، ومائة ألف، منهم ثمانية عشر ألف في العاصمة فقط أما المؤرخ جوشرو فقد وصل بعددهم إلى أربعمائة ألف منهم ستين ألفاً يأخذ أجراً بينما لم تستطع الدولة أن تجمع منهم في حروب تلك الفترة أكثر من خمسة وعشرين ألف رجل، ومعنى ذلك أن قادة الإنكشارية كانوا يسجلون أسماء وهمية للحصول على أجورهم. ^(٣) وكان ذلك من أسباب الخلل وتوقف الفتوحات.

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٩٢، ٩٤٣.

(٢) أحمد جودت: ورقه ١١٠.

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٥٣.

أسلحة الإنشكارية:

لقد تنوعت الأسلحة والألات الحربية التي استخدمتها الإنشكارية، في أوقات السلم والحرب، واختلفت بمرور الزمن في الدفاع والهجوم.

ففي أوقات السلم لم تكن الدولة العثمانية تسمح بحمل السلاح لجند الإنشكارية، فكان الإنشكارية الموجودين في العاصمة يحملون النبابت (*) " massues " فقط، ولم يكن يسمح لهم بحمل السلاح في أوقات السلم، ويسمح لهم فقط بحمل سكين يضعونها في أحزمتهم أما العسكريون المتمركزون في الحدود، والبحرية في الموانئ، فقد كان مسموحاً لهم أن يحملوا السلاح، وهو السيوف، أما في أوقات الحرب، فكان على العسكري أن يجهز نفسه بالسلاح الذي يريده ويختاره على حسابة الخاص، وله مطلق الحرية في ذلك. (١) فكان المقلاع والقوس والسهم، هي الأسلحة الأولى لهم، وقد ظلت تستخدم إلى جانب الأسلحة النارية حتى عام ٩٥٥هـ / ١٥٤٨م، ومن أسلحتهم التي استخدموها أيضاً الخنجر والمخرطة والمزراق ورجل المها، والبندقية ذات الفتيل والبندقية ذات الزناد والبندقية القصيرة والطنبجة والسجة، وقد أدخلت هذه الآلة عام ١١٥١هـ / ١٧٣٨م وتركت، واستعملت ثانية عام ١١٦٨هـ / ١٧٥٥م. (٢) كما كان لديهم الأرقبوز البندقية القذاحة " arquebuse " " massedarmes " والدبوس الحديدي. والصفيحة " cimeterre " الفأس وهي الأسلحة التي استخدمها جند المشاة، أما أسلحة الخياله، فهي السيف والرمح، والغدارة، والقوس، والسهم، والمزراق " الرمح القصير " أو الحربة بأطوالها المختلفة

(*) مفردها نبوت وهو العصى الخشبية الغليظة.

(١) ياسين سويد: مرجع سابق، ج ١، ص ٩٢.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: ج ٥، ص ١١٤.

والأسلحة النارية وأحياناً " بنادق الفتيل، والصوان " (١).

كما كانت هناك (٢) أسلحة عامة مثل الصولجان والسياط ومدقة الحرب والبلط والمنجل، والرمح الذي في رأسه بلطة، والرمح المتعدد الأسنان والسيوف المستقيمة ذات الحد أو الحدين والحسام، والخناجر، والرمح والتروس ولباس الزرد، كما كان للجند الإنشكارية خوذ نحاسية أو مصنوعة من الصلب والتي تشبه قمتها الطربوش وتنتهي بطرف مدبب. (٢) وقد أجاد الجند الإنشكارية في استخدام كل هذه الأسلحة. (٣) (٤)

وكان العسكري يعتني بأناقة سلاحه، وبتزيينه إلى حد المبالغة، فكانت هناك السيوف المفضضة أي المطلية بالفضة، كذلك المسدسات التي زينوها وزركشوها برموز، وأسماء، وآيات قرآنية رسمت كلها بخط بديع مذهب، وكانت الدولة تتعهد بوجود مخازن للأسلحة والذخيرة سواء في داخل العاصمة، أو في عدة مواقع خارج حدود الدولة العثمانية. وكان جيش السلاحية " أو القرداحية " " Djebedjis au armutiers " هو المسؤول الوحيد عن تعهد هذه المخازن، وهو الذي كان ينقلها إلى ميدان الحرب، حيث يقوم القادة بتوزيع الأسلحة و الذخيرة على الجند الذين يستطيعون الحصول على السلاح أو الذخيرة، وكان كل سلاح يخرج من مخازن الدولة يعتبر مفقوداً ولا يعود إليها. (٤)

(١) ياسين سويد: ج ١، مرجع سابق، ج ١، ٩٢.

(٢) انظر جدول المصطلحات في الملاحق.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية: ج ٥، ص ١١٤-١١٥.

(٤) لمزيد من المعلومات عن أسلحة الإنشكارية الرجوع محمود شوكت: مصدر سابق، ص ٧٦.

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٥٢.

(٤) ياسين سويد: ج ١، مرجع سابق، ص ٩٧.

وفي ساحة المعركة يقاتل الإنشكارية في وسط التشكيل القتالي أمام السلطان على تسع صفوف، حيث كان كل صف يخلي مكانه للصف الذي يليه بعد قيامه بالرمي، وذلك عن طريق حركة تناوبية وعند الزحف كانوا يلتفوا حول السلطان، ويحموه نهراً وليلاً.^(١)

الراية: - Banniere

كان للجيش الإنشكاري راية كبيرة " بريقاً " يسمى " الإمام الأعظم " وذلك تيمناً بإسم الإمام أبي حنيفة صاحب المذهب الحنفي في الإسلام، وهو مذهب الدولة الرسمي، وكانت هذه الراية من قماش الحرير الأبيض، وقد طرز عليها بخط كبير آيات قرآنية تناسب وظروف حملها، كذلك التي تدعو إلى الجهاد في سبيل الله، والتي تدعو لأولى الأمر بالنصر المبين، مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾^(*) ومثل ﴿ إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾^(**)، وكانت هذه الراية توضع في ميدان الحرب أمام خيمة الأغا، قائد الجيش مع أعلام الفرق الأربع مطوية ضمن أعماد حمراء، ومع التوغل " toyg " ذي الثلاثة أذنان، وهو العلم الخاص بالأغا علم المواكب " الجنرال قائد الجيش " كما كان لكل أورطة علمه أوبيرقها نصفه أحمر، والنصف الثاني أصفر، وكان ينصب أمام خيمة قائد الأورطة. وتحمل تلك الرايات والأعلام عند مراسم الخروج إلى الحرب أو الاستعراضات في المواكب حملة الأعلام "بيراق دار " من الجنود.^(٢)

(١) هاملتون جب: مرجع سابق، ص ٢٩٠.

(*) سورة الفتح آية ١.

(**) سورة آل عمران آية ١٦٠.

(٢) Osmanli " Tarih ve medeniyet" Ircica , istanbal 1999. CiH I , s, 384

وقد خصصت الدولة لكل أشرطة من الإنشكارية شارة توضع على ابواب ثكنتها وعلى أعلامها، وعلى خيامها التي كانت تقام في ساحة القتال. وكانت خياماً مستديرة واسعة، وهذه الشارات إما على شكل مفتاح أو سمكة أو خطافاً " هلبا"، وإما هراوة (*) ذات طرف مدبب، وجرت عادة الوشم عند الإنشكارية عن طريق نقش شارة لهم مميزة على أذرعهم وسيقانهم.⁽¹⁾

رواتب الإنشكارية «العلوفة» :

جميع رواتب الإنشكارية كانت تثبت في دفاتر خاصة بهذا الأمر، حيث يتم رفعها للسلطان لإصدار الموافقة عليها، كما احتوت هذه الدفاتر على أسماء المتقاعدين والفرسان وأمناء الأسلحة^(٢) من المفترض على الجندي الإنشكاري في زمن السلم، أن يخدم ثلاث سنوات حتى يصبح له الحق بالمعاش، وكان يبدأ بـ " أقجة " في اليوم، إلا أن الجندي الشجاع كان يتميز عن أقرانه فينال زيادة تتراوح بين أقجتين وثلاث بعد المعركة، وظل هذا النظام معمولاً به حتى عهد سليمان القانوني ٩٢٦هـ - ٩٧٤هـ / ١٥٢٠م - ١٥٦٦م الذي أعاد تنظيم رواتب الجند، فوضع ثلاثة أصناف من الرواتب، الأول: للجنود " كوجك Koetschek من ثلاثة إلى سبعة أقجة يومياً " ويعرفون بأنهم أصحاب الخدمة الفعلية".

الثاني: الجنود القدماء الذين يتميزون بشجاعتهم أثناء القتال ويحملون على أجسادهم اثار أفعالهم المجيدة في الحروب من جراحات وغيرها، ويعطون من ثمانية إلى تسعة أقجة يومياً.

(*) عصى غليظة.

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٩٧. أنظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق،

ص ٢٨.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول: وثيقة رقم ١٦١٢٢ HAT.H.

الثالث: للضباط والجنود مشوهي الحرب، أو المتقاعدين " من ثلاثين إلى مئة وعشرين أجرة يومياً. ^(١)

ويبدو أن إعطاء الجندي الشجاع أكثر من غيره كان من الأسباب التي خلقت بين الجنود جو المنافسة الشريف، ولكن مع مرور الوقت أصبحوا يتسابقون على القتل وتشويه أجسادهم حتى ينالوا أكثر، ولم يعد يهمهم الجهاد أو الانتصار في المعركة.

أما عن كلمة العلوقة ^(٢) فالأصل في ترتيبها أن تدفع يومياً، لكنها لم تدفع إلا مرة كل ثلاثة أشهر، تخفيفاً للثقل، فكانوا يؤدونها أربع مرات في السنة، وتعرف في كل مرة بإسم مؤلف من أول الأحرف الثلاثة للشهور، فالربع الأول من السنة مؤلف من محرم وصفر وربيع فيصبح الإسم " مصر " وعلى هذا المنوال كانوا يسمون الربع الثاني " رجج"، وقد يأخذون الحرف الثاني من إسم الشهر مراعاة للفظ، فالربع الثالث والذي يأتي فيه رجب وشعبان ورمضان يسمونه "رشن" بإقطاع النون من رمضان بدل الراء. كما كانت لهم رسوم في تفريق العلوقة خاصة بهم. ^(٢)

كان السلاطين يزيّدون رواتب بعض الأورط دون البعض الآخر، لأسباب مؤقتة كأن تكون أورطة في حرب، تفتح حصن، أو بلد، أو تقوم بعمل عظيم فيزيد السلطان علوفتها إلى الضعف، أو أكثر أو أقل، وربما يقترح السلطان على جنده،

(١) ياسين سويد: مرجع سابق، ج ١، ص ٩٣. لمزيد من المعلومات الرجوع، محمود شوكت: مصدر سابق، ص ٦٤، ٦٥.

(٢) العلوقة: الراتب الموسمي الذي يدفع للإنشكارية وبعض موظفي الدولة العثمانية ويدفع مرة كل ثلاثة أشهر، ومصدر الكلمة من علف الحيوانات. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، ص ١٥٥.

(٢) جورجي زيدان: مصر العثمانية، ص ٧٠.

أثناء الحصار أن الأورطة التي تفتح هذا الحص تزيد علوفتها إلى كذا، فينتج عن ذلك تفاوت الرواتب بين الأورط المختلفة. ^(١) وكان يتم صرف مواجب للإنشكارية الذين يقومون بحراسة القلاع والحصون المختلفة. ^(٢)

وكان للإنشكارية هدايا ينالونها في الأعياد، أو عند تولية السلاطين، فقد كان على السلطان عند تسلمه الحكم أن يغدق عليهم العطايا، يقال عنها "بخشيش الجلوس" وقد يزيد راتب الإنشكارية إكراماً لذلك الجلوس فضلاً عن البخشيش. ولهم أعطيات أخرى يحصلون عليها في مواضع أخرى. ولكي نعرف قيمة النقود التي كان الإنشكارية يحصلون عليها مقارنة بنقود هذه الأيام، نجد مثلاً أن أكلة اللحم الضاني سنة ١٠٠٠ هـ / ١٥٩١ م كانت تباع بثلاثة دراهم، وكل أربع اقات من الخبز بثلاثة دراهم، وكلما زادت العلوفة زادت الأسعار. كما وأن بخشيش أغاوات الإنشكارية تختلف باختلاف مناصبهم، فالإغا بخشيشه ١٠,٠٠٠ درهم، وأغا الأستانة ٦,٠٠٠ درهم، ومثله أغا غاليبولي وأغا الأناضول والروملي ٥,٠٠٠ درهم، وهكذا حتى الجندي الإنشكاري البسيط فكان بخشيشه ٣,٠٠٠ درهم، وبعد جمع هذه الأموال نجد أن الخزينة تدفع مالاً طائلاً قد يزيد على ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم تتكلفتها الدولة نتيجة لأعطيات الإنشكارية. ^(٣)

ونجد أنه في فترة حروب الدولة العثمانية كانت هذه الأعطيات مرهقة بالنسبة للدولة والخزنية، فكانت تضطر إلى دفعها وإلا فإن الإنشكارية ستقوم بثورة وتمرد، وهكذا تسببت في تعطيل سياسة الدولة العثمانية كثيراً.

وقد أصبحت هذه الاعطيات تقليداً راسخاً لا يستطيع سلطان مهما أوتي من قوة أن يتجاهل ذلك، وإلا تعرض للمهانة على أيدي الإنشكارية. ثم ألغيت هذه

(١) جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص ٤٦١.

(٢) أرشيف توب قابي سراي: وثيقة رقم ٩٢٩٧ E.

(٣) جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ٤٦١.

العطايا منذ عام ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م، بعد تولي السلطان عبد الحميد الأول عرش الدولة العثمانية في عام ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م وكان السبب في الإلغاء سبباً قوياً، وهو أن الدولة العثمانية كانت تعيش أزمة مالية عصيبة بسبب ضخامة الإنفاق العسكري على القوات العثمانية إبان الحرب التي أشتعلت فتيلها بين الدولة العثمانية وبين روسيا، وهي الحرب التي طال أمدها ست سنوات، وتحطم فيها الجيش والأسطول العثمانيان. (١)

أما عن راتب أغا الإنشكارية فقد كان يتسلم راتباً يومياً قدره ٤٠٠ أقجة، والسكبا نباشى كان يتقاضى ٧٠ أقجة يومياً. (٢)

أما الضباط العاملون في الخدمة الفعلية، فكانت رواتبهم اليومية تتراوح في عهد السلطان سليمان الأول بين ١٢٠ أقجة " وهو الحد الأدنى لراتب أمير السرية، أو قائد الأورطة، ويشكل في الوقت ذاته، الحد الأعلى لراتب الضابط أو الجندي المشوه أو المتقاعد " و ٢٤ ألف قرش (*)، أو ١٥٠٠ أقجة " وهو الحد الأعلى لراتب الأغا قائد الجيش "، وكان هؤلاء يقبضون رواتبهم مع الجند.

بالإضافة إلى ذلك، فقد كان للأغا وكبار قادته امتيازات مادية إضافية يستفيدون منها على حساب الجند الصغار، فقد كان للأغا مثلاً، الحق في ترقية أي

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٩٤، ٤٩٥.

(٢) يلمازا ورتونا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩١-٣٩٢.

وذكر أيضاً أن الراتب ٥٠٠ أقجة إضافة إلى منحة سنوية تقدر بثمانين ألف أقجة. أنظر عبد الرحمن شرف: مرجع سابق، ج ١، ص ٣١.

(*) قرش: إسم أطلق على المسكوكات الأجنبية المتداولة في الدولة العثمانية بوجه عام، وإذا كان القرش ذهباً أطلق عليه القرش الأحمر وإذا جاءت مجردة قصد بها السكة الفضة. ثم ظهر القرش العثماني في نهايات القرن السادس عشر الميلادي العاشر الهجري وكان من الذهب ويزن ستة دراهم. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، ص

ضابط إلى رتب مختلفة في الجيش، ويقبض على ذلك مكافأة مالية من الضابط المرقى، كما يقبض مكافأة من الضابط الذي يظل في منصبه سنة بعد أخرى على اعتبار أن التجديد للضباط في مناصبهم يتم سنة بعد سنة وهذا يتم بعد موافقة الصدر الأعظم، ونتيجة لحصوله على هذه الأموال يجتمع لديه سنوياً نحو مائتي ألف قرش، يتوزعهم مع مساعده الأول، وهو " القول كيخيا " والثلاثان له والثالث الباقي للقول كيخيا، كما كان الأغا، وقادة الوحدات ينالون من رواتب الجند نسبة ١٢% تقريباً لهم. وإذا ما غاب أحد الجنود عن إستلام راتبه لسبب ما، فقائد الأورطة له الحق بالإحتفاظ بالراتب اليومي لهذا الجندي حتى تصبح عشرون أقة يعطي قسماً منها للأغا الذي يعطي بدوره قسماً منه لمكتب الكتبة " أي أمانة سر الجيش ". (١)

حدث ذات مرة أن مات أحد رجال الإنشكارية وترك أربع بنات أيتام، وكان يصرف لهن من خزينة معسكر الإنشكارية مبلغاً من المال ونظراً لمشاركة الأغا لهم في هذا المبلغ أرسلوا إلى السلطان العثماني يلتمسن زيادة إحسان السلطان عليهن. وصدر أمر سلطاني بزيادة الراتب بل وصرف مبلغ معين لكل بنت منهن. (٢)

كذلك كان للأغا، وقادة الوحدات الحق بأن يرثوا ضباط الجيش وجنوده، وكان ذلك يتم على يد بيت المالجي " أي ضابط الخزانة في الجيش " الذي عليه أن يحمي تركة الموروث، ويحصر إرثه، فإن كان له ورثة شرعيون يؤخذ من تركته العشر فقط ويوزع على الأغا، وبيت المالجي، وقائد أورطة الموروث، وإن لم يكن له ورثه تذهب كل تركته إلى الأغا، وهذا الأخير يعطي العشر إلى بيت المالجي، وقائد الأورطة، هذا إذا كانت التركة تزيد عن عشرة آلاف قرش، أما إذا كانت

(١) ياسين سويد: مرجع سابق، ج ١ ص ٩٤.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: خط همايوني وثيقة رقم ٢١٢٦٥.

عشرة آلاف قرش أو أقل فإنها تصدر وتعود إلى خزانة الدولة هذا الحال في داخل إستانبول، أما في الأقاليم، فإن قادة الأقاليم أو المقاطعات "السردار serdar" يتمتعون بنسبة في تركات الجند في أقاليمهم بحق الإرث الذي يتمتع به الأغا نفسه في العاصمة، مع فارق أن يتركوا للأغا كل إرث يزيد عن ألف وخمسمائة قرش.^(١)

وهنا يتضح لنا ضخامة ثروة أغا الإنشكارية، وما يتبع ذلك من نفوذ في القصر وخارجه وفي الدولة نفسها مما أثر سلباً على الدولة العثمانية، وأكبر فائدة مادية كان يجنيها الضباط هي المبالغ الطائلة التي كانوا يحصلون عليها من جراء حاصل الفرق بين مجموع رواتب الجند والتي كانوا يقبضونها حسب العدد النظري للجنود الأورطة، وبين ما كانوا يدفعونه من رواتب للعدد المحقق من الجند في هذه الوحدات، إذا أن العدد النظري للوحدة كان يزيد بصورة دائمة عن العدد الحقيقي، وفي عهد السلطان مصطفى الثالث جرى تعديل على هذه الرواتب بسبب المبالغ الباهظة التي تنفقها الدولة على الإنشكارية، وبسبب الترف الزائد الذي كان يصيب الضباط من جراء كثرة الأموال في أيديهم، قد تم تخفيض رواتب الضباط حتى أصبحت رواتب أمر السرية، أو قائد الأورطة لا يتعدى المائة وعشرون اقجة يومياً "وهو أعلى حد لراتب الجندي" كما أصبح الحد الأعلى لراتب الضابط العام ١٥٠ اقجة يومياً، وراتب الأغا قائد الجيش ثلاثمائة اقجة يومياً.^(٢)

ويظهر أن هذا التعديل لم يفيد الدولة إذا أنه كانت لاتزال الأسعار مرتفعة، مما سبب العصيان والتمرد. كما يبدو أن أغا الإنشكارية، وكبار قادته كان لهم امتيازات مالية كبيرة، كانت على حساب الجند سواء في مرتباتهم أو إرثهم.

(١) ياسين سويد: مرجع سابق، ج ١ ص ٩٤.

(٢) مرجع سابق ج ١، ص ٩٤-٩٥.

ملابس الإنكشارية :

كان الأساس في التفريق بين الرتب في الإنكشارية، وتميز أصحابها بعضهم عن بعض بأشكال " القلاص " القاووق، أو " الأقبية " وهو القفطان " أو الأحزمة وهي " الكمر " أما ألوانها فكان لكل طائفة من رجال الدولة قلنسوة شكلها خاص بهم وألوان خاصة بها، وكذلك الأقبية والأحزمة وغيرها اختصت كل طائفة بشكل في أزاريرها فضلاً عن اختلاف أعلامها. وقد اختلف المؤرخون في وصف هذه الألبسة، كما اختلفوا في أسمائها، وأشكالها،^(١) فالبعض سمي القباء أو الرداء قفطان، أو تنورة والحزام الكمر، ونجد أن إختلاف هذه الملابس على وجه الخصوص جاء عند ضباط الإنكشارية، ورؤسائهم، بإختلاف السلاطين، والفترات الزمنية، والرتب، فأغا^(٢) الإنكشارية عمامته كبيرة منفوخة، وعليه القفطان، والجبّه، وحول وسطه الحزام، وفيه الخنجر، ويرتدي في قدميه نعال مكشوفة، أما نائبة قول كخيا فرداءه يختلف عن ذاك إختلافاً كبيراً، وفي قمته يضع شبه مروحة من الريش.^(٣)

لقد تميزت البسة الإنكشارية بالبورك " القلنسوة " التي كان يلبسها الحاج بكتاش عندما باركهم، وهي أساساً غطاء لرأس على طريقة الأخيان. كانت تتدلى على الكتفين بمساحة ٤٥سم ٢، وموشاة حول الجزء المتدلي بالرأس بالذهب والفضة، ومقدمتها مزينة بالأحجار الكريمة، أما عن الجزء المتدلي من فوق الكتف فقد كان رمزاً أسطورياً لكم جبه الحاج بكتاس الذي بارك رؤوس

(١) جورجى زيدان: مصر العثمانية، ص ٧١.

(*) مراجعة الصور في الملاحق.

(٢) جورجى زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص ٤٦٣.

الإنشكارية^(١). كما أشرت إلى ذلك في بداية المبحث.

لقد أعطى العثمانيون لغطاء الرأس أهمية خاصة، والذي كان يميزهم عن أعدائهم، كما أن سكان الولايات العثمانية أولوه هذه الأهمية، سواء كان ذلك زمن السلم، أو أثناء الحرب. وقد حاز اللون الأبيض في قماش غطاء الرأس على الأهمية الأولى، حيث أستحسنه المؤرخون وأعتبروه أفضل الألوان، واستندوا في ذلك إلى إتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم اللون الأبيض رمزا لدولتهم، كما أعتبر بعض المؤرخين العثمانيين أن اللون الأبيض علامة الإستقلال الذي أرسى دعائمه السلطان عثمان الأول، والذي أعتبره عنوان السلام الذي أقرته الأجيال المتعاقبة العثمانية^(٢).

لم تكن الدولة تتكفل باللبسة أكثر من اثني عشر ألف إنشكاري في العاصمة وذلك لأن النظام الذي وضعه السلطان محمد الثاني، قد حدد عدد الجيش الإنشكاري باثني عشر ألف رجل، وعندما زاد عدد الإنشكارية بعد عهده لم يتغير النظام الذي وضعه رغم كل الضغوط التي مارستها الإنشكارية في سبيل ذلك، وكانت الدولة تقدم لهؤلاء الجند كل سنة، كمية من الجوخ السالونيكى " Drap de salonique " وتقسم هذه الكمية إلى اثني عشر ألف قطعة كل قطعة منها مقاسها سبعة أذرع^(٣).

وهذا القماش من النوع الثمين جداً وهو مغزول من صوف احمر قرمزي اللون^(٤). وعندما بدأت تتعسر الدولة في تزويد الإنشكارية بالقدر الكافي من الجوخ إبتداءً من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي صارت الدولة

(١) على سلطان: مرجع سابق، ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) محمود شركت: مرجع سابق، ص ٦٨.

(٣) ياسين سويد: مرجع سابق، ج ١، ص ٩٦.

(٤) يلمازا وزتوننا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٨١.

تمنحهم ما يقابله من البديل النقدي.

إضافة إلى ذلك كانت الدولة تخصص لكل جندي سبعة أذرع من القماش الأبيض المشبوب بالصفرة للعمامات، وسبعة أذرع أخرى للقمصان، وقد كانت هذه البضاعة تسلم إلى قائد الأورطة الذي كان يوزعها حسب هواه الشخصي على جند وحدته، وكان يفضل عادة أن يعطيها لأقدم الرتب والجنود في الخدمة. (١)

وهذا بالتالي قد يؤدي إلى أحقاد وفتن داخل الأورطة الواحده فكان هناك من يأخذ قماش والأخر لا يأخذ مما ولد الحقد في نفوس أولئك الذين لا يحصلون على شيء.

وكانت معظم الصناعات اللازمة متوفرة في الجيش الإنشكاري بما يشبه الإكتفاء الذاتي، فكانت بعض الوحدات متفرغة لأعمال التزجيج " الزجاج " والسلاحية " أي تصليح الأسلحة " وقيادة الزوارق، وصنع الصناديق. (٢)

أما عن الزي العسكري: ففي مطلع عهد الدولة العثمانية، أي في عهد السلطان عثمان الأول، لم تكن البزة العسكرية تختلف كثيراً عن لباس العثمانيين العادي، لأنه لم يكن في ذلك الجيش سوى العسكريين من متطوعي الأقاليم، وعندما أنشأ أورخان فرقة الإنشكارية لم يغير كثيراً في الزي العسكري لهذا الفرقة باستثناء لون القلنسوة، والتي أعطاها اللون الأبيض تميزاً لها عن ألوان القلائس التي كان العامة يلبسونها في العادة، إلا أنه في عهد السلطان مراد الأول بدأ ضباط الإنشكارية يلبسون القلنسوة الحمراء مقلدين بذلك الأمير سليمان باشا ابن أورخان.

ثم أصبح للإنشكارية بعد ذلك بزة عسكرية موحدة " jmiforme " فكان الجند والرتباء أي أصحاب الرتب العسكرية لا تتميز قبعاتهم " casque " أو العمام "

(١) ياسين سويد: مرجع سابق، ج ١، ص ٩٦.

(٢) مرجع السابق، ج ١، ص ٩٦.

التي يرتدونها " turban " أو القلنسوة الخاصة بالحفلات " ketcher " بشكل معين أو لون معين. (١)

أما الضباط قادة الوحدات في مختلف الفرق، كان لا يميز زيهم إلا بلون الحذاء، إذ كان ضباط " البلك " ينتعلون أحذية حمراء، أما ضباط باقي الفرق فكانوا ينتعلون أحذية صفراء. والرتباء أحذيتهم سوداء. ولم يكن الضباط يرتدون الملابس الرسمية التي فقدت رونقها ولمعتها، كما كان للضباط ملابس خاصة للمراسم، ولكل فرقة أو سرية رمزها الخاص بها. (١)

مسكن الإنشكارية:

كانت أولى الثكنات التي أقيمت للإنشكارية توجد في أدرنه، وعندما تولى السلطان محمد الفاتح أقام لهم اثنتين أخريين في أستانبول، كانت إحداها بجوار جامع " شهر زاده "، والأخرى في " أفسراي ". فكانت الثكنات الأولى تعرف بإسم الفرق القديمة " أسكي أوطه لر " بينما تعرف الأخرى بإسم الغرف الجديدة " يكي أوطه لر " وكان لهذه الغرف عدة أبواب للدخول إليها، والخروج منها بشكل محكم منظم، والغرف الجديدة كانت مسرحاً لحركات عديدة من التمرد والعصيان. وكانت هذه الثكنات تنقسم من الداخل إلى أقسام، أو غرف مخصصة لكل أورطة بلوك. كما كانت الغرف الجديدة تضم عدة أماكن مختلفة مثل التعليم، وساحة تعرف بإسم " أت ميدان "، ومسجداً يعرف بإسم " أورطة جامعي " ومطبخاً، وتكية، ومعملاً، وغير ذلك (٣) وكانت ثكنات الإنشكارية في أستانبول تحتوي على تسعين

(١) ياسين سويد: مرجع سابق، ج ١، ص ٩٦.

(٢) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٦، لمزيد من المعلومات عن ملابس الإنشكارية

الرجوع إلى محمود شوكت: مصدر سابق، ص ٧١ - ٧٦.

(٣) Osmanli "Tarin ve medeniyet" Ircica, istanbal 1999 cilt I, S, 384-391

أكمل الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ج ١، ص ٣٨٨

ساحة، و عشرين قصراً، ومئة وأربعة وثمانون إسطنبولاً، و ستمائة وتسعة وثمانين صالة مجهزة بوسائل الراحة، وعدد كبير من المساجد، وجدران الثكنات مكسوة بالحجر الخزفي " الضي "، وكل غرفة تحتوي على فوانيس عديدة، وقد صرف السلطان محمود الأول مبالغ طائلة لتجديد إنشاء أكبر ثكنة للإنشكارية في ميدان أقراي، فقد كان السلاطين يرصدون المبالغ الطائلة لبناء هذه الثكنات وتزيينها بالأبواب الرخام المطعمة بالذهب، وعادة ما يصرف من تجارة الحرير على بناء الثكنات لإتمام العمل بسرعة. أما غرفة الإطفاء الخاصة للإنشكارية تحتوي على خمسمئة وواحد وثلاثين طلمبة جي " أي افراد الإطفاء الذين يحملون ويستعملون آلة ضخ الماء " (١)

وقد شبت الحرائق مرات كثيرة في غرف الإنشكارية، وكان يعاد إصلاحها، أما في عام ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦ م فقد جرى تدمير تلك الغرف في حادثة الوقعة الخيرية ولم يعاد بناءها بعد ذلك. (٢)

ولم تكن ثكنات الإنشكارية تحتوي فقط على أماكن النوم للضباط والجنود، بل كانت تحتوي على كافة الحاجيات المدنية لهم مثل المطابخ، ومخازن للأسلحة الذخائر وغير ذلك. (٣)

طعام الإنشكارية:

كانت الدولة تقدم للجيش الإنشكاري بعض المواد الغذائية الأساسية مثل اللحوم والرز والخبز، وكانت تزود الوحدة " الأورطة " بكمية من لحم الغنم،

(١) يلمازا وزتوننا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٦. أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول: وثيقة رقم

.HAT.H ٣٦٦٤

(٢) Iilam Ansiklo pedesi, cilt 14, Ankafa 1990 yeni Ceril maddesi أكمل

الدين إحسان أو غلي: مرجع سابق، ص ٣٨٨.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٧٨ - ٤٧٩.

والخبز يومياً. وخلال القرن العاشر الهجري - الحادي عشر الهجري كان يصرف لكل جندي ليلة الجمعة بمئة درهم خبز وبستين درهم لحم وبخمسین درهم برغل وزيت وبخمسین درهم أرز وحلويات. أما عن التعيينات السنوية فيصرف بمبلغ ٩,٣٠٤,١٧٠ أقجه لحوم وخبز بمبلغ ١٥,٠٠٠,٠٠٠ أقجه ومن بقية المواد ١,٢٠٣,٠٠٠ أقجه. أما في الأعياد كعيد الأضحى، كان يقدم خروف لكل أورطة، وهذا كل ما كانت تتسلمه الأورطة من الدولة كموايد غذائية طبيعية، إلا أن قائد الأورطة كان يزود الأورطة بالكمية اللازمة من الرز، والزبدة، والخضار، وهكذا نجد أن توفير الكميات اللازمة من الطعام كانت تقع على عاتق ضابط الأورطة بالدرجة الأولى. أما في أوقات الحرب فقد كانت الدولة تزيد من الكميات لكل أورطة من اللحم والخبز، أما باقي المواد اللازمة للتغذية فكانت أيضاً من قائد الأورطة نفسه، وهذا هو حال باقي جيوش المشاة: مثل السلاحية، المدفعية والنقل أما الخيالة فلم تكن تزود بشيء من هذه المواد على حساب الدولة^(١). كما كان لكل أورطة، أو بلوك خزان خاص للطعام " وهو ما يطبخ فيه حساء الجنود " كما كانوا يأخذون حاجتهم من اللحم من أماكن معينة، وبأسعار ثابتة، وإذا زادت الأسعار كانت الدولة هي التي تسد عنهم فارق السعر. وكانت الدولة في بعض الأحيان تقدم لبعض جنود الإنشكارية قدراً من الخبز كل يوم يعرف بإسم. " فود له" ^(٢).

وكانت أسماء رؤساء الإنشكارية كأسماء خدم المطابخ، والموائد، ولذا أطلق على رئيس الفرقة الأكبر " تشوربجي باشي" أي رئيس طباطخي الحساء، والذي

(١) أحمد راسم: عثمانلي تاريخي، ج ١، إستانبول، د. ط، ١٣٢٨هـ، ص ٨٧. ياسين سويد: مرجع سابق، ج ١، ص ٩٥. ولمزيد من المعلومات الرجوع إلى محمود شوكت: مصدر سابق، ص ٦٥، ٦٦.

(٢) İlam Ansiklo pedesi, cilt 14, Ankara 1990 yeni Ceril maddesi.

Osmanlı Ciarin ve medeniyet İrcica , İstanbul 1999 cilt I , S, 384 – 397.

يليه رتبة "سقاباشي" أي رئيس السقاة، وهذه الأسماء التي لا علاقة لها بمناصبهم العسكرية، كانوا ينتحلونها ليدلوا بها على مقدار حرصهم على غذائهم، وغذاء جنودهم.

ولا شك أنهم كانوا مصيبين في ذلك إذ أنهم كانوا يقضون جانباً لا يستهان به من وقتهم في الحروب، ولا سيما في أول عهدهم. فمن كانت هذه عيشته لا بد له من أن يكون ذا صحة تامة. والمحافظة على الصحة تتطلب الغذاء الجيد.^(١)

وقد كان للإنشكارية عادات خاصة نشأت فيهم من إختلاف عناصرهم، ومن طبيعة نظامهم، ومن أغربها عاداتهم في الطعام، وأدواته، وكيفية توزيعه. وأهم أصنافه الشورباء التي تصنع في قدور خاصة ثم ترسل إلى الأجناد في قدور أكبر من الأولى يحملونها معلقة بأعواد مستعرضة، ويحمل القدر إثنان من الجند يقال لهما "قراقول أقجي" يتقدمهما ضابط إسمه "باش قراقول أقجي" يحمل على كتفه ملعقة كبيرة من الحديد. ويمر بالأماكن التي فيها عساكر من نفس أورطته، وهم في إنتظار وصوله، ويضع القدر على الأرض، ويفرق لمن يأتي بطبقه على قدر حاجته بالملعة الحديدية. وللطعام شأن كبير عند الإنشكارية، وفي مطبخ كل أورطة قدراً كبيره، اهتم بها الإنشكارية واحترموها.^(٢)

كما كان للقدور عندهم رمزاً إعلامياً يعبرون به عن مسلكتهم، فكانوا لا يجتمعون حول القدور لتناول الطعام فحسب، بل وللتشاور في أمورهم الخطيرة أو المهمة، فإذا ما قرروا القيام بحركة تمرد أو عصيان عسكري جماعي قتلوا القدور "القزانات" على أفواهاها بعد تناول الطعام الموجود بها، ووضعوها صفوفاً متراصة أمامهم في ساحة "أت ميدان" أي ميدان الخيل، والموجود في ثكناتهم، ويمكنوا أمام القزانات بعض الوقت، وهم في هرج ومرج شديدين. فإذا أقبل

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٤.

(٢) جورجي زيدان: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٤٦٧.

رؤسائهم ساد جو من الصمت والهدوء المطبق، حتى يعلن أحد الرؤساء تفاصيل التمرد العسكري وأهدافه سواء قتل شخصية كبيرة، أو عدة شخصيات، أو حتى تنظيم مظاهرات عسكرية تتعرض لمواكب السلطان في أثناء مروره، أو الهجوم على القصر السلطاني والمناداة بخلع السلطان، وتنصيب غيره وبعدها ينطلق الإنشكارية وحوشاً ضارية لتنفيذ مخطط العصيان. وإذا ما قتلوا شخصاً أو أكثر حملوا رؤوس قتلاهم معهم ووضعوا هذه الرؤوس أمام كل قزان مقتلوب. وعند إنتهاء ونجاح مخططهم تصدر لهم الأوامر من الرؤساء بإعادة القزانات إلى ثكناتهم تعبيراً عن إنتهاء التمرد العسكري.^(١) ومن الطرافة في هذا الأمر أن قزانات الأورطة الواحدة متساوية في الكرامة مع شعارها وعلمها. فقد كانت كل أورطة مجهزة بثلاث طناجر كبيرة تستعمل لإطعام الجند. حتى أنهم كانوا يغيرون عليها بمقادير معادل لغيرتهم على عملهم أو شعارهم. نظراً لأهميتها وقديسيتها عندهم. وإذا ما انتزع العدو هذه القزانات من أورطة في أثناء القتال، فإن جميع ضباط هذه الأورطة يعاقبون بتخفيض الرتبة العسكرية لهم، وإذا عاد إعتبارهم، فلا يمكن أن يعودوا لنفس الأورطة. ولا يحق لهذه الأورطة إطلاقاً بعد ذلك أن تحمل قزاناتها في عرض عام، وهذه إهانة تلحق بالوحدة، ولا تزول عنها أبداً.^(٢) كما مثلت هذه القزانات ملجأ للمجرمين والعصاة، فمن أتى إليها مستنجداً، وجب على الإنشكارية حمايته، والدفاع عنه كما كان يفعل العربي في حماية من يستجير بهم.^(٣)

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٩٦-٤٩٧.

(٢) ياسين سويد: مرجع سابق، ج ١، ص ١١٦. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق،

ص ١٢٣، ١٢٤.

(٣) جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، ص ٤٦٧.

قواعد وأنظمة خاصة بالإنشكارية :

لقد قام علاء الدين أخو أورخان بتنظيم الجيش العثماني بعد ما انتهى من تنظيم صفوف الإنشكارية. وقرر علاء الدين أن يوزع الأراضي التي يتم فتحها على الجنود، والقادة بدلاً من الأموال، كما كان يعطي هذه الأراضي للجنود النظاميين، والإنشكارية، وقد أخذت هذه العادة شكل التيمار بعد ذلك، وقد كان القائمين على تلك الأراضي مضطرين إلى تمهيد الطرق وإصلاحها للجيش في حالة الحرب، حتى أنه تم اختيار وحدة من الإنشكارية تستخدم في أعمال الحفر، وإصلاح الطرق، وكان عدد تلك الوحدة في البداية ألف شخص.^(١)

فقد منح الجنود المستحقون مكافأة لهم إقطاع صغير، ويقوم بزراعتة^(٢)، وعليه أن يقدم الجندي عدداً من الفرسان من اثنين إلى أربعة، أو عدد من البحارة لخدمة الأسطول، كما يمكن منحه إقطاع أكبر مساحة يطلق عليها "زعامت" ويطلق عليه "الزعيم" الذي يبلغ دخله مائة ألف "أقجة" وهذا الأخير يقدم عن كل خمسة آلاف أقجة رجلاً والأقجة الفضية تعادل ربع وزن الدرهم. ولكن نجد أن قيمة الأقجة اختلفت من عهد سلطان لآخر ما بين ارتفاعاً وانخفاضاً على أن النظام الإقطاعي لم يلاق نجاحاً في الولايات العثمانية بقدر ما لاقاه في الموطن الأصلي للعثمانيين، حيث ثبت فشله بعد الاتساع الذي حققته الدولة العثمانية، ويعود

(١) جوزيف فون هامر، ج ١، مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٢) لقد حاول المؤرخ هاملتون جب تشويه نظام الإقطاع حيث ذكر أن الأراضي كانت تنزع من المزارعين وتعطى للجنود، ويبقى المزارعون أصحابها أصلاً، عبداً أجير فيها، ثم يقدموهم للخدمة العسكرية. وهنا يحاول تشبيه هذا النظام بالإقطاع في أوروبا، مع العلم أنه يختلف فالجنود يمنحوا الأراضي الجديدة، كما وأن المزارعين ليسوا عبيداً، وإنما أصحاب الإقطاع، وإذا حدث هذا الأمر فإن ذلك وقت ضعف الدولة العثمانية وليس طوال عهدها.

السبب في ذلك إلى أن البكربك - الباشا - قد عمد إلى تفتيت إقطاعه وتوزيعه بين غير مستحقيه ممن يعملون معه من الأتباع. بينما أنشأته الدولة ليناله من يقدم للدولة خدمة عسكرية ممتازة في ميادين القتال. ولذلك عمد السلطان سليمان القانوني إلى إيجاد "قانون نامه" حيث حرم على البكربك حق التحكم في إقطاعه، إلا بعد الرجوع إلى السلطة المختصة، كذلك صار أبناء أصحاب الإقطاع عليهم أن يثبتوا مقدرتهم العسكرية قبل أن يمنحوا حق إقطاع خاص لهم، فإذا بلغ أحدهم التاسعة عشر ولم يقدم عملاً عسكرياً، فإنه يحرم من قطعة أرض، إلا أنه غالباً ما تمت مخالفة هذا القانون بعد تطبيقه، وذلك للتهرب من الضرائب التي أخذت تزداد قيمتها يوماً بعد الآخر.^(١)

ولكن بعد مرور الوقت تم حصر أراضي التيمار على ضباط الإنشكارية المتقاعدين كمعاش لهم، أما الجنود غير النظاميين فقد خصص لهم أراضي ليست كمعاش الإنشكارية المتقاعدين، وليست بمقدار الأراضي التي يطلق عليها التيمار.^(٢)

أما عن الزواج: لم يكن يسمح للإنشكارية بالزواج، فكان الفرد يعيش منهم دون الأمل في أن تكون له زوجة، أو أبناء، ولكن حب الجهاد في سبيل الله ملأ قلبه وحياته والقرآن هو منهجه ودستوره، والسلطان العثماني والده، والثكنة العسكرية مأواه.^(٣)

وعندما سمح لأفراد هذه الفرقة بالزواج في نهاية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، تحولت الإنشكارية إلى وظيفة وراثية فقد صار الإلتحاق

(١) هاملتون جب: مرجع سابق، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٢) فون جوزيف هامر: مرجع سابق، ص ١٠٠، ١٠١.

(٣) Osmanli "Tarin ve medeniyet" s, 384-391 عبد العزيز الشناوي: مرجع

بها بالوراثة دون العناية بالمقدرة على أداء الخدمة العسكرية، ثم ضعف أمر الإنشكارية بعد ذلك، كما أن زيادة الأسعار وتأخر رواتبهم، جعلهم يضطروا إلى الإشتغال ببعض الصناعات اليدوية، أو الإلتحاق بخدمة السفراء الأجانب، كما فعل بعض من ضباط الإنشكارية ^(١) قد حرم على الإنشكارية الإساءة في معاملة الفلاحين، أو عمل أي شيء بدون إذنهم، أو تعويضهم، كما أن الإنشكارية كانت تعتمد على نفسها في المؤن دون الأخذ من الأهالي، وكانت تحافظ على صلاتها وخاصة صلاة الجمعة في أثناء الحرب. ^(٢)

كان للإنشكارية أعمال أخرى غير الحرب والقتال، فقد كانت الدولة تعزز جيوشها بها في الأقاليم المفتوحة حديثاً، وكان لهذه القوات الصدارة على سائر جيوش الدولة العثمانية في الولايات العثمانية في أوروبا، وفرق الحاميات العثمانية في الولايات العربية، ونذكر على سبيل المثال بلاد الشام بتقسيماتها الإدارية، ومصر، والعراق. فقد كان الإنشكارية في هذه الممتلكات يخضعون لإمرة الولاة المحليين، ويتقاضون مرتباتهم من الحكومة المحلية في الولاية. ^(٣)

كما كان للإنشكارية الحق في تولي إمارة قافلة "حج دمشق" وكان ولاية دمشق يعينون أحد كبار الإنشكارية أمراء للجيش، كما أنهم شاركوا في جمع الضرائب من دمشق، حيث استمرت الدولة العثمانية في إرسال عدد من الإنشكارية لمساعدة دفتر دار دمشق في جمع الضرائب من دمشق بشكل دائم، وأصبحوا يجمعوا الضرائب من الأهالي مضاعفة عن المحدد من قبل الدولة،

(١) محمود السيد: مرجع سابق، ص ٢٠٠. وقد أكد على ذلك كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص ٤٦٧.

(٢) من شبكة المعلومات العالمية "الإنترنت"

[http:// www. Geocities. Com/ The Tropics/ Paradise/ 5831 ottoman 2. Htm.](http://www.Geocities.Com/TheTropics/Paradise/5831ottoman2.Html)

(٣) عبد العزيز الشناوي: ج ١، مرجع سابق، ص ٤٩٤.

ويتعسفوا في جمعها ويظلموا الأهالي، وكانوا يرسلون المقدار المطلوب للسلطان، والباقي يحتفظوا به لأنفسهم.^(١)

وهذا يفسر كره أهالي الشام للحكم العثماني والجند العثماني على حد سواء نظراً لإثقال كاهلهم بالضرائب من قبل الإنشكارية والتعسف في جمعها.

أما عن العقوبات العسكرية المفروضة على الإنشكارية فكان يجب توخي الحذر والحيلة قبل تنفيذ الأحكام حيث يتم استجوابهم ومعرفة مدى تورطهم في أي قضية^(٢) فقد خصتهم الدولة بعدة امتيازات، منها منحهم حصانة تمنع القبض عليهم، أو فرض العقوبات عليهم من قبل السلطات المدنية، فكان ضباط الإنشكارية دون غيرهم يقومون بتنفيذ العقوبات العسكرية التي يحكم عليهم بها،^(٣) ولقد تعددت، أو تفاوتت تلك العقوبات بين الجلد، والسجن، والحبس وغيرها، حيث كان يوجد في أنظمة الجيش الإنشكاري خمسة أنواع من العقوبات العسكرية هي:

- ١- الحبس المؤقت، وكان الحكم به من صلاحية الضباط الأعوان.
- ٢- الجلد البسيط، وكان الحكم به من صلاحية الأوذاباشي "رئيس الفرقة" الذي ينفذه بيده وبالسوط ويجلده تسعوة وثلاثين جلدة على ظهر المحكوم عليه.
- ٣- الجلد الكبير، وكان الحكم به من صلاحية قائد الأورطة الذي كان يأمر بجلد المحكوم عليه تسعة وسبعين جلدة بالسوط ينفذها شاويش القطعة. ويتطلب حكم الجلد بنوعيه، لتنفيذه موافقة الأغا قائد الجيش، والصدر الاعظم.
- ٤- الحبس المؤبد، وكان المحكوم عليه ينفذه في إحدى قلاع السدرنيل، أو

(١) نوفان رجا الحمود: العسكر في بلاد الشام في القرنين ١٦ و ١٧م، د.ط، بيروت: دار

الآفاق العربية، ١٤١٠هـ - ١٩٨١م، ص ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: وثيقة رقم ١٧٣٥٧ HAT.H.

(٣) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٨.

البوسفور.

٥- الموت، وكان المحكوم عليه ينتظره في إحدى قلاع الدردنيل، أو البوسفور، حيث ينفذ فيه الحكم ليلاً، خنقاً بالأنشودة، ثم ترمى جثته في المحيط.^(١) فقد كانت تصدر الأوامر إلى سلاح الطوبجية "المدفعية" بإطلاق طلقة واحدة من المدفع إيداناً بتنفيذ الحكم، فإذا تم التنفيذ رميت جثة الإنشكاري بعد أن تشد إلى القدمين قلة من الحديد.

كما كانت توقع على الإنشكاري عقوبة الخصاء، إذا اعتاد الإجرام، أو تعددت حوادث خروجه عن قواعد الانضباط العسكري، فيأمر "بني شرية أغاسي" أي رئيس الإنشكارية بإجراء عملية الخصاء الجزئي، أو عملية الخصاء الكلية له، ويفقد الإنشكاري رجولته، ويلحق بالخدمة الداخلية في القصر السلطاني.^(٢) أما الضباط العامون، فيعاقبون عادة بالتجريد من الاموال والممتلكات، ثم النفي.

لم تكن هذه العقوبات تنفذ علانية على الإنشكارية إلا في الضرورة إذا كانت الجريمة واقعة على شخص ما، ولا يتم تنفيذها إلا بأمر من السلطان مباشرة^(٣)، وكان المتهم يمثل أمام محكمة مؤلفة من ستة ضباط كبار، يرأسها الصدر الأعظم، ويشترك فيها الأغا قائد الجيش، ويتم تجريد المحكوم عليه قبل تنفيذ الحكم به، بأن تنتزع عمامته عن رأسه، ويمزق طوق سترته علامة تجريده، وذلك كي ينزل برتبته إلى مستوى العامة، ثم ينفذ الحكم به.

(١) ياسين سويد: ج ١، مرجع سابق، ص ٩٧-٩٨.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٧٩.

(*) حيث حدث ذات مرة أن محافظ قنديه أعدم أكثر من جندي إنشكاري دون أمر من السلطان، نتج عنه عزل هذا المحافظ نتيجة لسوء تصرفه وإقدامه على أعمال مخالفة لعادات الأوجاقات العسكرية.

وكانت عقوبة الفرار في زمن السلم الحبس أو الجلد، أما في زمن الحرب، فبالإضافة إلى العقوبات السابقة كان يشهر بالعسكري الفار، ويعتبر منبوذاً، ومردولاً، وجباناً لا يستحق شرف الذود عن حماية الدين والدولة، وكثيراً ما كان رؤساء هؤلاء العسكريين يغالون في معاقبة مروؤسيهم الفارين بأن يقطعوا أنوفهم، أو آذانهم أو يحكموا عليهم بالموت خنقاً، ويتم تنفيذ الحكم الأخير في الميدان في جناح خاص بالجلادين يسمى "ليك - تشادري" "Leilek-Tochadir"^(١).

ومن هذا الإستعراض لتأسيس الإنشكارية وأنظمتها ورتبها نجد أن الدولة العثمانية قد أسست جيشاً على أسس سليمة، عملت هذه الأسس بمنتهى الكفاءة، عندما سارت عليها الإنشكارية، ولكن عندما انحرفت عن طريق الجادة، وتركزت قوانينها وأسسها الأصلية، فقدت المعنى الذي وجدت من أجله وهو الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام، واصابها الخلل والفساد، وجيش الإنشكارية أنشأته الدولة العثمانية في وقت كانت أوروبا تعاني الأمرين من جيوش المرتزقة، التي لا يضمن ولائها.

وفكرة جيش الإنشكارية وأنظمتها لم تكن غريبة في ذلك الزمان فقد كانت عدة جيوش اعتمد تكوينها على الأطفال المشردين، ومع ذلك تركت هذه الجيوش، ولم يتعرض لها المستشرقين بالجرح أو التشويه، وتعرضوا للجيش الإنشكاري المسلم بالتشويه وطمس الحقائق وهذا موضوع المبحث القادم.

(١) ياسين سويد: ج ١، مرجع سابق، ص ٩٨-٩٩. أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: خط

همايوني H.H رقم الوثيقة ١٩٣٠٤.

المبحث الثالث

آراء المستشرقين ومن شايعهم حول الإنشكارية

والرد على هذه الآراء

إذا كان ظهور الدولة العثمانية على مسرح الأحداث السياسية، غير وجه التاريخ في منطقة آسيا الصغرى والبلقان والبلاد العربية بل وشرق أوروبا ذاتها، فإن الجيش الذي حقق هذا التغير كان له إسهامات فاعلة في تنظيم الجيوش السائدة في ذلك الوقت.

وإذا كان ذهن السلاطين العثمانيين قد تفتق عن فكرة تدريب الغلمان المشردين لإعدادهم عسكرياً، فإن هذه الفكرة لم تكن جديدة على الشعوب في ذلك الوقت، فقد وجدت منذ زمن بعيد، في الوقت الذي لم تكن لأوروبا في تلك الأوقات، عساكر متفرغة مهينة دائماً للحرب، وإنما كانوا يجمعون العساكر من أطراف البلاد عند إعلان الحرب. (١)

لقد عاش الجندي العثماني حياة الحرب مئات السنين، احتفظ خلالها بكافة الفضائل الحربية الرائعة في كل الظروف، والتي جعلته نموذجاً مثالياً للرجل المحارب. على أن هذا الجندي تعرض لمحن كثيرة أثناء مسيرته الشاقة، كما ظهرت عليه أعراض الفساد والإنحراف، مثل جندي الإنشكارية. ومع هذا بقي في داخله عاملاً ثابتاً لم يتغير عبر الزمن وهو "الإيمان" بعدالة قضيته وبحقه في حماية دينه والدفاع عنه. وكان هذا الإيمان هو الذي حشد كل أبناء الدولة العثمانية، وجعلها تحمل على عاتقها حماية

(١) أحمد جودت: مصدر سابق، ورقة ١٧١.

ونشر الإسلام.^(١)

للأسف إن الأقلام الحاقدة على الإسلام قد اتجهت إلى تشويه تاريخ الدولة العثمانية الإسلامية، وذلك لأن العثمانيين أخذوا على عاتقهم الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام في أصقاع أوروبا طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية وحماية الإسلام، ومن قام بهذه الحركة الجهادية، هو الجيش العثماني الذي قوامه المشاة أي الإنشكارية، وبالتالي أتجه التجريح والتشويه لهذه الفرقة المجاهدة في سبيل الله. يكاد يجمع جميع المستشرقين على نص واحد في تشويه الإنشكارية وأصلهم وطريقة جمعهم، وافترض وجود ضريبة الغلمان وما صاحب ذلك من تعديات على الأسر المسيحية.

وقد جزم جميع المستشرقين بصحة ضريبة الغلمان، وأن الدولة مارستها لمدة طويلة من الزمن، ولم يورد أحد المستشرقين دليلاً واحداً أو مرجعاً موثقاً ذكر هذه الضريبة التي تعتبر من أخطر الافتراءات التي ألصقها المستشرقون بتاريخ الدولة العثمانية، والتي تزعم أن العثمانيين كانوا ينتزعون الأطفال الصغار من أحضان أسرهم، فيما يسمى "بضريبة الغلمان أو" ضريبة اللحم البشري" ثم يكرهوهم على اعتناق الإسلام لأن الإسلام لا يبيح لغير المسلمين حمل السلاح، بموجب نظام أو قانون يدعى نظام "الدوشرمة" ومن ثم الالتحاق بالجيش العثماني. وقد أدعى المستشرقون أن هذه الضريبة فرضتها الدولة العثمانية على رعايا المسيحيين الذين اعتنقوا المذهب الأرثوذكسي، مثل الجزية حيث يتم أخذ أطفال في سن صغيرة من أسر الفلاحين المسيحية، وبعد تربيتهم في الدوشرمة، يتم إلحاقهم بالإنشكارية، حتى يحاربوا مع الدولة العثمانية.

وقد حاول هؤلاء المستشرقون أن يسرفوا في استثارة المشاعر الإنسانية في المبالغة بتصوير المعاناة والآلام النفسية القاسية التي يلقاها هؤلاء الأطفال عند

(١) بسام العسلي: فن الحرب الإسلامي في العهد العثماني، د. ط، دار الفكر، د. ت، ج ٥، ص ٥١٩.

انتزاعهم من أسرهم، وحال الأبويين عند انتزاع أطفالهم. كما أدخلوا هذا الأمر في أن السلطان كان له الحق في انتزاع خمس الغنائم له شخصياً. ^(١) وهذه الحصّة تكون في الأطفال بمعدل خمسة أطفال من كل مدينة، حيث يرسل السلطان وكيلاً إلى كل مدينة وقرية مسيحية، يطلع على كشف يقدمه له قسيس الكنيسة بأسماء الأطفال الذين تم تعميدهم في الكنيسة فيختار الوكيل عدداً من الأطفال ما يعادل خمس مجموعهم، تتراوح أعمارهم ما بين الثامنة والعاشرة وقد يصلوا إلى العشرين، وينقل هؤلاء الأطفال التعساء إلى العاصمة، حيث تنقطع الصلة بينهم وبين أسرهم نهائياً. وفي العاصمة تجرى لهم عملية الختان، ثم يلتحقوا بأربعة مدارس في إستانبول مع أنها لم تكن فتحت في عهد أورخان أو السلطان مراد الأول، وهما اللذان تزعم الفرية أن أحدهما ابتدع هذه الضريبة، ويتعلموا في هذه المدارس مبادئ الإسلام، واللغة التركية، والتاريخ الإسلامي بشكل عام، والتاريخ العثماني بشكل خاص، إضافة إلى النظم العثمانية، وذلك كله وفق مناهج وضعت خصيصاً لمحو كل أثر للنصرانية. ^(٢)

ويدعي البعض أن صاحب هذه الفكرة هو هابيل الأسود، وزير السلطان أورخان، والذي زين الفكرة للسلطان وحببها إلى قلبه، فأخذ بها أورخان، وكانت هذه الضريبة عوناً كبيراً للدولة على إيجاد مورد آدمي لا ينضب، لإيجاد فرق عسكرية كاملة من المشاة. يضعون عقولهم وأجسامهم وخبراتهم في خدمة السلطان، لإحراز انتصارات عسكرية في ميادين القتال، بهدف تحقيق مزيداً من الفتوحات في أوروبا، وتلتها أفريقيا في أوائل القرن السادس عشر. ^(٣) ولم يكن

(١) زياد أبو غنيمّة: مرجع سابق، ص ١٢٢، ١٢٣.

(٢) مرجع سابق، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٧٤، ٤٧٥.

جميع أفراد الإنشكارية حصيلة ضريبة الغلمان من البلاد الأوروبية المفتوحة،^(١) بل ضمت بين صفوفها أطفالاً اشتروا بالمال أو أسروا في الحرب.^(٢)

وإذا نظرنا إلى أقوال المستشرقين كلاً على حده، نلاحظ أنهم اتفقوا تماماً فيما سبق ووجدت بعض الزيادات عند بعضهم أو اختلافات، لكنها لا تخل بمضمون الفرية الأساسي.

فالمؤرخ الألماني المستشرق كارل بروكلمان، جاء كلامه مطابقاً تماماً لما سبق، وإن كان زاد عليه أن سبب إنشاء هذا الجيش، مغالاة الناس في المطالب مقابل الخدمة في تنظيم هذا الجيش مما أثار مخاوف السلطان أورخان، فقرر الاستغناء عن استخدام الإقطاعيين، واختلف أيضاً أنه نسبها إلى نصيحة جاتدرلي بإحياء العرف الإسلامي القديم بالاحتفاظ بخمس الغنائم، وكانت النواة ألف غلام نصراني. كما زاد على ذلك بروكلمان، أنه تحدث عن كيفية تدريبهم ومعاملتهم، والتي وصفها بأنها التزمت بالمبادئ الإنسانية لأبعد الحدود، ثم يقسموا إلى خمسة أصناف، ثم نسب الضريبة إلى سليم الأول، ثم حدد مدة لجمع هؤلاء الغلمان إذ أنها كانت تجمع كل خمس سنوات ثم تقاصرت المدة حتى صارت تجمع كل سنة.^(٣)

وقد تبادى في غيه إذ قال أن الدولة صارت تنتزع جميع الأطفال السليمي البنية في وقت متأخر ممن تتراوح أعمارهم ما بين العاشرة والخامسة عشر.

(١) زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٧٦.

(٣) ذكر أن هذه الضريبة فرضت على جميع البلدان البلقانية واليونانية، وبعد ذلك المجر ولم يعف من هذه الضريبة إلا قليل من المناطق المتمتعة بمعاهدات مثل غلطة ورودرس وإستانبول. كيف تتمتع العاصمة بمعاهدة، وهذا يدل على عدم صدق إدعاءه. كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص ٤٦٥.

ووصف أن هذا الأمر لم يخلوا من التلاعب والعبث بالقانون، إذ أن الموظفين العثمانيين كانوا يأخذون الرشاوي من أباء الغلمان الأثرياء ثمناً لحرية أبناءهم، ثم يعود مرة أخرى إلى الحديث المتناقض فيقول مهما يكن من شيء فإن المستقبل اللامع الذي ينتظرهم يخفف كثيراً من صرامة هذه الضريبة، الأمر الذي أدى إلى استثارة حسد الأتراك أنفسهم فكانوا يسعون كثيراً إلى دس أبنائهم في صفوف الغلمان النصاري.^(١)

أما برنارد لويس فلم يضف على الفرية الكثير، ولكن ظهر التناقض واضح عندما ذكر أن المجاهدين كانوا من الأتراك أنفسهم ولقرون عديدة، ثم استخدموا المسيحيين اليونانيين الذين أسلموا وصاروا مجاهدين بارزين، أما عن الأطفال فقد ذكر أنهم كانوا يعملون خدماً في القصر السلطاني، أو يوضعون تحت رعاية السباهية الإقطاعية^(٢) ومع مرور الزمن صار نظام الإنشكارية المشكوك في شرعيته نظاماً عثمانياً مقبولاً على القرى المسيحية.^(٣) وأتفق مع بروكلمان في أن أصل الفكرة يعود إلى جندرلي، ولكنه أوضح أنها لم تكن من بنات أفكاره وإنما لفت نظره إليها عالم مسلم من قرمان اسمه قره رستم، وزعم برنارد أن هذا الأمر بدعة من عمل الفقهاء، وينسب ذلك إلى مؤرخ تركي لا يذكره.^(٤)

وقد اتفق معهم المؤرخ الإنجليزي فيشر ولكنه أضاف نقطة مهمة ألا وهي إرجاع الفضل في قيام الدولة العثمانية واستمرارها ليس للعثمانيين فقط بل

(١) كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص ٤٦٥.

(٢) برنارد لويس: إستانبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية، ترجمة سيد رضوان، الطبعة الأولى، جامعة بني غازي، د. ت، ص ٦٥-٦٦.

(٣) برنارد لويس: إستانبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ترجمة سيد رضوان، الطبعة الثانية، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ص ٤٦.

(٤) برنارد لويس: مرجع سابق، الطبعة الأولى، ص ٦٥، ٦٦.

لإصقالبة النصارى من أمهات مسيحيات. (١)

المستشرق الفرنسي جيبون وضع سبباً لقيام الجيش الإنكشاري، وهو فشل مراد الأول في إدخال نصارى البلقان في الإسلام عن طريق العتق من الأسر، فأنشأ هذا الجيش ونظام الدوشرمة، لإكراه الأطفال على الإسلام، حتى أن كثير من الصقالبة اليونانيين فضلوا الدخول في الإسلام على أن تسلم أبنائها للعثمانيين، ثم يتحدث على أن السلوك الحسن والمثل الجادة، وترك الحرية الدينية مع إقامة الشعائر من صفات الإنكشارية. (٢)

وقد وضع بيرى أندرسون فلسفة جديدة لنظام الإنكشارية إذ وصفه بأنه التوفيق بين التقليد الغزوي في تغيير الدين والتوسع العسكري من جهة، والتقليد الإسلامي القديم في التسامح وأخذ الجزية من غير المسلمين من جهة أخرى، ويقصد بكلمة الغزوي أي مبادئ الغزو وأخذ الأسرى. (٣)

ولكن أحداً لم يصل إلى حد إفتراء وتشويه بول كولنز حيث ربط نظام الدوشرمة، بنظام الرق الذي أقره الإسلام، حيث فسرهما من وجهة نظره، إذ أوضح طالما أن هؤلاء ليسوا مسلمين، فمن حق العثمانيين أخذ ضريبة الرأس منهم، ولأن عدد الأسرى لم يكن كافياً لتلبية حاجات القصور من عبيد، فقد وضع العثمانيون سياسة استرقاق (*) الغلمان، وقد زاد جمع الأطفال بمرور الزمن. وقد

(١) هـ. أ. ل فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، تعريب محمد زيادة - السيد العرين - إبراهيم العدوي، الطبعة الثانية القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٧م، ص ٤٤٨.

(٢) محمد فؤاد كويريلي: قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، د. ط، دار الكتاب العربي، د. ت، ص ١٠، ١١.

(٣) بيرى أندرسون: دولة الشرق الاستبدادية، ترجمة بديع عمر نظمى، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٣م، ص ١٥.

(*) لقد تحدث عن نظام الرق بشكل جازح دون فهم لتعاليم الشريعة الإسلامية فوضح أن الإسلام أقر الرق طالما كانت الشعوب المسترققة غير مسلمة، أو لم تقدم ضريبة الرأس =

اتفق بول كولنز مع بروكلمان في أن هذه الضريبة لم تلق الامتعاظ والاستياء الكافيين من الأهالي، إذا ما قورنت حياتهم في الإنشكارية بحياة البؤس والحرمان والفقر في قراهم المسيحية. (١)

أما روبير مانتران فقد أستفاض في الحديث عن ضريبة الغلمان، لدرجة أنه قال أنها ارتكزت بشكل أساسي على أسرى الحروب، والذين جمعوا بطريقة أكثر تحدياً من العشر^(*) العائد للسلطان، إضافة إلى شرائهم من أسواق النخاسة، ثم أقل عدد كان يأتي من نظام الدوشرمة، كما أضاف أن أطفال المسلمين خضعوا لهذه الضريبة باستثناء أهل البوسنة والهرسك الذين اعتنقوا الإسلام، وأوضح أنه من شدة قساوة هذه الضريبة على الأسر المسيحية، فقد صورها التراث الشعبي رمزاً لصرامة الحكم العثماني، كما نقل روبيرمان نتران عن ستيفان جيرلاش أن عدداً من المسيحيين كانوا يلجأون إلى تزويج أبنائهم وهم في الثامنة أو التاسعة من العمر، حتى يعفوا من التجنيد، لكنه يناقض نفسه إذ يقول أن هناك شهادات تكشف عن تذبذب هذه الظاهرة، لأن هذا التجنيد في نظره يكفل لابن

= وهي ضريبة يراها المسلمون حقاً لهم، أي ضريبة تحدث عنها ربما قصد الجزية ولكن هذه الجزية تقدم مال وليس رقيق. ومن الواضح أنه أخذ نظام الرق في أوروبا ووضعه مكان الجزية في الإسلام. كما تحدث عن نقل العبيد بطريقة سيئة لكنهم ينالوا مكافأة عندما يدخلون عالماً جديداً غنياً، ونسي هذا الكاتب كيف أن أوروبا الغنية استعبدت شعوب إفريقيا بمنتهى الوحشية ثم يناقض الكتاب كلامه حيث يقول أن العبيد يفضلون العيش في قصور الأغنياء على حياة قراهم الفقيرة، وأن المعاملة السيئة المهينة للسيد لا تفرق عن حياة قريته التعيسة !

لقد وضح التناقض في كلامه تارة يتحدث عن المعاملة الوحشية، وتارة يتحدث عن أن العبيد يفضلوا هذه الحياة، وهذا يدل على مدى التلفيق والتشويه.

(١) بول كولنز: العثمانيون في أوروبا، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، د. ط، القاهرة:

الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٣م، ص ٥٢، ٥٤، ١١٥، ١٦٢.

(*) ليس العشر وإنما سهم من الخمس هو من حق ولي الأمر.

الأسرة مستقبل مشرق، حتى أن المسلمين كانوا يستبدلون أبناءهم بأبناء المسيحيين حتى يتيحوا لهم هذه الفرصة السعيدة. كما قام بوصف حياتهم إذ قال أنهم يعملون كعبيد عند الفلاحين أو العساكر، وبمجرد وصولهم إلى الإنشكارية، أو وظائف الدولة، فلا ينطبق عليهم معنى مصطلح العبيد إذ لا يجوز بيعهم أو إلحاقهم بخدمات غير خدمات الدولة. ^(١)

هاملتون جب كرر نفس الكلام دون وعي أو إدراك للحقيقة، بل وأضاف سبباً جديداً لإنشاء الإنشكارية ألا وهو أن المحاربين الأوائل لم يكونوا سوى رجال عصابات وقطاع طرق، لذا لم يكن من السهولة الاستفادة منهم، فسعى السلطان ^(٢) للتخلص منهم، واستبدلهم بالعدد الوفير من الغنائم والأسرى الذين جاءوا إليه من أولى حملاته على أوروبا. ^(٣) وأضاف أن هذا الأسلوب الجديد الذي ابتكره آل عثمان لم يكن يكلف السلطان شيئاً من المال، ولكن العيب فيه هو مخالفته لأحكام الشريعة كل المخالفة. ^(٤)

خليل إينالجيك سار على نفس خطاهم، ولم يختلف معهم في الفرية ذاتها، ولكنه قال أن هذه الضريبة استثنت أطفال المدن والوحيد لأبويه. وقد أكد أن الأتراك المسلمين استثنوا من نظام الدوشرمة، وذلك على حد تفسيره حتى لا يسيئوا استخدام الميزة الممنوحة لهم، إذ سيقوم أقاربهم بإضطهاد الرعية، وسيرفضوا دفع الضرائب، أما أبناء المسيحيين فحين يعتنقون الإسلام يصبحوا غيورين على الدين ويصبحون أعداء لأقاربهم، وأرجع أقواله إلى مصدر عثماني

(١) روبر مانتريان: تاريخ الدولة العثمانية، ج ١، ترجمة بشر السباعي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٩٣، ص ٢٥٥ - ٢٥٨.

(*) لم يحدد اسم السلطان في هذه الفقرة.

(٢) هاملتون جب: مرجع سابق، ص ١٠٣، ١٠٦ - ١٠٧.

(٣) مرجع سابق، ص ١٠٨.

من القرن السابع عشر ولم يذكر اسمه أو أي معلومات عنه. وأكد أن العائلات المسلمة في البوسنة كانت تقدم أولادها للدوشرمة. وقد ناقض نفسه مثل باقي المستشرقين حيث أوضح أن الأهالي المسيحيين كانوا يحاولوا تفادي هذه الضريبة في الوقت الذي كان فيه مسيحيوا المناطق الجبلية يقدمون أبنائهم عن طيب خاطر لهذه الضريبة، وقد حدد المواعيد التي يجمع فيها الأطفال على حد زعمه كل ثلاث أو سبع سنوات، حسب الحاجة، مستنداً إلى الوثائق العثمانية، حيث أوضح أن إحدى الوثائق تشير إلى أنه في خلال القرن السادس عشر الميلادي كان يجمع كل سنة ألف ولد، بينما تشير الأخرى إلى أنه كان يجمع كل سنة ثلاث آلاف ولد في نفس القرن السابق.^(١)

أما المؤلف الإنجليزي المجهول والذي ترجم كتابه حسين ليبب فلم يختلف عن باقي المستشرقين، إلا أنه تحدث عن حياتهم وتربيتهم، وهي متأرجحة ما بين شظف العسكرية، والتعلم على احتمال الفقر، وبين الهبات والعطايا والترقي السريع، وقد شبه الجيش العثماني بالفرق الرومانية، التي تأخذ أسرى الحروب لأنها تجد الربح السريع ببيعهم، وعندما زاد عدد الأسرى ولم يجد العثمانيون من يشتري هذه الأعداد الكثيرة. أخذوا خمس الغنائم من الأسرى ليصبحوا أطفال الدوشرمة، وأضاف أنه يتم إعفاء الأسرى من الفدية وإطلاق سراحهم إذا اعترفت الدول المسيحية، وتم عقد معاهدة بين الطرفين.^(٢)

ونضيف آراء محمد الأرناؤوط^(٣) في هذا الأمر والذي أورد في كتابه

(١) خليل إينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط،

الطبعة الأولى، بيروت: دار المدى الإسلامي، ٢٠٠٢م، ص ١٢٤، ١٤٢.

(٢) حسين ليبب: مرجع سابق، ج ١، ص ١٢.

(*) ذكر محمد الأرناؤوط الدراسات السابقة التي تختص بهذا الموضوع:-

١- بحث نشره أحمد رفيق عام ١٩٢٦م بعنوان أصول الدوشرمة وأولاد العجم. أحتوى على=

دراسات ووثائق حول الدفشمرة وثائق تثبت أن الدولة العثمانية قامت بجمع ضريبة الغلمان فيما يسمى " بنظام الديوشمرمة " من الأسر المسيحية في بلاد البلقان، معتمداً بالإضافة إلى الوثائق على كتابات الرحالة الغربيين. (١)

في البداية جزم بأن قوات الإكينجي " الخيالة السريعة " مهمتها إرهاب وإثارة فزع أهالي القرى المسيحية وذلك بهدف أسر أولادهم وأخذ الخمس منهم ضمن أولاد الديوشمرمة. وأوضح أن الحال تغير بعد معركة أنقرة ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م إذ توقفت الفتوحات العثمانية، وبالتالي توقف تدفق الأسرى على السلطان العثماني والذي كان يحصل على خمس أسرى الأطفال منهم، في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية في أشد الحاجة إلى شبان للقيام بفتوحات جديدة. ومن هنا جاءت فكرة انتزاع الأبناء من الأسر المسيحية. حيث صدر قانون الدوشمرمة عام ٨٢٤هـ / ١٤٥١م في عهد مراد الثاني، والذي أثبت أن هذا النظام عملي أكثر من خمس الأولاد الذي يحصل عليهم السلطان من غنائم المعركة، لأن هذه الضريبة تغذي الإنشكارية بفيض من الشباب الأقوياء، وأكد الانراووط على أن هذا القانون عمل جنباً إلى جنب مع استمرار أخذ خمس أسرى الحرب، وقد

= عدة وثائق مختصرة وفرمان كامل يعود إلى عام ١٦٢١م.

٢- بحث قدمه غ غالايوف الباحث البلغاري نشر فيه كثير من الوثائق الخاصة بالدوشمرمة.

قدم كثير من المعطيات وأعتمد على وثيقة مأخوذة من قانون نامه قديم.

٣- الباحث أوزنتشار شيلي قدم بحث يعتبر أكبر بحث كتب حول الدوشمرمة، حيث أعتمد على الوثائق وقدم من خلالها معلومات ذات صلة وثيقة بالموضوع.

لكن كل هذه الدراسات أعتمدت في الأغلب على وثائق موجودة ضمن مجموعة تاريخ مقدونيا القديمة في أرشيف فيريا. ومعهد التاريخ القومي في سكوبيه وقليلاً من الوثائق الموجودة في إستانبول.

تركزت على شعوب البوسنة وبلاد اليونان والبلغار والأرمن. ^(١) كما أورد أن أعمار الأولاد كانت متفاوتة وتتراوح ما بين تسع أعوام إلى ثمانية عشر عام. ^(٢)

واستفاض في الحديث عن مقاومة السكان لهذه الضريبة من تقديم رشوة لجامعي الأولاد، خاصة من الآباء الأغنياء، إضافة إلى لجوء الأسر بأكملها للهرب أو هرب الأولاد فقط، أو لجوء الأهالي إلى الهجوم المسلح على جامعي الأولاد، حيث أورد أنه صدر فرمانين في عام ١٦٠١م بهما أوامر صريحة مفادها شنق أي أب أو أي شخص من الكافرين يرفض تسليم ابنه، كما توجد عقوبات صارمة لمن يخفي أبنائه عن جامعي الدوشرمة جاءت في فرمان صدر عام ١٦٢٢م. كما أشار الأرناؤوط إلى عدة فرمانات بها أوامر صريحة بالتأكد من عدم هروب الأولاد من القافلة أثناء السير إلى إستانبول أو بعد الوصول إليها، أو حتى بعد تعيين الشبان في إحدى القلاع. ^(٣)

كان هذا عرض لبعض أهم آراء المستشرقين حول نشأة الإنشكارية، ويوضح العرض السابق مدى الحقد الذي يكنه هؤلاء للإسلام والعثمانيين بالتالي، وقد سار على نهجهم للأسف كثير من المؤرخين المسلمين العرب، واقتنعوا بآرائهم وسلموا بها دون مناقشة أو تمحيص للمعلومة لمعرفة مصدر المعلومات.

لقد أكد كثير من المؤرخين ^(٤) العرب هذه الفرية في كتاباتهم والتي سماها

(١) محمد الأرناؤوط: مرجع سابق، ص ٣٦-٣٩.

(٢) مرجع السابق، ص ٤٠.

(٣) مرجع سابق، ص ٤٩-٥٧.

(٤) ساطع الحصري: مرجع سابق، ص ٣١، محمد كمال الدسوقي: مرجع سابق، ص ١٧. أحمد

شليبي: مرجع سابق، ج ٥، ص ٨٤٩، ٤٥٠. أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سابق،

ص ٤٤. حسن الضيقة: الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، دار المنتخب، ١٤١٧هـ،

١٩٩٧م، ص ٩٢. عمر عبد العزيز عمر: مرجع سابق، ص ٣٨، ٣٧. عبد العزيز الشناوي،

مرجع سابق، ج ١، ص ١٢٠.

عبد العزيز نوار ضريبة الدم.^(١) وأضاف أحمد شلبي أن نظام البديل كان معروفاً، وهو عبارة عن دفع مقدار من المال لإعفاء بعض الغلمان من الضريبة.^(٢)

أما عبد الوهاب بكر فقد تفرد بوصف خاص عن الإنشكارية حيث أطلق عليهم جهاز تفريخ القوى البشرية التي تزود الجيش بالرجال منذ عهد أورخان.^(٣)

أما عبد السلام عبد العزيز فهمي فقد أشار إلى قضية جديدة وهي أن اختيارهم لم يتم على حسب جنسيات الغلمان، وإنما حسب جمال وجوهرهم وقوة أجسامهم وبراعة عقولهم.^(٤)

أما إسماعيل ياغي فقد جزم بفرض الدولة العثمانية ضريبة الغلمان، لكنه عاد فتحدث عن البلاد المفتوحة، إذ قال أنه ربما تعرضت البلاد للخراب من جراء الحروب، مما أدى إلى هلاك كثير من الأسر جوعاً. وهذا يعني أن الدولة كانت تتبنى الأطفال اليتامى في كثير من الأحيان، ولولا تبني الدولة لهم لتعرضوا للهلاك، ثم أكد أن الدولة العثمانية، تولت المسيحيين بالحماية وإعفائهم من الخدمة العسكرية، وكان على المسيحيين أن يدفعوا في المقابل ضريبة الرأس.^(٥)

أما أحمد عبد الرحيم مصطفى فقد جزم أن العثمانيين اختاروا أذكى أبناء المسيحيين وأخذوهم.^(٦)

(١) عبد العزيز نوار: مرجع سابق، ص ٢٣.

(٢) أحمد شلبي: مرجع سابق، ج ٥، ص ٨٥٠.

(٣) عبد الوهاب بكر: مرجع سابق، ص ٥٧.

(٤) عبد السلام عبد العزيز فهمي: السلطان محمد الفاتح، الطبعة الأولى، دمشق: دار القلم،

١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ص ٢٨، ٢٩.

(٥) إسماعيل ياغي: مرجع سابق، ص ٢٥٤.

(٦) أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سابق، ص ٢.

أما عبد العزيز الشناوي فقد جزم بصحة الفرية، وأنها كانت تجمع كل سنة لكثرة الحروب والتكتلات الصليبية التي تواجه الدولة العثمانية.^(١)

لكن الحصري زعم أن دار الروم "أو الروم إيلي" كانت دار حرب من الوجهة الشرعية فيسوغ فيها الإسترقاق كما يزعم الحصري. ولذلك فقد أبتكر آل عثمان في عهد السلطان أورخان طريقة تضمن لهم تكوين جيش دائم يحسن الحرب والجهاد فأخذوا يقومون من وقت لآخر بغارات إلى ما وراء حدودهم في بلاد النصرانية بقصد استرقاق الأطفال ولقد عرف هذا الجيش فيما بعد بالإنشكارية فكان محور قوتهم واستطاعوا به فتح البلاد في أوروبا التي لم تكن دخلت في حوزة الإسلام من قبل مما أدى إلى زيادة عدد الرقيق مع كثرة الفتوحات والتوسع في أوروبا.^(٢)

ذكر عبد الكريم غرابيه في الرواية التالية أن السلطان العثماني (شعر أنه بحاجة إلى "كلاب" لتحرس قطعانه أو رعيته، وتغير على قطعان غيره، فلم يجد أمامه من وسيلة إلا أن "يصادر الإنسان" ويدجنه، ويدربه، كما يفعل مع الحيوان، ودون أن يدع العاطفة تفسد عليه عمله وخطئه). ثم يكرر في موضع آخر (وأخيراً ابتدع أحدهم فكرة مصادرة أولاد النصارى وتدجينهم، وتأسيس جيش محترف منهم لا يدين بالولاء إلا للسلطان).^(٣)

وقد جاءت هذه الفرية أيضاً في بعض المصادر^(٤) التي تناولت التاريخ

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٧٧، ٤٧٨.

(٢) ساطع الحصري: مرجع سابق، ص ١٦-١٨.

(٣) نقلاً عن زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص ١٣٨-١٣٩.

(*) محمد كرد: خطط الشام، أحمد محمد الحموي: فضائل سلاطين بني عثمان، ص ٥٨. إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية د. ط، لبنان: دار الفكر العربي،

العثماني والموثوق فيها، إذ لم يقتصر الأمر على كتب المؤرخين المحدثين.

ومن خلال استعراض أقوال المستشرقين الأجانب والمؤرخين العرب، نجد أنهم انقسموا إلى قسمين:

القسم الأول:

المستشرقون والذين تناولوا التاريخ الإسلامي بكثير من الحقد وتشويه الحقائق، وقد اعتدنا على هذا الأسلوب منهم، خاصة الموضوعات التي تختص بالفتوحات الإسلامية والانتصارات العظيمة التي حققها المسلمون في سبيل نشر الإسلام. وقد ساءت تلك الانتصارات، فأخذوا يبتون سمومهم فيها، بهدف القبح في إنجازات المسلمين عامة، والعثمانيين خاصة، حيث بحثوا عن ثغرة يدخلون منها إلى أهدافهم فوجدوا أن الطعن في طريقة إعداد الجيش العثماني هو الطريق الأمثل، خاصة وأن فتوحات الدولة العثمانية اعتمدت على الجيش وبالأخص فرقة الإنشكارية، التي كان لها الفضل بعد الله سبحانه في الانتصارات التي حققتها الدولة العثمانية، وبالتالي وجدوا أن هذه الفرقة مناسبة لتحقيق أهدافهم، فصوروا طريقة جمع الأطفال بمنتهى القسوة والبشاعة وكأن ليس للمسلمين قلوب.

ومن ناحية أخرى أوضحوا أن أبناء الإنشكارية كانوا من أفضل الأسر المسيحية وأعرقها، وبالتالي فهم بذلك يرجعون الانتصارات التي حققتها الإنشكارية والشجاعة والقوة التي تمتع بها هؤلاء إلى أبناء جلدتهم، محاولين بذلك التهوين من شأن العثمانيين كقوة إسلامية والحط من قيمة أعمالهم.

القسم الثاني:

هم فئة من المؤرخين العرب الذين ردّدوا كلام المستشرقين دون أي تمحيص للحقائق أو محاولة كشف المزيف منها، وقد أوقعوا أنفسهم في الخطأ دون أن يشعروا.

ومن خلال ما تقدم من أقوال المؤرخين والمحدثين والباحثين حول قيام فرقة الإنشكارية نخلص إلى عدة أمور رئيسية:

أولاً:

هناك تباين واضح حول سبب تكوين الإنشكارية، فالبعض يرجح أن الرغبة في الجهاد ونشر الإسلام هي السبب الرئيسي لتكوين هذه الفرقة، والبعض الآخر يرجح أن إحياء العرف الإسلامي بأخذ خمس الأسرى والغنائم هو السبب، أو قلة خبرة الأتراك في حروب الحصون والقلاع، أو جلب الرقيق للخدمة في القصور.

ثانياً:

اختلاف أقوال المؤرخين حول كيفية تربية هؤلاء الأطفال بين القسوة والشدة في تعليم اللغة التركية والتدريبات العسكرية، إضافة إلى إكراههم على اعتناق الدين الإسلامي، والتسامح والتزام العثمانيين بالمبادئ الإنسانية في تربيتهم.

ثالثاً:

اختلاف المستشرقين حول صاحب فكرة تكوين فرقة الإنشكارية، فمنهم من رجح كفة أورخان، وأما البعض الآخر فقد رجح أن علاء الدين هو صاحب الفكرة، وآخرين ألصقوها بالعالم قره رستم، وهناك من أكد أنها فكرة قره خليل جندرلي.

رابعاً:

تناقضت أقوال المستشرقين بشكل واضح حول موقف الأسر المسيحية، فقد تأرجحت الأقوال ما بين الترحيب بالضريبة، بل وتقديم الأبناء عن طيب خاطر، وبين التذمر والإعراض، ودموع الأمهات وآهات الأطفال.

ومن الملاحظ أن المستشرقين لم يتركوا مجالاً إلا وتمادوا في تشويه

الإنشكارية والافتراء عليها، وقد استطاعوا أن يصوروا الأمر بمنتهى القسوة والبشاعة، معتمدين على ركيزتين الأولى العواطف الإنسانية، فصوروا الآلام النفسية التي تتحملها الأم عند انتزاع طفلها من أحضانها، والدموع التي تذرفها حزناً على فراق الابن الغض، وبذلك صورت ضريبة الغلمان على أنها أبشع أنواع الظلم والقسوة واختفاء الرحمة ورمزاً للتسلط العثماني، ومن سوء حظ الأهالي المسيحيين أن دولتهم تهزم على يد الأتراك العثمانيين، ويدفع الشعب ثمن هذه الهزيمة من أبناءه. كما يؤكد المستشرقون أن العثمانيين سلبوا أقوى العناصر من الشعوب المسيحية التي دانت لحكمهم. أما الركيزة الثانية فهي إكراه الغلمان على الإرتداد عن المسيحية واعتناق الإسلام. (١)

وهذا الأمر لا يعني أنه لم يتصدر مؤرخون وباحثون مسلمون للدفاع عن ضريبة الغلمان من حيث المبدأ، وقد استند هؤلاء إلى أن الفتوحات الإسلامية العثمانية تركت كثيراً من الدمار مما أدى إلى هلاك الكثير من العائلات المسيحية جوعاً، أو هروبهم من بلادهم، وترك عدد كبير من الأطفال المشردين دون آباء، فجمعتهم الدولة العثمانية، ووفرت لهم حياة كريمة، وتعليم وجعلتهم نواة لجيشها، ولولا هذا العمل لتعرضوا للهلاك أو الانحراف. (٢)

من الملاحظ أن الغالبية العظمى من المؤرخين والباحثين قد مالوا إلى القول بفرض ضريبة الغلمان وانتزاع الأطفال من ذويهم وإكراههم على اعتناق الإسلام، ولكن في المقابل هناك أدلة وقرائن تدحض هذه الآراء، وتوضح أنها مجرد محض افتراء ومحاولة لتشويه صورة الدولة العثمانية.

وبعض المستشرقين زادوا على الفرية الأساسية، اجتهدات خاصة بهم، والبعض الآخر ردّ الكلام دون وعي، ولكن في مضمونها جاءت بنتيجة واحدة.

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٨٥، ٤٨٦.

(٢) مرجع سابق، ج ١، ص ٤٨٦.

منذ البداية وموقف النصارى واليهود معروف من الإسلام فمنذ بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء يحاولوا الكيد للإسلام والمسلمين، ولم يرضوا يوماً عن المسلمين، والتاريخ الإسلامي تعرض للتشويه والافتراء على مر العصور، لكن أكثر دولة إسلامية تعرض تاريخها للتشويه كانت الدولة العثمانية. وما إفتراءهم وتشويههم هذا إلا حلقة جديدة في سلسلة كره النصارى واليهود للإسلام والمسلمين.

ولذلك من الأهمية بمكان الرد أولاً على هذه الفرية بشكل عام ثم الرد بعد ذلك على إضافات المستشرقين والمؤرخين العرب.

إذا أردنا الرد على هذه الفرية، فإننا نجد أن هناك بعض الأدلة والبراهين التي تثبت عدم صدق دعوى المستشرقين. إن أول ما يرد في هذه الفرية هو انتزاع الأطفال عنوة من ذويهم كضريبة، لقد نسي هؤلاء المستشرقون مدى ترسخ الإسلام في نفوس العثمانيين، فقد استقروا بعض الوقت في طبرستان وخراسان وجرجان، وبذلك اقتربوا من الأراضي الإسلامية التي فتحها المسلمون بعد معركة نهاوند وسقوط الدولة الساسانية في بلاد فارس سنة ٢١هـ / ٦٤١م وهكذا بدأ اتصالهم بالعالم الإسلامي. وفي عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - تعاون الترك مع المسلمين لمحاربة الأرمن، ولم يقع بينهم قتال أبداً، وإنما سار الجميع إلى بلاد الأرمن لفتحها ونشر الإسلام بها، وبزوال الدولة الساسانية، ونتيجة للفتوحات الإسلامية، أصبح الباب مفتوحاً أمام تحركات شعوب تلك البلدان، ومنهم الترك للاتصال بالشعوب الإسلامية، وإعتناقهم الإسلام بل والجهاد في سبيل الله، وإزداد دخولهم في الإسلام في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأصبحوا من المدافعين عنه والمشاركين في الجهاد لنشر الإسلام. (١)

واعتناقهم للإسلام جاء على المذهب السني، مما هذب أخلاقهم وأوجد فيهم

حب الجهاد في سبيل الله. وبذلك صارت الدولة العثمانية دولة إسلامية سنية أخذ مؤسسوها وسلطانها على عاتقهم مهمة حماية الإسلام والجهاد في سبيل الله طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية.

وعلى هذا فإن المشروع في الإسلام أن أهل الذمة إنما يؤخذ منهم الجزية فقط، وذلك مقابل إقامتهم في ديار الإسلام كل عام لقوله تعالى ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾^(*) ومن السنة " أن المغيرة بن شعبه قال لجند كسرى يوم نهاوند أمرنا نبينا رسول ربنا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية" وإن دفعوا فإنه يحرم قتالهم والاعتداء عليهم وهي تؤخذ من أموال القادرين فقط فلا تجب مثلاً على المرأة والصبي والفقير^(١) وإذا كان الأمر كذلك فمن باب أولى ألا يؤخذ الصبي نفسه من أهل الذمة. فلا يغلب أهل الذمة على صبيانهم ولا نسائهم سواء كانوا أغنياء أو فقراء بل إن الفقراء يُعفون من أداء المقرر من الجزية تسامحاً معهم ومراعاة لوضعهم وحالتهم الاجتماعية فكيف يسوغ أن يقال إن العثمانيين كانوا يأخذون الصبيان من أهل الذمة. وبالتالي هذا يثبت عدم صدق دعوى من قال أن العثمانيين كانوا يأخذون أطفال النصارى عوضاً عن الجزية، إذ أنه من غير المعقول أن يخالف العثمانيون الإسلام في شيء كالجزية وهم من أعتنق الإسلام منذ فترة مبكرة جداً قبل ظهورهم على مسرح السياسة.

وعلى هذا لم تنتزع الدولة العثمانية أطفالاً من ذويهم بل اعتمدت على ما تقدمه العائلات المسيحية طوعية من أبنائها للإخراط في الديوشرمة، كما أنه لا توجد وثيقة واحدة تشير أو تؤيد هذا القول أو تدل على أن العثمانيين مارسوا أي وسيلة للضغط على الأسر المسيحية، بل أن هذه الأسر كانت تتنافس في تقديم

(*) سورة التوبة آية ٢٩.

(١) الموفق ابن قدامة: المغني، ج ١، د. ط، بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت، ص ٥٦٧.

أبنائها لإعجابها بالإنشكارية، ونظروا له على أنه نوع آخر للفروسية، فاق فروسية أوروبا في العصور الوسطى، إضافة إلى أن نظام أهل الذمة الذي طبقتة الدولة العثمانية كجزء من نظمها الإسلامية، بهرت به أوروبا في وقت انعدمت عندهم الحرية الدينية أو كادت بل إن إقبال الأسر المسيحية على تقديم عدد كبير من أبنائها للإنشكارية، دفع بالسلطان أورخان إلى إصدار خط شريف بالألا يقبل منهم إلا من الإبن السادس إلى الإبن العاشر في الأسرة الواحدة. (١)

كما أن هناك نقطة مهمة وهي أن نظام الفروسية في أوروبا خلال العصور الوسطى، قد عود إحساس الأم والأب على فراق أبنائهم، كما أن كثرة الحروب وما تخلفه وراءها من دمار، إضافة إلى انتشار الأمراض القاتلة وانتشار عادة بيع الأطفال نتيجة للجوع والفقر ساعد على دعم هذا الإحساس في نفوس الأهالي.

وفي هذا الصدد نورد ملاحظة مهمة، وهي إذا كان حقاً يؤخذ الأولاد ما بين العاشرة، والعشرين من أهلهم لإدخالهم في الإنشكارية، فهل من المعقول أن ينسى هؤلاء أهلهم وهم في هذه الأعمار، ولنفترض أنهم أكرهوا على اعتناق الإسلام، ودخلوا فيه، فهل يعقل أن ينسى الشاب الصغير ذو الخمسة عشر عاماً أمه وأباه وقريته ورفاقه ! إذ لا نجد تفسير لهذا، كما أنه صار من هؤلاء الأطفال صدور عظام ووزراء وولاة، وتسلموا رواتب عالية فلم تذكر لنا كتب التاريخ شيئاً عن تقديم هؤلاء خدمات مميزة لقراهم أو أسرهم، ألا يتذكر هؤلاء آبائهم وأمهاتهم بعد أن أنعم الله سبحانه عليهم بكثير من النعم. إن السكوت عن هذه الأمور يدل أصلاً على أن عملية الانتزاع هذه لم تكن تجري أصلاً، أو حتى لو صارت لم تكن بتلك القسوة، كما أنه لم يرد أبداً أنه قامت ثورة أو تمرداً أو قدم طلباً للدولة

(١) أميرة مداح: مرجع سابق، ص ٢٠. خلف الوذيانى: مرجع سابق، ص ٩٥، ٩٦. محمد عبد

اللطيف البحر اوى: من خصائص تاريخ العثمانيين، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

العثمانية من القرى المسيحية، يتضمن احتجاج على انتزاع الأطفال ويطالب بإلغائها. أما إذا كان عمر هؤلاء الأطفال فوق اثني عشر عاماً فهم يستطيعوا المقاومة بسهولة بل والهرب فالشباب في سن الخامسة عشر أو السادسة عشر يكون رجالاً قادراً على الزواج وإنجاب الأبناء ولا يستطيع أي شخص إرغامه على فعل شيء ضد رغبته.

كما أنه ليس هناك سبب عقلي يجعل دولة قوية تتحمل عناء انتزاع أطفال مسيحيين وتربيتهم والصرف عليهم واستغراق فترة من الزمان حتى يشب هؤلاء الأطفال ويصبحوا قادرين على حمل السلاح، بل والعمل أثناء ذلك على إكراههم على اعتناق الإسلام وتغيير معتقداتهم، فما الذي يجعل الدولة العثمانية تصرف هذا الوقت والجهد والمال، في الوقت الذي يوجد فيه أطفال المسلمين الذين تربوا أصلاً على تعاليم الدين الإسلامي، والجهاد في سبيل الله وإعلاء راية الإسلام.

لقد خاض المستشرقون بعد ذلك في أمراً لا دراية لهم به، وهو مسألة إكراه الأطفال على اعتناق الإسلام، إن حكم الإسلام في هذه المسألة واضح وصريح لا غبار عليه لقوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْآفَى﴾ (*) وهذه قاعدة شرعية ثابتة، وهي من مبادئ الإسلام وبالتالي من مبادئ العثمانيين المسلمين، إذ لا يجوز إجبار ولا إكراه أحد على الدخول في الإسلام، الذي يرفض هذا الأمر رفضاً تاماً، فالآية الكريمة واضحة إذ وضح الحق من الباطل والهدى من الضلال في أمر الإكراه. (١)

فإذا كان الإسلام يمنع الإكراه في الدين، فكيف يسمح بانتزاع الأطفال من أحضان أسرهم لإرغامهم على الإسلام، إن الإسلام يهتم بتنشئة الطفل في كنف

(*) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

(١) محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، الطبعة الثانية، لبنان: دار القرآن الكريم،

أسرته، فليس هناك ذكر في الإسلام لهذه الضريبة العجيبة. (١)

كما أنه لا يمكن أن يتصور إنسان كيفية إكراه آخر على اعتقاد شيء في قلبه الذي يمتلكه بين ضلوعه فلربما تظاهر بالإيمان مثلاً ولكن ظل في قرارة نفسه على معتقده الأصلية وبذلك ينجو من الأذى والضرر، وفي أول معركة يخوض غمارها ينضم لصفوف الأعداء ويحارب ضد العثمانيين لأنه يحقد عليهم ويكره دينهم، لأنه غصب على إعتناقه، ولكن لم يحدث ذلك قط، وإن حدث لكانت أقلام المستشرقين الحاقدة أول ما كتبت هذه الأحداث. بل العكس تماماً كانت الإنشكارية تحلم بالشهادة دائماً، فالإنشكاري يرى جنات ربه وهو يتلوى محترقاً تحت سيل من الزيت المغلي الذي تصبه قوات الأعداء المدافعة عن الأسوار. وإذا انفتحت ثغرة في تلك الأسوار كان التكبير يتردد في المعسكر العثماني وكأنه زلزال الحشر، وبروح فدائية حقه كانت القوات العثمانية تريد كسب الدنيا والآخرة معاً. (٢)

إضافة إلى ما سبق فقد كانت الإنشكارية كتلة واحدة تشعر بواجبها الإسلامي وبالمهمة التي أعدوا من أجلها ألا وهي الجهاد، السيف سلاحهم، ودعوة الحق شعارهم، يذهبون إلى ساحات القتال وهم يقولون في قرارة أنفسهم " إما غازي، وإما شهيد " وقبل خوض المعركة كانوا يستعدون للشهادة، يتطهرون ويصلون لربهم ويطلبون السجود في صلاتهم خشوعاً لبارئهم. فيدخلون المعركة إما أن ينتصروا على الأعداء، أو يستشهدوا في القتال، (٣) لقد أعترف ملوك النصارى بشجاعتهم، لم يخافوا الموت لقوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص ١٢٨.

(٢) عبد العزيز نوار: مرجع سابق، ص ١٣.

(٣) خلف الوديناتي: مرجع سابق، ص ٩٦. ساطع الحصري: مرجع سابق، ص ١٧.

أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٠﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَنَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦١﴾ وَيَتَضَحَّ هذا الأمر في أثناء حرب الدولة العثمانية ضد الفرس، الذين كانوا يسألون هل بين الجنود من يكثر السجود، وهم بذلك يقصدون الإنشكارية. (١)

كما أن الصبي إذا لم يكن له والدان أو كانا غير معطومين فإن التبعية في الدين تنتقل إلى تبعة الدار، وبما أن كثيراً من الصبيان لم يكن يعلم أبائهم فإن التبعية تكون للدولة العثمانية المسلمة صاحبة الدار. وكذلك إن انتقل الصبي من دار أخرى إلى دار الإسلام بسبب الحروب كما كان سائداً في ذلك الزمان بين الأمم فإن الصبي يتبع الإسلام، فهو مسلم بالتبعية التي انتقلت إلى دار الإسلام. (٢) ومن هذا يتضح أن كلمة إكراه لا تنطبق مطلقاً على هؤلاء الغلمان على ترك معتقدهم بينما هم أنفسهم يتطلعون إلى تحقيق مستقبل باهر من خلال الإخلاص للسلطان، ولا يتم ذلك الأمر إلا إذا اعتنقوا معتقدات سلطانهم دون إكراه ومن تلقاء أنفسهم. كما أن السلطان أورخان الذي تناولته الفرية كان رجل مسلم متدين، بل أن أخاه علاء الدين الذي استحسن الفكرة كان رجلاً عالماً في الشريعة، فلا يعقل أن يشير على أخيه بأمر تأباه الشريعة. (٣)

أما أن الإسلام لا يبيح لغير المسلمين حمل السلاح، فتلك كلمة حق أريد بها باطل، لقد فرض الإسلام القتال على المسلمين باعتبارهم مسلمين يدينون بالولاء للإسلام، وليس من شأن الإسلام أن يفرض الجهاد على أناس لا يدينون به بل

(*) سورة آل عمران آية ١٦٩، ١٧٠.

(١) أحمد جودت: تحقيق عبد اللطيف الحميد، ص ١٩٥.

(٢) الكاساني الحنفي: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٧، الطبعة الثانية، بيروت: دار

الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ، ص ١٠٤.

(٣) زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ١٤٤، ١٥٣.

فرض الإسلام على المسلمين حماية لهم وللدفاع عن أرواح وأموال غير المسلمين الذين يعيشون في كنف المسلمين ويؤدون لهم الجزية، دون تحميل هؤلاء عناء الجهاد.

وقد أورد كامل باشا رواية تذكر أن السلطان أورخان أختار عدد من شباب الترك والبيزنطيين وألحقهم بالجيش وركز على تربيتهم وفق التعاليم الإسلامية . ثم لم يلبث أن تزايد عدد المجاهدين الذين انضموا للجيش الجديد. (١)

وكان الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام الدافع وراء انطلاق عثمان ومن بعده ابنه أورخان في جميع المعارك ضد البيزنطيين، وبالتالي هو الدافع في إنشاء الجيش الجديد.

وقد أكد على هذا القول المؤرخ التركي أحمد رفيق في كتابه "بيوك تاريخ عمومي" أن أورخان وعلاء الدين كانا متفقين على أن الهدف الرئيسي لتشكيل الجيش الجديد، هو مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين ونشر الإسلام في أراضيهم، والاستفادة من هؤلاء البيزنطيين الذين أسلموا في الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام. ولعل وجود عدد من المسلمين البيزنطيين، أمراء وعساكر في هذا الجيش هو الذي أوجد للحاقدين ثغرة يدخلون من خلالها ينفثوا سمومهم. (٢)

وهكذا يتضح لنا أن العثمانيين لم يكرهوا أحداً على اعتناق الإسلام، بل كانت الحرية الدينية مبدأ ثابت في الدولة العثمانية، وكانت أقوال المستشرقين محاولة يائسة لتشويه تاريخ الدولة العثمانية.

لقد أسلم الإنشكارية بمحض إرادتهم وحسن إسلامهم وكانوا أثناء القتال مع الأعداء يتوقفون إلى الشهادة، وذلك لأنهم اقتنعوا منذ صغرهم بمبادئ الجهاد

(١) نقلاً عن زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص ١٥٢، ١٥٤.

(٢) نقلاً عن زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص ١٥٤، ١٥٥.

الإسلامي، ولم يكرهوا عليه، لقد كانوا يتلقون العدو بصدور وقوة وعزيمة وثقة بالنصر.^(١)

أما عن إحياء العرف القديم بأن السلطان كان له الحق في انتزاع خمس الغنائم للإتفاق منها على الجيش، فهذا كلام غير صحيح من أساسه، وذلك أن أخذ خمس الغنائم وليس انتزاعها حق مشروع للحاكم في الإسلام، وهو ليس عرف قديم والدليل قوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِ السَّبِيلِ﴾^(٢) إن الآية صريحة وواضحة، وقال المفسرون أن الغنيمة تقسم خمسة أقسام، الخمس الأول يقسم خمسة أسهم الأول للرسول، والسهم الثاني لذي القربى، والثالث لليتامى، والسهم الرابع للمساكين، والسهم الخامس لابن السبيل، وباقي الغنيمة توزع على الغانمين،^(٣) وهذا يعني أن نصيب السلطان قليلاً جداً وليس بالضرورة أن يكون الخمس أطفال، فقد يكون الأموال أو المتاع أو حتى بغال أو أسلحة، مما يؤيد أن هذا الأمر فرية قد ألصقت بأورخان ومراد الأول لتشويه صورتها وتصويرها على أنها حاكمين ظالمين. وفي هذا الجزء يظهر واضحاً تناقض أقوال المستشرقين وعدم اعتمادهم على مصدر موثق، وإنما أعتمدوا على أهوائهم ونزعاتهم الشخصية وذلك لأنهم استرسلوا في الافتراء حيث قالوا أن عملية جمع الأطفال كانت تتم بصفة دورية عن طريق إرسال الوكلاء إلى كل قرية مسيحية للإطلاع على قائمة بأسماء الأطفال الذين تم تعميدهم في الكنيسة، ثم يختار الوكلاء خمس هؤلاء الأطفال، وقد قالوا في البداية أن الأطفال هم خمس الغنائم، وهذا يعني بعد انتهاء المعركة يتم جمع الغنائم في وقت الحرب فقط، فما الذي جعلها تتم بهذا الشكل

(١) أحمد جودت: تحقيق عبداللطيف الحميد، ص ١٧١، ١٧٢.

(*) سورة الأنفال آية: ٤١.

(٢) محمد علي الصابوني: مصدر سابق، ج ١، ص ٥٠٦.

المنظم وتكرر كل فترة معينة، بل تحولت إلى ضريبة غلمان تجبى كل خمسة أو ستة أعوام أو أقل، وبهذا المفهوم لا يمكن اعتبار أنها خمس الغنائم مما يدل بوضوح على أن الأمر مجرد تركيب جمل دون ترابط. ومحض افتراء.

وإذا نظرنا في ظروف الفتح الإسلامي العثماني للمدن البيزنطية، نجد أن عدداً كبيراً من الأطفال فقدوا آبائهم وأمهاتهم وأسره لموتهم في المعارك التي صاحبت الفتح، أو أثناء هروب الأسر من مدينة إلى أخرى، وهذا أمر يصاحب كل ضم، وبالتالي بقي أولئك الأطفال مشردين في الطرقات يتامى بلا مأوى أو مكان يستريحهم، فسعت الدولة العثمانية لاحتضان هؤلاء الأطفال، وتأمين مستقبل كريم لهم، ولا يتوفر هذا المستقبل إلا في ظل الإسلام. (١)

ففكرة نظام الإنشكارية في أساسها، عبارة عن مؤسسة تقوم بتربية الأطفال، وتدريبهم عسكرياً وتعليمهم الدين الإسلامي، وليس نظام قهري واستبدادي كما صوره المستشرقون وأداة للتحويل القهري للإسلام.

أما قولهم بأن المناهج التي كان يدرسها هؤلاء الغلمان وضعت خصيصاً لمحو كل أثر للنصرانية، فلا يعقل أن تستطيع أي مناهج كانت محو أثر ديانة من طفل عمره عشر سنوات أو أكثر، إن الاتجاه إلى الله فطرة في الإنسان بصرف النظر عن ديانته. والدليل على ذلك أن الإنشكاريين حسن إسلامهم وجاهدوا في سبيل الله بكل ما أوتوا من قوة، لأنهم اقتنعوا بالإسلام فلم يتلقوه كمادة مفروضة عليهم، لقد وضحت الهوية الإسلامية على جندي الإنشكارية، لدرجة أن الأتراك أطلقوا عليه اسم الجندي المحمدي، وذلك تيمناً باسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. (٢)

أما عن نسب فكرة إنشاء الإنشكارية إلى هابيل الأسود وزير أورخان، فإن

(١) زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) مرجع سابق، ص ٢٥.

هذا الاسم لم يرد ذكره في أي أحداث سياسية مهمة، سوى في هذه الفرية المغرضة، وهذا يدل على اختراع هذه الشخصية، علماً بأن وزير أورخان كان أخوه علاء الدين. إن كل ما في الأمر هو أن أورخان قرأ كتاباً ألفه نظام الملك الوزير السلجوقي "سفرنامه" ويتناول هذا الكتاب فن الحكم وخلاصة التجارب والأنظمة والدواوين. وقد ورد تفصيل للطريقة المثالية لإيجاد قوة محاربة، حيث أشار إلى اختيار عدد من الأولاد في سن مبكرة، تتولاها الدولة بال العناية والتعليم على فنون الحرب، ومن هذا الكتاب جاء تأثر أورخان، وأخذ يبحث عن مصادر جديدة للقوة المحاربة التي أراد إنشاءها، فرأى أن يستفيد من أسرى الحروب الدائرة على حدود العالم المسيحي.^(١) لا أن ينتزع الأطفال من أحضان ذويهم.

وزاد المستشرقون في افتراءهم حيث أضافوا أن جميع الأطفال ليسوا من ضريبة الغلمان، بل هناك عدد من الأولاد اشتروا بالمال من سوق النخاسة، ونسى هؤلاء إن جيش الدولة العثمانية لم يكن جيش عبيد أو مرتزقة مثل الجيوش الرومانية وغيرها، لقد كانت فكرة أورخان الأساسية هي رغبته في أن يكون جيشه من المسلمين وليس من المرتزقة، وعلى أي حال فإن أسواق النخاسة عموماً نادراً ما تحتوي على أطفال في سن العاشرة، لأن هؤلاء لا يفيدون في العمل أو حتى الحرب، لقد كانت أهم مصادر الإنشكارية الأطفال المشردين في الشوارع، ثم ما يقدمه الأسر المسيحية من أبناء حبا في تعليمهم الإسلام، وطمعاً في المستقبل اللامع الذي ينتظرهم، أما كونهم من أسرى الحرب فهو مصدر ضعيف حيث أنه في الغالب كان يتم تبادل الأسرى بموجب عقد هدنة بين الطرفين، وإذا عدنا قليلاً إلى عهد عثمان ومن بعده أورخان، فإننا سنجد أن المدن البيزنطية التي فتحها الله عليهما، كانت تفتح سلمياً دون قتال، إما سبب تقبل أهلها للإسلام أو بسبب فرار حاكمها وحاميتها، فدخلها العثمانيون المسلمون

(١) أميره مداح: مرجع سابق، ص ٣٠.

ويقيموا العدل بين أهلها، فيجد فيهم الناس مخلصاً لهم من ظلم البيزنطيين، فيسلم أكثرهم والباقي يدفع الجزية، وبعض المدن ترفض الاستسلام وتختار الحرب، فيفتحها الله على المسلمين بعد قتال. وأياً كان الأمر فقد ترك العثمانيون الحرية الدينية لأهالي البلاد المفتوحة، كما أنه كان من سياسة عثمان وأروخان عدم أخذ أسرى حرب، وإذا وجد هذا الأمر فإن عدد الأسرى يكون قليلاً، ويتعهدهم العلماء بالتربية الإسلامية، أو يتم عقد مصالحة بين الطرفين، يتم على أثرها تبادل الأسرى. ^(١) كما حدث في عهد السلطان محمد الأول عندما تمرد عليه أمراء الأناضول، وخاصة أمير أزمير ولكن السلطان حل الأزمة وتم تبادل الأسرى بعد مصالحة بين الطرفين. ^(٢) إضافة إلى أن الفتوحات والجهاد في بلاد الروملي كانت متتابعة فكان يأتي الأسرى بأعداد وفيرة إلى العاصمة. ^(٣)

إذا لم يتم تبادل الأسرى، فإن هؤلاء يبقوا في أنقره، ومن هنا جاءت فكرة الاستفادة من الأطفال الأسرى في الجيش، كما أن الأسرى يكون بينهم رجالاً ونساءً وشيوخ وأطفال، مما يوحي بأن عدد الأطفال غالباً ما يكون قليلاً أما عن مقولة أن جميع أبناء الجيش الجديد كانوا من أسرى البلاد الأوروبية المفتوحة، فإن دليل بطلانها أن الأمير علاء الدين أخو السلطان أورخان الأكبر، كان الصدر الأعظم، وهو الذي أشار على أخيه بفكرة الجيش الجديد - إلى جانب تأثر أورخان بكتاب نظام الملك السلجوقي - فقد توفي عام ٧٣٥هـ / ١٣٣٥م ولم يكن السلطان أورخان فتح أي مدن بيزنطية داخل الحدود الأوروبية بعد، إذ لم يتم فتح غاليبولي وجيمناك وغيرها من المدن والقلاع إلا في عام ٧٥٧هـ /

(١) زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص ١٣٤، ١٣٥.

(٢) كامل باشا: التاريخ السياسي للدولة العلية العثمانية منذ تأسيسها وحتى الفترة الأخيرة

للسلطان عبد الحميد، د. ط، إستانبول: مطبعة إحسان، ١٣٢٧هـ، ج ١، ص ١٣.

(٣) أحمد زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، الطبعة الأولى،

بيروت: دار صادر، ١٤١٧هـ، ج ٢، ص ١٢٠.

١٣٥٦م. ومن هنا تسقط مقولة أن الجيش الجديد كان من أبناء أسرى السبلا الأوروبية المفتوحة، لأنها لم تكن مفتوحة عند تشكيل الجيش الجديد. (١)

ومما يؤكد هذا الأمر أن تأسيس الجيش كان في عام ٧٣١هـ / ١٣٣٣م أي قبل فتح غاليبولي بفترة طويلة، وهذا يهدم أقوال المستشرقين الذين ينسبوا لأورخان أنه انتزع أطفال النصارى من المدن الأوروبية، أو أن الأسرى كانوا من أبناء الأسر الأوروبية.

إن جميع المستشرقين تقريباً اتفقوا على جوهر هذه الفرية، ولكن كل مستشرق أضاف قصة جديدة من خياله، ومن الأفضل تفنيد آراء كل مستشرق بمفرده.

وقبل كل ذلك لابد أن نسأل، من أين استقى هؤلاء المستشرقين روايتهم؟ فلم يذكروا مصدرهم أو حتى الوثائق المخطوطات التي اعتمدوا عليها، كما لم يوضحوا في بعض الأحيان المكان والزمان وحتى اسم السلطان، أليس هذا من مقتضيات البحث العلمي، رواية كهذه تحمل تهمة خطيرة لشعب بأسره بل لأمة بل للإسلام الذي كان العثمانيون يمثلونه آنذاك، أن يورد المؤرخون مصدرها لقد افقدت هذه الفرية أول دليل بطلانها، لأنها لم توثق علمياً، وافقدت للتوثيق التاريخي، وأفقدت المستشرقون أول سمة للمؤرخ وهي الأمانة العلمية.

كارل بروكلمان كان بطل تشويه الإنشكارية، بشكل كبير حيث أرجع سبب انتشار جيش الإنشكارية إلى عدم تعود الأتراك على الخدمة النظامية، وكأنه يقول أن المسلمين عموماً قوم لا يحبون الأنظمة التي تقيدهم وتضبطهم، ثم أن الجيش غير المنظم هنا الذي تحدث عنه قد حقق انتصارات بهرت الروم أنفسهم وزلزلت عروشهم، إذاً فما الداعي لهؤلاء المتطوعة أن يتخلوا عن الاستمرار في القتال؟

(١) زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص ١٣٧.

وإذا كانت القضية هي التنظيم فلماذا لم تستطع جنود النصارى المنظمة صد هذه الجيوش غير المنتظمة بل والانتصار عليها ؟ ! ولماذا يتخلى هؤلاء المتطوعة عن الاستمرار في القتال وقد حققوا نجاحاً باهراً في فترة وجيزة ؟

وكل ما في الأمر أن السلطان أورخان أثارت مخاوفه مطالبهم بقرّر إنشاء جيش من المشاة، ليسهل فتح القلاع والحصون في الوقت نفسه لم يستغن عن الإقطاعيين، فهم ليسوا جيش إقطاعي بالمعنى الذي قصده بروكلمان، وإنما نالوا الأراضي الزراعية مكافأة لهم عن انتصاراتهم التي حققوها، وفي وقت السلم يعملوا بالأراضي الزراعية.

ومن معرض حديث بروكلمان جاء أن السلطان أورخان أراد أن يستعيز عن فرقة الأتراك بفرقة من النصارى الذين كانوا يأفون هذا النوع من الخدمة العسكرية^(١). وكان لسان حاله يقول أن المسلمين عامة والعثمانيين خاصة، لم يألفوا الأنظمة العسكرية، وهذا مخالف تماماً للأحداث التاريخية، فالجيش الذي كونه عثمان ثم أرطغرل قد زلزل عروش طغاة الروم. كما أنه لماذا يشك السلطان أورخان في كفاءة وشجاعة جنوده الذين كانوا يهرعون إلى ميادين القتال طلباً للنصر أو الشهادة، ويستبدلهم بأبناء النصارى الذين ليس بينهم وبين الإسلام صلة، ولا يدركون معاني الجهاد، ثم ينتظرهم أعوام حتى يتعلموا الإسلام ويقتنعوا بمبادئه ويستحوذ حب الجهاد على أفئدتهم مثل المحاربين الأوائل.

كما أنه لو فكر بروكلمان قليلاً وخلع عن عينيه غشاوة الحقد على الإسلام والمسلمين، لأكتشف أنه لم يبرع أحداً في ذلك النوع من الخدمة العسكرية، مثلما برع المسلمون العثمانيون، وتاريخهم خير دليل، وقد أكد كارل بنفسه ذلك في موضع آخر من كتابه حيث قال "الواقع أن الأتراك اشتهروا، منذ خروجهم من

البوادي، بأنهم فرسان بارعون وجريئون إلى حد التهور " (١)

ويبدو تناقض أقوال بروكلمان بشكل أكثر، عندما يقول أن الدولة تنتزع الأطفال من أحضان ذويهم، لتضمهم إلى الجيش الجديد، بينما يؤكد أن هؤلاء الغلمان، كانوا يطمحون في أن يلتحقوا بجيش السلطان ليحققوا مستقبلاً باهراً لهم فكيف يجتمع الضدان في وقت واحد ؟ ومما يدل على عدم صدق هذه المعلومة، أنه ورد في كتب العديد من المؤرخين النصارى الإشارة بأن الآباء البيزنطيين الذين نور الإسلام قلوبهم، كانوا يتشوقون إلى تقديم أبنائهم طواغية للسلطان العثماني ليربيهم تربية إسلامية ويلحقهم بالجيش.

وعلى طول حديث بروكلمان يتضح لنا مدى التخط والتناقض في معلوماته، فتارة يصور العثمانيين المسلمين في غاية القسوة والوحشية أثناء جمع الأطفال، ثم في غاية الإنسانية والرحمة في التربية، ثم يعود فيهدم الكلام السابق عندما يصور أن ضريبة الغلمان لم تلق أي اعتراض لدى الآباء، بسبب المستقبل الباهر الذي ينتظر الأبناء نتيجة انضمامهم إلى الجيش الجديد، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يدفع الأثرياء رشاً للحيلولة ما بين أبنائهم وبين المستقبل الباهر الذي ينتظرهم لدرجة أن أبناء المسلمين ينظرون إليهم بعين الحسد ؟ ثم أي خمسة أصناف التي تحدث عنها ؟ فهو لم يذكر أي من شروطها أو حدودها، ولم يأت على ذكرها بعد ذلك، وهذا يدل على أنها من خياله. لقد ناقض بروكلمان نفسه، ففي البداية صور الغلمان بصورة المظلومين، ثم راح يجعلهم في موضع المحسودين، وهذا يعني أنهم في نعمة كبيرة.

كما أنه من الثابت تاريخياً أن الأسر المسيحية أصبحت تقدم أبنائها للانضمام في صفوف الإنشكارية لما ينطوي عليه الأمر من فائدة وخيراً عظيماً لهم. (٢)

(١) كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص ٤١٣.

(٢) أميرة مداح: مرجع سابق، ص ٢٠، محمد السيد: مرجع سابق، ص ٢٠٠.

وقد تمادى بروكلمان في غيه إذ زعم أن لهذه الضريبة مواعيد وأعمار معينة، وسليمي البنية، فهل من المعقول سكوت الأهالي وعدم الدفاع عن أبناءهم، أو القيام بثورة على هذا الظلم، لقد ذكروا أن الآباء الأغنياء كانوا يدفعوا الرشاوي ثمناً لحرية أبنائهم، والفقراء ماذا سيفعلون، فهم لا يمتلكون المال، وبالتأكيد لن يرضخوا وسيقوموا بحركة تمرد ولكنه لم يذكر شيء من هذا القبيل ولم يأت بدليل قاطع على أقواله.

برنارد لويس ذكر معلومات مختلفة، لقد أقر أن المجاهدين الأوائل كانوا من الأتراك أنفسهم ولقرون عديدة كانوا مهيمنون في الفتوحات، ثم انضم للجيش المسيحيين اليونان الذين أسلموا وصاروا مجاهدين بارزين، حسب قوله، إذا فما الداعي لاستخدام أبناء النصارى وخطفهم من أسرهم ليعملوا في الجيش العثماني؟ ليس هناك سبب عقلي يحتاج دولة قوية بإمكاناتها الذاتية لأن تجلب أعدائها لتستخدمهم في محاربة أعداءهم والذين غالباً ما يكونوا على دين هؤلاء الأبناء المختطفين المكرهين، بل كيف يعقل أن يطمئن العثمانيون إلى إخلاص وتضحية هؤلاء الجند؟ إن من بديهيات الأمور أن ينقلب هؤلاء الشباب على العثمانيين في أول فرصة سانحة ولكن شيئاً من هذا لم يحدث. ثم من هم هؤلاء المسيحيين اليونانيين الذين أسلموا وصاروا مجاهدين لماذا لم يذكر مصدر معلوماته، كما لم يأت ذكرها في أي مصدر آخر.

لقد كثر حديث المستشرقين ومن ضمنهم لويس عن المعاملة الحسنة التي يلقاها الأطفال في الدوشرمة، من رعاية واهتمام إلى جانب تعليمهم مبادئ الإسلام واللغة بالإضافة إلى التدريبات العسكرية. وما دام الأمر كذلك، فمن هؤلاء الذين يعملون خدماً في القصر أو في رعاية جنود السباهية هل هي هذه المعاملة الحسنة في نظرهم، أم يدل هذا على أنهم يقولون أي شيء وفي أي وقت.

وفي معرض حديثه يشكك في شرعية نظام الإنشكارية من ناحية الاسم ثم

يؤكد أن هذا النظام صار مقبولا على القرى المسيحية، كيف مقبول وهو أصلاً يقوم على اختطاف أبنائهم من أحضانهم وغير شرعي بأي منطق يتكلم برنارد، كما أنه مقبول من الأهالي أم الدولة ؟

ثم يذكر أن السلطان لم يقدم على هذه الخطوة إلا بتوجيه من الفقهاء استناداً على ما جاء في الشريعة الإسلامية، وفي بدعة من عمل الفقهاء، فكيف يستند السلطان على بدعة ليس لها أصل في الشريعة الإسلامية.

وفي نهاية الأمر يسند لنا الرواية عن مؤرخ تركي مجهول لديه، يزعم فيها أن عالم مسلم اسمه قره رستم لفت نظر السلطان إلى أخذ خمس الغنائم والأسرى، وكأن السلطان لا يعلم أمور دينه، والواقع أن برنارد هو من لا يعرف تعاليم الدين الإسلامي إذ قال أن هذه بدعة من عمل الفقهاء، وهنا يبدو الأمر في غاية الغرابة. فكيف يقوم الباحث الأكاديمي مثله نقل رواية عن مجهول، ثم لا يكلف نفسه عناء البحث عن أصل هذه البدعة حسب قوله في الشريعة الإسلامية ؟ لكن روح التعصب والحقد والكره للإسلام غلبت على أمانته العلمية والتحري والدقة.

أما فيشر فقد أرجع الفضل في قيام الدولة العثمانية ليس إلى إسلامية الدولة، وإنما لأن بعض الصدور العظام وبعض كبار رجال الدولة كانوا من أمهات نصارى، ولكن هؤلاء إن وجدوا فقد كانوا مسلمين بصرف النظر عن أصلهم " لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ".

إن دخول العثمانيين في الإسلام على المذهب السني وجهادهم ضد البيزنطيين جعل من دولتهم نصيرة للإسلام، وقد شاء الله تعالى أن تأتي هذه الدولة وتصبح ذات شأن كبير وقوة عظيمة لأن العالم الإسلامي في ذلك الزمن الغابر كان يتطلع إلى وجود دولة إسلامية قوية تجمع شملهم وتؤلف قلوبهم. ولذلك فلاشك أن الإسلام كان له دور فاعل في توجه الدولة العثمانية وبناء مؤسساتها العسكرية،

ولذلك لا نستغرب أن يقوم السلطان أورخان بتأسيس جيش الإنشكارية ليصبح الأداة الفاعلة في انتصارات الدولة.

أما المستشرق الفرنسي جيبون فقد ركز على إكراه العثمانيين لنصارى البلقان على اعتناق الإسلام بعد فشل إغرائهم بالعق من حياة الرق، فلماذا يرفض نصارى البلقان عرض السلطان مراد الأول بالإسلام ولو ظاهرياً - مقابل التحرر من الرق، ثم إذا رفضوا سيكرههم مراد على الإسلام وسيقبلوه على أن لا يأخذ مراد الأول أولادهم ويحملهم المعاناة النفسية تلك التي تغنوا بها. إن المنطق يقول أن نصارى البلقان كان بإمكانهم التظاهر بالإسلام إذ لا يكلفهم ذلك الكثير أما أن يرفضوا التظاهر لأي سبب كان، ثم يرضخون تحت التهديد بانتزاع أطفالهم فيسلموا، فإن أقل ما يقال حينذاك أنهم دخلوا في الإسلام نفاقاً أو تظاهراً، إذا فلماذا عرضوا أنفسهم لكل هذا العذاب النفسي طالما أنهم سيسلمون في النهاية ؟

كما يتضح التناقض في حديثه بعد ذلك، إذ يقول أن الإنشكارية كانت قدوة حسنة في الالتزام بتعاليم الإسلام وترك الأهالي في حرية دينية، يناقض أقواله، ففي البداية يتحدث عن إكراه النصارى وأبنائهم على اعتناق الإسلام، ثم يعود فيقول أنهم نشروا الإسلام في أوروبا، كيف يعقل أن ينشر إنسان مبادئ مكره على اعتناقها.

وقد ذكر لإثبات هذا الأمر أن الإنشكارية عبارة عن تداخل المبادئ الغزوية والإسلامية القديمة ويقصد بالغزوية الغزو وأخذ الأسرى والتوسع العسكري، أما التقليد الإسلامي فهو التسامح الديني وأخذ الجزية، إذ كان يبيري أطلق على توسعات وفتوحات الدولة العثمانية غزو، فهو يعود إلى قصور معلوماته عن الإسلام، وعن الدولة العثمانية، إن فتوحات الدولة العثمانية كانت لنشر الإسلام ورفع راية الجهاد معتمدة على القوة العسكرية، والأسرى في أغلب الأحيان كانوا يدخلون في الإسلام، وأكثرهم يحسن إسلامهم.

أما وجهة نظر بول كولنز فقد ربط نظام الرق بنظام الدوشرمة^(١)، ونسى أن الفرق بينهما كبير، فنظام الرق في الإسلام ليس له هذا المسمى، وإنما هم أسرى الحروب والفتوحات وكان الأسير إذا قدم الفدية سواءً مالية أو عينية يتم فك أسرهِ، كما أنه لم يقر الإسلام والدولة العثمانية خطف الأحرار وبيعهم على أنهم عبيد، وإذا حملت الجارية فإن وليدها يعتقها، هذا هو نظام العبيد والجواري في الإسلام، وقد تقول بول كولنز على الإسلام وعلى العثمانيين أنهم يأخذون ضريبة الرأس - لفظ جديد - من الأهالي طالما أنهم ليسوا مسلمين، وقد نسي أن المسيحي إذا دفع الجزية ليس من حق أي حاكم أخذ أطفاله، ثم من أين أحضر معطومة أن الأسرى كانوا يعملون في القصور؟ ألم يربط هو في البداية الرق بنظام الدوشرمة! وأطفال الدوشرمة لم يعملوا خدماً في القصور، لأن الخدم غالباً من الرجال الكبار وليس من الأطفال الصغار، أما أن الدولة العثمانية وضعت سياسة لجمع ضريبة الغلمان لتلبية احتياجات القصور، فكم سيستغرق هؤلاء الغلمان من الوقت حتى يصبحوا قادرين على الخدمة في القصور؟ وهنا يتضح عدم ثبات معلوماته ودقتها فهل الغلمان الذين يجمعوا كانوا يغطون هذه الحاجة مع الأخذ في الاعتبار استغراق حوالي عشرة أو خمسة عشر عاماً حتى يكبر هؤلاء الغلمان، والتناقض واضح في حديثه، فهل كان الغلمان للخدمة في القصور أو الإنشكارية. ثم يعود فيناقض نفسه عندما يؤكد أن هذه الضريبة لم تلق الامتعاظ من الأسر مقارنة بالبؤس والحرمان الذي يعيشه الأطفال في قراهم بعدما تحدث عن الحملات الشرسة لجمع الغلمان.

أما روبرت مانتيران فقد أفرد جزءاً كبيراً في كتابه عن تنظيمات الإنشكارية والدوشرمة، ولا شك أن معلوماته كانت صحيحة، لكن هذا لا يمنع من وجود بعض الدس والإفتراء، حيث جعل الإنشكارية ترتكز أساساً على أسرى الحروب،

ونسى أن الإنكشارية كان لها شريان آخر يغذيها وهم الأطفال الأيتام المشردين في الشوارع، كما أنه ذكر أسرى الحروب والذين جمعوا بصورة أكثر تحدياً من العشر أي عشر فهل هو عشر أم خمس العائد للسلطان، وهذا يعني أن جميع الأسرى كانوا غلمان، يأخذهم السلطان دون أن يترك إلا جزء من الغنائم للجند، فهل هذا منطق يتحدث به، كما ذكر أنهم كانوا يشتروا من أسواق النخاسة، ولم يذكر مصدره في هذه المعلومة، ثم قال أن أقل عدد يأتي من الدوشرمة، والدوشرمة في أساسها هي من يغذي الإنكشارية بجميع جنوده، وزاد في إفترائه أن أطفال المسلمين خضعوا لهذه الضريبة، وهم لم يخضعوا قسراً وإنما أحب المسلمين تقديم أبناءهم للإنكشارية لما ينتظرهم من مستقبل باهر كما ذكر سابقاً. وما معنى أن يستثنى أهل البوسنة والهرسك الذين اعتنقوا الإسلام من الضريبة، كما جاءت أقواله متناقضة جداً مثل باقي المستشرقين حول حياتهم والمعاملة الحسنة والمستقبل اللامع الذي ينتظرهم وبين أن الضريبة صارت رمزاً للسيطرة العثمانية في التراث الشعبي. وأكد ذلك بقوله وجود شهادات توضح تذبذب هذه الظاهرة، وطبق عليهم نظرية أنهم عبيد على الرغم من عدم إيراد دليل على صدق أقواله.

كما أعترف هو بنفسه بكفاءة هذه الفرقة، حيث أورد أن المراقبين الغربيين والذين هم من كال الاتهامات للإنكشارية، أوضحوا أن هذا الجيش تميز باتضباط صارم وقدرة على الانتشار بسرعة ونظام دون إحداث جلبة، كما عاشوا في نقشف، ونظافة تامة للمخيمات، في الوقت الذي كانت فيه الجيوش الأوروبية متعطسة، مشاغبة، مدمنة على الخمر، ومستسلمة للأقدار، ومثقلة بمؤن غير مناسبة. (١)

وهذا يدل على اقتناع الإنكشارية بعقيدتهم الإسلامية، ويدل على أن

الأوروبيين كانوا يدركوا مدى افتراءهم على الإنكشارية.

أما هاملتون جب الذي كرر الفرية مضيئاً هجوماً على المحاربين الأوائل الذي شبههم بقطاع الطرق والعصابات، هؤلاء هم من قاد الفتوحات الأولى وأدخل الرعب في قلوب البيزنطيين، فهؤلاء أول من فتح المدن في الأراضي البيزنطية وعملوا على استقرار الدولة العثمانية لأول مرة في شرق أوروبا، فكيف يريد السلطان أورخان التخلص منهم وهم من قادة الفتوحات، وإنما أراد الاستفادة من الأطفال المشردين في إنشاء جيش، لأنه إذا استمر القتال بهذه الفئة، ستفنى بعد قليل.

وقد أتهم نظام الإنكشارية بأنه مخالف للشرع الإسلامي، فهل هو يعرف الشرع أكثر من شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية ؟ ثم ما هو دليله على صدق أقواله ؟

أما خليل إينالجيك فقد أتهم المسلمين بالتعصب لأقاربهم، والذين سيطهروا الرعية إذا صار أبنائهم من الإنكشارية، وهذا تلميح خطير إلى سوء أخلاق المسلمين، أما في نظرة أن المسيحيين إذا اعتنقوا الإسلام صاروا غيورين عليها، ويصبحون أعداء لأقاربهم، هذا طبيعي لأنهم مخالفين لهم في العقيدة، أما مسألة الغيرة فهي موجودة في قلب كل مسلم سواء كان مسلم بالولادة أو اعتنقها في إحدى مراحل حياته، فالإسلام دين أخلاق ومثل يهذب أخلاق المسلم، كما أن الغيرة تولد في قلب المؤمن منذ لحظة اعتناقه للإسلام، وقد اعتمد خليل إينالجيك في أقواله على مصدر عثماني لم يذكر اسمه أبداً، فكيف يصدق الباحث روايته، كما أنه بهذا التلميح يريد بذور التفرقة ما بين أبناء النصارى وأبناء المسلمين. ويوضح أن أبناء النصارى في الإنكشارية كانوا الأفضل والأحسن لأن الإنكشارية هي الفرقة التي نسبت إليها أعظم فتوحات الدولة العثمانية. واستند إلى وثائق لم يلحقها بكتابه أو يذكر حتى من أين حصل عليها في مواعيد جمع

الغلمان، وهذا يعني أن مصادره مجهولة.

أما المؤلف الإنجليزي المجهول الذي ألف كتاب تاريخ الأتراك العثمانيين. فقد شبه الجيش العثماني بالفرق الرومانية والتي تعتمد على المرتزقة، وأخذ أسرى الحرب وبيعهم، ونحن نتساءل ماذا يقصد بالجيش هل هم الإنشكارية أم الفرق الأخرى؟ كما أن الجيش يأخذ الأسرى وبيعهم أو يكون منهم جيش، وحديثه غير مفهوم ولا يمت للواقع بصلة، كما أنه جزم بإعفاء الأسرى من الفدية إذا تم عقد معاهدة بين الدولتين، كان هذا في الغالب ما يحدث، فكيف تجمع عدد كبير من الأسرى مما دعى إلى وضعهم في الدوشرمة؟!

هذا عن آراء المستشرقين المسيحيين، وليس بمستغرب عليهم مثل هذا التشويه والافتراء أما المؤرخين المسلمين فإنه من المحزن والمؤسف تناقلهم هذه الافتراءات دون محاولة تنقيتها أو معرفة مدى صحتها.

لقد اعترف البعض بهذه الضريبة وجزموا بها بل وأطلقوا عليها أسماء جديدة مثل ضريبة الدم، أو أعترفوا بنظام البدل أي دفع مال مقابل الإعفاء من الضريبة.

فبعد الوهاب بكر أطلق على الإنشكارية جهاز تفریح القوى البشرية الذي يزود الجيش بالرجال منذ عهد أورخان، إنه تعبير جارح جداً لفرقة حملت راية الجهاد وسقت الأراضي المفتوحة بدمائها، إنهم بشر آمنوا بالإسلام ومبادئ الجهاد وليسوا لدواجن تسعى في الأرض دون هدف.

عبد السلام عبد العزيز فهمي جاء بقضية جديدة، وهي المقاييس التي يتم بناءً عليها اختيار الغلمان، من جمال الوجوه وقوة الأجسام وبراعة العقول، على الرغم من أن هذا كله لا يظهر وهم أطفال، لأن الجمال يظهر مع أولى سنوات الشباب وقوة الأجسام لا تكون في سن الطفولة، وإذا كانوا يجمعوا الأطفال من أسرهم المسيحية ويرحلوا إلى العاصمة، فمتى يكشف المندوب براعة عقولهم

وتفكيرهم ؟

وهذا يقودنا إلى ما أورده أحمد عبدالرحيم مصطفى أن العثمانيين اختاروا أذكى أبناء المسيحيين وأخذوهم، إذ كيف يعرف المندوب الذي يجمع الأطفال مدى ذكائهم فهو يجمعهم عشوائياً دون إخضاعهم لاختبارات ذكاء أو ما شابه.

أما إسماعيل ياغي فقد ظهر التناقض واضح في حديثه وعدم ثبات معلوماته، كما أنه جزم بضريبة الرأس، والتي كان على المسيحيين أن يدفعوها في مقابل حماية الدولة العثمانية لهم والإعفاء من الخدمة العسكرية والغريب في الأمر أن كلمة ضريبة الرأس هي اختراع من وحي خيال المستشرقين وليس لها مصدر عثماني موثق.

كما أن الشناوي جزم بصحة الفرية، ولم ينتقدها بل تخبطت معلوماته ما بين رفض الأسر المسيحية لهذه الضريبة، وما بين ترحيبهم بها، مثل باقي المستشرقين، وهذه النقطة بالذات تكشف عدم صدق إدعاتهم على الإنشكارية، بل أن الشناوي اتهم الأسر المسلمة بأنها كانت تتسابق لتقديم أبنائها للإنشكارية، وإن صح هذا الأمر فهذا يعني أن أغلب الأطفال كانوا مسلمين أصلاً، فلا يوجد إكراه على الدين الإسلامي. كما أوضح أن الأسر المسيحية تلجأ للخديعة إذ تزوج أولادها بعد بلوغ سن العاشرة مباشرة، لأن القانون يمنع المتزوجين من الانضمام لصفوف الدوشرمة. أو تقديم رشوة لمندوب (*) الدولة العثمانية حتى يترك أبناء الأسر الميسورة الحال، أليس هذا تناقض في أقواله !

كما يضيف الشناوي أن أبناء اليهود دخل أبنائهم ضمن ضريبة الغلمان على

(*) وقد وجد هؤلاء المندوبين في هذه الرشوات وسيلة للثراء السريع بطرق غير مشروعة،

ويحقق مصالح متبادلة بين المندوب والأسرة المسيحية. عبد العزيز الشناوي: مرجع

أنهم مسيحيون. ^(١) على الرغم من أنه ذكر في موضع آخر إعفاء اليهود والأرمن والكاثوليك وبعض المناطق كإستنبول وهي العاصمة وأثينا وجزيرة رودوس. ^(٢) لقد أكد الشناوي أن أبناء اليهود دخلوا في هذه الضريبة ثم يعود فيناقض نفسه، حيث نصطدم مع إعفاء الدولة العثمانية لليهود الأرمن والكاثوليك من هذه الضريبة، إذ أن جل سكان أوروبا الشرقية ومسرح العمليات العسكرية العثمانية هم من هذه الطوائف وأن الكاثوليك بالذات يشكلون النسبة العظمى من سكان أوروبا الشرقية بمعنى آخر، من بقي من شعوب الروم إيلي ليكره على الإسلام؟

أما ساطع الحصري زعم أن الإغارة على أوروبا كانت بقصد جلب الرقيق ويسمى هذا ابتكاراً تماماً مثل ما فعل برنارد لويس مع الخمس أو الفيء برغم اختلاف الأجناس إلا أن الذي جمعهم هو العداء السافر للإسلام وأهله، فهو يسمى الجهاد إغارة، القصد منها مادي بحت وليس للدين فيه نصيب بينما نجد السلطان عثمان باشر بإرسال الرسل إلى أمراء الروم يدعوهم فيها إلى الإسلام أو الجزية أو القتال.

أما الدكتور الغرابية نقل لنا هذه الفرية بأسلوب جرح وكأنه أمر لا يمكن الشك فيه، لكننا نجد في موضع آخر من كتابه يوضح أن إمارة عثمان كانت المتنفس الوحيد للحماس الديني في الإسلام، وقد اجتذبت لها أعداداً من المسيحيين لنصرة الإسلام الراغبين في الجهاد في سبيل الله، تحت راية الدولة العثمانية، ومن حقنا هنا أن نتساءل ما حاجة السلطان أورخان ومن ثم مراد إلى بضع مئات من الغلمان النصارى الذين يتطلب إعدادهم للجندية سنوات طويلة، بينما تنهمر على الدولة العثمانية من كل حذب وصوب جموع المسلمين لنصرة الدين والجهاد في سبيل الله ؟ وهذا ما أكدته الدكتور الغرابية في كتابه، إذاً قال

(١) عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٨٤، ٤٨٥.

(٢) مرجع سابق، ج ١، ص ٤٧٧.

هذه الكلمة ورد على نفسه في نفس الكتاب، وهذا يدل على تلفيق الحقيقة وعدم صدق إدعائه. ومع هذا فقد أقر بأنه لم يقم أحد السلاطين بإكراه الأطفال النصارى على اعتناق الإسلام، لأن أغلبية الأطفال الذين كانوا يربون تربية إسلامية لم يكونوا نصارى وإنما كانوا أبناء مسيحيين أنخلعوا عن النصرانية، واعتنقوا الإسلام وصاروا يقدمون أبناءهم طوعية ليستكملوا تربيتهم الإسلامية، أما باقي الأطفال فهم المشردين والأيتام من جراء الحروب.

أما ما أورده محمد الأرناؤوط عن الإنشكارية من واقع الوثائق فعلم يشكر عليه، ولكن إذا فصلت الباحثة أولاً المعلومات التي وردت في صفحات الكتاب، يلاحظ أنه أعتمد على كتابات الرحالة الأوروبيين، وهؤلاء لا يوثق في كتاباتهم بسبب عدم فهمهم لخلفية المنطقة الدينية والاجتماعية، إضافة إلى وجود فكرة مسبقة في أذهانهم يعملون بشتى الوسائل لإثباتها حتى ولو اختلقوا الأكاذيب لتحقيق مآربهم، وبالتالي تأتي معلوماتهم ناقصة ومغلوبة في أغلب الأحيان.

لقد أورد الأرناؤوط أن الخيالة السريعة مهمتها كانت إثارة الفزع، على الرغم من أن الخيالة السريعة هي الفرقة التي تنطلق بسرعة للتمهيد لأي معركة أو فتح قلعة، فهي لا تنطلق بين القرى لأخذ الأطفال كما أن هذه المعلومة لم يرد ذكرها في الوثائق التي أعتمد عليها.

ثم أورد معلومة ألصقت بها تهمة الدوشرمة في السلطان مراد الثاني وأنه هو الذي انتزع أبناء المسيحيين من أسرهم والسلطان مراد الثاني كما هو معروف اشتهر بنشاطه العسكري وحكته السياسية واستقامته، إضافة إلى أن عهده تميز بكثرة الفتوحات العثمانية وبالتالي تدفق الأسرى عليه من جميع الجهات، فما حاجته لإنتزاع الأبناء من أسرهم، إضافة إلى أن بلاد اليونان والبلغار والتي زعم الأرناؤوط أن الشبان كانوا يجمعوا منها لم يكن الحكم العثماني قد استقر فيها بعد.

كما أورد في كتابه أيضاً أن الأطفال الدوشرمة مختلفين عن أطفال الخمس، حيث أوضح أن هذين القاتونيين عملاً جنباً إلى جنب في فترة محدودة، إذ أنهم في النهاية هم الأطفال الأيتام وأسرى الحروب.

وأورد الأرناؤوط في موضع آخر من كتابه أنه في عهد السلطان محمد الفاتح أرسل شعب البوسنة المسلم عريضة للسلطان يطلبون فيها إنضمام أبنائهم للدوشرمة، فإذا كان الحال بأولاد المسلمين هكذا فالأولى بأولاد المسيحيين أن يتسابقوا على دخول الدوشرمة. ^(١)

أما بالنسبة لأعمار الأولاد فقد ناقض نفسه إذ قال أن الدولة العثمانية كانت بحاجة إلى قوات عسكرية، لذلك لم يكن بوسعها انتظار عشرة أو خمسة عشر سنة إلى أن يكبر هؤلاء الأولاد، فاكثفت الدولة بأخذ الشباب ممن بلغوا الثامنة عشر سنة وأكثر، وإخضاعهم لدورة تدريب عسكرية سريعة، وهذا في مفهومه العام تجنيد كما يحدث في الوقت الحالي وليس ضربية مطلقاً. لأن هؤلاء دائماً على صلة أوثق بأسرهم وقراهم ولا يمكن تغيير دينهم، وبالتالي لابد أن يكونوا مسلمين ^(٢).

أما عن مقاومة الأهالي لهذه الضريبة، فإن المقاومة جاءت من منطلق مقاومة التجنيد الإجباري، كما أن هجوم الأهالي المسلح على القافلة أثناء سيرها، يرجع إلى رفض أهالي القرى مبيت القافلة عندهم نظراً للعبء الاقتصادي الذي يتسبب به مبيت هذه القافلة من تدبير طعام وشراب ومكان للمبيت لأكثر من منتي شخص. ولكي نقتنع بمقاومة الأهالي لهذه الضريبة أعتمد على قصص ملفقة من رحالة مغرضين مثل قصة الأم التي تخاف على أطفالها الاثنين من ضربية الغلمان وهي أرملة، وهذان الطفلان بالتالي أيتام، وقد قرر الأتراك أخذهم على حد قوله

(١) محمد الأرناؤوط: مرجع سابق، ص ٣٨.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول: رقم الوثيقة، H.H ٨٢٦٥.

على الرغم أنه أكد في موضع آخر من كتابه أن الأيتام معفيون من هذه الضريبة لأنهم طماعين وغير مؤدبين وبهذا يتضح التناقض الواضح في الروايات التي استند عليها. (١)

كما أن العقوبات الصارمة التي أوردتها الأرنأووط تسري على من يرفض تسليم ابنه للتجنيد وليس للضريبة، فكلمة الضريبة أطلقها المستشرقون حتى يشعروا القارئ بأن العثمانيين قساة ينتزعون الأطفال. كما أن هذه العقوبات كانت تسري على أصحاب الإقطاعات والتيمارات والزعامات ومتولي الأوقاف، لأنهم يرفضون تسليم الشبان، الذين يشكلون أيدي عاملة ممتازة عندهم.

وأخيراً أكد الأرنأووط أن مقاومة الدوشرمة لم تستمر طويلاً إذ ظهرت في بدايتها، ثم تلاشت بعد أن أتضح المستقبل الزاهر والمناصب العليا التي تنتظر هؤلاء، فأخذ الآباء يقدمون أبناءهم طواعية وبرغبة شديدة للخدمة في الإنشكارية حتى أن بعض المصادر اعتبرته تكريم ومحابة لأهل الغلام. (٢)

انتهى العمل بنظام جمع الأبناء والشباب للإخراط في سلك الإنشكارية تقريباً عام ١٠٤٧ هـ / ١٦٣٨ م، في عهد السلطان مراد الرابع.

من فحص وتدقيق الوثائق (٣) التي وردت في ثنايا كتاب الأرنأووط يتضح ما

يلي:

(١) الوثائق تركزت في الفترة ما بين ١٥٦٥ م - ١٦٤٧ م. أي منذ آخر سنة في عهد سليمان القانوني وحتى عهد السلطان إبراهيم الأول. ومن المعروف أنه تخلل في هذه الفترة الضعف والوهن في كيان الدولة العثمانية، وخلال

(١) محمد الأرنأووط: المرجع سابق، ص ٤٣-٥٠.

(٢) مرجع سابق، ص ٥٩.

(٣) الوثائق محفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، ونسخ أخرى منها محفوظة في

معهد التاريخ القومي في سكوبيه.

القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي عمت الإضطرابات والفوضى والاختلالات السياسية في جميع أرجاء الدولة العثمانية، فإذا جزمنا مؤقتاً بوجود هذه الضريبة استناداً للوثائق المرفقة، فإنها لا تشمل كل فترة حكم الدولة العثمانية في المنطقة المعنية. بل مورست هذه الضريبة في فترة محددة جداً. كما أن إختلال الموازين في الدولة العثمانية في تلك الفترة أدى إلى حجب كثير من الحقائق عن السلطان المثقل بالمشاكل الداخلية والخارجية، وبالتالي من الممكن أن تتم أعمال من عماله وبطانتِه السيئة دون معرفة السلطان وذلك لأنه أختارهم ووثق فيهم. ولم تذكر وثيقة واحدة أخذ الأبناء بالقوة من بيوت أسرهم. وإنما يرد في الوثيقة جمع " أولاد العجم " وإرسالهم إلى إستانبول وبالتالي من الممكن أن يكون قصد السلطان في الفرمان أو الأمر السلطاني، الأطفال المشردين أو الذين فقدوا أسرهم في ظروف الفتح أو أي ظرف آخر.

(٢) وإذا جاء في إحدى الوثائق مقاومة أهالي القرى ومهاجمتهم لقافلة "أولاد العجم " أو الدوشرمة أثناء طريقها لأستانبول، وهذا لا يعني أن هجومهم للقافلة بسبب الضريبة، ولكن من الجائز أن يكون الهجوم لأسباب اقتصادية إذ أن هذه القافلة عندما تبيت في القرية، يتحمل أهالي القرية عناء مبيت هذه القافلة وتدبير مأكّل أكثر من مئتي شخص، مما يُمثل عبئاً اقتصادياً على أهالي القرية الفقراء، وهذا ما أكدّه الأرنأووط في كتابه، إذ أوضح أن كثيراً من القرى كانت ترفض بقوة السلاح مبيت هذه القافلة في أرضها. كما جاء في الوثيقة الثانية. (١)

(٣) تظهر حقيقة واضحة وبجلاء وهي أن الأولاد الذين يتم جمعهم يعملوا في البساتين السلطانية، وهذا يعني أنهم في الأغلب أكبر من أربعة عشر عاماً

مما يعطي دلالة واضحة أن هؤلاء الشبان يُمكنهم مقاومة جامعي الدوشرمة بسهولة، كما لا يمكن تغيير دينهم في هذا العمر، أو قطع صلاتهم بأسرهم، كما جاء في الوثيقة الثالثة، أن السلطان أرسل أمر بجلب كبار أولاد العجم، وليس الأطفال الصغار.

(٤) في الوثيقة السادسة ورد ذكر أخذ الابن من أبيه الذي يتراوح عمره من خمسة عشر عاماً إلى عشرين عام، مما يوضح تماماً أن هذه الضريبة التي تغنى بها المستشرقين ورددها المؤرخون العرب، وألصقوها كتهمة بشعة في الدولة العثمانية ما هي إلا تجنيد إجباري لشباب القرى والمدن التابعة لحكم الدولة العثمانية، والتجنيد الإجباري موجود في الوقت الحديث بشكل كبير، كما أن كثيراً من الدول الإسلامية مارسته. وبالتالي لا يعتبر التجنيد تهمة، وإنما مجرد إجراء روتيني للشباب، وذلك حتى يكونوا متهيأين لدخول أي حرب وهذا ما كانت تقوم به الدولة العثمانية تحت ما أسموه بضريبة الغلمان أو الدوشرمة.

(٥) ورد في الوثيقة التاسعة المؤرخة بـ ١٦٣٨م - ١٦٣٩م أن جمع الأولاد الذميين والمسلمين توقف لفترة من الزمن، ثم بدأ جمع أبناء الذميين والمسلمون في سن يتراوح من ستة عشر عاماً إلى خمسة وعشرين عام وهذا يعني تجنيد وأداء الخدمة العسكرية لهؤلاء الشباب، وهذا الأمر موجود في كل عصر وفي كل مكان، فعندما ينهي الشباب الخدمة العسكرية، يعود إلى قريته وأسرته ويمارس حياته الطبيعية، وفي حالة حدوث حرب يتم استدعاؤه لخدمة بلاده، أما في الدولة العثمانية فكان يتم تجنيد الشاب ثم يلتحق بجند الإنكشارية فوراً، وذلك لكثرة حروب الدولة العثمانية والجبهات المفتوحة عليها من الداخل والخارج.

(٦) يتضح من الوثائق أنه في بعض الأحيان يرفض أصحاب التيمارات

والأراضي الزراعية تسليم هؤلاء الشبان لجامعي الدوشرمة على حد زعمهم، وذلك بسبب أن غياب هؤلاء الشبان يعني ضياع الأيدي العاملة التي تعمل في زراعة الأراضي، مما يعطينا دلالة واضحة على تقدم سن هؤلاء الشبان، وأنهم ليسوا أطفال كما ادعى أغلب المستشرقين.

(٧) تركزت الوثائق على منطقة البلقان فقط، فمن الجائز إذاً أنها مورست في هذه المنطقة فقط في فترة زمنية محدودة حيث انحصرت الوثائق في الفترة ما بين ١٥٦٥م - ١٦٤٧م أي فترة إثنان وثمانون عام فقط، وهذه مدة ليست طويلة لدرجة أن تمارس فيها هذه الضريبة كثيراً، كما أن الدولة العثمانية شملت مساحة كبيرة في تلك الفترة فمن الجائز أن يقوم الولاة بأعمال لا يدري عنها السلطان لبعده المسافة، وبطء وصول الأخبار لأستانبول.

(٨) أن الشبان الذين كانت تجمعهم الدولة العثمانية مسلمين بدليل أنهم حملوا السلاح للدفاع عن الإسلام.

وأخيراً فإن هناك خطأ كبيراً وقع فيه المستشرقون ومن بعدهم المؤرخون العرب المسلمين، ألا وهو الجزم القاطع بأن الإنشكارية يشكلون معظم الجيش العثماني تقريباً، وكانوا عموده الفقري منذ البداية، والسبب في ذلك يعود إلى كثرة تكرار اسم الإنشكارية في التاريخ العثماني، سببها كونهم جنود المركز كما أنهم في استانبول دائماً يقومون بالثورات لكن نظام الفرسان ظل سائداً في الجيش العثماني، وجميع السباهية المنتشرين في أنحاء الدولة العثمانية يؤدون واجبهم دون التدخل في السياسة، ولم يصبح الإنشكارية أغلبية في الجيش إلا في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، عندما تدهور نظام الإنشكارية

وصار ذلك التدهور أحد الأسباب الرئيسية لضعف الدولة العثمانية. (١)

ولنا أن نتساءل ما مدى صحة أصل الجيش الإنشكاري من الناحية الشرعية؟ فإنه من المعلوم أن الدولة العثمانية قامت على الإسلام وكان للعلماء دوراً بارزاً فيها وغير مسبوق في بعض الأحيان. (٢) ولو كانت فكرة الإنشكارية غير شرعية لأظهر ذلك العلماء والشيوخ للسلطان ولكن ذلك لم يحدث.

وإضافة على الأدلة والبراهين السابقة فإن محمد فؤاد كويرلي أوضح أن قسماً ضئيلاً من الأسرى وربما الأصغر سنّاً دخل في الإسلام أما القسم الأكبر فكاتوا يوهبون لأصحاب الأراضي الزراعية. وفي الوقت نفسه كانت الفتوحات في البلقان تتم بسهولة دون خسائر تذكر، (٣) وهذا يدل على أن الفتوحات تمت بدون الحاجة إلى أبناء النصارى من جهة، وأن قلة الخسائر إنما هي لعدم المقاومة من الطرف الآخر، ولسماع أهل البلاد بالمعاملة الحسنة التي يتميز بها العثمانيون.

وفيما يلي نستعرض بعضاً من أقوال الأجانب المنصفين عن هذه الضريبة كدحض لآراء المستشرقين:-

بوسبيك (**) وصف الجيش العثماني بقوله " أفراد هذه الجيوش مدربون على الحرب يتحلون بالصبر والنظام والاتحاد واليقظة" (٣) كما يؤكد كريزي أنه لم يرد

(١) يلمازا وزتوننا: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٨٩، ٣٩٠. عبد العزيز نوار: مرجع سابق، ص ١٣.

(*) ثبت أن عثمان أقام سياسته على مشورة الفقهاء وحكم حكماً عادلاً يوجب الالتفات إليه في تلك العصور الطافحة بالظلم. مرجع سابق، ص ٤٤.

(٢) محمد فؤاد كويرلي: مصدر سابق، ص ١٨٨، ١٨٩.

(**) السفير النمساوي في الأستانة عام ١٥٥٤م.

(٣) نقلاً عن عمر عبد العزيز عمر: مرجع سابق، ص ٣٥.

ما يدل على حدوث إكراه للأسر المسيحية على ذلك، بل أن الآباء أنفسهم كانوا يسعون لإلحاق أبنائهم في الإنشكارية (١)

وقد جاء ذكر الإنشكارية في كتاب الرحالة الفرنسي دي كورمينان الذي زار بلاد الشرق عام ١٠٣١هـ / ١٦٢٢م، حيث أعجب بالنظام السائد لدى الجيش الإنشكاري في ذلك الوقت، وتمنى لو كان من الممكن أن يسود هذا النظام لدى المشاة في فرنسا. (٢)

أما المؤرخ الأمريكي ليبير فقد علق على جنود الإنشكارية بقوله أنه ربما لم تحدث على وجه الأرض تجربة أكثر جرأة وأوسع نطاقاً مثل التجربة التي أقدم عليها العثمانيون، وأوضح أنها كانت موجودة في دولة المماليك، ولكنها عمّرت في الدولة العثمانية أكثر مما عمّرت تجربة المماليك، كما أن الدولة العثمانية في هذا الأمر لم تعترف بالفروق الاجتماعية فقد دخل الإنشكارية أبناء الفقراء والفلاحين، الذين التصقوا بالفقر والحرمان، وبمضي الأيام وصلوا إلى أرقى المناصب، كصدور عظام، ووزراء، وقادة عسكريين. (٣) (٤)

وورد في الموسوعة اليونانية أن السلطان عثمان ومن بعده أورخان لم يكونا

(١) نقلاً عن محمد عبد اللطيف البحراوي: مرجع سابق، ص ٥١.

(٢) ياسين سويد: مرجع سابق، ج ١، ص ٩٠.

(٣) قال: إن الجيش العثماني كان يجمع أفراداً جميعاً شعور الولاء العميق للسلطان. وإذا صدرت الأوامر باستدعاء الجيش لحملة عسكرية كبرى اجتمع الجيش حول السلطان، وفي مسيرة الجيش يأخذ مكانه بأوامر تصدر إليه من السلطان. وكان السلطان هو المحور الرئيسي الذي ينظم جميع عمليات التشكيل التي تتم في المعركة، والكل يدين بالولاء التام عقلاً وروحاً. عمر عبد العزيز عمر: مرجع سابق، ص ٣٥.

(٤) نقلاً عن عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٨٦، ٤٨٧.

يجبران البيزنطيين على الدخول في الإسلام وإنما تركا لهم حرية التدين.^(١) بل إن هذا التسامح الديني لم تعرفه أوروبا النصرانية، وهو عكس ما في الدولة العثمانية حيث كان النصراني لديه مطلق الحرية لإقامة مدارس الخاصة ومعاهده الدينية.

وعلى ما تقدم من أقوال المستشرقين نكتشف حقيقة مهمة هي عدم استناد المستشرقين على أي سند تاريخي أو مصدر أو وثيقة أو مخطوطة وإنما يتولد لدى القارئ إحساس بأن ذلك من تأليف وصياغة المستشرق نفسه، وفي نهاية الأمر لا نجد مصدر موثوق يعتمد عليه للجزم بصحة الفرية.

والغريب في الأمر أن المؤرخين المسلمين أعتمدوا على المستشرقين في نقل بعض المعلومات التاريخية، ولم يحصوها ويتأكدون من صحتها بل إن بعضهم أخذها كأمر مسلم به.

وبناءً على جميع ما تقدم نضع حقيقة واقعة، لامراء فيها وهي أن العثمانيين ليسوا مبتدعين، بمعنى أن العثمانيين لم يبتدعوا شيئاً مخالفاً للعرف والدين حين أنشأ جيش الإنكشارية، إن فكرة إيجاد جيش محترف فكرة عسكرية عبقرية، وهي فكرة قديمة مارسها كل الشعوب.^(٢)

وقد أورد ابن خلدون في مقدمته قوله " إن الدولة إذا طرقها الهرم والضعف تتخذ جنوداً من غير جلدتها ممن تربوا على الخشونة، فيكونوا أصبر على الحرب من غيرهم ممن تربوا في نعيم العيش "^(٣)

(١) زياد أبو غنيمه: مرجع سابق، ص ١٣٥. نقلاً عن الموسوعة اليونانية.

MEGALIA ELLINIKI ENGIKLOPEDIA ج. ٨، ص ٢٧٦.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٧٦٧.

(٣) فايقه محمد عبد الصمد بحري: أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا، رسالة =

ولكن الذي يختلف عن نظرية ابن خلدون أن الدولة العثمانية في فترة نهوضها وتأسيسها وعز قوتها اتخذت جنوداً من غير جنسها وليس في فترة الضعف والهرم.

كما أن العثمانيين ألبسوها لباساً نظامياً، بعد أن كانت بلا رابط حيث يلتحق المرء بالجيش الذي يريده متى شاء وينفصل عنه وقتما أراد وينضم لجيش عدو سابق لكن لا أحد يلومه أو يعاقبه، إلا أن العثمانيين نظموا هذا الأمر، وجعلوا الجيش المحترف جيشاً نظامياً مرتبطاً بالدولة العثمانية. كما ألبسه نظاماً شرعياً دينياً يحترم حرية الفرد^(١).

ولنعدد الأمثلة من جيوش العالم التي اتخذت جنودها من غير جنسها إضافة على معاملتهم كمرتزقة، وهو عكس الدولة العثمانية التي وصل فيه أفراد الإنشكارية إلى مناصب عليا في الدولة.

لقد وجدت هذه الجيوش في الدولة البيزنطية أصحاب القسطنطينية، الذين كانوا إذا غزوا بلاد الإسلام سبوا كثيراً من الأولاد وربوهم على النصرانية، وجعلوهم جنداً يقاتلون المسلمين. فعندما استولى نقفور فوكاس على حلب سبى عشرة آلاف ولد من أهلها ورباهم في دار ملكه، وعمدهم، وجعلهم من أفضل جنوده. كذلك عندما استولى البطريق ميخائيل بورسزيس على أنطاكية سبى من أولاد المسلمين عشرة آلاف، ورباهم في القسطنطينية فخرجوا نصارى، وصاروا جنداً.^(٢)

وإذا دققنا النظر في التاريخ القديم وعلى الأخص تاريخ الإغريق نجد أن

= ماجستير لم تطبع، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ١٥.

(١) محمد فريد المحامي: مرجع سابق، ص ٧٦٧.

(٢) شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق حسن السماحي سويدان، الطبعة الأولى،

دمشق: دار ابن كثير، ٢٠٠١م، ص ١٤٢٢هـ، ص ٥٩.

الطفل يفصل عن أهله وذويه منذ السابعة من العمر، ويربى من قبل الدولة، ويقسم الصبيان إلى مجموعات تحت إشراف مدرب وتقطع الصلة بينهم وبين أسرهم نهائياً. وكان يتم تدريبهم بمنتهى القسوة، مفتقداً لأبسط المعاني الإنسانية.^(١) وأني استغرب بعدم مهاجمة المؤرخين والتحدث عن مشاعر الأم الحزينة على فراق أبنائها ولم يأت أحداً على ذكر ذلك النظام الإغريقي وما احتواه من قسوة ومخالفة للطبيعة الإنسانية، بل اعتبروه من أسباب نجاح وتقدم نظام دويله المدينة السائد في الإغريق.

كما أن جيوش جنكيز خان وهولاكو وتيمورلنك، إضافة إلى جيوش الإسكندر المقدوني ونابليون الأول وغيرهم من القادة العظام لم تكن جيوشهم تركز على جنس واحد، بل كانت جيوشاً مأجورة مختلطة من أقوام كثيرة، وكثير من قادة هذه الجيوش يعملون ضد مصلحة أوطانهم الأصلية^(٢) ولم يكن القائد يرى في ذلك حرجاً، إن أول جيش في العالم قام على عقيدة واحدة هو الجيش الإسلامي.

كما نجد أن الدول المستعمرة قد سيرت جيوشاً من أبناء المستعمرات يحاربون به الأعداء، ولولا جيوش المستعمرات الإنكليزية والفرنسية لما استطاعت هذه الدول الصمود أمام الدولة العثمانية، حيث ساق الإنكليز جيوشاً من الهند وغيرها من المستعمرات، وسأقت فرنسا جيوشاً من المغاربة والجزائريين وإفريقيا السوداء، وهذه الجيوش هي من كان يتلقى الصدمة الأولى.^(٣) ونجد أن الدولة العباسية اتخذت هذا النوع من الجيوش وكانوا من الأتراك حيث قام بشرائهم الخليفة المعتصم وكانوا أحد أهم أسباب تدهور الدولة العباسية. إضافة

(١) محمد كامل عياد: تاريخ اليونان، دمشق: دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ،

١٩٩٣م، ج ١، ص ١٨٦ - ١٨٩.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٧٦٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٦٩.

إلى ظهورهم في الدولة الأيوبية في مصر حتى أنهم ورثوا حكم البلاد مكوّنين الدولة المملوكية. (١)

وإذا كان المستشرقون قد نقدوا هذا النظام، ورقّت قلوبهم الحاقدة على الإسلام، لحال الأسر الحزينة، فهذا لا يرتقي ولا يقارن بما فعله الأسباب المسيحيون بمسلمين الأندلس الذين خيروهم بين التنصير أو الموت، وما فعلته محاكم التفتيش بالمسلمين وأسرهم، وبما فعلته بلاد المستشرقين أنفسهم بالزنج الأفاقة في عهد الاسترقاق المروع، أو ما فعلوه بالبلاد التي استعمروها مثل مصر والجزائر والشام والمغرب وغيرها، وإذا كانت الإنشكارية قد صوّروا بشكل سيئ في مؤلفات المستشرقين، فإن هؤلاء قد نسوا تاريخ أوروبا المليء بالخزايا، ونسوا أيضاً أن هذا النظام كان مقبولاً في تلك الفترة.

وخلاصة الحديث إذا كانت الإنشكارية قد أساءت إلى الدولة العثمانية، فليس ذلك ذنب الفكرة في حد ذاتها بل هو ذنب الدولة التي لم تعرف كيف تقبض عليهم قبضة حازمة وأن تبعث فيهم روح الجهاد، فعندما نجحت في ذلك إستقامت لها الأمور، ولو اقتدى السلاطين بسليم الأول الذي فتك برؤوس الإنشكارية بعد تمردهم في إيران، لبقى الإنشكارية أفضل الجيوش.

وإذا كانت الإنشكارية قد أخطأت فهذا لا ينفي دورها المهم، ويكفي الدولة العثمانية فخراً أنها استطاعت أن تصهر الجميع في بوتقة إسلامية ثم تطلقهم في الميادين الحربية تحت راية الإسلام محققين أعظم الانتصارات والفتوحات الإسلامية.

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي ط ٦،

الفصل الثاني

تسلط وجبروت الإنكشارية

المبحث الأول:

أسباب تمرد الإنكشارية.

المبحث الثاني:

نفوذ الإنكشارية داخل القصر السلطاني.

المبحث الثالث:

تدخلهم في مسائل السياسة العليا.

المبحث الأول

أسباب تمرد الإنشكارية

من الطبيعي أن يتساعل الفرد عن سر تحول الإنشكارية، من جيش قاد الدولة العثمانية إلى النصر وترجيح كفتها في المعارك التي خاضوها، إلى جيش مستهتر، كثير التمرد والعصيان، يُهزم في أغلب المعارك التي يخوضها، ويتحول إلى أداة تخريب وفتك بمن يقف في طريقهم، إذ أنهم استبدلوا بالسلطين والوزراء وعزلوا وقتلوا وولوا من أرادوا، وعاثوا في الأقاليم فساداً، وظلموا الأهالي، فصاروا حكومة داخل حكومة، والدولة العثمانية لا تستطيع أن تأتي بفعل ضدهم، أو تقف أمام تنفيذ رغباتهم، وكانت كلما تساهلت معهم زادوا في غيهم حتى وصل الأمر إلى أن يخشاهم كبار رجال الدولة ويتملقوا لهم، وينفذوا أوامره خوفاً من بطشهم. وعلى هذا لابد من معرفة الأسباب التي جعلت الإنشكارية في مستوى القوة والتمرد على سياسة الدولة.

لقد كانت الإنشكارية كالأسود المدججة بالسلاح في ساحة المعركة يندفعون في اتجاه العدو، خاضوا المعارك الشهيرة مثل فتح القسطنطينية^(*) وغيرها من

(*) لقد فتح محمد الثاني القسطنطينية عام ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م، وسميت إستانبول، بعد محاولات من المسلمين أولها في عهد معاوية بن أبي سفيان ٤٩ هـ / ٦٦٨م، والتي تركت ذكرى عميقة حيث دفن الصحابي أبو أيوب الأنصاري عند أسوارها من الخارج، وعندما اكتشف العثمانيون قبره أثناء الفتح، بنوا فوقه جامعاً، وصار السلطين العثمانيون يتولون مناصبهم في هذا الجامع وهم يحملون سيف عثمان الأول أما المحاولة الثانية فكانت أيام سليمان بن عبد الملك، حيث قاد أخوه مسلمة الحملة سنة ٩٧هـ / ٧١٥م، ثم محاولات بايزيد يلدوم ومراد الثاني. إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ٢، ص ٥١٠.

المعارك بمنتهى القوة والشجاعة، ولكن مع مرور الزمن بدأ الضعف والوهن يغزو صفوفهم^(١) وتحول السلاح الرهيب الذي خاضت به الدولة العثمانية أشد معاركها وأقوى فتوحاتها، إلى سلاح موجه ضد سلطة الدولة العثمانية نفسها، مما أصاب الدولة العثمانية بالضعف، وتوقفت فتوحاتها، ولكن من المؤكد أن هذا التحول لم يكن تلقائياً، وإنما كان نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية.

فالعامل السياسي كان من أهم الأسباب وأوضحها ومن ذلك تقاعس السلاطين عن الخروج للحرب على رأس الجيش. وقد أكد ذلك معظم المؤرخين حيث أشاروا إلى أن بؤادر الضعف بدأت تظهر بعد وفاة السلطان سليمان القانوني الذي أبطل قاعدة مهمة وهي عدم خروج السلطان على رأس الجيش، وصارت الجيوش تخرج تحت إمرة قائدها العام، وهو من الإنشكارية، مما جعل الإنشكارية في معظم الأحيان ترفض الخروج للحرب إلا إذا كانوا تحت إمرة السلطان. وعندما تقاعس أغلب السلاطين بعد سليمان عن الخروج للحرب، وفضلوا البقاء بين جدران قصورهم، وسط البذخ والرفاهية، على تكبد مشاق السفر والجهاد، كل ذلك أدى إلى رفض الإنشكارية الاستمرار في الحرب في كثير من الأحيان، وأدى كذلك مع مرور الزمن إلى فقدان السلطان هيئته في نفوس الإنشكارية. كما أدى هذا الأمر إلى تقوية مركز القائد العام للجيش فأصبح له شأن عظيم، ورأى نفسه في مركز يجب أن لا يردّ له طلب مما أدى إلى تضارب السلطة بين السلطان والقائد العام، مما عقد الأمور، وساعد على فساد الإنشكارية.^(٢)

(١) علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، ١٤١٥هـ،

١٩٩٤م، ص ١٠٦.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٥٢. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي: العهد

العثماني، الطبعة الثانية، القاهرة: المكتب الإسلامي، ١٤١١هـ، ج ٨، ص ١١٣ =

وقد قاد هذا الأمر إلى نقطة مهمة وهي انخفاض الروح المعنوية في نفوس الإنشكارية، وإرتخاء الروح القتالية لديهم، وذلك لأن حضور السلطان الحرب له أثره على شحذ القوة القتالية عند الجيش ورفع الروح المعنوية لدى الجند. (١)

لقد أعقب السلطان سليمان خلفاء تراخوا عن الخروج للحرب وأضاعوا البلاد الواسعة التي فتحها أجدادهم وحافظوا عليها بدمائهم وحسن إدارتهم. (٢)

ومن الناحية السياسية أيضاً عدم وجود قاعدة ثابتة لتولية السلاطين عرش الدولة وعدم وجود نصوص شرعية أو قانون يعتمدون عليه في تولية الحكم. فقد كانوا آخذين بمبدأ الاستخلاف وليس الشورى قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (*) والخلافة ممكن تأتي في الأخوة أو الأبناء، الأمر الذي أوجد كثير من الخلافات الداخلية نظراً لكثرة عدد أبناء السلطان الواحد، فكان السلطان يختار من سيخلفه على العرش حتى لو كان الصغير دون الكبير، وهذا ما أدى في كثير من الأحيان إلى منازعات داخلية، هيأت للإنشكارية فرصة التدخل في تولية العرش. وكان الأبناء يتولون في العادة أماكن متفرقة من البلاد، كتدريب لهم على الحياة السياسية، وفي بعض الأحيان كان يختلف الأخوة ويحدث بينهم صراع على من سيتولى العرش (٣) وفي عصر الضعف كانت الإنشكارية تتدخل لتضع من تريد حتى تبقى لها اليد الطولى في السلطة.

= إسماعيل أحمد ياغي: مرجع سابق، ص ٩٤.

(١) إسماعيل أحمد ياغي: مرجع سابق، ص ٩٤.

(٢) عمر الإسكندري - سليم حسن: تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر،

الطبعة الثانية، القاهرة، مديبولي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ٣٥، ٣٦.

(*) سورة الشورى، آية ٣٨.

(٣) ألبرت هوبر ليبير: مرجع سابق، ص ٩٤، ٩٥.

ونتيجة طبيعية لعدم وجود قاعدة ثابتة لتولي العرش، فقد صار هناك فجوة واسعة بين السلاطين وأبنائهم، أو بين الأخوة بعضهم ببعض، مما أفسح المجال لتلاعب الإنشكارية بالتولية وعزل من أرادوا على حسب أهوائهم كما سنرى لاحقاً. (١)

وكما تلاعب الإنشكارية بتولية السلاطين وعزلهم، تلاعبوا أيضاً بمناصب كبار رجال الدولة، وأولهم الصدر الأعظم، حيث تحكموا في هذا المنصب كثيراً، وكان يخضع لأهوائهم الشخصية فيعينوا من أرادوا حتى وصل بهم الأمر إلى قتل الوزراء أو الصدور العظام، أو حتى السلاطين. (٢)

إضافة إلى ذلك، أصبحت تولية المناصب في الدولة تخضع لعملية الرشوة، فصارت المناصب ليس لمن يستحقها وإنما لمن يدفع أكثر، كما أن أغاوات الإنشكارية استخدموا الرشوة كوسيلة للوصول إلى المناصب العليا. (٣)

ولتأثيرهم القوي على السلاطين في تولية العرش فقد اتبعوا وسيلة الإكثار من الطلبات الخاصة بهم، مما جعل السلطان الجديد يعمل على إرضائهم، أو على الأقل إرضاء كبار قادتهم، فيعطيههم المال والهبات يوم تنصيبه، إضافة إلى امتيازات جديدة، وقد أطلق على هذه العطايا "البخشيش" وصارت هذه العطايا تقليداً راسخاً لا يستطيع أي سلطان مهما أوتي من قوة أو عزيمة أن يتجاهلها وإلا تعرض للمهانة والتكيل.

ثم ألغيت هذه العطايا منذ عام ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م، بعد تولي السلطان عبد الحميد الأول عرش الدولة العثمانية في عام ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م وكان السبب في الإلغاء سبباً قوياً، وهو أن الدولة العثمانية كانت تعيش أزمة مالية عسيبة

(١) محمد أنيس: مرجع سابق،، ص ٧٨، ٧٩.

(٢) ساطع الحصري: مرجع سابق، ص ٤٧، ٤٨.

(٣) أحمد جودت: تحقيق عبد اللطيف محمد الحميد، ص ١٩٥.

بسبب ضخامة الإنفاق العسكري على القوات العثمانية إبان الحرب التي أشتعَل فتيلها بين الدولة العثمانية وبين روسيا، وهي الحرب التي طال أمدها ست سنوات، وتحطم فيها الجيش والأسطول العثمانيان. (١)

وعلى سبيل المثال إذا لم يستمع السلطان لرغباتهم، يشعلوا النار في أي جزء من العاصمة حتى يخرج لهم السلطان لسماع رغباتهم، في هذا الوقت تكون النار قد أكلت جزء من العاصمة. (٢)

ونجد أنه في فترة حروب الدولة العثمانية كانت هذه الأعطيات مرهقة بالنسبة للدولة والخزنية، فكانت تضطر إلى دفعها وإلا فإن الإنشكارية ستقوم بثورة وتمرد، وهكذا تسببت في تعطيل سياسة الدولة العثمانية كثيراً.

ومما لا شك فيه أن هذه الأمور جميعاً نتج عنها زيادة امتيازاتهم وجعلهم يضعون أنفسهم مكان أهل الحل والربط، وصاروا يتحكموا في السلاطين كما لو كانوا عرائس رقعة شطرنج. (٣)

ويبدو أن نفوذهم هذا لم يأت من فراغ، فقد أعطاهم السلاطين الهيبة والنفوذ والقوة حتى يكونوا مطيعين لهم حماة للدين الإسلامي والدولة العثمانية، لكن الصورة انقلبت وأصبح السلاطين يحتاجون لمن يحميهم من الإنشكارية، إضافة إلى أن العقلية العسكرية كانت قد سيطرت عليهم تماماً، فنسوا وظيفتهم الأساسية وهي الحرب والجهاد. وكانوا إذا أنسوا من السلطان الضعف مارسوا الفساد. (٤)

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٩٤، ٤٩٥.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ١٥٦.

(٣) خليفة محمود: تاريخ الملوك الأكبا، د. ط، د. ت، د. م، ص ١٧٨. عبد الوهاب بكر: مرجع

سابق، ص ٥٨.

(٤) حسين كمال البغدادي القادري: الدر المصان في أيام دولة آل عثمان، مركز الملك فيصل

للبحوث والدراسات الإسلامية، محفوظة تحت رقم ٤٤١٦٧، ورقة ٥٥.

وهذا يرجع إلى أن الإنشكارية ظلت حريصة دائماً على صبغ تصرفاتها بصبغة الشرعية، فكانوا دائماً يحافظون على علاقتهم مع العلماء وشيوخ الإسلام، حتى وإن أصابها الضعف في بعض الأحيان.

وكان لزيادة نفوذ الإنشكارية أثر سلبي على الدولة، حيث لم يكن السلاطين قادرين على القيام بأي حركة إصلاح دون جس نبض هاتين القوتين أي الإنشكارية كقوة أولى وشيوخ الإسلام والعلماء مع ضمان مساعداتهم أو على الأقل عدم اعتراضها، فكانوا المتحكمين في الأوضاع، بعد أن كانت الإنشكارية في الماضي هي عماد الدولة وقوتها، وصارت مع مرور الوقت مصدراً للفساد والضعف والصراع والتنافس، مما أدى إلى توقف فتوحات الدولة العثمانية، ووجدت الدولة نفسها عارية دون أي غطاء للحماية سواء من الداخل أو الخارج.^(١)

ومما يدل على ضعف شخصية السلطان أمام تصرف الإنشكارية أنه في حالة فتح الجيش لمدينة تكون هناك في العادة اتفاقية أو هدنة تتضمن شروط التسليم، وكان من ضمنها المحافظة على أرواح أهالي المدينة وأموالهم وأعراضهم، ولكن الإنشكارية لا تعبأ بشروط التسليم، وتمارس أعمال السلب والنهب وقتل الأهالي، إضافة إلى هتك الأعراض وإحراق المنازل والحوانيت. أما داخل إستانبول فلم تكن الحالة أفضل، فقد كانت حركات عصيانهم تحمل في طياتها معنى التحدي للسلطان والدولة نفسها، فكثيراً ما تعرضوا لموكب السلطان ومنعه من الوصول للقصر السلطاني، مطالبين بمزيد من العطايا والامتيازات، وكانت هذه وسائل بعيدة كل البعد عن الانضباط العسكري.^(٢)

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٢.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٩٦.

وفي نفس الوقت زاد تسلطهم على أهالي البلاد التي تحت الحكم العثماني، فقد أمتد طغيانهم إلى الأهالي الآمنين في المدن، وزادوا في نهب وسلب منازلهم، وتعدوا على أرواح الناس دون وجه حق، وإذا أرادوا نهب أحد أحياء المدينة، عمدوا إلى إشعال النار فيه، فإذا ما ارتفعت ألسنة اللهب، وانشغل الأهالي بإطفاء النار، سارعوا إلى الأحياء الأخرى وقاموا بنهب منازلها وحوانياتها^(*)، وانتهكوا حرمت البيوت. وقد وصل بهم الأمر إلى أنهم اعتقدوا أن كل شيء مباحاً لهم في التعدي على الصدر الأعظم ومهاجمة قصره، إذا تباطأ في تنفيذ رغباتهم. (١)

أما موقفهم داخل ساحة المعركة، فيكفي أن نذكر أن الإنشكارية كانوا يكافئون بقدر عدد رؤوس القتلى، فصار هم جندي الإنشكارية في حالة الانتصار، جمع أكبر عدد من رؤوس القتلى الأعداء، وسرعة تسليمها للقائد العام في خيمته من أجل الحصول على المكافأة. (٢) وهذا يكشف بأن عهد الجهاد والدفاع عن الإسلام في الفترة المتأخرة لم يكن هو الصفة الغالبة على معنويات الجند الإنشكاري، فحل محل ذلك الأطماع الشخصية والأهداف المادية، مما حقق لأعداء الدولة العثمانية النصر في عدة جبهات.

أضف إلى أن زيادة عدد الإنشكارية وانتقال هذه الأعداد إلى إستانبول زاد من تمردهم بحيث أصبح رؤسائهم يحققون كل ما يشاءون من السلاطين لا سيما إذا كان السلطان على قدر من ضعف الشخصية.

(*) وقد ركزت الإنشكارية في هجماتها على محلات اليهود، ونهب بضائعهم وربما ذلك يعود إلى كره الإنشكارية لليهود، خاصة وأن لليهود دور كبير في فساد العملة وإنخفاض قيمتها: عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ج ١، ٤٩٦.

(١) مرجع سابق، ج ١، ص ٤٩٦، ٤٩٧. محمد أنيس: مرجع سابق، ص ٢١٤.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٨.

وبهذا التحول الخطير أصبحت الإنشكارية هيئة عسكرية وراثية، وليست هيئة جنودها مختارين على أساس المهارة والمقدرة الحربية. (١) (*)

ومع مرور الأيام ازدادت أعداد الإنشكارية حتى صار أبناء الجنود الإنشكارية يدخلون فيها دون اعتبار للقدرة العسكرية وبحلول عهد مراد الثالث الذي يعتبر عهده نقطة تحول خطيرة في الأسس التي قامت عليها الإنشكارية، فقد انضم كثير من الأهالي وعامة الناس إلى الجيش الإنشكارية (٢) بموافقة من السلطان (**) مراد الثالث، على الرغم من رفض فرهاد باشا آغا الإنشكارية الموافقة على انضمام أولئك الذين ليس لهم دراية وخبرة عسكرية إلا أن السلطان وافق على انضمامهم وتم عزل فرهاد باشا من منصبه، وعين بدلاً منه يوسف آغا الذي فتح الباب لكثيرين منه وخاصة اليهود، الذين أحبوا الاختباء في صفوف الإنشكارية لزرع الفساد بين الجنود، وهكذا صارت الإنشكارية مثل الجهاز الأجنبي داخل الدولة العثمانية يعمل على إفساد أمورها. (٣)

(١) بيرى أندرسون: مرجع سابق، ص ٣١. محمد أنيس: مرجع سابق، ص ٧٩.

(*) لقد ذكر بيرى أندرسون أن الإنشكارية أنتزعت من سليم الثاني حق إلحاق أبنائهم في أفواج الإنشكارية على الرغم أنه في ذلك الوقت لم يسمح لهم بزواج وإتجاب الأبناء، وهذا يدل على أن هذه المعلومة دسيسة أدخلت لتشويه فترة سليم الثاني، حيث كان جميع جنود الإنشكارية في ذلك الوقت أطفال دوشرمة، أي لم يتزوجوا ولم ينجبوا الأبناء.

(٢) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٢٠.

(**) حيث حدث ذات مرة أن قام فئة بالألعاب بهلوانية في حفل ختان الأمير محمد بن مراد الثالث، أعجب الناس بما قدموه من فقرات حتى أن السلطان سألهم بعد نهاية الحفل عما يتمنون فطلبوا الانضمام إلى الإنشكارية فوافق السلطان على ذلك وأصبحت هذه عادة جارية. محمد جميل بيه: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٠.

(٣) إسماعيل حقي أوزون جارشيل: لواء الإنشكارية من تشكيلات الدولة العثمانية، الطبعة الثانية، أنقرة: نشر مجمع التاريخ التركي، ١٩٨٤ م، ص ٤٨٢. سليمان قوجسه باشي: =

وقد قصد هؤلاء بنسبتهم إلى الإنشكارية التنصل من التكاليف التي تقتضيها سياسة الدولة والوصول إلى حرية مطلقة في أعمالهم، ولم يدركوا أن الوظيفة الأساسية للإنشكارية هي الخروج للجهاد عند اقتضاء الحاجة. وبالتالي لم يخرج هؤلاء للحرب إذا ما نودي للجهاد، وإذا خرج منهم البعض لا يكون إلا عدداً بسيطاً، ويتحججوا بأن البقية سيحضرون من الروم إليهم والأناضول، والقانون كان يوجب أن يخرج مائة وعشرون تحت كل لواء، ولكن عددهم لم يتجاوز الثلاثين وقد يصل إلى الستين. (١)

إضافة إلى أولئك أنضم إليهم الأرمني والرومي والإفرنجي والذين اتصفوا بالصوصية وعدم الحياء، ومتهمون بعداوة الدين، فقد أفسدوا كل شيء، فهم بمثابة جواسيس على الدولة. وأفعالهم تضر بالدولة رويداً رويداً، فروسيا في مقدمة الدول التي سعت لإضعاف هذه الفرقة بالذات. (*) (٢)

كان لزيادة أعداد الإنشكارية أثره في عجز الخزينة عن القيام بنفقاتهم أيام السلم، مما أدى إلى العصيان والفساد، ووقوع الفتن بينهم، فصاروا علة لحصول التنافر، والشقاق، وباعثاً على ظهور المفاصد والمكائد العديدة حتى أيام السلم. (٣) ففي عهد السلطان مراد الرابع، ضعفت الإنشكارية والدوشرمة على حد سواء

= مرجع سابق، ص ١٩-٢٠.

(١) أحمد جودت: تحقيق عبداللطيف محمد الحميد، ص ١٨٢.

(*) كانت روسيا تهدف إلى الوصول بجيوشها صوب البحار الدافئة، ولكن الجيش العثماني كان يقف لها بالمرصاد، فكانت تحاول دائماً وأبداً العمل على إضعاف هذا الجيش، حتى يتسنى لها الزحف دخول الغرب والجنوب الغربي، وخير دليل على ذلك، عندما قام قيصر روسيا بترو الأول بإرسال أول سفير لروسيا في 'ستانبول' عام ١٧٠٠م، وأعطى له تعليمات بأن يستمر في مراقبة الجيش والعمل على إضعافه.

(٢) سليمان قوجه باشي: مرجع سابق، ص ٢٠.

(٣) أحمد جودت: ورقه ١١٠

نتيجة لزيادة أعدادها بشكل كبير، ونتيجة للإمكانيات التقليدية والإعفاء من الضرائب، زاد الإقبال على الإخراط في صفوف الإنشكارية، خاصة من السكان المسلمين، ونتيجة لاضطراب الأمن الداخلي في فترة تمردات فرقة الجلاية، انتشرت الحاميات الإنشكارية في جميع أنحاء الدولة لأغراض حفظ الأمن الداخلي، وعلى ذلك فمنذ أواسط القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، ونتيجة لإشغالهم بالحرف والزراعة، فقدوا قيمتهم العسكرية وصارت مهمتهم الأساسية القيام بالتمردات في العاصمة. (١)

وهذا ما جعل السلاطين يتبعون سياسة خفض أعدادهم، وإضعافهم نظراً للسلطة التي بلغوها، والتي كانت كثيراً ما تهدد مصير السلاطين أنفسهم، وقد اعتمد السلاطين على ما يمكن تعبئته من الرجال المتطوعين، وعلى الذين يتطوعون من الأقاليم التي تحت حكمهم، ومن الجند غير النظاميين الذين لا يتقاضون أجراً إلا عن الفترة التي يستخدمون خلالها في القتال، وذلك للتعويض عن النقص المتعمد في أعداد الإنشكارية، ورغم أن هذه السياسة أدت إلى استقرار داخلي في الدولة العثمانية وإلى التقليل في نفقات الجيش، إلا أنها كانت سيئة بالنسبة إلى حروب الدولة، وخاصة في حربها التي خاضتها بعد ذلك بوقت ضد روسيا عام ١٢٩٤هـ - ١٢٩٥هـ / ١٨٧٧م - ١٨٧٨م. إذ حرمت من أعظم جيوشها، وأشدّها بطشاً، وأقواها، وأمهرها في القتال. (٢)

وكانت روسيا من ألد أعداء الدولة العثمانية، وسعت جاهدة لإضعاف الدولة العثمانية ومن ثم سقوطها.

ونتيجة لاختلال الرقابة عليهم، فقد انضم للإنشكارية كثير من المسلمين الأمراء للتمتع بامتيازاتهم، وهؤلاء صاروا يتدخلون في السلطة بعقول عسكرية

(١) بيري أندرسون: مرجع سابق، ص ٣١.

(٢) ياسين سويد: مرجع سابق، ج ١، ص ٩٢.

واهية، فخربوا سياسة الدولة، وأصبحوا بحاجة إلى جيش للتخلص منهم.^(١) كما أخذوا أعداد المتزوجين تزداد في صفوف الإنشكارية الأمر الذي أدى إلى إقامة هؤلاء في منازلهم بدلاً من الثكنات العسكرية.^(٢)

وبحلول القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي سمح لعدد كبير من المتطوعين بتسجيل أسمائهم فقط ليس بقصد الحصول على عمل أو أجر، ولكن كأصدقاء مخلصين، سعوا لنيل شرف حمل لقب إنشكاري، وفي هذه الفترة تساوى المسلم والمسيحي في هذا الشأن، وكان هذا يعتبر نقطة تحول جديدة خطيرة في الأسس التي قامت عليها الإنشكارية.^(٣) وفي محاولة لخفض أعدادهم البالغ ٧٠ ألف إلى النصف أصدر فرمان يقضي بطرد الدخلاء على الإنشكارية.^(٤)

لقد اختصرت الإنشكارية منذ نشأتها على الأطفال الأيتام المسيحيين ولم يدخلها الأطفال المسلمون، ودخول المسلمين بها هذا معناه فسادها، فقد يتعالى المسلمون الذين لديهم نسب على جنود الإنشكارية الآخرين، فيحدث خلافات داخلية مما ينتج خلخلة في النظام العام للإنشكارية.

كما أسهم إهمال الدوشرمة في فساد الإنشكارية وتمردهم بشكل كبير، فقد أهمل السلاطين هذا الجهاز المهم بالتدريج، وقد أبطلت في حوالي القرن الحادي عشر الهجري منتصف القرن السابع عشر الميلادي، وبإبطالة نضب المورد الرئيسي الذي كان يجمع الأطفال المشردين من بلاد البلقان، والذين كانوا

(١) علي سلطان: مرجع سابق، ص ٢٥.

(٢) إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص ٤٧١.

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٥٢-٥٣.

(٤) أرشيف رئاسة الوزراء: دفاتر مهمة. دفتر ١١١ ص ٦١٧.

يخضعوا لتدريب إسلامي ليصبحوا جنود إنكشارية أو موظفين إداريين. ^(١)

وهذا الأمر يعني انضمام أفراد للإنكشارية أكبر من السن المطلوب، فلا يخضعوا للتدريبات العسكرية اللازمة، مما يجعل الفشل والفساد والتمرد مقروناً بأدائهم.

وإضافة على هذا البلاء سمحت الإنكشارية بدخول أصحاب الحرف والصناعة في صفوف الإنكشارية بالرشوة، ^(٢) ثم سمحت لهم بممارسة حرفهم أو الاشتغال بالتجارة ^(٣) في أوقات السلم، ولم يسمح لهم بحمل أسلحتهم في أوقات السلم خوفاً من قيامهم بحركات عصيان. ^(٤) ويعتبر مثل هذا العمل كسراً للأسس التي تكون الجيش الإنكشاري، مما أسهم في هبوط المستوى الحربي والقتالي للجيش الإنكشاري وكذلك ضعف روح الجهاد ضد أعداء الأمة الإسلامية.

وقد اعتمد أصحاب الحرف في دخولهم إلى صفوف الإنكشارية على واقعة حدثت في عهد السلطان سليمان القانوني عندما أمر الصدر الأعظم وقائد الجيش بدخول بعض العناصر الأجنبية عن الإنكشارية إليها، لكن نجد أن العذر في ذلك يرجع إلى أن الفتوحات الإسلامية في عهد سليمان القانوني كانت على أشدها، لذلك احتاج إلى عدد كبير من الرجال الأشداء، فأدخل حوالي أثنى عشر ألفاً، ثم ألغى ذلك القانون لاحقاً، ودخول هذه العناصر إلى الإنكشارية دون تدريبهم على أكمل وجه، ومع الإنكشارية القدامى، أثار كثير من البلبلة والشغب والأعمال

(١) عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون ١٥١٦م - ١٩١٦م، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٧٤م، ص ١٢٠.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية بالتركية: مادة بني تشري، د. ط، ١٩٨٦م، إستانبول، ص ٤٦. إسماعيل حقي أوزون مرجع سابق، ص ٤٧١.

(*) أدى هذا الأمر إلى نتائج مهمة سيتم ذكرها في الأسباب الاقتصادية.

(٣) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص ٢٥١.

القبيحة. (١)

كما دخل في الإنشكارية الفلاحون الذين يجهلون أمور الحرب والانتظام في صفوف الجيش، وكانت النتيجة أنه في حالة سفرهم إلى دار الحرب يعيئون فساداً، ويهتكون الأعراض في كل مكان مروا به، إضافة إلى أنهم لا يثبتون في أرض المعركة، ويفرون مع سماع إطلاق المدافع، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل يقومون بنهب موجودات المعسكر ويولون هرباً. (٢)

ففي أثناء الحروب بلغت أعداد الإنشكارية ٥٤,٢٢٢ رجلاً. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أن عدداً كبيراً منهم أضيفت أسمائهم إلى اللائحة بهدف الحصول على الرواتب، وإذا لم يتقاضوا شيئاً، اكتفوا بالإعفاء من الضرائب، وفي المقابل كانوا على استعداد تام للقيام بأي ثورات وعصيان ضد السلطان، ومع مرور الأيام أزدادت أعطياتهم (*) تضاملاً فأضطروا إلى الإعتماد على رواتبهم. (٣)

ويبدو واضحاً أن هذا الخليط من الجنود غير المتجانس هم الذين شوهوا صورة الإنشكارية وأدخلوا المفاهيم الفاسدة على أذهانهم حتى أصبحوا عنصر فساد (**)، فهم لم ينتموا للجيل الأول ولم يتلقوا التدريبات اللازمة، ولم يفهموا

(١) إسماعيل حقي أوزون جارشيل: مرجع سابق، ص ٤٨٢.

(٢) أحمد جودت: تحقيق عبداللطيف محمد الحميد، ص ١٨٢.

(*) ذكر أيضاً أنهم التحقوا بخدمة السفراء الأجانب في إستانبول، لكن يبدو أن هذا من باب تشويه تاريخ الإنشكارية وأنه لم يثبت قطعياً هذا الأمر، أنظر كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص ٤٦٧.

(٣) مرجع سابق، ص ٤٦٦.

(**) وقد أشارت إلى هذا الفساد ودخول الكثير إلى صفوف الإنشكارية كثير من الكتب التي أرخت لتلك الفترة، من أمثلة ذلك كتاب قوانين الإنشكارية وكتاب "الكتاب المستتاب" لمصطفى أفندي وهو مصدر موثق. أنظر إسماعيل حقي أوزون جارشيل: مرجع سابق، ص ٤٧٧.

معنى أن يكون الرجل جندي إنكشاري.

وبتزايد حروب الدولة العثمانية تزايد جمع الجنود من أهالي القرى وإرسالهم إلى أدرنه لتأدية التدريبات العسكرية اللازمة حسب أصول الإنكشارية.

وبالتالي تصرف لهؤلاء رواتب مقدماً. ^(١) مما أدى إلى تكليف خزانة الدولة فوق طاقتها، إضافة إلى مصروفات إعداد هذه الجيوش لخوض المعركة.

وجاءت زيادة عدد الإنكشارية نتيجة لدخول الجنود الذين جمعوا من القرى إضافة إلى الذين يسجلون أسمائهم في دفاتر الأحوال الخاصة بالعسكرية بإعطاء الرشوة للموظف المسؤول ليقيدهم بلقب حارس أو محافظ على الفرقة، ويبدو أن مرتبات هؤلاء كانت تتراوح ما بين اثني عشر وخمسة عشر أقبه، وقد تصل في بعض الأحيان إلى عشرين أقبه، وهذا يعني أن هذا المرتب الزائد ينعكس على المعاش الذي يحصلون عليه بعد تقاعدهم، فكلما زاد المرتب، زاد التقاعد. ^(٢)

وكانت هذه الزيادة في العدد تخالف القانون القديم للإنكشارية، فقد كان عدد الإنكشارية قديماً اثني عشر ألف، جميعهم قادرين على الحرب، ثم أصبح سبعة آلاف جندي منهم ضباط متقاعدين، مع وجود ما يقرب ألف جريح في المعارك، وكان أغلب المسجلين أسماءهم بالرشوة لا يخرجون للجهاد على الرغم من قدرتهم على ذلك، وقد استحدثت الإنكشارية جنود جدد أطلق عليهم حراس الفرق

(١) أرشيف رئاسة الوزراء أستانبول وثيقة رقم ٨٢٦٥ خط همايوني H.H.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٥١. إسماعيل حقي أوزون

جاريشل: مرجع سابق، ص ٤٨٠.

وَالوحدات وكان هؤلاء يزيد عددهم عن ألف شخص. (*) (١)

صار عدد الإنشكارية يزيد عن مئة وخمسة وثلاثين ألف جندي، وهذا العدد كان ينقص بشكل غريب في حالة الحرب، فقد كان مائة وعشرين ألفاً منهم مسجل في دفتر الأحوال العسكرية، قادرين على الخروج للجهاد، وحتى هذا العدد كان ينقص من كثرة الالتماسات التي يقدمونها للسلطان حتى لا يخرجوا للحرب، أما باقي العدد فكان يسجل نفسه متقاعد، للحصول على الراتب فقط أو حارس في الوحدات أو القلاع. (٢) وما يتبقى من العشرين ألفاً، لا يصمدون في ساحة المعركة، وتحل بهم الهزيمة أو يفروا من أمام العدو، ولتغطية سوء تصرفهم يقومون بالثورات أو نشر الإشاعات بين أفراد العامة، مرددين أن القادة باعوهم للأعداء الكفار. (٣)

وأصبح هناك معاشات لأشخاص لا وظيفة لهم إلا الدعاء، وهذه الوظيفة تباع وتشترى، ووظيفة الدعاء أطلقوا عليها اسم وظيفة الأسامي، وإذا حصل أحد جنود الإنشكارية على سبعة أقبايات من وظيفة الأسامي، يرى نفسه أكثر راحة من وزراء الدولة. (٤) وكان العشر منهم في الوجدان، والباقي أتباع للكبراء من

(*) وقد سخر المؤرخ الذي نقل هذه المعلومة وهو مصطفى أفندي حين وضع كتاب عن فساد نظام الإنشكارية.

حيث قال " إن الإنشكارية في الماضي لم يكن بها هذا اللفظ وهو حارس الوحدة أو الفرقة، أما الآن فيوجد ما يقرب من ألف شخص في لواء الإنشكارية يعرفون بهذا الاسم، ولست أعلم أي شيء يحرسون هؤلاء الجنود، هل يحرسون الحجارة والحوائط؟

(١) إسماعيل حقي أوزون جارشيل: مرجع سابق، ص ٤٨٠.

(٢) مرجع سابق، ص ٤٨١.

(٣) ساطع الحصري: مرجع سابق، ص ٤٨.

(٤) أحمد جودت: مصدر سابق، ص ١٩٥.

البلاط والعلماء^(١)

ولم يقتصر أمر ازدياد عدد الإنشكارية على إستانبول فقط، بل تعداه إلى الأقاليم، فإذا أخذنا دمشق وحلب، على سبيل المثال، نجد أن الإنشكارية عانت من نفس أسباب الفساد، مما ساعد على انحطاط مستواها وأدائها بشكل كبير، وقد زادت إنشكارية دمشق وحلب بممارسة ابتزاز الأموال من الأهالي بسبب قدرتهم على فعل ذلك.^(٢)

وعلى الرغم من ذلك، فإن جنود الإنشكارية في وقت الحرب كانوا يمثلون درعاً قوياً كالقلعة الحصينة أمام السلطان حتى لا يصل الأعداء إليه، وذلك لأن ارتباطهم بالسلطان كان أقوى ارتباط لديهم، حتى أنهم كانوا بمثابة أذرع للسلطان، لأنهم اعتبروا السلطان واحداً منهم، فقد نظروا إليه على أنه قائد الجيش، وأبوهم في نفس الوقت، وكان بعض أفراد الإنشكارية يتعلمون بعض التعاليم العسكرية الخاصة بالأمن حتى يكونان بمثابة الحراس الخاصين بالسلطان في القصر، هذه الروح التي تربي عليها أفراد الإنشكارية جعلتهم أشخاص يخاف الناس منهم طوال الوقت.^(٣)

وينبغي لنا أن لا نغفل نقطة مهمة في مسألة ازدياد عدد الإنشكارية، فإن هذا قد كلف الدولة مبالغ طائلة من الأموال لتسليم هؤلاء رواتبهم على أعمال حربية لا يقومون بها.

وهكذا يتضح لنا أن الإنشكارية لعبت دوراً مهماً في تاريخ ومصير الدولة العثمانية، لأنهم صاروا مسؤولين عن نقطتين في غاية الأهمية وهما: تحديد مسار الفتوحات ومدى استمرارها، وتحديد من سيجلس على العرش العثماني من

(١) أحمد جودت: تاريخ جودت ورقة ١٠٨.

(٢) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٣) ألبرت هوبرلبير: مرجع سابق، ص ٩٣، ٩٤.

أسرة آل عثمان، كما كانوا هم أصحاب الكلمة في الدولة في الفترة التي يكون فيها العرش العثماني خالياً أي بعد وفاة أحد السلاطين وحتى مجيء غيره.^(١) وكثيراً ما قاموا أثناء ذلك بفتن وتمردات داخل القصر السلطاني، بسبب غياب السلطان القوي وسوء التدبير والظلم ساعد على إظهار تمردهم.^(٢)

أما بالنسبة للأسباب الاقتصادية، فقد تركزت في ضعف دخلهم المادي، مما نتج عنه ثورات وتمردات، إضافة إلى التعسف في جمع الضرائب، وابتزاز أموال الأهالي.

لقد كانت الدولة العثمانية تعاني كثيراً من انخفاض قيمة العملة عند شراء أي سلعة، لأن العملة أساساً مغشوشة، وذلك لأن مصانع سك النقود تحت سيطرة اليهود، فهم من يقوم بالغش في قيمة العملة الواحدة وبالتالي كانت تدفع الرواتب للإنكشارية من عملات يدخل في صلبها بعض المعادن البخسة الثمن وخفيفة الوزن، وبالتالي ترفضها الحوانيت ولا يتعامل معها التجار، لذلك كانت الإنكشارية تثور وتتجمهر حول القصر السلطاني مطالبين بنقودهم الصحيحة، ولا يبرحوا مكانهم حتى يلقي لهم السلطان أكياس مليئة بالنقود في ساحة القصر الخارجية، أو يذاع عليهم أن يذهبوا لإبدال نقودهم بأخرى صحيحة، أو يحكموا بالموت على من ضربها، حتى ولو فعل ذلك طوعاً لأوامر صدرت له.^(٣) مما ساعد في زيادة تمرداتهم وزيادة الفجوة بين السلاطين والإنكشارية.

وبهذا يتضح أن اليهود ساعدوا على زيادة كميات الأعطيات التي تصرف للإنكشارية لتحكمهم بقيمة العملة، إذ وصلت أحياناً عملة البرقية - إحدى العملات

(١) ألبرت هوبر ليبير: مرجع سابق، ص ٩٤.

(٢) حسين كمال البغدادي القادري: ورقة ٢١.

(٣) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٠. عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٤٢.

للاستزادة الرجوع إلى سليمان قوجسه باشي: مرجع سابق، ص ١٥، ١٦.

المستخدمة - إلى خمسمئة أقجه أو ألف أقة من التداول في الأسواق.^(١) وقد خفضوا قيمة العملة وزادوا سعر الأوقية ^(٢) الفضية، كما أنهم كانوا يرشون قائد الجيش بأموال صحيحة حتى يوزع على الإنشكارية نقود ضعيفة القيمة.^(٣)

وبهذا العمل ساعدوا على إشعال الفتنة عند الإنشكارية وهذا يعني أيضاً أن اليهود كانوا يتدخلون بشكل كبير في الاقتصاد العثماني، خاصة سك العملة، وذلك لتنفيذ مخططهم في إضعاف اقتصاد ومالية الدولة العثمانية، إضافة إلى إضعاف أقوى فرقة في الجيش العثماني وهي الإنشكارية، حتى يتسنى لليهود القضاء على الدولة العثمانية واقتسام أراضيها وخاصة القدس. كذلك كان اليهود أغنياء، ولهم نفوذ في الحياة العثمانية واستطاعوا بغناهم هذا أن يوجدوا علاقة وثيقة مع الإنشكارية على الرغم مما شاب هذه العلاقة من صراع، إلا أن اليهود بقوا المسيطرين إلى حد كبير على إمداد وتموين الإنشكارية بكافة مستلزماتها، وكان القضاء على الإنشكارية عام ١٠٣٦هـ / ١٦٢٦م ضربة قوية للمصلحة اليهودية في إستانبول وغيرها من الولايات العربية.^(٤)

لقد أثر انخفاض العملة وتخبطها على سلوك الإنشكارية، فقد كان دينار الذهب السلطاني وزنه درهم وقيراطان، واحد منه يساوي ستين عثمانياً في أوروبا، وفي مصر بثمانين عثمانياً، وفي اليمن بثلاثمائة عثماني، واستمر في الارتفاع حتى وصل الدينار الذهب بألفين من العثمانية، وكانت علوفة الجندي

(١) كامل باشا: مصدر سابق، ص ٢٩٩.

(٢) الأوقية: هي وحدة من الموازين توزن بها العطور والبهارات، والفضة والذهب وكانت تستخدم في ما مضى واستبدلت في الوقت الحالي بالجرام.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية بالتركية، ص ٤٥. سليمان قوجسه باشي: مصدر سابق ص ١٦.

(٤) أحمد نوري النعيمي: اليهود والدولة العثمانية، الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة،

الإنشكاري تبدأ من عشرة عثمانة، حتى تصل إلى مائة عثماني، ومن له هذا المبلغ في كل يوم، يأخذ في الشهر ثلاثة آلاف عثماني؛ فيصرف له من الديوان عن الثلاثة آلاف عثمانية دينار واحد ونصف، وكان هذا المبلغ لا يفي بثمن فنجان القهوة التي يشربها، إضافة إلى باقي حوائجه^(١) وهذا يعني أن سعر العملة لا يكفي لشراء أي سلعة بالراتب الذي يتقاضاه جندي الإنشكارية. مما أدى إلى ثورة الإنشكارية وتمردهم على السلطان، والمطالبة باستمرار بزيادة الأعطيات. وهذا جعل الإنشكارية أيضاً جنوداً فقراء، وفي وقت السلم بلا مسؤولية وبلا عمل، حتى أنهم بذلك مثلوا خطراً كبيراً على الدولة، ففي أي وقت كانوا يقومون بنهب منازل الأهالي حتى أن السلطان في بعض الأحيان كان يطالب أغا الإنشكارية بإعادة هذه الأموال وإضرام النار فيها، وقد وصل الأمر إلى نهب بيت الصدر الأعظم نفسه.^(٢) فقد ظلموا الأهالي واستولوا على أموالهم وابتزروهم وذلك لضيق معاشهم دون وجه حق، وكان السلاطين والولاة يتغافلون عن أعمالهم، لعلمهم بقوة الإنشكارية، حتى استبدوا بالرعية تماماً وأنهكوها.^(٣)

ولكثرة عدد الإنشكارية جعل الخزينة تعجز عن القيام بنفقات الجند في أيام السلم، أضف إلى ذلك فراغ خزينة الدولة في أحياناً كثيرة، نظراً لكثرة حروب الدولة العثمانية، وكذلك زيادة مصروفات بعض السلاطين مما يؤدي إلى تأخير صرف رواتب الجند، فيزيد ذلك من تمرد الإنشكارية وعصيانهم، مما دفع بالدولة العثمانية إلى زيادة الرسوم الأميرية على الأهالي، كما أدى فراغ الخزينة إلى

(١) كامل باشا: مصدر سابق، ج ٣، ص ٨١. عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٢٥، نقلاً عن قطب الدين المكي.

(٢) أرشيف توب قابي سراي: تصنيف فرمان لـر. رقم ٢٦/٩٢٨٧، E، ألبرت هوبولبير: مرجع سابق، ص ٩٣.

(٣) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٢٥.

وقوع كثير من الظلم والجور والاعتداء على الأهالي فكان ذلك سبباً في كراهيتهم للدولة العثمانية وجيشها. (١)

ولكثر ما حملوا الخزينة فوق طاقتها كان السلطان يخرج مرتباتهم من خزينته الخاصة، أو من بيت مال المسلمين، وهذه تعتبر خيانة لقانون الخلافة ولبيت مال المسلمين (٢) كما أنهم في بعض الأحيان كانوا يصرفون لهم مواجب إضافية بسبب حراستهم للقلاع في بعض المناطق. (٣)

وكانت أعداد الإنشكارية المسجلة في الدفاتر كثيرة، أغلبهم متقاعدین، أو خدم وأتباع لا يخرجون للحرب أصلاً، حتى أنهم لا يصلحوا للقيام بأعمال الحفارة في الشوارع والطرق، ونتيجة لهذه الأعداد كانت الدولة تعجز عن صرف رواتبهم (٤) وبالتالي تقوم بفرض ضرائب جديدة، على الأهالي المثقلين بالديون، ويتم جمعها بتعسف وشدة من قبل جندي الإنشكارية، الذي صار مع مرور الزمن مجرد رجل يجوب الشوارع لجمع الأموال، وكان هذا أبلغ تشويه لصورتهم.

نذكر على سبيل المثال أنه أثناء تولي محمد الثاني الحكم للمرة الأولى وهو صغير السن في عهد مراد الثاني، استغل جباة الأموال وكبار رجال الدولة الوضع ونهبوا أموال الخزينة، وحرمت الإنشكارية من رواتبهم، وكان هذا بالطبع أحد الأسباب التي أدت إلى ثورتهم وتمردهم، فاضطربت الأمور في أدرنة، وسالت

(١) أحمد جودت: مصدر سابق، ص ١٨٦، ١٨٧. حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٠. حسين كمال البغدادي القادري. ورقة ٢١.

(٢) إسماعيل حقي أوزون جارشيل: مرجع سابق، ص ٤٨٠ ساطع الحصري: مرجع سابق، ص ٤٧، ٤٨.

(٣) أرشيف توب قابي سراي أستانبول: ٩٢٩٦/ ٢٩ E فرمان لر، ١٨٨٧ E، ٩٢٨٤/ ٢ E.

(٤) أحمد جودت: مصدر سابق، ص ١٨١.

الدماء، حتى تضرر الناس وضجوا، وناشدوا مراد الثاني بالعودة للعرش. (١)

كما أن أفراد الإنشكارية الأقوياء ضعفت همهم، بسبب أن مرتبات خدم القصر تزيد عن رواتبهم ثلاثة أضعاف، وهو من يتحمل مشاق البرد وحفر المتاريس وتعرضهم للجراح والعاهات، مما أثر على نفوسهم وضعف همهم أثناء الحرب والجهاد. (٢)

وإذا أخذنا اليمن كمثال لتسلط الإنشكارية على الأهالي نجد أن ابتزاز أموال الأهالي لم ينفذ وضعهم المادي، إذ لجأوا إلى بيع متاعهم وأسلحتهم وثيابهم الرسمية، زاد عددهم مع ازدياد فقرهم، إلى أن استولى الزيديين على بلاد اليمن، حيث ردت الإنشكارية على الضائقة المالية، ليس بالتمرد أو الاستنثار بالحكم، بل بلجؤهم بسبب ضعفهم إلى الإمام مطهر الزيدي، والذي استفاد من ذلك لإعلان التمرد على العثمانيين. (٣) (*)

كما أن انتشار القحط والطاعون، أدى إلى ارتفاع أسعار الحبوب في بلاد الشام، ومن ثم ارتفاع ثمن الخبز إلى حد كبير (**)، ولم تنفع جهود الدولة

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ١٠، محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٨٣.

(٢) أحمد جودت: تحقيق عبد اللطيف الحميد، ص ١٩٥.

(*) لقد لجأوا إلى أعداء الدولة العثمانية الزيدية، والذين استغلوا الوضع وأعلنوا الثورة على الدولة العثمانية، أما الجنود الذين بقوا موالين للعثمانيين كانوا في زبيد وعدن، فحاصروهم الزيديون، وقد تمكن سنان باشا في الفترة ما بين ٩٧٧هـ - ٩٧٨هـ - ١٥٦٩م - ١٥٧١م من إخضاعهم، وعمل على تحسين حال العساكر، وتشجيعهم على البقاء في ولاء الدولة العثمانية، وزاد في مرتباتهم وعطاياهم.

(٣) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٢٦.

(**) استغرب من أسعاره الإخباري المعاصر، شرف الدين موسى الأتصاري: مرجع

في استيراد القمح من مصر وقبرص، إذ أنه سرعان ما زاد ارتفاع الأسعار، بسبب جشع التجار وأصحاب الأفران، والذين ساهموا بشكل كبير في تفاقم هذه الأزمة، ولم تفلح جهود الدولة في القضاء على هذه الأزمة بالقضاء على جشع التجار لأن الجذور كانت أعمق من ذلك بكثير. ولضيق ذات اليد وارتفاع الأسعار، لم يكن يستمعوا إلى أوامر السلطان أو قائد الجيش العام، بعدم التعرض لأهالي المدن المفتوحة، فقد كان الأهالي لا يستطيعون التصدي لهم أو لأعمالهم التخريبية حتى أنهم عند وفاة أي سلطان يستغلوا فترة فراغ العرش حتى صعود السلطان الجديد، في القيام بنهب المدينة وابتزاز أهالي إستانبول.^(١)

لقد كان أفراد الإنشكارية عماد الجيش، وكان لتربيتهم الإسلامية العسكرية التي نشأوا عليها أكبر الأثر في ذلك، معنوياتهم مرتفعة، وهمهم الإسلامية قوية جعلتهم لا يخوضون حرباً إلا وكان النصر حليفهم، أسدوا للدولة خدمات عظيمة، فكافأهم السلاطين على ذلك وأعطوهم امتيازات وإقطاعات زراعية فأرتبطوا بأراضيهم، وما لبثوا بعد فترة أن تغيرت حياتهم فبدأوا يتخلفوا عن الخروج للحرب معللين ذلك بسبب البرد القارس، وهم في الواقع يهدفون إلى حياة الدعة والراحة والاستقرار.^(٢)

إن منحهم الأراضي الزراعية جعلهم يرتبطون بالأرض ويرفضون مغادرتها للاشتراك في الجهاد، اختلطوا بالسكان ومالوا لحياة المدن، وتخلقوا بأخلاق أهلها، وفقدوا الهمة العسكرية.

ومما ساعد على هذا الأمر السماح لهم بمزاولة التجارة، والبيع والشراء،

(١) ألبرت هوبلير: مرجع سابق، ص ٩٣.

(٢) محمود شاكر: مرجع سابق، ج ٨، ص ١١١، ١١٢. علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، الطبعة الأولى، دمشق، دار البيارق، ١٤٢٠هـ —
١٩٩٩م، ص ٥٤٢، إسماعيل ياغي: مرجع سابق، ص ٩٤.

فاتسعت امتيازاتهم في المدن، وقوى نفوذهم، إضافة إلى أن ارتباطهم بالثكنات العسكرية قد خف أساساً، فأصبحوا لا يذهبوا إلا لاستلام رواتبهم أو العلوفة والتي كانوا يبيعوها في أغلب الأحيان للحصول على العائد المادي. (١)

كان الاقتصاد العثماني شبه منهار، والدولة العثمانية لم تكن تصنع أي مصنوعات خاصة بها تقريباً، فُسمح للإنشكارية بالاشتغال في الحرب والصناعة، وذلك بهدف إثراء الصناعات المحلية ولو قليلاً. (٢)

هذا الأمر أدى إلى ضعف ارتباطهم بالثكنات العسكرية، فلم يعد يذهبوا إليها إلا لتسلم الرواتب فقط، لا للتدريب العسكري، أو المبيت فيها مما ساعد على ازدياد ارتباطهم بحياة المدينة ورفاهيتها وركونهم لحياة الحرفيين والصناع وليس حياة المجاهد في سبيل الله.

وقد ساعد أغوات الإنشكارية على فساد الفئة، فقد كانوا يدفعون مقدار عشرة أيام أو عشرين يوماً، من رواتبهم الشهرية لكبار رجال الدولة لشراء المناصب، ولاستجلاب خواطرهم ونفسياتهم، وإذا كان أغا الإنشكارية هذه أخلاقه، فبالتالي لم يبق من رجال الإنشكارية رجال يعتمد عليهم. (٣) وكان لأغا الإنشكارية دور كبير في مساعدتهم على العصيان والتمرد، وخدم أغراضهم ومصالحهم، بهدف المحافظة على مناصبهم. (٤)

إن نظام الإنشكارية أصبح للأسباب السابقة نظام ارتزاق، فكان لكل جندي

(١) السيد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، د. ط، القاهرة: المطبعة العالمية، ص ١٥. محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٥١. محمد أنيس: مرجع سابق، ص ٢١٤.

(٢) بييري أندرسون: مرجع سابق، ص ٣٠، ٣١.

(٣) أحمد جودت: مصدر سابق، ص ١٩٥.

(٤) إسماعيل حقي أوزون جارشيل: مرجع سابق، ص ٤٧٧.

تذكرة يحصل بمقتضاها على مرتب " العلوقة " وفي بعض الأحيان كانت تعجز الدولة عن دفع مرتبات هؤلاء كما سبق ذكر ذلك، فكان الجندي يلجأ أحياناً إلى القوة للحصول عليها، أو يلجأ إلى بيع هذه التذاكر لمن يدفع لهم قيمتها وبالتالي يصبح الشاري " جندي إنكشاري " وهذا جعل أسماء الكثير من عامة الشعب تدخل في قوائم الإنكشارية، حتى أنه وجد أسماء سيدات، وهؤلاء جميعاً قد اشترخوا التذاكر للحصول على الامتيازات الخاصة بالإنكشارية، وعامة الناس لا يمكن الاعتماد عليهم وقت الحرب، في حين أنهم يشكلون عبئاً اقتصادياً على الدولة.^(١)

أما عن الأسباب الاجتماعية فقد تركزت في السماح لهم بالزواج وتكوين أسرة وتربية الأطفال، مما حدا بهم الارتباط بأسرهم وحياة المدينة إضافة إلى الرفاهية التي تسببت في زيادة تكاليف معيشتهم، حيث زادت متطلبات حياتهم اليومية إضافة إلى ارتفاع في الأسعار وانخفاض في المعيشة.

وعندما تم دخول عدد كبير من المسلمين في الإنكشارية، في عهد مراد الثالث أي أواخر القرن السادس عشر الميلادي ترتب على ذلك إلغاء الحظر المفروض عليهم بعدم الزواج، فأصبح لهم أسر وانشغلوا بمشاكل الحياة اليومية والزوجية، وهذا بالتالي أدى إلى تقاعسهم عن الخروج للحرب، وضعف الاستعداد الحربي لديهم.^(٢) وفي الماضي لم يكن يسمح لهم بالزواج خوفاً من أن الروابط الأسرية قد تؤدي إلى تقاعسهم عن الجهاد وتجعلهم يعيشون خارج ثكناتهم ويخف ارتباطهم بها.^(٣)

والحقيقة أن هناك تساؤل عن مدى صحة قرار العثمانيين بتحريم الزواج

(١) خلف الوذيناني: مرجع سابق، ص ١٦٦.

(٢) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ١٢٨.

(٣) السيد رجب حراز: مرجع سابق، ص ١٥.

على الجند الإنشكارية، بحجة أن ذلك سيكون عائقاً لهم بالانصراف عن أعمال الجندية والاستماتة في القتال، ولكن يوجد لدينا في التاريخ الإسلامي مثال في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أنهم كانوا متزوجين ولديهم الأبناء، ولم يصرفهم ذلك عن تلبية نداء الجهاد في أي وقت، كما أنهم كانوا يستمتعون في ساحة القتال دفاعاً عن الإسلام ورفع رايته ولا يطلبون سوى الشهادة. كما أن هذا الحظر يتعارض مع الفطرة التي فطرها الله سبحانه داخل كل نفس بشرية، مما قد يترتب عليه آثار سلبية قد لا تلمس إلا بعد مرور فترة من الزمن وهذا ما حدث فعلاً، فقد تحولت الإنشكارية إلى جنود يجوبون الشوارع لنهب المنازل وهتك الأعراس، دون الالتفات إلى حرمانية البيوت، أو حتى المدن التي تسلم بمعاهدة، لا تسلم من انتهاك الحرمات وهتك الأعراس.

ومما لا شك فيه أن حظر الزواج على الإنشكارية، كان له أبلغ الأثر في تكوين جيش قوي، بعيداً عن العواطف الأسرية وإنما عاطفة نحو الإسلام وخدمة السلطان العثماني فقامت بذلك على أكتافهم الفتوحات الإسلامية، حيث كانوا يدخلون المعركة لا يرجون سوى النصر أو الشهادة في سبيل الله.

أما عن الأسباب النفسية، فقد تركزت حول أن الخدمات والأعمال الجليلة والبطولية التي قام بها الإنشكارية في بادئ الأمر قد أكسبتهم تقدير واحترام العامة والخاصة، وربما شعروا بالتميز وشعروا بأنهم هم الذين فتحوا المدن، ومن حقهم نظير ذلك أن تحقق جميع مطالبهم بلا استثناء. فهم الذين تحملوا المشاق في سبيل الدفاع عن الدولة العثمانية، فكانت هذه المشاعر من الأمور التي دفعتهم إلى التمرد والاعتداء على الأموال والأرواح.^(١)

كما أنه بسبب فتوحاتهم وانتصاراتهم الماضية، اعتقد الإنشكارية بأن القوة

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٢، ٨٣. إسماعيل ياغي:

والشجاعة، والفضيلة التي تتواجد عند جنودهم تجعلهم يتغلبون على كل جيش منظم بقيادة محكمة. هذا الوهم الذي ترسخ في أذهانهم، جعلهم يرفضون أي محاولة للإصلاح أو التطوير، كما أن أغنيائهم (*) اقتنعوا بأبسط الأمور إلا تقليد الأمم الأخرى، وبذلك عمت فكرة أن استخدام نفس أسلحة هذه الأمم للدفاع عن الدولة العثمانية وولاياتها يعتبر جريمة، وأن الشعوب الأخرى على ضلال، وأسأوا إلى الرجال (**). الأكثر خبرة وعلماً وذكاءً. (١)

كما كانت لدى الإنشكارية قناعة داخلية بأن دعاء الشيخ بكتاش قبل مئات السنين لهم بالنصر الدائم، سيفيدهم على الرغم من اختلال تنظيمهم العسكري وكانت هذه من أكبر الأخطاء التي وقعت فيها الإنشكارية، ورفضوا استخدام الأسلحة الحديثة والتطور ولم يفكروا لحظة كيف سيواجهون العدو في ساحة المعركة بأسلحته الحديثة، مما أدى إلى هزيمتهم في أغلب الأحيان.

وقوف شيخ الإسلام والعلماء إلى جانبهم في أغلب التمردات التي قاموا بها منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، زاد من ضغط الإنشكارية على السلاطين واستبدادهم فغالباً ما استندت ثوراتهم إلى فتاوى شرعية من شيخ الإسلام عادة ما كانت تمثل الرأي العام. (٢)

كما أثر على نفسياتهم، اختلاطهم بأهل المدن، مما أدى إلى فساد طبيعتهم

(*) لم يوضح المؤلف ماذا يقصد بكلمة الأغنياء، ولكن من الواضح في السياق العام أنه يقصد قادة الإنشكارية وزعمائها، وأغواتهم، فهم من يمتلك النفوذ والقوة والسطوة. ويقصد أيضاً شيوخ الإسلام الذين كثيراً ما ساندوا الإنشكارية.

(**) يقصد هنا المؤلف السلطان سليم الثالث، وبعض صدور العظام الذين وقفوا بجانب الإصلاح.

(١) سيد مصطفى - خالد زيادة: مرجع سابق، ص ٦٨، ٩٩.

(٢) خليل إينالجيك: مرجع سابق، ص ١٠١.

الحربية، وتغيير أخلاقهم، فأصبحوا أعداء لأنفسهم وأعداء لسكان المدن المحليين، وانغمسوا بالتالي في حياة اللهو والملذات، ورفضوا الخروج للحرب في البرد القارس، وأثروا حياة الاستقرار والدفع، مع استمرارهم في طلب علوفاتهم.

وقد أوجز عبد العزيز نوار أسباب ضعفهم وفسادهم في عدة نقاط هي:

- ١ - كبد العثمانيون خسائر فادحة في الأرواح والأموال نتيجة للحروب المتتالية التي خاضتها الدولة العثمانية ضد الدولة الفارسية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري، السابع عشر والثامن عشر الميلادي.
- ٢ - وأدى هذا الأمر إلى فقد أجزاء متتالية من الأراضي البلقانية، والتي كان يجمع (*) منها الأطفال المشردين والأيتام لنظام "الديوشرمة" وبذلك ضعف الأساس الذي الأساس الذي قامت عليه الإنشكارية.
- ٣ - استشعار الإنشكارية بقوتها ومكانتها في الجيش العثماني، جعلها تغالي في طلباتها وهباتها من كل سلطان جديد، وإذا رفض السلطان إعطائهم أشاروا الفتن عليه.
- ٤ - إقامة الإنشكارية في القلاع والمدن النائية لمدة طويلة، جعل الهدف الإسلامي العام غير واضح أمامهم، إضافة إلى فقد الإنشكارية للروح المعنوية، بسبب ضعف التدريب، وقلة العتاد الحربي، فلم يعد للسلطان تلك القداسة التي شب عليها الإنشكاريون من قبل وأصبحوا عناصر فساد، حتى أن الولاة أرادوا التخلص منهم.
- ٥ - لقد كان النظام أن يربط الإنشكارية في قلاعهم وثكناتهم مدة معينة، ثم يستبدلون بقوة أخرى، ولكن الوضع تغير خاصة في القرن الثاني عشر

(*) لقد أشار هنا إلى أن أطفال الديوشرمة كانوا من ضريبة الغلمان والتي قلل منها السلاطين العثمانيون.

الهجري، الثامن عشر الميلادي، إذ استقرت قوات الإنكشارية في قلاعها، وصارت تقوم بجباية الضرائب، فاندمجت الإنكشارية في حياة المدن، وغادر رجالها ثكناتهم وعاشوا حياة عادية، لهم أسرهم ومشاكلهم، فتحولوا إلى عنصر فساد وليس عنصر دفاع عن الدولة العثمانية.

٦- تحول نظام الإنكشارية إلى نظام ارتزاق، فقد كان لكل جندي إنكشاري تذكرة يحصل بمقتضاها على " علوفة " نقدية أو عينية، وعندما ضعفت الدولة العثمانية عن دفع رواتب الإنكشارية صاروا يحصلون على حقوقهم بالقوة، أو يبيعوا تذاكرهم لمن يدفع أكثر، والشاري يصبح صاحب التذكرة وبالتالي جندي إنكشاري، حتى لقد وجد في قوائم الإنكشارية أسماء آلاف من أصحاب الحرف والسيدات. (١)

هذه الأسباب اجتمعت، وأدت إلى قيام صراع بين أطراف السلطة، والصدر الأعظم، والإنكشارية، فتدخل النظام العام وفسدت الدولة على الصعيد الداخلي. (٢) في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري، السابع عشر والثامن عشر الميلادي.

هذا الصراع أصاب الوضع الداخلي بأشكال مشوهة، بين السلاطين الذين حاولوا جاهدين تقوية قدراتهم العسكرية للدفاع عن الدولة العثمانية، وذلك باللجوء إلى الإصلاحات، راغبين أم كارهين، وبين الإنكشارية التي باتت مؤسسة عسكرية بائرة تعاني من الهزائم المتلاحقة، ولكنها برغم من كل شيء بقيت السلاح التقليدي الوحيد في أيدي الأصالة وعلماء الدين. (٣) لقد كانوا جنوداً

(١) عبد العزيز نوار: مرجع سابق، ص ٨٦، ٨٧.

(٢) شبكة المعلومات العالمية " الإنترنت ".

(٣) قيس جواد العزاوي: الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، الطبعة الأولى، الدار

العربية للعلوم، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ص ٥٣.

أشداء يصعب السيطرة عليهم وكبح جماحهم.

وبهذا افتقدت الإنكشارية الأساسيات التي قامت عليها وفقدت مقدراتها الحربية، وأصبحت هيئة عسكرية صورة تعكس فساد هذه الفرقة، ومع مرور الزمن أصبح الإنكشارية مرضاً داخل جسم الدولة العثمانية.

عندما كثرت حركات تمرد وعصيان الإنكشارية لجأ بعض السلاطين إلى بعض الإجراءات في محاولة منهم للحد من تلك الظاهرة ومن أهم هذه الإجراءات ما يلي:

أولاً: إتباع سياسة تفريق أو تشتيت جموع الإنكشارية بحيث لا يتواجد أو يتزايد عددهم في مكان واحد، ولا سيما استنابول، وتنفيذاً لهذه السياسة لجأ السلاطين إلى توزيع جنود الإنكشارية على حاميات الحدود والقللاع والمدن المفتوحة حديثاً، وأيضاً إرسال فرق منهم لتلبية نداء المستجدين داخل ولايات الدولة العثمانية كما فعل السلطان سليم الأول حين أرسل إلى خير الدين بروسيا عام ٩٢٥هـ / ١٥١٨م ألفين من جنود الإنكشارية، بعد أن استجد به خير الدين وطلب العون لمحاربة الأسبان في الجزائر.

ثانياً: السماح لأعداد كبيرة من الجند المسلمين الذين ولدوا من آباء مسلمين في الديار الإسلامية بالانضمام إلى الإنكشارية، بعد أن كان هذا الأمر محذوراً تماماً، وذلك للحد من طغيانهم وتعصبهم وإظهار إمكانية الاعتماد على غيرهم.

ثالثاً: السماح للإنكشارية بممارسة بعض الحرف أو مزاولة التجارة في أوقات السلم، في حين كان هذا محرماً عليهم فيما سبق، والغرض من ذلك إشغالهم في وقت السلم حتى لا يدفعهم الفراغ للتفكير في إثارة الفتن، ورغم نجاح هذا الإجراء فيما يتعلق بشغل أوقات الفراغ عند الإنكشارية فقد كان له أثراً سلبياً من ناحية أخرى، حيث أدى إلى ابتعادهم عن

ثكناتهم العسكرية، وبالتالي عدم ممارسة التدريبات العسكرية مما ترتب عليه هبوط مستواهم القتالي.

رابعاً: عدم السماح لجندي الإنشكارية بحمل السلاح في أوقات السلم وذلك تجنباً لاستخدامه ضد المدنيين. (١)

على أنه مرت فترة هدوء نسبياً للإنشكارية في عهد صدارة كوبرلي محمد باشا وابنه فاضل أحمد باشا، فقد كانوا غاية في الطاعة ولم يتدخلوا في شؤون القصر أو السياسة العليا مطلقاً وأهتموا بشؤونهم فقط، وانضبطت صفوفهم، ولكن هذا لم يستمر طويلاً فبعد نهاية صدارتهم عادت الإنشكارية لسابق عهدها. (٢)

إذا عقدنا مقارنة بسيطة بين الإنشكارية وجيش المعتصم، في الدولة العباسية نجد أن جيش هذا الأخير قد تكون من عنصر الأتراك والذي اشتراهم المعتصم لينخرطوا في الجيش العباسي، فصاروا وبال على الدولة العباسية، مما أدى إلى ضعفها. ومن ثم سقوطها، وهذه الحالة تكررت مع الإنشكارية في الدولة العثمانية، مع الفارق أن الإنشكارية عماد الجيش العثماني وصاحبة أروع للفتوحات العثمانية، ولكن مع مرور الزمن تكرر الوضع بنفس النمو في الدولة العباسية، حيث سيطر الجنود على الحكام والدولة، مما أدى إلى سقوطها.

كلا الجيشين طغى على الحكام واستبد بالسلطة وتحكم في وضع السلاطين والخلفاء، أو عزلهم، ووصل الأمر إلى حد القتل، ووصلت أمور الفساد إلى أقصاها، حتى أضعفوا كيان هاتين الدولتين، وبقيت مصالحهم فوق الدولة والشعوب. ولهذا فرجل الحرب، لا يصلح أن يتحول إلى رجل سياسة وإدارة وحكم، فهو جندي لخوض حرب وفتح حصون، ولا يمتلك مرونة وليونة رجل السياسة.

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٠١.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية بالتركية: مادة بني تشري، ص ٥١١.

المبحث الثاني

نفوذ الإنكشارية داخل القصر السلطاني

أعتبرت الدولة العثمانية فريدة من نوعها في التاريخ الإسلامي، تميزت بمميزات جعلتها في مقدمة الدول، وأول هذه المميزات أنها كانت دولة إسلامية حملت راية الجهاد الإسلامي عبر الآفاق، ساعدها في ذلك، الميزة الثانية وهي الفئة العسكرية المعروفة بالإنكشارية، ذلك الجهاز العسكري الذي فتح البلاد وضم المدن، وكانت لها اليد الطولى في مختلف الفتوحات العثمانية، ولكن دوام الحال من المحال، فقد بدأت هذه القوة العسكرية في التمرد والعنف والبطش مما أدى إلى صراع مستمر بينها وبين الحكام، كان من نتائجه إضعاف هيبة الدولة العثمانية وإضعاف البنية الداخلية للدولة وقصورها في مواجهة البلاد الأجنبية حتى أبتلع الاستعمار أراضيها.

وبعد معرفة أسباب تمردات الإنكشارية ومدى السيطرة والقوة التي وصلت لها هذه الفرقة سواء في السياسة الداخلية أو الخارجية، نتبع تدخلهم في السياسة الداخلية أي في القصر السلطاني في عهد كل سلطان.

لم تورد المصادر التاريخية أي معلومات عن أي تمرد قامت بها الإنكشارية منذ نشأتها وحتى أوائل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، إلا أن المصادر التاريخية تسجل لنا حوادث وشغب الإنكشارية الذي بدأ يظهر على المسرح التاريخي في أواسط القرن التاسع الهجري الموافق النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي.^(١)

(١) إسماعيل حقي أوزون: المرجع السابق، ص ٥٠٦.

ولكن لابد أن نأخذ في الاعتبار أن بداية تمردهم لم يكن بتلك الصعوبة، واستطاع السلاطين التحكم فيها، لكنها تطورت بعد ذلك وتعدت لشخصية السلطان وعزله ثم قتله.

ففي عهد السلاطين الأقوياء لم يكن للإنشكارية نفوذ، وكانت تحت سيطرة السلطان، ولكن مع مرور الوقت تبدل الحال بسبب ضعف بعض السلاطين أولاً وزيادة نفوذ الإنشكارية داخل القصر السلطاني ثانياً وبالأخص ذلك النفوذ الذي ظهر في شخصية الأغا الإستبدادية.

لقد كانت مفاصد الإنشكارية من أكثر العلل التي أصابت الدولة العثمانية وساعدت على ضعفها الداخلي ومن ثم سقوطها، لقد استفحل الأمر بعد أن تسرب الفساد لها، وسمح لأي فرد الانضمام بسلوكها دون قيود، وأول بواكير هذه الأعمال الخارجة عن طبيعة عمل الجند، هو أول إضراب يذكره لهم التاريخ، بعد وفاة السلطان محمد الأول "٧٨١هـ - ٨٢٤هـ / ١٣٧٩م - ١٤٢١م" في منطقة غاليبولي، وقصة ذلك أنه عند وفاة السلطان محمد الأول، خاف الوزراء ورجال القصر من إشاعة خبر الوفاة قبل مبايعة ابنه مراد الثاني^(١) الذي كان في آسيا، وقد أنفق الوزيران في عهد محمد الأول وهما "إبراهيم وبايزيد" على إخفاء خبر الوفاة عن جنده خوفاً من حدوث طارئ لا تحمد عقباه، وأشاعا أن السلطان مريض، وأرسلا إلى ابنه مراد، والذي وصل بعد واحد وأربعين يوماً واستلم مقاليد الأمور والحكم هذه رواية.^(٢)

وهناك رواية أخرى تذكر أن خبر وفاة السلطان شاع بين الجند، ولم تهدأ ثائرتهم حتى احتال رجال القصر على الجند وأوقفوا جثة السلطان خلف نافذة

(١) فريد بك المحامي: المصدر السابق، ص ١٥٢.

(٢) مصدر سابق، ص ١٥٢. محمد جميل بيهيم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣١.

القصر وجعلوا يحركوا يده كتحية للجند أثناء مرور صفوفهم أمام القصر. (١)

ولكن هذه الرواية الأخيرة كما يبدو مشكوك في مدى صحتها، فليس من المعقول أن تكون شخصية السلطان سهلة بحيث يستطيع وزرائه التعدي على هيبة جثة السلطان، وحمله وإيقافه أمام النافذة، ولنفترض حدوث ذلك فيكيف يستطيع وزرائه إيقافه بشكل مستقيم وهو جثة هامة، بل وتحريك ذراعه بالتحية بأيديهم، ليراها الإنكشارية، إضافة إلى أن الميت عيناه مغمغمتين فكيف سيفتحها هؤلاء الوزراء، وهل بقيت جثة السلطان لم تتحلل أو يصيبها العطن خاصة وأنه لا يوجد وسائل لحفظ الجثة بهيئتها كاملة لمدة طويلة، فالوسائل لا شك أنها بدائية نوعاً ما، كذلك النافذة هل هي بعيدة بدرجة كفاية حتى لا يلاحظوا الإنكشارية ملامحة عن قرب، فلا يعتقد أنها بعيدة جداً فيإمكان الجند الاقتراب لدرجة تسمح بتفرس ملامحه الميتة واكتشاف الحقيقة، وعلى هذا فإن الباحثة ترجح الرواية الأولى وذلك لقربها للمنطق والصحة ولقرب فريد بك المحامي من الفترة الزمنية.

وبعد تولي مراد الثاني بن محمد الأول الحكم " ٨٠٦-٨٥٥هـ / ١٤٠٣-١٤٥١م " صارت الأمور هادئة مع الإنكشارية حتى حدثت معركة وارنة التي دارت أحداثها على سواحل البحر الأسود عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م وقد انتصر فيها السلطان مراد الثاني على جيوش الحلفاء المسيحيين (*) واستعاد مدينة وارنة من المجر والبولونيين وغيرهم، ثم عاد السلطان إلى العاصمة، ومرض

(١) محمد جميل بيهيم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣١.

(*) ومضوا معاهدة ساكه دين مع جان هويناد عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م. إسماعيل حقي

أوزون: المرجع السابق، ص ٥٠٦.

هو ينادي: ولد عام ١٣٨٧م وتوفي ١٤٥٦م من أسرة مجرية الأصل عُين ملكاً للمجر من قبل ماتيويس إين لارسلان - أشتهر بمحاربة العثمانيين، ومات متأثراً بجراحه أثناء

حصار محمد الفاتح لبلغراد. محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ١٥٦.

بعدها إثنان من أبنائه بمرض معد توفيا على أثره، فحزن عليهما حزناً جماً، وعفت نفسه عن الملك، فقرر أن ينادي بابنه محمد الثاني سلطاناً والذي لم يتجاوز ١٥ عاماً، وانسحب إلى إحدى المدن. (*) (١)

ولكن هذا الطفل الذي حكم لم يعجب الإنشكارية وثاروا عليه وازدروه ونهبوا عاصمة الدولة أدرنه. (٢) على الرغم من أنهم ساعدوه في الغارات على بلغراد، وعندما جرح في فخذه أنقذوه ودافعوا عنه، وكان اعتراضهم على حكمه بسبب صغر سنه وليس شخصه، وساعدهم في ذلك وحرصهم رؤساء الإنشكارية وهم ذا غانوس باشا. (٣)، وشهاب الدين باشا الخادم، كما ساعدهم في هذا التمرد رجال الدولة الذين لم يرضيهم سلطان الخامسة عشر عمراً. (٤)

ولم يهدأ الوضع حتى عاد السلطان مراد الثاني مرة أخرى من عزلته، وقام بإخماد الفتنة، وإنزال العقاب الشديد بمديريها ورؤوس الفتنة فيها، وهكذا عاد الأمر كما كان وهدأت البلاد، ولكي يضمن السلطان مراد الثاني عدم إثارتهم للقلق مرة أخرى أشغلهم في حرب بلاد اليونان عام ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م وساعدهم في ذلك ظروف اليونان الداخلية. (**)(٥)

(*) مدينة مغنيسا، انسحب مراد الثاني لها للاستجمام. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣١.

(١) حبيب السيوفي: المرجع السابق، ص ١٠.

(٢) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص ١٥٨، إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ١، ص ٥٠٤.

(٣) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ١٢.

(٤) إسماعيل حقي أوزون: المرجع السابق، ص ٥٠٦، ٥٠٧.

(**) ساعده تقسيم الملك إيمانويل بلاده على أولاده، مما أدى إلى إضعافهم ومن ثم يسهل القضاء عليها. محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ١٥٨.

(٥) المصدر السابق، ص ١٥٨.

وهكذا رضى مراد الثاني لمطالب الإنشكارية وعاد إلى السلطة، ولكنه قضى على رؤوس الفتنة، وهذا يدل على قوته وخوف الإنشكارية من شخص السلطان، الأمر الذي سيتحول فيما بعد كما سنرى.

واستمرت الأحوال هادئة حتى توفي مراد الثاني وتولى الحكم بعده ابنه محمد الثاني " ٨٣٣هـ - ٨٨٦هـ / ١٤٤٧م - ١٥١٢م " ثم بدأ تمرد الإنشكارية مرة أخرى وأضربوا عن العمل، حتى أجبروا السلطان على زيادة رواتبهم. وحققوا مبتغاهم، ولأن محمد الثاني كان يحتاجهم في فتوحاته فقد إزدادوا إلحاحاً في مطالبهم. (١)

وإذا دققنا هنا نجد أن تمردهم في عهد محمد الثاني تلخصت في زيادة الرواتب، وربما يعود رفضهم وتمردهم على مراد الثاني في البداية لصغر سن محمد الثاني، ولكن بعد ذلك رضخوا له ولأوامره وساروا تحت طوعه.

على أن تدخل الإنشكارية الفعلي كان واضحاً بعد وفاة السلطان (*) محمد الثاني، فبعد وفاته في سكوتاري، بشكل مفاجئ، أخبر الصدر الأعظم محمد باشا قرماني (**) بوفاته بسرية تامة، وأخفاه عن الجنود جميعاً وخاصة الإنشكارية لما

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٢.

(*) لقد توفي محمد الفاتح في ٣/٥/١٤٨١م في مكان يسمى " سلطان جابري " بالقرب من خيرة، وكان في طريقه لإحدى الحملات الحربية، وكان على رأس جيش، وفجأة وهو في الطريق مرض مرضاً شديداً منعه من السير، وبالطبع توقف الجيش عن المسير، وذهب المعسكر في المكان المذكور وتوفي السلطان نتيجة لهذا المرض. أنظر رشاد أكرم قوجسي: الإنشكارية، د. ط، إستانبول: ١٩٦٤م، ص ١٤٥.

(**) محمد باشا القرماني: أحد الكتاب والصدور العثمانية، في عهد محمد الفاتح، من نسل جلال الدين الرومي، تربى في قونية، وكان تلميذ علاء الدين علي جلبي أحد العلماء الكبار في عهده ثم صار صهره بعد ذلك، ترقى في المناصب حتى وصل الصدارة العظمى في =

عرف عنهم من سرعة التمرد. حيث خاف من آثار الخبر عليهم قبل الوصول إلى إستانبول، وأشاع بين الجند أن السلطان مريض يحتاج إلى الحمامات الدافئة حتى يتماثل للشفاء، وقام بنقل الجنمان في قارب (*) مغلق إلى العاصمة بحجة المحافظة على صحة السلطان من البرد بعد خروجه من الحمام الدافئ،^(١)

وكان ذلك من أجل كسب الوقت حتى يستطيع إشعار بكر أبنائه " أبو يزيد" (**)، ولكنه في نفس الوقت كان يميل إلى ابنه الأصغر " جم" الذي تربطه به علاقة مودة، فأرسل الصدر الأعظم قرماتي محمد باشا سراً إليه يخبره بوفاة والده ويستعجله العودة إلى العاصمة ليتسلم مقاليد الحكم قبل أخيه، وكان هذا في بلاد قرمان ومركزه قونية. (***) (٢)

= عهد الفاتح، أهم أعماله إعداده مجموعة من القوانين عرفت باسم " فاتح قانون نامه، أو قانون نامه آل عثمان، " عين قاضي عسكر الأناضول. وكان بارعاً في الخط، والرماية والقوس. انظر الموسوعة التركية الوقف الديني بتركيا، ج ١، د.ط، إستانبول ١٩٨٨م، ص ١٣٣. (*) ذكرت بعض المراجع أن الصدر الأعظم نقل النعش في عربة ولكن بشكل لا يشك فيه أحد. أنظر رشاد قوجسي: مرجع سابق، ص ١٤٦.

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٢. أنظر إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص ٥٠٧. أنظر رشاد قوجسي: مرجع سابق، ص ١٤٦. (***) يرد إسم هذا السلطان في الغالبية من الكتب العربية مكتوباً " بايزيد " وهذه الكلمة في النطق التركي لاسم العربي " أبو يزيد " وفي آسيا الصغرى هناك مدينة باسمه حاضرة صنجق في ولاية أرضروم بناها بايزيد الأول. أنظر عبد العزيز الشناوي ج ١، مرجع سابق، ص ٥٠٤.

(***) قونية: بضم ثم السكون ونون مكسورة. وهي مدينة تركية تقع وسط تركيا إلى الجنوب من أنقرة، وإلى الشمال من البحر الأبيض المتوسط. أنظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧٩. أنظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ١٢٠.

وقبل ذهاب الصدر الأعظم إلى إستانبول حذر الجنود بعدم تركهم لأماكنهم أو التفرق، حتى يعود إليهم مع السلطان مرة أخرى وبمجرد وصوله إلى إستانبول، أمر بإغلاق الموانئ وعدم عبور أي قوارب، وقام بإخراج فرقة الأعجمي أوغلان لحماية المدينة سراً وأعلن أنهم خرجوا لإصلاح الجسور، وأغلق أبواب المدينة، وهنا وضح أن الصدر الأعظم قد سيطر على الأمور في العاصمة، وعندما رأى إسحاق باشا محافظة إستانبول هذا الوضع، أحضر عدداً من الإنشكارية مسلحين وأنحاز إلى صف بايزيد. ^(١) والذي كان علاقته مع أبيه فاترة، وكان على علاقة وثيقة مع بعض الشخصيات التي لها تأثير قوي على الإنشكارية أمثال سنان باشا حاكم الأناضول وإسحاق باشا عدو الصدر الأعظم قرماني محمد باشا. ^(٢)

وكان على كل ابن الإسراع بالعودة للعاصمة حتى يتولى العرش، لكن خبر وفاة السلطان انتشر بين الإنشكارية المرابطين في المعسكر في سكوتاري، وعلى الرغم أن الإنشكارية في ذلك الوقت كانت لا تزال تلتزم بالطاعة إلا أنهم لم ينفذوا أمر الصدر الأعظم، وسارعوا بالعودة إلى إستانبول، بالقوارب الموجودة عندهم، وعبروا البوسفور إلى العاصمة وقتلوا الصدر الأعظم، ونهبوا قصره، وعاثوا في المدينة نهباً وسلباً، وأقاموا ابن السلطان بايزيد " كركود " قائمقام للدولة مكان أبيه لحين وصوله، وعندما تلقى إسحاق باشا ^(*) خبر مقتل محمد باشا القرماني،

(١) رشاد فوجسي: مرجع سابق، ص ١٤٦.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ١٧٩. انظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ١٢٠.

(*) إسحاق باشا: من أصل يوناني، كان في الدوشرمة، أرتقى في المناصب أمير أمراء البوسنة ثم أمير أمراء الأناضول، حظي بمكانة عالية عند بايزيد الثاني، تولى الصدارة العظمى مرتين، ساعد الإنشكارية في مقتل محمد باشا قرماني، اعتذر عن الاشتراك في الحرب التي بين بايزيد وجم، له جامع بإسمه، ومسكن للفقراء، وقصر كبير له. ولم تعرف سنة وفاته. الموسوعة التركية: ج ٢٠، د. ط ' أنقرة ١٩٧٢م، ص ٢٣٢ - ٢٣٤.

أرسل أوامره إلى الإنشكارية بالتزام الهدوء والسكينة والرجوع إلى ثكناتهم، وامتثلوا لأوامره. (١)

ونلاحظ هنا أن تمرد الإنشكارية كان ضد الصدر الأعظم، وتمكنهم من قتله يعتبر مؤشر خطير، حيث يدل على أنهم بإمكانهم القيام بتمرد في أي وقت متى أرادوا.

وعندما وصل بايزيد إلى إستانبول استقبله كبار رجال الدولة عند مضيق البوسفور وأثناء اجتيازه البوغاز أحاطت به قوارب مليئة بالإنشكارية يرحبوا به، ويطالبون بعزل أحد الوزراء وهو مصطفى باشا وتعيين إسحق باشا مكانه، فأجيب طلبهم، وكان هذا دليل كاف على تأثيرهم وأن لهم الفضل في اعتلائه العرش، وعند وصول بايزيد إلى القصر السلطاني وجد الإنشكارية مرابطة أمام القصر، ومصطفين أمام البوابات بما يشبه المظاهرة العسكرية، وطالبوا السلطان بايزيد بالعمفو عنهم عما وقع من قتل للصدر الأعظم ونهب وسلب المدينة، كما طالبوا بأن يعطيهم مبلغاً من المال، تعبيراً عن السرور بتعيينه فأجابهم على جميع مطالبهم. (٢) (*)

ولم يكن من السهل عدم قبول مطالبهم ليس ضعف في شخصية السلطان ولكن لأنه سيدخل في صراع مع أخيه جم وكان لابد من أن يضمن تأمين ولاتهم

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ١٧٩. عبد العزيز الشناوي: ج ١، ص ٥٠٤، رشاد قوجسي: ص ١٤٧.

(*) نجاح السلطان عبد الحميد الأول " ١١٣٧ - ١٢٠٣ هـ / ١٧٢٤ م - ١٧٨٨ م " في إلغاء هذا التقليد بحجة الحرب مع روسيا. محمد فريد المحامي. مصدر سابق، ص ١٧٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧٩. أنظر عبد العزيز الشناوي: ج ١، ص ٥٠٤، أنظر أيضاً محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص ٢٤٩. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٢. بسام العسلي: ج ٥، مرجع سابق، ص ١٠٥.

له، وهدوء جبهته الداخلية، حتى يخوض المعركة مع أخيه وهو متأكد من تأمين الجبهة الداخلية، لكن لا شك أن هذا الأمر ساعد الإنشكارية كثيراً وجعلهم يصابون بالغرور والطمع في فترة مبكرة جداً، ويدل أيضاً على أنهم أرادوا تثبيت إسحق باشا في الصدارة العظمى وصرف أعطيات لهم، إضافة إلى أن السلطان سامحهم على أعمال السلب والنهب في العاصمة، وقتلهم للصدر الأعظم - مهما كانت أسبابهم - هذه الأمور جعلتهم يحسون أن أوامرهم دائماً مطاعة، خاصة وأن عادة إعطاء العطايا عند جلوس كل سلطان أصبحت فريضة رداً من الزمان.

على الرغم من ذلك كان السلطان بايزيد يأخذ رأيهم في كل أمر حتى في القضاء على الصدر الأعظم^(١)، الذي أثر إعلان الحرب على الإستراتيجية لأنها قامت بحماية الأمير جم، وقد كان السلطان بايزيد يؤثر عدم معاداتهم إلا أن الصدر الأعظم أصر على الحرب فغضب عليه بايزيد، وأخذ يتحين الفرص للتخلص منه، حتى جاءت هذه الفرصة في وليمة أقامها السلطان، وأمر بخنقه، لكن الصدر الأعظم طلب من السلطان فرصة حتى يعلم بما سيكون من أمر الإنشكارية لأنه الرئيس الأعلى لهم، فأعتقله السلطان في أحد أبراج القلاع، إلى أن يفصل في أمره. وعندما علم ابن الصدر ما حدث لأبيه غضب، وطاف بين ثكنات الإنشكارية، يحثهم على التمرد على السلطان من أجل قائدهم الذي ذهب ضحية ظلم السلطان له، فثاروا وتجمعوا في الشوارع أكثر من عشرة آلاف، مهددين بالهجوم على القصر لإحراقه وإخراج قائدهم من السجن إذا كان لا يزال حياً والفتك بالظالم إذا كان قائدهم قد قتل.^(٢)

فخاف السلطان منهم، ولكي يسكن ثورتهم أظهر لهم قائدهم الأعلى، وعندما رأوا على جسمه آثار الضرب، زاد صراخهم، عندها أمرهم الصدر الأعظم

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ١٣-١٤.

(٢) مرجع سابق، ص ١٣ - ١٥.

بالهدوء، فعادوا إلى ثكناتهم، وهكذا نجا السلطان من أذاهم، وعاد الصدر الأعظم إلى منصبه لكن لم يهدأ بال السلطان، حتى عقد النية على إبعاده عن الإنشكارية ليستطيع التخلص منه، وفعلاً أصطحبه معه إلى أدرنه، وهناك قتله، وأذاع أنه قضى نحبه بداء السكته، وهكذا تخلص منه وقام بنفس العمل بباقي قادة الإنشكارية. فقد كان يرسلهم إلى أماكن بعيدة بحجة أشغال مهمة، ويتخلص منهم بالقتل. وعندما رأت الإنشكارية عداوته لهم، غضبوا غضباً شديداً وأصروا على الانتقام، وبينما هو عائد إلى العاصمة تربصوا به، فعلم واستولى عليه الخوف، وحاول إرضائهم بجميع الطرق، والاستجابة لرغباتهم، حفاظاً على حياته. (١)

ونأتي إلى نقطة مهمة في تدخل الإنشكارية في القصر السلطاني، وهي في نهاية عهد بايزيد حيث كانت المشاكل تعصف به من جميع الجهات مشاكل داخلية، صراعه مع أخيه الأمير جم، ثم صراعه مع الشاه إسماعيل الصفوي، ثم في وقت متأخر كما سنرى صراع أبناءه الثلاثة على العرش، كل ذلك جعله دائماً مشغول، فتقبل تدخل الإنشكارية في القصر السلطاني مما أوجد لهم المجال في كثير من الأمور التي سارت وفق هواهم. لقد لعبت الأطماع الداخلية دورها في إفساح المجال أمام الإنشكارية وتقبل بايزيد لذلك ليس لأنه ضعيف أو لأن الإنشكارية جنود مرتزقة همها العنف، ولكن لأن بايزيد لم يكن يريد فتح جبهة داخلية عليه، إضافة إلى الجبهات الخارجية، فأثر أن ينفذ رغباتهم، لكي يضمن ولائهم في الفتوحات وفي صراعه مع الشاه إسماعيل الصفوي.

ولنرى الآن لماذا فضل الإنشكارية سليم على باقي أبناء بايزيد، لقد كان للسلطان بايزيد ثمانية أبناء، توفي خمسة منهم وهو على قيد الحياة، وبقي ثلاثة أبناء، (٢) وكان الثلاثة مختلفي الأهواء، فخشى والدهم من وقوع فتنة بينهم مما

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ١٤، ١٥.

(٢) عبد العزيز الشناوي: ج ١، مرجع سابق، ص ٥٠٤.

دعاه إلى تفريقهم فعين أحمد والياً على أمسيا، وكوركود والياً على صاروخان، أما سليم فولاه على طرابزون^(*)، وكان أحمد شخصية يحبها الأعيان وكبار الدولة، إضافة إلى أنه كان أكبر الأبناء فعينه في ولاية العهد، وكوركود كان ميالاً للعلم والعلماء، ومحباً للآداب، فلم يتقرب منه الجند، أما سليم فقد كان يلعب بالورقة الرابحة عند الجنود وهي ميله للحرب، وحبها لها مما جعل الإنشكارية تميل إليه. (١)

لكن وضع أحمد في ولاية العهد لم يعجب الإنشكارية الذين كانوا تواقين للحرب والجهاد، خاصة بعد مرور فترة من الحروب الدفاعية في عهد بايزيد، وإصابته بمرض النقرس، وهو أكثر الأمراض شيوعاً في آل عثمان. إضافة إلى ضعفه وقلة حركته، وميله للسلم والكف عن سفك الدماء، وتركه للسفر سنين طويلة إذ لم تزد في عهده أملاك الدولة كثيراً، وكانت حروبه مجرد الحفاظ على الدولة، وعقده مع الأعداء البيزنطيين هدنة مدتها عشر سنوات، مما جعل الإنشكارية تشور لكثرة راحتها وسكونها، وتطالب بسultan قوي قادر على السفر ليجاهد بهم في سبيل الله، فاتجهوا إلى سليم لأنه أجلد إخوتهم، وأكثرهم ميلاً للحرب والفتوحات، إضافة إلى جرأته وصرامته في اتخاذ القرار حتى لقب بـ "ياوز" (**). (٢)

(*) طرابزون: مدينة تركية أسيوية " الأناضول " تقع على البحر الأسود، وموقعها أعطاها أهمية استراتيجية س. موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة عصام محمد الشحادات، الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣ هـ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(١) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ١٢٧. بسام العسلي: مرجع سابق، ج ٥، ص ١١٠. خليل إينالجيک: مرجع سابق، ص ١٠١.

(**) معناه الحاد البائر العنيد، القوي. عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٠٥.

(٢) علي إبراهيم البويتي الشافعي: سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد يشتمل على =

كما أن سليم كان يعتبر جميع الولايات الأوروبية دار الحرب، لذلك أراد ولايتها رغبتاً في الجهاد، وهذا السبب جعل الإنشكارية تساعد في التمرد على أبيه بايزيد الثاني. (١)

وقد كان لعقد الهدنة مع البيزنطيين عشر سنوات، أبلغ الأثر في ميل الإنشكارية لسليم، حيث رغب فيه لعلو همته، ولأنه شاب محارب، أما بايزيد كان رجلاً كبير في السن صالحاً مباركاً، لا يحب العظمة ولا التجبر، حتى أن أغا الإنشكارية يونس أغا مال لسليم (٢) ولم ترتاح الإنشكارية لتعيين أحمد ولياً للعهد، فعندما طلبوا منه زيادة رواتبهم لم يجب طلبهم بسبب عدم وجود أعمال لهم في تلك الفترة، فحنقوا عليه وقرروا أن لا يتولى هو عليهم أبداً. (٣)

في هذه الأثناء لم يقبل سليم تعيين أبيه له على ولاية طرابزون، وترك مقر الولاية وسافر إلى كافا من بلاد القرم، وطلب من أبيه أن يعينه في إحدى الولايات الأوروبية، فلم يقبل السلطان ذلك وأصر على بقاء سليم في طرابزون، فحدثت بين السلطان وسليم مشادة، أصر خلالها سليم على القتال، الأمر الذي دفع بسليم إلى العصيان وتجهيزه جيشاً كبيراً من قبائل التتار، وسار به إلى بلاد الروملي،

= تاريخ سلاطين آل عثمان، محفوظ في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٦٧٥ تاريخ، ورقة ٢٣. محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ١٨٧. عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٠٥، إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص ٥٠٧.

(١) محمود شاكر: مرجع سابق، ص ٩٤، ٩٥، للاستزادة عن صراح بايزيد مع ابنه سليم الرجوع محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢) محمد الزنبلي الرمال: سيرة الجراكسة وما وقع بينهم مع السلطان سليم بن بايزيد بن السلطان محمد الفاتح القسطنطينية من الحروب والقتال، محفوظ في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٦٣٢ تاريخ. ورقة ٥. انظر جيب السيوفي: مرجع سابق، ص ١٥.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥.

فأرسل له والده جيشاً ليرهبه، وعندما لمس السلطان من إبنه التصميم على الحرب، قبل بمطالبه وتم تعيينه في سمندرية (*) وودين (**) حقناً للدماء وكان ذلك عام ٩١٧هـ / ١٥١٢م. (١)

في هذا الوقت غادر السلطان بايزيد العاصمة إستانبول، وذلك بعد وفاة إبنه شاهنشاه، واشتد عليه المرض، وفي هذا الوقت وجد كل واحد من أبناءه الثلاثة المتصارعين على الحكم أن خلو العاصمة من السلطان فرصة بأن يجمع جيشاً ويتوجه به للعاصمة وينصب نفسه سلطاناً على العثمانيين، فولي العهد أحمد قد أرسل له السلطان بايزيد الثاني ليأتي ويبقى بجواره إذا ما وافاه الأجل المحتوم، لكن الإنشكارية لم تسمح بدخوله العاصمة مع جيشه، بل واتهموه بعدم الكفاءة وتمردوا عليه. وبما أن أحمد لم يكن يطمع في الملك، فقد رأى أن الإنشكارية لا يريدونه سلطاناً عليهم، فهو أيضاً يكره ذلك. (٢)

أما كركود فقد علم بنجاح تمرد أخيه سليم فانتقل إلى ولاية صاروخان واستلم إدارتها دون أمر أبيه، وذلك لكي يكون بالقرب من العاصمة إذا دعت الحاجة إلى

(*) سمندرية: معناها أندريا وهي مدينة واقعة على نهر الطونة وتبعد ٤٥ كيلو متر عن العاصمة بلغراد، ولها أهمية حربية عظمى، وهي تعريف من أندريا.

(**) ودين: مدينة حصينة في الشمال الغربي من بلغاريا، قرب الحدود اليوغسلافية تقع على نهر الدانوب، لها أهمية حربية كبرى، تبعد ٢٢٥ كيلو متر عن بلغراد. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ١٥٥ - ١٨٦. انظر بسام العسلي: مرجع سابق، ص ١١٠، ١١١.

(١) مصدر سابق: ص ١٨٦. انظر أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص ١٤٠. محمود شاكر: مرجع سابق، ص ٩٤.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ١٨٧. عبد العزيز الشناوي: ج ١، مرجع سابق، ص ٥٠٦ - ٥٠٧. أيضاً محمد سهيل طقوش: ١٢٧ - ١٢٨ حبيب السيوفي، ص ١٥.

أرشيف توب قابي سراي، ٢/٥٨١٤. E.

ذلك، لكن بايزيد أرسل له جيشاً تمكن من هزيمته. (١)

أما سليم وهو الأهم فلم يقتنع بولاية ودين وسمندرية ولم يهدأ باله، فقد عرف أن الحرب آتية لا محالة في ذلك، ولكنه كان يقول "ليحدث ما يحدث" وكانت الإنشكارية تساعده في جميع المراحل، وتقوي من ساعده ضد أبيه، وزينت له أن يسير إلى أدرنه ويعتد نفسه سلطاناً، فجمع قواته وسار إلى أدرنه وأعلن نفسه سلطاناً عليها، فأرسل له والده من هزمه وجعله يفر إلى بلاد القرم، لكن الإنشكارية بدأت بالإلحاح على السلطان حتى يعفو عنه، ويعيده إلى سمندرية، ووافق بايزيد وأصدر خط شريف بذلك. (٢)

ولم تلبث الإنشكارية أن ألحت على السلطان حتى يعين ابنه مكانه ويتنازل عن العرش، فخاف بايزيد على دعائم الدولة، وأشار عليه وزرائه بأن ينزل عن العرش لابنه وينسحب، فوافق السلطان حقناً للدماء ومحافظة على الدولة، وأثناء عودة سليم إلى سمندرية، سارت إليه الإنشكارية، وتأكد أنهم معه، وعاد معهم إلى إستانبول في احتفال زائد عن اللائق، وساروا به إلى السراي، حيث تنازل بايزيد عن الحكم في ٨ صفر سنة ٩١٨ هـ / ٢٥ أبريل ١٥١٢م رغماً عن أنفه، وبعد ذلك طلب سليم من أبيه أن يرحل إلى ديموتيقاً (*) وكان ذلك بعد التنازل بعشرين يوماً، وأثناء رحلة السفر وافته المنية عن

(١) بسام العسلي: ج ٥، مرجع سابق، ص ١١١.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ١٨٧٥. انظر عبد العزيز الشناوي: ج ١، مرجع

سابق، ص ٥٠٦٥ - ٥٠٧٠. انظر بسام العسلي: ج ٥، مرجع سابق، ص ١١١٥.

(*) ديموتيقا: مدينة تقع إلى الجنوب من أدرنة في اليونان، على الحدود التركية أنظر بسام

العسلي: ج ٥، مرجع سابق، ص ١١١.

عمر يناهز السبعة والستين عاماً ودام حكمه اثنين وثلاثين سنة.^(*)(١).

وهكذا نجد أن سليم الأول قد تولى العرش، بحركة إنقلاب حقيقية، من قبل الإنشكارية لأنهم رأوا فيه السلطان المجاهد. مما جعله دائماً يأخذ رأيهم وشعروا هم كذلك بأنه يدين لهم بالعرش، فضلاً عن الانتصارات الواسعة التي أحرزوها مما جعل السلطان سليم يغمرهم بالعطايا في كل مناسبة، وربطهم مباشرة بشخصه، فتمكن بهذا الأسلوب من السيطرة على كل أمورهم^(٢).

وهنا نجد أنهم رفعوه لكرسي العرش، ولكنهم طالبوا بالثمن، وهذا يدل على مبلغ قوتهم وطمعهم، فقد تصدوا لولي العهد أحمد بكثرة عددهم ومنعوه من دخول العاصمة، ونصبوا بدلاً منه سليم مما يدل على إمساكهم بزمام الأمور جيداً.

أما تفصيل أولى مشاكلهم في عهد سليم عام ٨٧٥هـ - ٩٢٦هـ / ١٤٧٠م

(*) لقد تحدثت بعض المصادر التاريخية على أن بايزيد لم يمت ميتة طبيعية وأن سليم أرسل من دس له السم في طعامه وقتلوا أنه من طبيبه اليهودي، وبذلك مات بطريقة مشكوك فيها لأن سليم خاف من عودته للمنصب كما فعل مراد الثاني، وقد أورد ذلك محمد فريد المحامي وحبیب السيوفي وألبرت هويلبير..

ولكن قصة كهذه لا يجزم بحقيقتها أبداً إذا ما وضعنا في اعتبارنا أن بايزيد كان طاعناً في السن مريضاً جداً وحزيناً على فقد عرشه وإبنه شاهنشاه فهذا يؤدي إلى موته هماً وحزناً وليس بضرورة أن يقتل. كما أن سليم غضب من أبيه لأنه عين أحمد في ولاية العهد وطالما هو أصبح السلطان فلما يقتل والده فلا معنى لخوفه من استرجاع العرش لكبير سن والده ولأن سليم تسانده الإنشكارية..

(١) علي إبراهيم البويتجي الشافعي: سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد، ورقة ٢٣-٢٤ انظر حبیب السيوفي: مرجع سابق، ص ١٥. انظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ١٢٧ - ١٢٨. انظر بسام العسلي: ج ٥، مرجع سابق، ص ١١١، انظر أحمد زين دحلان: مصدر سابق، ص ١٤٠ انظر محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٢.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ١٨٧. بسام العسلي: مرجع سابق، ج ٥، ص ١١٥.

- ١٥١٩م في أن سليم خرج إلى أسوار العاصمة حتى يودع والده المسافر، وعاد إلى القصر ليباشر أعماله، لكن ترامت إلى مسامحه أن الإنكشارية محتشدون في تمرد عسكري في الطريق المؤدي للقصر في العاصمة يطالبوا بمكافآت سخية لقاء مساعدتهم، فأنزعج السلطان من هذا التصرف وسلك طريقاً آخر وصل منه إلى القصر، لكن الإنكشارية لحقت به وأضطر أن يدفع لكل واحد منهم خمسين دوكاً^(*)، وزادوا في مطالبهم وطلب أحد رؤسائهم زيادة في المرتبات فضرب عنقه. (١)

وهكذا نجد أن الإنكشارية كان لهم دوراً واضحاً في تعيين سليم سلطاناً، وكانوا في البداية مدفوعين بحب الجهاد وإعلاء كلمة الله، ولكن هذا لم يمنع خطورة تدخلهم فيما يتعلق بتحديد من سيجلس على العرش وترجيح كفة على الأخرى. (٢)

تولى العرش بعد سليم الأول السلطان العثماني الشهير سليمان القانوني ٩٠٠هـ - ٩٧٤هـ / ١٤١٤م - ١٥٦٦م ونستطيع أن نقول أن عهده كان أهدأ من عهد بايزيد وسليم الأول، وذلك لقوة شخصيته و مع ذلك حدثت بعض الاضطرابات في عهده بعد تدخل الإنكشارية في شؤون القصر السلطاني عندما دارت مؤامرة مقتل ابنه الأكبر مصطفى.

(*) دوكاً: قيل هو النقد الذهبي المضروب في البندقية قديماً، وهي محرفة لكلمة دوكاتو الإيطالية، وكانت تزن العملة ما بين عشرة إلى اثني عشر فرنكاً: سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، د. ط، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ١١٥، حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ١٦.

(١) عبد العزيز الشناوي: ج ١، مرجع سابق، ص ٥٠٩. محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ١٤٩.

(٢) ألبرت هوبولبير: مرجع سابق، ص ٩٥.

عني السلطان سليمان كثيراً بإصلاح شؤون الجند، إذ ألف فرقة لحراسة بلاطه إضافة إلى الاعتناء بالحدائق، ولم يعجب هذا العمل الإنشكارية، لكنهم لم يتجرأوا على الظهور بأسلحتهم أمام القصر السلطاني بل هجموا على منزل أمين بيت المال وقتلوه، واستولوا على أمواله، بل وحاولوا نهب التحف الثمينة في أحد المساجد لكن قادة الإنشكارية منعوهم من دخول المسجد، وقتلوا اثنين من أكثرهم وقاحة، إضافة إلى تذكيرهم بفضل المسجد وما للنبي صلى الله عليه وسلم ثم السلطان من حقوق وواجبات، وتمكن السلطان بفضل حكمته من تهدئة التمرد، إضافة لشدة خوفهم من العقاب إذا ما استمروا على تمردهم.^(١)

ومن أجل هذه التمردات والأعمال فكر السلطان سليمان في تشتيت رؤسائهم في عدة أماكن وقتل البعض وعزل الآخر، من أجل أن يأمن شرهم.^(٢)

وكان أكبر دور لعبته الإنشكارية في عهد السلطان سليمان القانوني ما حدث عند وفاة إبنه مصطفى وبايزيد، حيث تم قتل إبنه مصطفى بمؤامرة من زوجة أبيه روكسلانة " خورم " ^(*) بالاتفاق مع الوزير رستم باشا، وذلك حتى يتولى

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ١٨-١٩.

(٢) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٥٠.

(*) اللفظ الصحيح هو خرم ومعناه السعيد أو المسرور وليس الباسمة وفي إقليم كردستان من إيران بلد باسم خرم شهر أي البلد السعيد. كانت روكسلانة تثق برستم باشا فكاشفته عن رغبتها في القضاء على ابن سليمان مصطفى، فحاكوا مؤامرة مضمونها أن يكتب الوزير رستم السلطان في أثناء حربه مع الفرس، ويوغر صدره على ابنه ويوهمه أن مصطفى يحرض الإنشكارية على عزل والده وتعيين نفسه سلطاناً، كما فعل سليم الأول مع أبيه السلطان بايزيد الثاني، وعندما وصل هذا الخبر إلى سليمان للأسف تغيرت أفكاره على ابنه، وسافر لبلاد الفرس قاصداً ابنه متظاهراً بأنه يريد قيادة الجيوش، وما أن دخل عليه ابنه في سرادقة حتى قتله الحاجب الموكل له هذا الأمر خنقاً وبذلك مات ابنه مغدوراً به نتيجة وشاية وتدخل حريم. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق ص ٢٤٦.

الحكم بعد سليمان ابن روكسلاته سليم الثاني، وقد أدى ذلك إلى تمرد الإنشكارية ولم يكن بسبب رغبتهم في زيادة الرواتب أو الأعطيات، وإنما بسبب أن الوزير رستم باشا كان له ضلع في مقتل مصطفى الابن البكر للسلطان سليمان، ففي عام ٩٦٠هـ / ١٥٥٣م ثارت الإنشكارية على السلطان والوزير معاً بسبب مقتل مصطفى، لأنه كان محبوباً عندهم وهم الذين قاموا بتربيته، وثاروا جداً وطالبوا بعزل رستم باشا بل وقتله، فعزله السلطان تهدئة لنفوسهم، وترضية لهم، وعين بدلاً منه أحمد باشا. (*) (١)

أما بايزيد الابن الثاني فتشير المصادر أنه مات مقتولاً وأن الإنشكارية كان لهم دور في مقتله، وهم بذلك حققوا لأوروبا فوائد عظيمة أدت إلى توقف الفتوحات. (٢)

هناك رواية تقول بأن الذي قتله هو أبوه سليمان، ولم يكن للإنشكارية دخلاً في ذلك. (٣) ولم يرد في المصادر التاريخية أن الإنشكارية اتفقت مع روكسلاته زوجة سليمان لقتل الأبناء، ففي تلك الفترة لم يكن هناك اتفاق بين الإنشكارية وحريم القصر. ولكن خطورتهم كمنت في أن الإنشكارية لم يمنعوا سليم الثاني من اعتلاء العرش، فلو قدر لمصطفى أو بايزيد حكم الدولة لأختلف الوضع لأتاهما من

(*) لم يستمر أحمد باشا في منصب الوزير كثيراً، إذا لم يهدأ بال روكسلاته حتى أغرت زوجها مرة أخرى على قتل الوزير البريء وإرجاع رستم باشا للوزارة مرة أخرى حتى ينفذ أغراضها، وهكذا أصبحت سبب رئيسي في فساد حكم سليمان القانوني. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٤٦.

(١) ألبرت هويوليبر: مرجع سابق، ص ٩٥. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(٢) ألبرت هويوليبر: مرجع سابق، ص ٩٥٨.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٤٨.

أقوى أبناء سليمان وأكثرهم نشاطاً وحيوية وموهبة في إدارة دولة مترامية الأطراف.^(١) أو بمعنى آخر لو قدر لهما حكم الدولة العثمانية لكانت السيادة العثمانية ستصل بصورة أكبر وأكثر مما كانت عليه ولتغير مصير معركة لبانتو سنة ٩٧٩هـ / ١٥٧١م. وكذلك حصار فينا ٩٧٩هـ / ١٥٧١م ولطال عصر القوة في الدولة العثمانية وتأخرت سيطرة الإنشكارية على السلاطين والأحداث لفترة من الزمن.

بنهاية عصر سليمان تبدأ نقطة التحول في مسار الدولة العثمانية حيث بدأت بوادر عصر الضعف واتضحت الصورة التي بقيت عليها بعد ذلك وهي سيطرة قوى أخرى غير السلطان على الدولة وعلى السلطان نفسه.

توفي السلطان سليمان القانوني أمام قلعة سكودار^(*) وقد أخفى الصدر الأعظم صوغللي محمد باشا خبر وفاته حيث خاف من حدوث ما يربك الأمن العام أو قيام الإنشكارية بأي تمرد، وأرسل إلى سليم الثاني رسالة بكوتهاهيه^(**) يخبره بوفاة السلطان سليمان، وكان ذلك على يد رجل من رجال الدولة المؤتمنين^(***)، وبعد ثمانية أيام أقبل سليم الثاني مسرعاً إلى العاصمة،^(٢) ودخل استانبول وسط مظاهرات صاخبة قامت بها الإنشكارية، فبعد انتهائه من الصلاة على أبيه أتجه إلى السراي السلطاني فعلى صراخهم وطالبوا بالعطايا والهبات التي جرت عليها

(١) محمد أنيس: مرجع سابق، ص ٧٩.

(*) سكودار أو سكينوتا مدينة حصينة في بلاد المجر. راجع إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية، ص ١٠٩.

(**) كوتهاهيه: تقع في غرب الأناضول إلى الجنوب من باليقيصر وإسكي شهر. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٦٩.

(***) يدعى الرجل حسن جاويش. انظر إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص ١٠٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٩.

العادة، واتجهوا للوزير وطالبوا بها، فلم يستمع لهم، فقرروا الوصول إلى السلطان الجديد. (١)

واعترضوا طريق سليم الثاني مظهرين استياءهم الشديد له، بعربة مليئة بالتين، وأوقفوا الموكب (*) وطلبوا الأعطيات من السلطان بمنتهى الجراءة، لكي يسمحوا له باستكمال طريقه، وطبعاً رضخ لهم، حيث توجه له محمد صوقلي، وقال له أنهم لن يبارحوا أماكنهم حتى يسمعوا منك الوعد بالعطايا والترقيات، وبالفعل وعدهم بإعطائهم الأموال بل وزيادة المرتبات بمناسبة جلوسه على العرش، حتى سمحوا له بالمرور والوصول إلى السراي، وهكذا فتح الباب لعصيان الجيش وشق الطاعة على السلطان، وبدأت القلاقل تدق الأبواب العثمانية. (٢)

وهنا يتضح مدى ضعف شخصية سليم الثاني وعدم مناسبة الحكم ومدى خوف الصدر الأعظم منهم لإخفاء خبر الوفاة ثمانية أيام وفي أثناء هذه التمرد طالبوا السلطان بزيادة مرتباتهم بمناسبة جلوسه على العرش (٣) وقد أعطاهم

(١) عبد العزيز الشناوي: ج ١، مرجع سابق، ص ٥١١-٥١٢، انظر إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص ٥٠٨.

(*) لقد وقعت الإنشكارية عند مسجد شاه زاده حيث دبروا لملاقاة سليم الثاني، واعترضوه بعربة فيها أعشاب وتين، وأبدو ضجرهم أمامه، عندما أراد أحد الوزراء تهدئتهم صرخوا به وقالوا نحن ليس عبيدك أو أنت صاحب الأمر والنهي، وأوقعوه أرضاً وكل قائد أو وزير يتكلم يوقعوه أرضاً ولم يرضوا بأي، تهدئة، وأغلقوا باب السراي حتى تم صرف الأعطيات. انظر إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص ٥٠٤.

(٢) إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص ٥٠٨ عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٢ علي حسون: مرجع سابق، ص ١١٣ إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار، ج ١، ص ٥٢٣.

(٣) إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص ٥٠٨.

ضعف رواتبهم خوفاً منهم^(١).

ويعتبر هذا العمل تدخلاً سافراً في حياة القصر السلطاني مع بروز حسد الإخوة بين بعض وتدخل الحريم بالأمر.^(٢)

وعند سفر سليم الثاني إلى بلغراد صحبتته الإنشكارية، وعندما طالبوا بزيادة الرواتب ولم يلب رغبتهم، أظهروا في طريق العودة التذمر وعدم الانصياع للأوامر وأتوا كثيراً من قبائح الأعمال وأسوأها، وقد أرسل سليم الثاني إلى إستانبول ليرسلوا له الأموال، فأرسل له الصدر الأعظم يخبره بفراغ الخزينة وعدم وجود أموال بها إلا قليلاً، وأرسلها له، فصرف لهم بعض العطايا ووعدهم بالباقي عند عودته إلى إستانبول.

وبدأ المسير لكن الإنشكارية قررت التشاور في الأمر عند التوقف في منطقة "لتروز"، وتم القرار هناك، أنه بعد دخول إستانبول، يقوموا بالوقوف والتجمهر والتمرد، بل وبدأوا في الاعتداء على الوزراء، ومن ضمنهم الوزير الثاني برتو باشا^(*) عندما أراد تهدئة ثائرتهم فقبضوا عليه وقتلوه وأهانوا فرهاد باشا، وفي النهاية أشار الأمراء والصدر الأعظم على السلطان أن يهدأ ثورتهم بنفسه فتكلم

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ١٩.

(٢) محمود شاكر: مرجع سابق، ج ٨، ص ١١٣.

(*) برتو باشا: من أصل كرواتي، أو ألباني، كان مدير مالي في عهد القانوني، تدرج في الوظائف حيث صار أغا الإنشكارية لمدة ١٢ عام ثم أمير أمراء الروملي لعب دوراً أثناء صراع سليم الأول مع أبيه بايزيد، ثم عين قائداً للأسطول العثماني، وقام بعدة معارك بحرية، وعلى عكس ما قيل عنه أنه فاشل وجبان فقد واجه الإنشكارية الغاضبة ونال منهم ضرراً كبيراً وقت اعتقاله سليم الثاني العرش، توفي ١٥٧٤م وله زوجة اسمها فتوحة خاتون. الموسوعة التركية: ج ٢٦، د.ط، أنقرة ١٩٧٧م، ص ٤٧٦ ٤٧٧.

معهم وسكن نفوسهم وصرف لهم المقدار المتبقي من المال (*)، ثم ضرب الصدر الأعظم على يد العصاة وعاقب المتمردين، وبذلك خاف الباقي وسكنوا إلى الهدوء. (١)

وهكذا قامت ثورتهم داخل القصر السلطاني وخارجه، وأغلقوا الأبواب على السلطان، وذلك بسبب ضعف الحكم وسوء التدبير والظلم وضياح الأموال، وضعف شخصية السلطان. (٢)

وهنا نلاحظ خطوة مهمة عند الإنشكارية، وهي تقديمهم على شخصية الوزراء بل وقتل بعضهم، كما أنهم اتخذوا أسلوب التمرد وسيلة للحصول على الأعطيات، وهذا مؤشر خطير سيرتفع مع مرور الأعوام.

وفي عهد السلطان مراد الثالث ٩٥٣هـ - ١٠٠٣هـ / ١٥٤٦م - ١٥٩٦م صرف للإنشكارية مائة وعشرة آلاف دوكة ذهبية، وأعطى للوزراء أيضاً مثلها، وذلك لكسب ودهم ومحبتهم ولكن هذه العطية لم تؤت ثمارها المرجوة مع مراد الثالث. (٣) فقد انتشرت حالة الفساد العامة بين أفراد الإنشكارية والتي هزت جسم الدولة منذ بداية عهده، حيث بدأت تظهر أن طاعتهم كاذبة ونظامهم خداع، وانتشرت الرشوة بين الأفراد لنيل المناصب داخل القصر وخارجه. (٤)

(*) كان سبب تأخير توزيع المال فراغ الخزينة، إضافة إلى عدم وصول الإيرادات للخبزينة من الأقاليم. إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية، ص ١١٠.

(١) مرجع سابق، ص ١٠٩، ١١٠، إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص ٥٠٩. علي حسون: مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٢) حسين كمال البغدادي القادري: ورقة ٢١.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٥٩. محمد جميل بيهيم: فلسفة التاريخ العثماني: ص ١٣٣ علي حسون: مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية بالتركية: مادة بني تشري، ص ٤٤.

وفي عهد مراد الثالث بلغ الاستهتار عند الإنشكارية مداها، فقد ثاروا عليه لأنه صرف لهم رواتبهم بعملات ناقصة القيمة، مما أدى إلى تظاهروهم أمام القصر وطالبوا بالأموال الصحيحة، وقد ساعد على صرف هذه الأموال الناقصة تدخل اليهود في إستانبول بشكل كبير في الاقتصاد العثماني، كما سبق وأن أوضحت، وهم بذلك ساعدوا على إشعال الفتنة عند الإنشكارية، مما ساعد على إضعافها، وهي التي تحمي الدولة العثمانية فتزيد بالتالي في ضعف الدولة وهو ما كان يريده اليهود، وما أن تم توزيع هذه الأموال حتى ثاروا وتجمعوا حول القصر رغبة في قتل قائد الجيش،^(*) والدفتر دار، واستمروا على هذا الشغب حتى طلب منهم الوزير فرحات باشا، الهدوء والسكينة، وقال أن طاعة ولاة الأمر واجبة، ولكنهم شكوه للمفتي، حيث اعتبروا ذلك تحقيراً لهم، فرد عليهم المفتي بأن لا يقلقوا من هذا الأمر، مما زاد في الأمر سوءاً، وزادت ثائرتهم، حتى طلب منهم السلطان أن يكفوا عن الشغب مقابل إعطائهم المال الصحيح، وصرفت لهم من الخزينة أربعين ألف دوكة ذهبية، وقد نثرها " الخازندار " عليهم في محاولة لتهدئتهم.^(١)

إلا أن هذا الأمر لم يفلح، فقد استمر التمرد بل وطالبوا برأس فرحات باشا لأنه حقرهم في دينهم، بل وقتل قائد الجيش الدفتردار^(**) إضافة إلى زيادة الأموال، وهددوا السلطان بحرق المدينة ونهب المنازل مما جعل السلطان يحتاط داخل القصر، كما تعدوا على المفتي بالحجارة وعلى الوزير محمد باشا، حتى اضطروا

(*) قائد الجيش محمد باشا والدفتر دار محمود أفندي. أنظر دائرة المعارف الإسلامية بالتركية، ص ٤٥.

(١) سليمان قوجسه باشي: مرجع سابق، ص ١٦، ١٧. أنظر دائرة المعارف الإسلامية بالتركية، ص ٤٥-٤٦. انظر جوزيف فون هامر: مرجع سابق، ص ١٣١.

(**) الدفتردار أي ناظر المالية " كوزير المالية في وقتنا الحالي.

إلى دفعهم بالهراوات حتى يذهبوا إلى منازلهم آمنين. وإزاء هذا الموقف الخطير اضطر مراد الثالث إلى إصدار قرار يقضي بقتل قائد الجيش والدفتردار، وقطع رؤوسهما وإلقائهما من القصر على الجند حتى يهدأوا، لكن ذلك لم يمنعهم من إشعال النيران في المنازل والفساد في المدينة ونهب بيوت الأهالي، وتم توزيع مئة ألف دوكة ذهبية عليهم، وهكذا انتهى تمردهم.^(١) بتنفيذ جميع رغباتهم بالقوة دون نقص، مع تزايد طمعهم. وقد ذهبت هاتان الشخصيتان ضحية لطغيان الإنشكارية. وكان في قتلها تحدياً لإرادة السلطان مراد الثالث حيث أرغموه على الأقدام على أمر ضد رغبته.

والواقع أن تمرد الإنشكارية في عام ٩٩٨ هـ / ١٥٨٩ م لم يكن حادثاً سهلاً في التاريخ العثماني، بل كان ذو تأثير ووقع كبير، فقد ازدادت بعدها شوكة الإنشكارية، وأصبحت لهم صلاحيات، ونفوذ في القصر السلطاني أكثر من السلطان، بالإضافة إلى دخول عناصر جديدة في صفوف الإنشكارية، وكان هؤلاء بمثابة جواسيس على الدولة، مما مثل خطورة على أمن الدولة الداخلي والخارجي.^{(٢)(*)}

وقد أكد المؤرخون أن عدد تمرداتهم في عهد مراد الثالث، بلغ عشر تمردات، وكان المحرك الأساسي لكل واحد هو تأخير رواتبهم مدة طويلة.^(٣)

(١) جوزيف فون هامر: مرجع سابق، ص ١٣١. انظر دائرة المعارف الإسلامية بالتركية، ص ٤٥-٤٦.

(*) لقد أرجع بعض المؤرخين الوضع الحالي في تركيا الآن من تدخل للجيش في أمور الدولة، ووجود صلاحية للجيش في تغيير السلطة إنما يعود بجذوره التاريخية إلى تمردات الإنشكارية، انظر سليمان قوجسه باش: مرجع سابق، ص ١٨.

(٢) مرجع سابق، ص ١٧-١٨.

(٣) جيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٠.

وهكذا كانوا يرون ما سيحدث في أحوالهم داخل القصر وإذا لم يستجيب لهم أحد ثاروا وقاموا بالفساد.^(١)

وكانت زيادة التمردات في عهد مراد الثالث مردها إلى عدة أسباب أخرى منها أنه أمر بضم عدد كبير من المجندين المسلمين، فترتب على ذلك إلغاء الحظر المفروض عليهم بعدم الزواج، وقد طالب الإنشكارية بذلك وثاروا، فاستجاب لهم السلطان.^(٢) إضافة إلى دخول عناصر جديدة تفتقر إلى التدريب والمهارة العسكرية في صفوف الإنشكارية، ساهم في إثارة الشغب والأعمال السلبية التي لا تخدم توجه الدولة واهتماماتها. وبالطبع هذا الخليط غير المتجانس لا يمكن أن يكون قادراً على خوض معركة أو فتح بلاد.

وبالمقارنة بما حدث متأخراً في تركيبة الجيش الإنشكاري سيتضح الفرق الشاسع، فعندما كان الجيل الأول من الإنشكارية متقارب في تكوينه ويعيشون في ثكنة واحدة، في سن متقارب نشأوا كفرقة واحدة، متجانسين متفاهمين، استطاعوا تحقيق الفتوحات العظيمة لأنهم بنيان واحد، أما ما حدث في العصور المتأخرة من اختلاط كبير غير متجانس في الجيش الإنشكاري فقد كان له آثاره، بحيث أصبح الجيش يمثل عباً كبيراً على كاهل الدولة، إضافة إلى ما يثير من شغب وقلاقل وفساد ونهب وغير ذلك من الأعمال التي لا تنتهي.^(٣)

وينتهي عهد مراد الثالث الذي يعتبر نقطة التحول الحقيقية في أعمال الإنشكارية، ويأتي بعده محمد الثالث ٩٧٤هـ - ١٠١٢ هـ / ١٥٦٦م - ١٦٠٣م الذي شهد زيادة في تمرد الإنشكارية وتدخلاتهم في السلطة دون

(١) حسين كمال البغدادي القادري: ورقة ٥٥.

(٢) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق ص ٢٥١.

(٣) مرجع سابق، ص ٢٥١.

رابع. (١)

وقد ترك السلطان محمد الثالث الحبل لهم كما أرادوا وأهمل شؤون دولته وغرق في الم لذات والسمر، ونتيجة لإهماله لشئون البلاد عمت الفوضى في القصر السلطاني وسائر أنحاء البلاد. (٢)

وكان أهم تمرد للإنشكارية في عهده عام ١٠٨١هـ / ١٥٩٩م وكان السبب الرئيسي لتلك الحركة امرأة يهودية من الحريم إسمها إستركيرا تعمل وصيفة عند إحدى أمهات السلاطين وهي نوربانو، وقد اشتهرت هذه المرأة بأنها كانت تتلقى رشاي في مقابل تسهيل منح الرتب والإقطاعات لمن يريد من الأغنياء، وحققت بذلك أموالاً طائلة وقد استطاعت أن تُعين شاباً يهودياً كاتباً للواء الإنشكارية، فرفضوا هذا الأمر وثاروا عليها ودخلوا منزلها وقتلوا وصادروا أموالها، (*) التي بلغت خمسة ملايين أقة.

ويعتبر هذا التمرد من التمردات المقبولة في أسبابها، فلم تكن لطلب المال أو عزل سلطان أو صدر أعظم، وإنما كانت ضد عمل خطير يمس سياسة الدولة العامة.

وفي عهد محمد الثالث كان الصدر الأعظم حسن باشا مشهور بأنه لا يولي أحداً في منصب إلا بالرشوة، فثارت الإنشكارية باستانبول وهجموا على السراية، وطلبوا من السلطان، مقابلتهم على الباب الخارجي فهددهم وسأل عن طلبهم، فقالوا إن الصدر الأعظم مذنب، فرد عليهم السلطان، هذا رأيكم، سوف أرى ما

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٤.

(٢) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٣.

(*) وقد ذكرت توضيحات عن هذه التمرد في تاريخ نعيماً حيث ذكرها كسبب رئيسي لحدوث

التمرد. انظر سليمان قوجسه باشي: مرجع سابق، ص ١٨.

لصالح الدولة (*) (١)

وفي غمرة الأحداث السابقة قامت الإنشكارية بتمرد عنيف امتدت مضاربه إلى داخل القصر السلطاني، وكان سبب هذه التمرد تأخر دفع رواتب الجند لمدة طويلة، مما جعلهم يجتمعون في ساحة القصر الداخلية، كل يوم مطالبين بحقوقهم، وعندما لم يجدوا نتيجة ولم يعيهرهم أحد انتباهه، قاموا بإشعال النار في القصر بمن فيه، وعندئذ صحا السلطان من غفوته بين الحريم في القصر، وطلب منهم إرسال من يمثلهم، فتقدم رئيس (**) الوفد من السلطان وشكا إليه بكل جرأة الظلم الذي وقع عليهم، وطلب من السلطان أن يضرب عنق الصدر الأعظم ورئيس الخصيان، إضافة إلى دفع رواتب الموظفين، ولم يرفض السلطان طلباتهم، " ثم تعيين فرهاد باشا (***) في الصدارة العظمى " فأمر بإحضار رئيس الخصيان والصدر الأعظم والذنان حاولا تبرئة نفسيهما، بأن قالوا أنهما كانا ينفذان أوامر السلطانة الوالدة، ولكن ذلك لم يفيدهما بشيء، حيث تم خنقهما أمام السلطان، وألقيت جثتيهما أمام الإنشكارية مع أكياس النقود، فكان هذا كفيلاً

(*) عندما لمس الشاه عباس، شاه إيران ارتباك الدولة العلية، هجم على العراق، معتبراً أنها من أملاكه وأجداده. إبراهيم حليم: مصدر سابق، ص ١١١.

(١) مصدر سابق، ص ١١١.

(**) كان أحد قادة الصباحين واسمه حسين، حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٣.

(***) فرهاد باشا: من أكثر الوزراء براعة في الدولة العثمانية، تولى منصب الصدارة العظمى مرتين، في عهد مراد الثالث ومحمد الثالث. تم إحضاره من ألبانيا وهو طفل وتم عزله وهو أغا الإنشكارية من قبل سنان باشا، فقد كانت علاقتهم على نزاع دائم، ومات في "سجن يدي" قوله بتحريض من سنان باشا، الموسوعة التركية: ج ١٦، د.ط، أنقرة ١٩٦٨م، ص ٢٥١.

بتهدة ثورتهم.^(١)

وبعد ذلك حدثت حادثة أخرى في عهد أحمد الأول ٩٩٨ هـ - ١٠٢٦ هـ / ١٥٨٩ م - ١٦١٧ م، حيث ثارت الإنشكارية على السلطان عندما منع تدخين التبغ^(*) بفتوى أصدرها المفتي، وتجمع الإنشكارية والجند في ساحة القصر حتى اضطر السلطان إلى إباحتها مرة أخرى.^(٢)

لقد زادت تعديات الإنشكارية على الأهالي، وعلى رجال الدولة، فتعدوا على القاضي العام وعاملوه معاملة حقيرة، وعندما حاولت السباهية التصدي لهم اشتبكت معها الإنشكارية وقتلت منهم الكثير، ونفت الباقي، فشكوا للصدر الأعظم هذه المعاملة القاسية، إلا أن الصدر الأعظم لم ينصفهم، وانحاز إلى الإنشكارية على الرغم أنه يعلم أن هذا العمل سيغضب الأهالي عليه، لكن الإنشكارية انقلبت عليه، لأنه ليس لها حليف، وتم عزل الصدر الأعظم وتعيين غيره.^(٣)

كانت العادة المتبعة في تعيين السلاطين، إختيار الإبن الأكبر للحكم، ولكن السلطان أحمد الأول خالف هذه العادة وأوصى بالحكم لأخيه من بعده لصغر سن إبنه،^(٤) فتولى أخيه مصطفى الأول الحكم^(**) ١٠٠١ هـ - ١٠٤٨ هـ / ١٥٩٢ م

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٣، ٢٤.

(*) لقد أدخل الفلمنك استعمال التبغ إلى البلاد الإسلامية أي تدخين الدخان، أنظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٧٥.

(٢) مصدر سابق، ص ٢٧٥.

(٣) كامل باشا: ج ٢، مصدر سابق، ص ٤٤.

(٤) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٧٥.

(**) مصطفى الأول: قضى هذا الأخير طوال عمره داخل سراي الحريم في القصر السلطاني، ولم يعرف أشغال الدولة مطلقاً، ولم يعرف من الأمور السياسية شيئاً كما كان عادة بني عثمان أن يولوا الأمراء الصغار بعض المدن والولايات للتعرف على الأمور السياسية، =

١٦٣٨م وفي عهده لعب الإنشكارية دوراً في السلطة داخل القصر، لا سيما وأنه كان قليل الخبرة، ضعيف الإرادة، ففدا ألعوبة في يد الإنشكارية. ولهذا لم يستطع القيام بأعباء الحكم في الوقت الذي كان لابد فيه أن يتم تنصيب عثمان الثاني الشاب الذي كان قوي البنية، سليم العقل، معافى، لسبب لم يعرف حتى الآن. (١)

تري الدراسة أن الإنشكارية اختارت تنصيب السلطان الأنسب لها، لا سيما أن مصطفى الأول كان ضعيف الشخصية مسلوب الإرادة، وهو ما أرادته الإنشكارية لاستمرار نفوذها الذي بنته في عهد أحمد الأول ومن سبقوه، كما أن أحمد الأول هو من وضعه في ولاية العهد، لصغر سن ابنه عثمان ومراد، كما أن الإنشكارية نصبته حتى تأخذ العطايا والهبات التي تصاحب تولي كل سلطان، وقد أرادته الإنشكارية لكي تسيطر على مقاليد الحكم، ويبدو أن هذا هو السبب. أما عن عزله فلم يعرف سبب ذلك، فقليل أنه عزل لاختلال في عقله، ولكنهم كانوا يعلمون أنه يعاني من ضعف في البنية، والإرادة، فهذا سبب واهي، كما وأن الإنشكارية لكي تبرر عزله أطلقت هذه الكذبة، ساعدها في ذلك قلة خبرته السياسية، أو ربما لأن الإنشكارية تافقت نفسها للعطايا والهبات.

وقد حصلت الإنشكارية على حوالي مليوني دوكا، كهبات وعطايا بمناسبة جلوسه، وانتقل من قصر داود باشا إلى القصر الهمايوني لتولي مقاليد الأمور. (٢)

= لقد ولي السلطنة مرتين وخلع مكرهاً من العرش مرتين، كان ضعيف الإرادة لا رأي له وكان ألعوبة في يد الإنشكارية والمنفعيين من حوله. راجع محمد جميل بيهم: أوليات سلاطين تركيا، د. ط، صيدا: مطبعة العرفان، ١٣٥٠ هـ، ١٩٣١ م، ص ٢٧.

(١) عبد القادر ده ده أوغلو: ألبوم العثمانيين، ترجمة محمد جان، د. ط، استانبول: الدار العثمانية للنشر، د. ت، ص ٦٠.

(٢) كامل باشا: ج ٢، مصدر سابق، ص ٤٤.

عندما رأى المفتي أن " مصطفى الأول " لا يملك من الهمة والدراية السياسية ما يؤهله للجلوس على عرش آل عثمان، حاول إثارة الإنشكارية عليه، ولكن الإنشكارية كانت تريده لكي تسيطر على الأمور، وعندما غادر الإنشكارية العاصمة بقيادة الصدر الأعظم لمقاتلة الفرس، انشغل السلطان مصطفى بأحواله، ولم يبال بأمور دولته، وأشاع المتآمرون عليه أنه يعزم على قتل أولاد أخيه، لخوفه من أن يخلفوه، وانتشرت هذه الشائعة حتى وصلت إلى مسامع الإنشكارية فسارعوا في العودة إلى العاصمة. وأثناء ذلك استطاع القائمقام أن يخرج السلطان من العاصمة بحجة الصيد، وأثناء غيابه دخلت الإنشكارية العاصمة. فسارع المفتي بإصدار فتوى بخلعه. (١)

ومن جراء هذه الإشاعة الفاسدة التي لفقت له وبولغ فيها كثيراً صاحبت الإنشكارية إليه مطالبة بتولية سلطان آخر، وعزل مصطفى ولم تصل أيدي الإنشكارية إليه، ولم يقتلوه بسبب عدم وجوده في العاصمة، وأتمت الإنشكارية ما أرادت. (٢)

وعملت الإنشكارية على استبدال مصطفى الأول فلم يكن قد مضى على ولايته ثلاثة شهور حتى خلعه بمؤامرة سنة ١٠٢٦هـ / ١٦١٨م. بناء على فتوى من شيخ الإسلام أصدرها لعزله وتولى عثمان الثاني الحكم. (٣) وقد اشترك في عزله الإنشكارية وأرباب الغايات، وعلى رأسهم المفتي وقيز لراغا سي (*) وهو أغا القصر السلطاني وذلك لتوزيع الهبات والعطايا عند تولي كل

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٥-٢٦.

(٢) مرجع سابق، ص ٢٦.

(٣) عبد القادر أوغلو: المرجع السابق، ص ٦٠.

(*) قيز: معناها بنت وقيزلربنات والأصح أن تترجم هذه الكلمة بأغا المحظيات. محمد فريد

المحامي: مصدر سابق، ص ٢٧٦.

سلطان جديد. (١)

تولى عثمان الثاني الشاب الحكم ١٠١٣هـ — ١٠٣١هـ / ١٦٠٤م - ١٦٢١م وقد حكم لمدة أربع سنوات وأربعة أشهر. (٢) واستهل حكمه بنشر النقود على الإنشكارية مكافأة لهم على تنصيبه سلطاناً. (٣)

وعندما بدأ بعض الإنشكارية يتعاطون شرب الخمر أجاز السلطان قانوناً بمعاقبتهم، وأغلق حانات الخمر (٤) كان يقتل كل من يصادفه ثملاً سواء من الإنشكارية أو أهالي المدينة، وبما أن الإنشكارية كانوا يميلون أكثر من سواهم إلى شرب الخمر، فمعظم من قتلوا من أفرادهم. وشيئاً فشيئاً أخذت الإنشكارية تضرر له السوء والشر، ومما زاد في الأمر سوءاً أن الصدر الأعظم عزل أغا الإنشكارية عن منصب قائم مقام الصدارة، مما زاد من حقدهم على السلطان عثمان الثاني، إضافة إلى أن السلطان كان لا يتفق مع الإنشكارية ويكرههم ويجاهر بمقتله للإنشكارية على الرغم من تنصيبهم له فهو لا يثق بهم ويكرههم. (٥)

وكان لإعلانه الذهاب إلى الحج، ورفض كل محاولات رجال الدولة لإثنائه عن هذا السفر، تصادف هذا مع عصيان الإنشكارية، والتي كانت لا تريده أن يغادر

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٧٦. سعيد أحمد برجاوي: الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، د.ط، بيروت: الأهلي للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م، ص ١٥١.

(٢) مؤلف مجهول: مخطوط تاريخ آل عثمان، محفوظة في مركز الملك، فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية تحت رقم ٦٠٠٤١٩، ورقة ٣٥.

(٣) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٦.

(٤) أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص ١٩٥.

(٥) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٦-٢٧.

القصر دون معرفة نيته. (١)

وبالنسبة لهذا السلطان فإننا نجد أن تعدي الإنشكارية على السلطان والقصر بلغ مداه من القسوة، والخشونة وعدم وجود رادع يثنيهم عن أفعالهم فقد كان نقطة تحول خطيرة في الدولة العثمانية سيطرت بعدها الإنشكارية على السلطان ونسيت ماضيها في الجهاد.

وكان معروفاً أن سلاطين العثمانيين لا يخرجون للحج برغم أنهم خلفاء، لأن مناسك الحج تستغرق وقتاً طويلاً، مما يؤدي إلى ابتعاده عن أعمال الدولة مدة طويلة، وقد كانت لهم فتاوي صدرت من شيوخ الإسلام تفيد بأن أداء السلطان لعمله في العاصمة، واشتغاله بأمور الدولة والأهالي، عبادة تفوق عبادة الحج. وما هي إلا ساعة حتى اجتمعوا أمام سراي طوب قابي ثائرين، حاملين في أيديهم الفتوى التي حصلوا عليها من شيخ الإسلام خوجة أسعد أفندي، والتي تقول " لا لزوم لحج البادشاه (أي السلطان)، البقاء في مكاتهم والحكم بالعدل أولى لهم. حتى لا تكون هناك فتنة ". وكانت الإنشكارية ترغب بعدم مغادرة عثمان لإستانبول، فما كان منه إلا أن مزق الفتوى وألقاها في وجوههم وأصر على الخروج للحج، فأنقلب الوضع إلى تمرد، فتأكدت الإنشكارية أن السلطان سيبيطش بهم مع أول فرصة، وهنا نجد أن السلطانة الوالدة، والدة مصطفى الأول تعاونت مع الإنشكارية في هذا التمرد،^(٢) وكان ذلك من أهم أسباب التمرد على عثمان الثاني، وقد برز فيها تدخل الحريم بشكل كبير مما أدى إلى مقتل عثمان في النهاية.

وخير دليل على سيطرتهم على القصر، ما حدث للسلطان عثمان الثاني عندما

(١) يلماز أوزتونا: مصدر سابق، ج ١، ص ٤٦١.

(٢) مصدر سابق، ج ١، ص ٤٦٢، ٤٦٣.

أراد أن يتزوج من أخت السلطان محمد الثالث مع عزمه على إبطال الإنشكارية، ولكن العلماء ورجال الدين حذروه من عاقبة هذا التصرف، ومن العاصفة التي ستهب عليه، وأنه لن يرى من رعيته إلا العصيان والتمرد والتخريب، فأجابهم بغرسة بأنه سيمحق كل ما يعترضه، وأنه سيبيد الإنشكارية على الخصوص عن بكرة أبيهم، ويقتلهم وسيسحق علماء الشريعة سحقاً فألقى هذا الجواب الرعب والفرع في قلوب العلماء، وانطلقوا إلى جامع السلطان أحمد وأخبروا زعماء الإنشكارية بوعيد وتهديد السلطان لهم. (١)

وما هي إلا لمحة عين حتى سار الشعب والجند إلى القصر السلطاني صائحين، ومطالبين بضرب عنق الصدر الأعظم والشيخ عمر مؤدب السلطان ومستشاره وأكبر خصم لأغا الإنشكارية، ومع كل الغيظ الذي يعتل في نفوسهم، والصخب الذي أحدثوه لم يؤذوا أحداً وعادوا إلى ثكناتهم يعدون العدة للانتقام. (٢)

وعلم الناس بما أجاب السلطان فسيطر عليهم القلق والفرع واشتعلت بينهم نيران الفتنة وأصبحت الأوضاع داخل القصر غير مطمئنة وأندرت الغيوم الملبدة في سماء القصر أن مأساة كبيرة ستحدث. (٣)

وفي اليوم التالي مع طلوع الفجر، خرجوا من ثكناتهم، بكامل أسلحتهم وتوجهوا إلى القصر، وأرسلوا الدفتردار إلى السراي، نائباً عنهم وطالب برأس الشيخ عمر قوجه والصدر الأعظم وبعض الرجال من ذوي المناصب في الدولة مثل كبير أمناء بيت المال، فزجرهم السلطان ورفض طلبهم، غير مدرك لخطورة

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٨. انظر خليفة محمود: المرجع السابق، ص ٣٧٩.

(٢) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٨.

(٣) خليفة بن محمود: مرجع سابق، ص ٣٧٩.

الموقف، ورفض قطعياً إجابة طلبهم، فهجمت الإنشكارية على جدران القصر وحطمتها، والإنشكارية الباقية كانوا يحملون السيوف في أيديهم، متأهبين لدخول القصر، والفتك بمن فيه، وعندما حاول الصدر الأعظم تهدئتهم ثاروا وانقضوا عليه وقتلوه. ^(١) كما أعتقد العلماء أنه بالإمكان إقناع عثمان الثاني وإثناؤه عن أسلوبه القظ، ولم يطلبوا خلعه بشكل قطعي. ^(٢) وكان الشوريجي داود قائد الإنشكارية، في أقصى درجة التمرد والهيّاج، وعندما صاح بهم رجل وقال " لا نريد سلطاناً إلا مصطفى. أين هو. ليأت ويجلس على العرش " وأخذت تردد الإنشكارية هذا القول. وانطلقت تبحث عن مصطفى، في المكان المحبوس فيه، واهتدت لموقعه وكسروا سقف الغرفة ببطلانهم ودخلت عليه الإنشكارية فوجدته نائماً على فراش بال، وعنده خادمان أخرسان جالسان أمامه، استيقظ مصطفى على جلبتهم، وظن أنهم جاءوا لقتله فمد لهم عنقه بكل خضوع وخوف، فأكبوا على أقدامه يقبلونها، وقالوا له أنت سلطاننا، فأخرج معنا، وأخرجوه فما أن صار في الهواء الطلق حتى أغمي عليه، وساروا به إلى جامعهم ونصبوه سلطاناً. ^(٣)

وقد حاول العلماء طلب العفو من الإنشكارية عن السلطان عثمان الثاني ونصحوهم بأن يتركوا مصطفى وشأنه، وهو الذي أرغمهم على خلعه المرة الأولى لضعفه وعدم قدرته على القيام بمهام الدولة. وأثناء ذلك استيقظ مصطفى

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٨. يوسف أضاف: تاريخ سلاطين بني عثمان، الطبعة

الأولى، القاهرة: مديولي، ١٤١٥هـ - ١٩٥٠م، ص ٧٧. للاستزادة عن هذا الصراع

الرجوع إلى جوزيف فون هامر: مرجع سابق، ص ٢٢٨-٢٣٠.

(٢) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج ١، ص ٤١٣.

(٣) أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص ١٩٥ - ١٩٦. انظر حبيب السيوفي: مرجع سابق،

ص ٢٨. للاستزادة الرجوع لأحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص ١٩٦.

الأول من إغمائته، وطلب أن يكون هو السلطان، فجددت الإنشكارية سيوفها مهدة العلماء والمفتي بالقتل إذا لم يوافقوا، فأقسم المفتي يمين الولاء لمصطفى ثم حذا حذوه جميع العلماء. (١) وفي أثناء هذه الأحداث، علم السلطان عثمان ما جرى فأسرع على أمل أن يجد حلاً يجعل الثائرين يكفوا عن العصيان، فنصح ضابط الجند بأن يعطي العسكر خمسين دوكاً، وخمسة أذرع من الجوخ، وعندما ذهب للعسكر، وقال لهم ذلك، تأثروا من صغر سنه وصرخوا ليتحى عن الملك وإنما ليس لأحد أن يمسه بأذى فذهب من فوره إلى قصره. (٢)

لكن الإنشكارية عادت وهجمت على أبواب القصر، وسلطت مدافعها حتى سقطت الأبواب، ودخل الإنشكارية القصر كالسيل الجارف لا يردهم شيء، حتى استطاعوا الوصول إلى مكان السلطان عثمان فأخذوه عنوة وشدوه خارج القصر، وظافوا به في شوارع إستانبول طواف الازدراء والمهانة، وبمنتهى الذل قاده إلى قلعة ذات السبع (٣) مع شتمه ونعته بأبشع الألفاظ، موسعينه ضرباً، وسجنوه في هذه القلعة، بأمر من صاحب الديوان، وكان هذا يحدث لأول مرة في تاريخ الدولة العثمانية، حيث كان ذلك إهانة وتحقير لهيبة السلطان، ولم يكتفوا بذلك بل انتهكوا حرمة قصره بالقبض على نساءه وزوجاته والاستيلاء عليهن، (٤) ونجحت الإنشكارية بذلك في خلع السلطان عثمان الثاني في ٩ رجب ١٠٣١هـ / ٢٠ مايو ١٦٢٢م، بعد حكم دام أربعة سنوات وأربعة شهور وكان عمره ثمانية عشر عاماً، وأعيد مصطفى الأول مرة أخرى للحكم. (٥)

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٩.

(٢) مرجع سابق، ص ٢٩. انظر أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص ١٩٦.

(*) تدعى بقلعة ذات السبع "يدي قوله". انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٧٨.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٧٨. انظر يوسف أصاف: مرجع سابق، ص ٧٧.

(٤) محمد مختار: التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين الإفرنجية =

أما عثمان سجنوه في نفس السجن الذي كان فيه مصطفى الأولي، والذي أصبح فيما بعد السجن الرسمي للدولة العثمانية، وفي اليوم التالي للفتنة سلموه لرجال (*) موكلين به، حيث كانوا في انتظاره، وأوسعوه ضرباً وتولوا قتله شنقاً (**). حيث خنقوه بخيط من حرير في ظلام السجن بشكل بشع منتهكة حرمة ولاية الأمر، بأمر من داود باشا،^(١) وهذا الصدر الأعظم قد عينته الإنشكارية، حيث قاموا في تلك الفترة بتعيين ستة وزراء كل من يدفع أكثر يتم تعيينه. ^(٢)

لقد كانت هذه الحادثة الأولى من نوعها في الدولة العثمانية وكان قتل السلطان بهذه الطريقة البشعة لم يكن إلا نذير شؤم على الدولة وإيذاناً بقوة سيطرة الإنشكارية على مقاليد الحكم، لقد ارتكبوا هذه المعصية والإثم غير مبالين بالجرم العظيم الذي ارتكبوه، ولقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بطاعة ولاية الأمر من دون معصية الخالق لقوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

= والقطبية، ج ٢، دراسة محمد عمارة، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ١٠٦٧. انظر محمد فريد المحامي: ص ٢٧٨.

(*) أسماء الرجال الذين تولوا قتله هم: داود باشا وعمر باشا الكيفيا وقلنر أوغلي انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٧٨.

(**) وردت رواية أن داود باشا اخذ السلطان عثمان الثاني إلى مكان آخر ليبعده عن الإنشكارية، وفي اليوم التالي أمر بقتله أمامهم، ثم قطع أذنه وأرسلها في صندوق إلى السلطان مصطفى الأول، بعد أن كتب عليها "هدية يقدمها لجلالة السلطان وزيره الأمين المخلص" انظر حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٩ ولكن هذه الرواية لا يجزم بحجتها لعدم إجماع المؤرخين عليها، فقد وردت في مرجع واحد.

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٩ انظر محمد الفريد المحامي، ص ٢٧٨. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٤ عبد العزيز الشناوي: ج ١، ص ٥١٤. يوسف أصاف: ص ٧٧.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٣.

الرَّسُولَ وَأَوَّلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ^ط فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ^(*) ولكن أين كانت هذه الآية عن ذهنهم وهم يقومون بهذه الفعلة الشنعاء البغيضة، استهانوا بشخصية الحاكم وحطوا من قدر السلاطين، فكانت إبادتهم أفضل من استمرارهم.

وهكذا أصبح السلطان عثمان الثاني أول ضحاياهم البارزين، ونقطة انطلاق جديدة للإنشكارية في اتجاه طغيانهم وجبروتهم، وجراتهم وممارستهم لكثير من السيطرة على السلاطين، إضافة إلى العنف والقسوة مع الأهالي، وابتزاز الأموال في أعقاب مقتل عثمان، الذي أراد إبادة الإنشكارية ليتخلص من شرورهم فتخلصوا منه وقتلوه.^(١)

وأصبحوا مثل الطوفان الجارف الذي لا يردده شيء وبدلاً من أن يكونوا حماة للدولة أصبحوا من أهم معاول الهدم والتخريب فيها.

وبعد هذه المأساة نصبوا مصطفى الأول للمرة الثانية على الرغم من بقاء ضعفه في الحكم، وأصبحت الحكومة العثمانية من يومها ألعبوبة في أيدي الإنشكارية، تسلطوا على القصر السلطاني وأصبحوا يولون ويعزلون الوزراء كيفما شاعوا ويبيعون مناصب القصر والوزراء لمن يجزل العطاء، وكان ذلك جهاراً وعلى مسمع الناس، وارتكبوا كافة أنواع المظالم في القصر وأصبح لا يردهم أحد.^(٢)

فمثلاً عزلوا داود باشا قاتل السلطان بعد بضعة أيام، لقد ارتكب هذا الأخير

(*) سورة النساء، آية ٥٩.

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٤. انظر عبد الكريم رافق: مرجع

سابق، ص ١٢٠.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٧٩.

عدة جرائم فقد قتل القائم مقام، ورئيس الخصيان، وثلاثة آخرين ولم يلبث أن تلقى العقاب الذي استحقه، حيث هال الإنشكارية ما ارتكبه من فظائع فساوقه إلى نفس الحجرة التي قتل فيها عثمان الثاني وقتلوه هناك. ثم تقلد منصب الصدارة العظمى حسين باشا الذي كان محبوباً من الإنشكارية، فهذأت أحوالهم، بتوزيع الأموال عليهم. (١)

لقد جرت المؤامرة والتمرد بشكل لم يخطر على بال أحد، فقد وقع العلماء في حيرة من أمرهم، خافوا من فكرة إجلاس مصطفى الأول، والذي لا يصلح للحكم بأي شكل، كما وأن مراد الرابع كان لا يزال دون العاشرة، وأصبح واضحاً أن التمرد فقد منطقيته، وأن الإنشكارية ستضع مصطفى الأول حتى تحصل على إكرامية الجلوس، ثم تخلعه وتحصل على إكرامية أخرى عند تعيين مراد الرابع وهذا يدل على طمعهم، ومرة أخرى يظهر الحريم على السطح بشكل سيء، فقد حصلوا على وعود ورشاوي من والدة السلطان مصطفى الأول - السلطانة الوالدة - وأخته زوجة الوزير داود باشا حتى يتم تعيين مصطفى الأول في الحكم، فقد بايع العلماء السلطان مصطفى الأول تحت ظل السيوف، ولأول مرة في التاريخ العثماني منذ جلوس محمد الفاتح في ٨٥٥هـ / ١٤٥١م يتم جلوس سلطان مرتين، ولن يتكرر هذا الأمر بعد هذا الحادث. (٢)

لقد كان رؤساء الإنشكارية يريدون الإبقاء على حياة عثمان خاصة وأن مصطفى معتل الصحة وغير قادر على الحكم، لكنهم تلقوا أوامر من السلطانة الوالدة وأخت مصطفى الأول، بضرورة قتل عثمان، فلم يستطع رؤساء الإنشكارية

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٩-٣٠.

(٢) يلمازا وزتوننا: مصدر سابق، ج ١، ص ٤٦٣. لمزيد من التفاصيل عن دور الحريم في هذا

التمرد الرجوع إلى محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٥٨٨.

(١) التحكم في متبوعيه من الإنشكارية.

وقد ظهرت هنا سطوة الحريم خاصة في هذا التمرد، حيث استطاعوا تحريكه كما أرادوا، فقد تمكنت السلطنة الوالدة، وابنتها وزوجها من تعيين مصطفى الأول على الرغم من معرفتهم بعدم قدرته على الحكم، إلا أنهم دفعوا الرشاوي، وحركوا التمرد في اتجاه قتل عثمان الثاني حتى يتم لهم الأمر، ولكن فسدت الأمور بتدخل الحريم وإرضاء رغباتهم ونزواتهم.

وكانت السلطة الحقيقية في يد الإنشكارية، وقد طالت سلطنة السلطان مصطفى الأول على نحو غير متوقع كانت السلطنة الوالدة خلالها بمثابة نائبة السلطنة، وانتشرت الفوضى في القصر، كردة فعل لمقتل السلطان عثمان، فكان الشعب يبكيه، فأمر مقتله يعتبر كربلاء^(*) التاريخ العثماني، وقام داود باشا زوج أخت السلطان مصطفى على أثر هياج الإنشكارية، بنهب سراي طوب قابي، وسرقة الخيول والسيوف والحاجيات الأثرية، ولم يترك ثمين إلا واستولى عليه.^(٢)

وهذا تمرد الإنشكارية بعد توزيع مبلغ مليون ونصف عملة ذهبية عليهم، هبة الجلوس للسلطان الجديد.^(٣)

على أن هدوء الأوضاع لم يستمر طويلاً، إذ أن مصطفى الأول لم يكن أحسن حالاً من الأولى إذ عمت الفوضى الأقاليم، لأن السلطة الفعلية كانت بيد

(١) يلمازا وزتوننا: مصدر سابق، ج ١، ص ٤٦٣.

(*) كربلاء: هي الموقعة التي قتل فيها الحسين بن علي عام ٦١هـ، على يد عبيد الله إبسن زياد إبان حكم الدولة الأموية في دمشق.

(٢) يلمازا وزتوننا: مصدر سابق، ج ١، ص ٤٦٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٦٤.

الإنشكارية،^(١) وتعرضت البلاد للنهب، واستشعرت الإنشكارية من كما نكش^(*) علي باشا تأيدهم، فعينوه في الصدارة العظمى، وزادوا في النهب والسلب، وما أن شعبوا حتى بدأوا يخططوا لعزل مصطفى الأول، فأجتمع حسين باشا بعد عشرة أشهر بالعلماء، وكبار رجال الدولة، للتفاوض في ما هو أصلح للدولة، فاستقر الرأي على عزل السلطان مصطفى الأول مرة ثانية، ومبايعة مراد بن السلطان أحمد، وكان عمره خمسة عشر عاماً أي صغير السن يسهل التحكم فيه ووافقت الإنشكارية على ذلك.^(٢)

وتم عزل مصطفى الأول في ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م بفتوى من شيخ الإسلام أسعد أفندي جاء فيها " أنه لا يجوز خلافة مختل عقلياً"^(٣) والغريب في الأمر أنه خلال هذه الفترة كانوا يعلمون أنه مختل عقلياً وضعيف الإرادة، ولكن الطمع هو الذي سيطر على نفوسهم جعلهم ينصبوه حتى يكتفوا من النهب، ثم يعزلوه، وقد مات بعد عزله بسبعة عشر عاماً.

وعموماً فقد اشتهر في تاريخ الدولة العثمانية، أن الإنشكارية أجلسوا مصطفى الأول لأنه ضعيف الشخصية، فأصبح ألوية بينهم، وأعيد للحكم مرة أخرى لنفس السبب، وطوال الوقت كانت الإنشكارية يستمعون لكلام قاداتهم

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٣٠، أنظر سعيد أحمد برجاوي: مرجع سابق، ص ١٥٣.

(*) معناها اللغوي: الماهر بالرمي عن القوس، واصطلاحاً تعني الماهر الحاذق. انظر محمد جميل بيه، فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٤.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٧٩، مرجع سابق، ص ١٢٤. انظر حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٣٠.

(٣) عبد القادر ده ده أوغلو: مرجع سابق، ص ٦٠.

وضباطهم وتنفذه، وعرف هذا العهد بعهد الإرهاب. (١)

تولى مراد الرابع الحكم في سن صغيرة " ١٠٣٤ هـ — ١٠٥٠ هـ / ١٦٢٤ - ١٦٤٠ م " واستفحل في عهده نفوذ الإنشكارية بشكل كبير، (٢) حيث لعبوا دوراً كبيراً مؤثراً في الدولة سواء منذ قتل عثمان الثاني وحتى تعيين الوزراء وعزلهم.

وعندما تولى مراد الرابع حاول قدر الإمكان التخلص من الوصاية حتى يدير الدولة كما يشاء. (٣) ولصغر سنه فشل في التخلص من الوصاية بسرعة واستمرت عليه، قرابة عشر سنوات، لم يحكم الدولة خلالها أبداً. (٤)

وهكذا نجد أن العشر سنوات الأولى من حكم مراد الرابع كان الإنشكارية فيها أصحاب الكلمة، وقد فسدوا ونهبوا وسلبوا وقاموا بعدة تمردات وكان السلطان لا يزال صغير السن فلم يجد مفر من تنفيذ أوامره وتحقيق رغباتهم. (٥)

وبعد مرور فترة من الزمن على تولي مراد الرابع، أقدمت الإنشكارية على قتل الصدر الأعظم حسن باشا، وثاروا وتجمعوا حول القصر يهددون، ثم أقدموا على قتل الصدر الأعظم الثاني حافظ باشا وتم تعيين رجب باشا صدراً أعظم بضغط من الإنشكارية وتنفيذاً لرغبة نائبه السلطان وكان يسميه مراد الرابع رئيس الأشقياء، ثم لجأوا إلى حيلة التظاهر بأنهم ينفذون كلام السلطان، وهدأوا وتظاهروا بأنهم خضعوا له، لكن ذلك لم يكن إلا تمويهاً للسلطان حتى يوقف

(١) رشاد أكرم قوجسي: مرجع سابق، ص ١٨٤.

(٢) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ٢٠٩.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية بالتركية، ص ٥١٠.

(٤) عبد القادر ده ده أوغلو: مرجع سابق، ص ٦٣.

(٥) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٨٩.

المذابح التي أمر بها، وتمردوا ثانية بعدها وتجمعوا في ساحة القصر الداخلية وكانوا بقيادة رجب باشا، فأمر السلطان بقتله وإلقاءه من شباك القصر، وهنا بدأ تمردهم وأدركوا أنهم أمام سلطان قوي. ^(١) ولم يستطع إظهار قوة شخصيته إلا بعد فترة من الزمن، حين استطاع التخلص من سيطرة الإنشكارية عليه.

في أثناء هذا الفترة زاد نهبهم للقصر السلطاني وإستانبول نفسها، مارسوا القتل وانتهاك المحرمات وكافة الأفعال المشينة. ^(٢)

وقد بدأت تظهر سيطرته على الأمور، عندما استطاع إخماد تمرد السابق الذكر والذي يشبه التمرد الذي أودي بحياة السلطان عثمان الثاني، لكنه أخمده بمنتهى البراعة وجعله بلا تأثير، وقد ألقى كلمة بليغة تمكن من خلالها جعل المتمردين له لا عليه، ثم ألقى القبض على الرؤوس المدبرة للتمرد وقام بإعدامها. ^(٣)

وأعلن مراد الرابع ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤م أنه منع شرب الخمر، وأعدم كل من تسول له نفسه عصيان هذا الأمر. كما قام بإعدام كل من تثبت عليه أنه يحرض على تمرد، كما أسس تشكيلة قوية من المخابرات التي جاءت بجميع أسماء المستبدين بالسلطة ليس داخل إستانبول فقط بل في جميع أنحاء الدولة، فكان يقوم بإعدامهم كلما مر في أسفاره بأحد البلاد. ^(٤)

وهكذا استطاع مراد الرابع إخماد هذه التمردات ببراعة، وأكد على كونه

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٥-٥١٦. أنظر يلمازا وزتوننا: مصدر سابق، ج ١، ص ٤٧٠.

(٢) رشاد أكرم قوجسي: مرجع سابق، ص ١٨٥.

(٣) عبد القادر ده ده أو غلو: مرجع سابق، ص ٦٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٣.

سلطان قادر على حل المشاكل بشكل أفضل من سابقه، ولقد كان حاكم مستبد برأيه، ولكن هذا جاء بنتيجة إيجابية مع الإنشكارية حيث أننا نجد أن العشر سنوات الأخيرة من حكمه كانت هادئة نسبياً حيث أدركت الإنشكارية أخيراً أنها أمام سلطان قوي مقتدر.

لقد استطاع مراد الرابع أن يلجم تصرفات الإنشكارية، بشكل جيد وكان من الممكن أن يستطيع القضاء عليهم في فترة مبكرة، ولكن فكرة القضاء على الإنشكارية لم تكن تبلورت في أذهان السلاطين بعد، وكان أول سلطان فكر في هذا الأمر هو عثمان الثاني، وقتلته الإنشكارية، لذلك لم ترد على ذهن مراد الرابع، على الرغم من امتلاكه القوة اللازمة لذلك.

على أية حال لم يستمر هذا الوضع طويلاً إذ سرعان ما عادت الإنشكارية إلى سابق عهدها في عهد السلطان إبراهيم الأول ١٠٥٠هـ - ١٠٥٨هـ / ١٦٤٠م - ١٦٤٨م، وزاد طغيانهم حتى أنهم كانوا يوجهون انتقاداتهم الواضحة والصريحة أمام السلطان دون خوف أو جزع.^(١)

كما أننا نلاحظ أن قاعدة تولي الأبناء قد زالت وسارت قاعدة الإنشكارية ورغباتها، تولي من تريد وفق أهوائها الشخصية، فإن إبراهيم لم يكن ابن مراد الرابع وإنما أخيه، وقد تولى الحكم لأن الإنشكارية أرادت، ولأنه كان الوحيد الموجود من الذكور من سلالة آل عثمان، وقد ولد محمد الرابع بعد توليه، وهكذا نجبت السلالة العثمانية من الانقطاع.

منذ تولي إبراهيم الأول الحكم ناضل ضد الإنشكارية، وحاول كبح جماحهم، لكنه لم يتمكن من اجتثاث الفساد من رؤوسه والقضاء عليهم.^(٢)

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٥.

(٢) بسام العسلي: مرجع سابق، ج ٥، ص ١٧٩.

فقد أراد السلطان إبراهيم أن يتزوج ببنت المفتي وأسمها " راجيل " ولكنها رفضته، فقام بإحضارها إلى سرايته، ولكنه لم يجد منها إلا الاحتقار والإساءة، فأعادها إلى والدها المفتي دون أن يصيبها بسوء ولكن المفتي أصر على الانتقام، فاجتمع مع العلماء وأخبرهم وأتفق مع الإنكشارية على عزله بل وقتله إذا تطور الأمر لأنه أراد الزواج من بنت المفتي^(١) كما وأن الإنكشارية أحست بأن السلطان إبراهيم يريد التخلص منهم والفتك بقادتهم، لأنهم عارضوه في كثير من الأمور، وعلموا أنه حدد موعداً لذلك في ليلة زفاف إحدى بناته على ابن الصدر الأعظم.^(٢)

فقرروا القيام بمؤامرة لعزله، والقيام بتمرد عظيمة لذلك متخذين أسباب واهية، وهي أن السلطان إبراهيم يقف موقف عدائي منهم، فبدأوا في نقده وتجريحه، وانتهزوا فرصة إنشغاله بحفلة العرس، واجتمعوا في جامع الفرقة^(*)، وعلى رأسهم شيخ الإسلام عبد الرحمن أفندي، وغيره من علماء الدين، والذين أقروا عزله بتحريض من جند الإنكشارية. والفرسان السباهية، وتولية ابنه محمد الرابع رغم أنه لم يكمل عامه السابع.^(٣) وفعلاً قام تمرد عظيم على إبراهيم في إستانبول وتم عزله في ١٨/٥/١٠٥٨هـ — ٨/٨/١٦٤٨م، وقاموا بكافة الإجراءات لضمان نفاذ قرارهم، واستعدوا عسكرياً حتى استطاعوا الإمساك بزمام

(١) خليفة محمود: مرجع سابق، ص ٣٧٧ - ٣٧٨.

(٢) بسام العسلي: مرجع سابق، ج ٥، ص ١٧٩. انظر محمود شاكر: مرجع سابق، ج ٨،

ص ١٣٥. انظر محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٥.

(*) يطلق عليه جامع الوسط أو أورطة جامع. انظر عبد العزيز الشناوي: ج ١، المرجع

السابق، ص ٥١٦.

(٣) بسام العسلي: مرجع سابق، ج ٥، ص ١٨٠. انظر عبد العزيز الشناوي: ج ١، مرجع سابق،

ص ٥١٦. انظر دائرة المعارف الإسلامية، ص ٥١٠.

الموقف^(١)

تبع عزل السلطان إبراهيم، تضجر الإنشكارية من الصدر الأعظم قارة مراد باشا، وسعوا خلفه لقتله، رغم أنه كان من أغوات الإنشكارية لكنه استطاع التخلص منهم.^(٢)

وبعد مرور عشرة أيام أظهرت الخيالة عدم ارتياحها لتولي العرش السلطان محمد الرابع وهو صغير السن لا يزيد عن سبعة أعوام، ولم يبلغ الحلم، وأرادت إعادة السلطان إبراهيم الأول مرة أخرى، فخاف قادة المؤامرة من إعادة السلطان رغم أنوفهم، نظراً لما قد يقوم به السلطان من انتقام من الإنشكارية، فقرروا قتل السلطان إبراهيم باشا مثلما قتلوا عثمان الثاني قبله، وساروا إلى القصر الموجود فيه، وحاصروه، وقام الجلاذ بالدخول عليه وخنقه حتى توفي.^(٣)

وهكذا ارتكبوا ثاني أبشع جرائمهم، وهكذا سيطروا تماماً على هذا السلطان الصغير، دون أن يلتفتوا إلى أمور الدولة وأصبحوا يرتعون في العز والرخاء، وارتاحوا لهذا الوضع الرخيص وعاثوا فساداً في القصر وأصبحوا يتدخلون في كل الأمور حتى ساءت أحوال الدولة وعمت في أرجائها الاضطرابات، وأصبح نفوذ الإنشكارية لا يضاهيه أي هيئة أخرى في الدولة.

وعلى هذا حدثت خلافات بين الخيالة والإنشكارية، ولضغط الإنشكارية في القصر السلطاني، تم الاعتماد عليها بصورة أكبر من الخيالة، وكانت هذه ضربة

(١) عبد القادر ده ده أوغلو: مرجع سابق، ص ٦٤. انظر عبد العزيز الشناوي: ج ١، مرجع سابق، ص ٥١٦.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية بالتركية، ٥١٠٨.

(٣) محمد شاكر: مرجع سابق، ج ٨، ص ١٣٥. انظر عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق،

ج ١، ص ٥١٦. انظر بسام العسلي: ج ٥، ص ١٨٠.

لفرقة الخيالة. (١)

وهكذا جلس محمد الرابع على العرش وهو صغير السن ١٠٥٨هـ — ١١٠٤هـ / ١٦٤١م، ١٦٩٢م. مما أبعده عن ممارسة الشؤون السياسية وأصبحت الإنشكارية، وأصحاب النفوذ من الشخصيات الكبيرة في القصر هي المتحكمة في جميع الأمور، وعزل بين الحريم وأصبح وجوده مثل عدمه،^(٢) وقد تميز عهده ببروز تدخل نساء القصر في السياسة، أمثال تورخان سلطان وهي والدته، والتي سيطرت عليه لصغر سنه وأدى هذا إلى تراجع دور السلطان في قيادة الجيش والدولة، وقد انعكس هذا التراجع على أمور الدولة والقصر الداخلية، فقد زاد تسلط الإنشكارية على الوضع داخل القصر والعاصمة، وأصبح الصدر الأعظم ضحية لهذا التسلط.^(٣) كما وأن نفوذ الإنشكارية زاد عن الحد حتى صارت تحدث مشادات بين الإنشكارية والسباهية في القصر حول السيطرة على السلطان و الغلبة دائماً للإنشكارية.^(٤)

وقد زاد تسلط الإنشكارية على الصدور العظام في عهد محمد الرابع فنجد مثلاً أنه عندما حاول الصدر الأعظم أحمد باشا الألباني ١٠٦٣هـ — ١٠٦٤هـ / ١٦٥٢م — ١٦٥٣م أن ينقذ الوضع ويكافح الرشوة وتنظيم أول ميزانية للدولة لضبط النفقات، واجهته مقاومة عنيفة جداً وقاموا بقطع رأسه بعد تسعة أشهر فقط من توليه المنصب. كما واجه نفس المصير الصدر الأعظم مراد باشا الألباني الأصل والذي قتلته الإنشكارية مثل الآخرين ولحق بهم من جاء بعدهم وهو

(١) دائرة المعارف الإسلامية بالتركية، ص ٥١١.

(٢) عبد القادر ده ده أوغلو: مرجع سابق، ص ٦٥، مخطوط تاريخ آل عثمان: ورقة ٣٥

(٣) محمد موفاكو: تاريخ بلغراد الإسلامية، الكويت: دار العروبة للنشر، المكتبة البلقانية، د.ط،

د. ت، ص ٥٧.

(٤) عبد القادر ده ده أوغلو: مرجع سابق، ص ٦٥.

مصطفى باشا، الذي عزل، وأصبح اهتمام الإنشكارية بالسلطة والنفوذ، أكبر من اهتمامهم بحياة الجهاد والوضع العسكري. (١)

يتضح لنا أنهم أصبحوا مرابطين داخل القصر لا يبارحوه أبداً، وكأنهم وجدوا لمراقبة السلطان وأفعاله، وليس للجهاد وإعلاء راية الإسلام.

وقد استحال أمر الإنشكارية في القصر وأصبحوا شوكة في ظهر الدولة العثمانية، لكن ظهور آل كوبرلي غير كثيراً من الأوضاع الخاطئة للإنشكارية داخل القصر، وكان ذلك سنة ١٠٦٢ هـ / ١٦٥١م (٢) حيث تمكن آل كوبرلي من تثبيت الوضع في الداخل وقضوا على الفساد والرشوة، وضبط الإنشكارية، وعملوا على إحياء روح الجهاد في الجيش، فانتعشت الدولة العثمانية من جديد. (٣)

وقد مهد السبيل لظهور آل كوبرلي مقتل كوسم سلطان زوجة السلطان أحمد الأول ووالدة إبراهيم الأول و مراد الرابع عام ١٠٦٢ هـ / ١٦٥١م والتي كانت مسيطرة على الأمور داخل القصر، وفي أعقاب ذلك تم تعيين محمد باشا كوبرلي في الصدارة العظمى، حيث عاملهم معاملة شديدة، وقتل كثيراً من ضباط الإنشكارية، بسبب مقتل كوسم، كما هدد بقتل الآخرين إذا لم يلتزموا الهدوء والسكينة، ولكنهم ثاروا عليه لأنهم أدركوا أنهم أمام خصم قوي قادر على معرفة أساليبهم وقمعهم، (٤) إلا أنهم فشلوا فقد أدبهم الصدر الأعظم وأمر بإلقاء جثثهم

(١) محمد موفاكو: مرجع سابق، ص ٥٧.

(٢) مرجع سابق، ص ٥٧.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٩٠.

(٤) مصدر سابق، ص ٢٩٠. عبد القادر ده ده أوغلو: مرجع سابق، ص ٦٥.

في البحر وبلغ عدد قتلهم أربعة آلاف جثة. (١)

وبهذه المعاملة الشديدة على التوالي بين الصدور العظام محمد باشا ثم ولده محمد باشا وقرة مصطفى باشا (٢) في عهد محمد الرابع أحس الأهالي بالسكينة والهدوء والأمن لمدة من الزمان.

ولكن للأسف هذا الوضع والهدوء لم يستمر طويلاً فقد هزم العثمانيون بأتكسار فطيع عند أسوار فيينا، وطبعاً انتهز الإنكشارية وسارعوا إلى العاصمة، وقاموا بعمل تمرد كبير فيها، وخلعوا السلطان محمد الرابع ونصبوا سليمان الثاني مكانه، (٣) وكانت هذه فرصة لا تعوض لهم حتى يوضحوا للأهالي عدم كفاءة آل كوبرلي في الصدارة، ويوقفوهم عند الحد الذي يريدوه وبذلك يتخلصوا من شخصيات حدث من نفوذهم كثيراً داخل القصر وخارجه.

ولقى محمد الرابع نفس مصير من سبقوه، ولكنه كان أوفر حظاً منهم حيث لم يقتل وإنما عزل في سنة ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٦ م، ومات بعد عزله بحوالي خمس

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٥.

(٢) مصطفى باشا: صدر أعظم تلقى تعليمه في الدائرة السنوية السلطانية، ترقى في المناصب حتى وصل سلحدار للسلطان محمد الرابع ثم وزير ورئيس البحرية ثم أمير سليترية وطرابلس الشام وقد حرر عاصمة بولونيا من الألبان ثم صار بعدها صدر أعظم، وحرر بلغراد من الألمان، ترقى بعد خدمة خارج القصر لمدة ١١ عام كان نوقم شديدة وإدارياً جيد وشجاع ومستقيم. الموسوعة التركية: ج ٢٤. د. ط، أنقره: دار المعارف، ١٩٧٦ م، ص ١٧٠ لقد كانت الإنكشارية من أحد الأسباب الرئيسية لهزيمة العثمانيين عند أسوار فيينا، كما سيتضح ذلك في المبحث القادم، وعلى الرغم من ذلك فقد استغلوا هذا الوضع اسواء استغلال.

(٢) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٥.

سنوات، وقد ظل معزولاً في قصره بعيد عن الحياة السياسية ومات طبيعياً. (١)

نصب الإنشكارية سليمان الثاني ابن إبراهيم الأول ١٠٩٩هـ - ١١٠٢هـ / ١٦٨٧م - ١٦٩٠م على العرش، (٢) والذي تجاوز عن أعمالهم القبيحة وأفعالهم الشنيعة بمن سبقوه، وأغدق عليهم الهدايا والأعطيات وصفح عن تمردهم الذي نتج عنه عزل محمد الرابع (٣) وقد تولى أمور الدولة وهي في غاية الارتباك والفوضى، وحاول قدر الإمكان تصحيح الأوضاع (٤)

السلطان سليمان الثاني كان رجلاً زاهداً متعبداً، يفضل الانزواء ودراسة الكتب الدينية، ولذلك لم ترض به الإنشكارية سلطناً عليها، إلا أنها أملت في أخلاقه الهادئة أن تفسح لهم المجال في التماهي في أهوائها دون أن يتصدى لهم، وعندما ذهب رؤسائهم إلى الصدر الأعظم، وطالبوا برواتبهم المتأخرة، والأعطيات المعتادة عند جلوس كل سلطان، حاول الصدر الأعظم تهدئتهم بالكلام العذب، والوعود الطيبة، وأعطاهم القليل من المال، مع الوعد بإعطائهم الباقي حينما ترد الأموال من الولايات إذ أن خزينة الدولة كانت فارغة من الأموال. فغضبوا وتفرقوا في شوارع إسطنبول ينهبون البيوت ويسلبون الأهالي. (٥)

وهكذا نجد أنه اتخذ سياسة مختلفة مع الإنشكارية حيث التسامح والغفران، ولكن هذه السياسة أيضاً لم تؤتِ بنتائج حسنة إذ أن تمرداتهم داخل العاصمة وحول القصر زادت عن حدها مما أدى إلى نتائج سلبية على الدولة العثمانية،

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٧١

(٢) مخطوط آل عثمان: ورقة ٣٥.

(٣) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٥، إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن

دول البحار، ج ١، ص ١٨٤.

(٤) أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢١٤.

(٥) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٣١.

حيث أدى ذلك إلى ارتباكها، وبلغت وقاحتهم مداها حيث صاروا يقتلوا الوزراء والصدور العظام، وزاد هياج الإنشكارية وصارت تهجم على بيوت من تريد قتلهم. مثلما تخلصوا من فاضل مصطفى باشا القائم مقام، عندما أراد تسكين الاضطرابات فعينوه والياً على ميناء الدردنيل. (١)

وعندما اعتقل الصدر الأعظم ساویش باشا (*) بعضهم، وحكم عليهم بالإعدام انتشرت الفوضى في شوارع إستانبول، واقتحموا قصر ساویش باشا وقتلوه شر قتله قطعوه أرباً، وعرف باسم قتل الإنشكارية، ونهبوا قصره وألقوا القبض على زوجاته وجواريه واتخذوهن سبايا. (**)(٢)

(١) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص ٣٠٥.

(*) ساویش باشا: لم يعرف من أين أو نسبه، تولى منصب الصدارة العظمى مرتين، وقد قتل أثناء تمرد الإنشكارية ونهب قصره، ومات مأسوفاً عليه، الموسوعة التركية: ج ٢٣، د. ط، أنقرة، ص ١١٥.

(**) وقد أورد محمد جميل بيهم أن الإنشكارية عندما هاجمت قصر الصدر الأعظم، قد دخلوا على زوجته وأخته وقطعوا أيديهم وأرجلهم وأنوفهم، ثم جروهما في الشارع بمنتهى الإهانة. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٥. حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٣١.

لم ترد هذه القصة في كتب المؤرخين العثمانيين ولم يذكر المؤرخ مصدرها، فلا يمكن الجزم بصحتها أو حتى قربها إلى الواقع، ولكن السؤال هل وصلت بالإنشكارية الجراءة إلى درجة أنهم يقوموا بمثل هذا العمل الشنيع، وإذا قلنا أن ذلك لعدم زواجهم ولكن هذا قانون منذ تأسيسهم والرعيل الأول لم يرتكب مثل هذه الفظاعة، كما أنه في هذا الوقت كان قد سمح لهم بالزواج، كذلك هل المرأتين ستعيشان بعد النزيف من هذه الجروح حتى يتم جرهما إلى الشارع، أم أنهم جروهما وهما ميّتين وهذا يعتبر تمثيل بالجثة مخالف لتعاليم الإسلام. ولذلك فإن الدراسة لا تؤيد الرواية.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٧. سعيد أحمد برجاي: مرجع سابق،

وبهذا العمل نجد أنهم انتهكوا حرمة قصر الصدر الأعظم، واستولوا على النساء، وكان هذا التطور في طغيانهم قد صار يمس النساء، وهذا يدل على ما وصلت إليه الإنشكارية من فسق وفساد. ثم هجموا على الأسواق والحوانيت ونهبوها، وأصبحت شوارع استانبول مكاناً واسعاً للفتن والتمردات وأصبح القصر مرتعاً لهؤلاء.^(١) مرتكبين فيه الفظائع، مما آثر غضب أهالي استانبول عليهم، كما أنه عندما عين السلطان سليمان الثاني إسماعيل المرعشي^(*) في الصدارة العظمى، بذل كافة مجهوداته لتسكين الاضطراب بين الإنشكارية، وتعاون مع أهالي استانبول الذين زادت ثورتهم على الإنشكارية واستبدادهم، فحملوا السلاح وانقضوا على الإنشكارية وقتلوا منهم كثيراً وجرت مذبة هائلة، وهكذا هدأت أحوالهم قليلاً، وعاد النظام مرة أخرى،^(٢) بعد أن وعدهم المفتي خيراً، وحثهم على العودة إلى ثكناتهم. ومع ذلك فقد نفوا شيخ الإسلام دباغ زاده محمد أفندي.^(**)

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٥. حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٣١.

(*) إسماعيل المرعشي: يقال أنه من حي أباش في أنقرة، عمل أول حياته خارج القصر، ثم صار صاحب إقطاع برتبة أمير أمراء الروملي، تدرج في الوظائف حتى صار صدر أعظم في عهد سليمان الثاني، ثم عزل وحبس في قلعة يدي قوله عام ١١٠٠هـ / ١٦٩٦م. الموسوعة التركية: ج ٢٠، أنقرة، سنة ١٩٧٢م، ص ١٦٧.

(٢) إسماعيل سرهنك: مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٤ - ١٨٤. حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٣١.

(**) هو ابن محمود أفندي شيخ دباغين منطقة يدي قوله، تلقى التعليم على أشهر علماء عهده وعمل بالتدريس في عدة مدارس، ومفتشاً بأوقاف الحرمين، عين قاضي لدمشق، ثم أدرنه ثم إستانبول ثم الأناضول ثم شيخ الإسلام في ١٠٩٨هـ - ١٦٨٧م وكان ضمن من أقصوا محمد الرابع عن الخلافة، ونتيجة لخلافه مع الإنشكارية عزل من منصبه =

وقد حاول هذا الصدر الأعظم، اعتقال مثيري الشغب والفتن والذين حاولوا التمرد مرة أخرى، وكان يقضي عليهم لولا أن نحاه السلطان عن المنصب، وعين بدلاً منه مصطفى باشا، والذي كان صاحب ثروة كبيرة، فوزع عليهم الأعطيات والمال، بدلاً من معاقبتهم، فعاد إليهم الهدوء (١)

حاول سليمان الثاني بعد هذه الفوضى القيام بحركات تطهيرية كبيرة للقضاء على استبداد الجيش، وهذه الحركات أعطت هدوءاً مؤقتاً للدولة والقصر لأنها كانت تعيش ظروفاً صعبة عند توليه الحكم. (٢)

وبعد وفاة سليمان الثاني متأثراً بمرض عضال تولى الحكم أحمد الثاني ١١٠٢هـ - ١١٠٦هـ / ١٦٩١م - ١٦٩٥م وقد حكم مدة أربعة سنوات وثمانية أشهر. (٣)

وفي عهد أحمد الثاني استمرت الإنشكارية على نفس المنوال في السيطرة على شؤون القصر، وإن كان نفوذهم قد خففت حدته نتيجة لتولي مصطفى باشا كوبريلي منصب الصدارة العظمى حيث استطاع هذا الأخير أن ينقل الدولة من الدمار السريع الذي كان سيصل بها نتيجة التمردات المتتالية إلى هدوء نسبي، حيث استطاع استمالة الجند والرعية لصفه وهدأت أحوال القصر. (٤)

= توفي عام ١١١٤هـ - ١٧٠٢م.

الموسوعة الإسلامية: الوقف الديني، ج ٩، د. ط، إستانبول، ١٩٩٤م، ص ٦٢.

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٣١.

(٢) عبد القادر ده ده أوغلو: مرجع سابق، ص ٦٦.

(٣) مخطوط تاريخ آل عثمان، ورقة ٣٥.

(٤) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٥.

وقد حاول مصطفى الثاني ١٠٧٤هـ - ١١١٥هـ / ١٦٦٣م - ١٧٠٣م^(١) الذي خلف أحمد الثاني أن يتصدى لأطماعهم داخل القصر والعمل على الحد منها، محاولاً إصلاح الشؤون الداخلية، وإبطال المفسد، ومعاقبة المرتشين ومنع المظالم، غير أن الإنكشارية لم تسمح بذلك لأنه كان مناخ الضعف والفوضى هو المناسب لهما، لما يوفره لهم من فرصة للسلب والنهب وهتك الأعراض، وانتهاك الحرمات، وبسبب ضغط الإنكشارية، وعدم إعجابهم لهذه الشدة، وقفوا في وجه الإصلاحات، وعزل السلطان مصطفى الثاني في ٢ ربيع الثاني ١١١٥هـ - أغسطس ١٧٠٣م ونصبوا مكانه أخيه السلطان أحمد الثالث، وقتلوا فيض الله أفندي.^(٢)

تولى أحمد الثالث ١١١٥هـ - ١١٤٩هـ / ١٧٠٣م - ١٧٥٤م^(٣) الحكم وهو خائف مما قد يصيبه من الإنكشارية مثل الذين سبقوه، وخاصة أخاه^(٤) فاستهل حكمه بتوزيع الهبات والأموال بكثرة على الإنكشارية، ووافق على طلبهم بقتل المفتي " فيض الله أفندي " لأنه كان ضد أعمالهم وفعلاً قبضوا عليه وقتلوه، ونفوا أولاده، وهكذا عادت السكينة والراحة إلى القصر في استانبول^(٥) لقد اتخذت طلباتهم منحى جديد وهو قتل كل من يقف بطريقهم حتى ولو كان

(١) أحمد عرابي: مخطوط تاريخ الملوك العثمانية والوزراء والصدور ومشايخ الإسلام والقبودانات، ١٣٧٧هـ، القاهرة: مكتبة فاروق قديماً، ورقة ٣.

(٢) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٦. انظر سعيد أحمد برجاي: مرجع سابق، ص ١٧٤.

(٣) مخطوط آل عثمان، ورقة ٣٥.

(٤) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٣٣.

(٥) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣١٢. انظر بسام العسلي: مرجع سابق ن ص ٢٠١. حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٣٣.

المفتي أو شيخ الإسلام.

وعندما هدأت الأوضاع واستقرت الأحوال، بدأ السلطان أحمد الثالث الانتقام من الإنشكارية والاقتصاص من رؤوس الفتنة، وإنزال العقاب العادل عليهم، فحاول تفريق الإنشكارية عن القصر والعاصمة بكافة الأعدار، وقتل عدداً كبيراً منهم، ومن ضمنهم من أجلسوه على العرش وحتى المفتي الجديد، وعزل الصدر الأعظم تشاتجي أحمد باشا الذي انتخبه الإنشكارية في ثورتهم، وعين مكانه زوج أخته داماد(*) حسن باشا (**)، وبلغ عدد من قتلهم خمسة عشر ألف، ويرى أن جرائد وصحائف أسماءهم كانت تظهر كل يوم لمدة ستة شهور عن الذين يقتلون أو يلقون في اليم. (١)

هذا يدل على كثرة عدد الإنشكارية، وبالتالي ليس كل هذا العدد قد دُرب عسكرياً أو خضع لأنظمة الإنشكارية، وبالتالي فإن الفساد والإحلال الذي

(*) داماد: لفظ فارسي أستعمل في التركية ومعناه الصهر وكان هذا اللفظ يستعمل مضافاً إلى الاسم بمعنى الشريف لمن كان متزوجاً من بنت السلطان، أو من أخته انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣١٢.

(**) حسن باشا: من بلاد المورة، أخذ لقب داماد لأنه تزوج من خديجة سلطان أخت مصطفى الثاني وأحمد الثالث وبنت مراد الرابع. لم يعرف متى دخل القصر السلطاني تدرج في الوظائف حتى صار والي مصر برتبة وزير في عهد سليمان الثاني. ثم فقد سمعته وفقد وظيفة الوالي لخيانتته لأغا دار السعادة، وأثناء ولايته على صافز سقطت في يد البندقية، تنقل بين عدد كبير من الوظائف السياسية كان شجاع كريم، أهتم بتاريخ نعيمه وشجعه على الاستمرار في الكتابة، والتأليف وأمر ببناء عدد من التكايا وتوفي عام ١٧١٣م عن عمر يناهز الستين عاماً. الموسوعة الإسلامية: الوقف الديني، ج ١٦، د.ط، إستانبول: ١٩٩٧م، ص ١١٥، ١١٦.

(١) محمد فريد المحامي، مصدر سابق، ص ٣١٢. انظر حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٣٣، انظر بسام العسلي: ج ٥، مرجع سابق، ص ٢٠١.

أصابهم، جاء نتيجة العناصر الفاسدة التي دخلت فيها وأدخلت مفاهيم جديدة عليها.

وبالطبع بدأت الإنشكارية تنور على أحمد الثالث بسبب هذه الأوضاع الجديدة، خاصة بعد تعيين داماد حسن باشا، في منصب الصدارة العظمى، وإنصرافه للإصلاح، حيث جدد الترسانة، وأنشأ كثيراً من المدارس، لكن هذه الإصلاحات وكذلك مصاهرته للسلطان، لم تضمن له الحماية، إذ أنه أصبح هدفاً للمؤامرات والدسائس من قبل الإنشكارية، وأعداء الإصلاح، وهم الذين لا يعجبهم وجود رجل حازم يقبض على الأمور بشكل يحول بينهم وبين تحقيق رغباتهم، فدبروا المؤامرة حتى استطاعوا عزله في ٢٨ جمادى الأولى ١١١٦هـ — ٢٨ سبتمبر ١٧٠٤م. (١)

ومن بعده كثر تغير الصدور العظام في عهد أحمد الثالث تبعاً لأهواء الإنشكارية ورغباتها (٢) فقد جاء نعمان كوبربلي في الصدارة العظمى، وحاول أن يأخذ على عاتقه مهمة إصلاح الإنشكارية ودفع رواتبهم بانتظام منعاً لأي تمردات قد يقومون بها لكنه للأسف لم يستمر في الصدارة العظمى. (*) وعين

(١) محمد فريد المحامي، مصدر سابق، ص ٣١٢. انظر بسام العسلي: ج ٥، مرجع سابق، ص ٢٠١.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣١٢.

(*) لقد كان هذا الصدر الأعظم متحلي بصفات جده وأبيه، وكان يأخذ رواتب الإنشكارية من بيت المال، ولا يأخذها قسراً من الأهالي بالظلم والجور، ولكن هذا لم يعجب السلطان إذ أنه لا يريد أن يخرج مال من الخزينة، وعندما سأل الصدر الأعظم أن سلفه وجدوا طريقة أخرى لرواتب الجند، فرد عليه نعمان أنه إذا كان سلفه يجيدون أسلوب سلب الناس لزيادة دخل جلالته، فمن دواعي فخري أن أجهل هذا الأسلوب، فلم يعجب هذا السلطان وعزله. انظر حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٧٤، ٣٣.

وهو الابن الأكبر لفاضل مصطفى باشا، دخل الديوان الهمايوني ليصبح الوزير السادس =

بدلاً منه إبراهيم باشا، والذي أراد توفير الرواتب للإنشكارية، لأن السلطان رفض أن يؤخذ من المال الذي يدخل في الخزينة، مما جعل الصدر الأعظم إبراهيم باشا، يفرض ضريبة جديدة أسمها " بدل " على التجار وأصحاب الدكاكين، لكن هذه الضريبة جاءت بنتائج عكسية حيث أن كثيراً من التجار كان من الإنشكارية، الذين يمارسون البيع والشراء فبدوا في التذمر علانية، ولكن ولاية الأمر لم يأخذوا هذا التذمر في الاعتبار، حتى تطورت وأصبحت فتنة في البلاد، فقد حدث أن ثلاثة من أفراد الإنشكارية قد أثارت حقهم هذه الضريبة لأنهم كانوا يتاجرون في التجارة البسيطة مثل الملابس القديمة، أو الفواكه أو القهوة، لذلك أخذوا يصيحون ويشتمون الصدر الأعظم، وصار ينضم إليهم الإنشكارية وأفراد الشعب، حتى كثر عددهم شيئاً فشيئاً، وأخذوا قطعاً من الملابس القديمة التي كان يبيعها أحدهم، وساروا في الطرقات مستلين سيوفهم، يخربوا كل من يعترضهم، وفسدوا في العاصمة، ودخلوا البيوت ونهبوها وقتلوا أهلها، ثم حاصروا القصر السلطاني وطالبوا بقتل الصدر الأعظم، ونائبه ومساعدته، بل والمفتي أيضاً^(٩)، حتى طالبوا بخلع السلطان نفسه، وسلطوا أفواه مدافعهم على أسوار القصر.^(١)

فأجبر السلطان على قتل الصدر الأعظم، ومن شدة خوف السلطان اضطرت التنازل عن العرش ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م لابن أخيه محمود الأول، وكانت تمرد الإنشكارية تعبيراً عن غضبهم على المسحة الأوروبية التي طبعت حياة السلطان

= ترقى في الوظائف، وتزوج من عائشة سلطان ابنه مصطفى الثاني، رقي إلى منصب الصدارة العظمى بعد زواجه ولكنه لم يستمر واستقال، ومات و عمره تسعة وأربعين عام، عام ١٧١٩م، ودفن بجامع كوبرللي، كان رجل فاضل تخرج من مدرسة رفيعة المستوى الموسوعة التركية: المجلد ٢٢، أنقرة: دار المعارف، ١٩٧٥م، ص ٢٩٣.

(*) ولعدة أسباب أخرى سيتم ذكرها بإذن الله في المبحث القادم.

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٣٣-٣٤.

وسلوك بطانته، إضافة إلى خوفهم من روح الإصلاح التي بدأت تنتشر وتظهر بوادرها، فقلق الإنشكارية على نفوذها.^(١) كما أن الاستياء كان شديداً ضد تبذير القصر، وكانت التمرد بزعامة الألباني باترونا خليل.^(٢) كما قتلوا الصدر الأعظم والقبودان باشا، ولم يستطع السلطان ^(*) أحمد منعهم وتساهل معهم كثيراً خوفاً على حياته.^(٣) ووصل تطاولهم مداه عندما أرغموا السلطان أحمد الثالث على التنازل لابن أخيه محمود الأول ١١٤٣هـ — ١١٦٨هـ — / ١٧٣٠م — ١٧٥٤م وأصبح هو السلطان بالاسم وسيطر على أمور الحكم بترونا خليل قائد التمرد السابقة.^(٤)

ونتيجة لانشغال السلطان أحمد الثالث بمشاكل الإنشكارية في القصر وإستانبول، فقد انشغل عن متابعة ما كان يجري حوله من تطورات على ساحة السياسية الخارجية، حيث بدأ بطرس الأكبر العمل على إضعاف من حوله من الأقوياء، أي السويد ^(**) وبولونيا والدولة العثمانية.^(٥)

(١) سيد مصطفى - خالد زيادة: مرجع سابق، ص ١٦-١٧.

(٢) عمر عبد العزيز عمر: مرجع سابق، ص ٥١.

(*) لقد عزل السلطان نعمان كوبريللي لأنه أخذ رواتب الإنشكارية من بيت المال، وإبراهيم باشا وفر أموال بيت المال بفرض ضريبة البدل، التي قامت بتمرد ودفع السلطان ثمن طمعه.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٨.

(٤) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٥٣.

(**) بدأ بملك السويد شارل الثاني عشر ودخل معه في معركة خرج منها منتصراً انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣١٢.

(٥) مصدر سابق: ص ٣١٢ - ٣٢٠. انظر محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني،

وفي عهد السلطان محمود الأول تتضح لنا رؤية مهمة وهي أن الإنكشارية أصبحت تدمر كل شيء في طريقها حتى وإن كان رجلاً منهم مثلما حدث مع بترونا خليل^(*).

وقد توفي محمود الأول بعد حكم دام خمسة وعشرين سنة ومات وعمره ستون عاماً، وكانت أيامه هادئة وسعيدة لاتصافه بالعدل والرحمة بين جميع الناس، لم يفضل فئة على أخرى وكان يميل للمساواة بين الناس، وفي أيامه اتسع نطاق الدولة في آسيا وأوروبا^(١).

وبالطبع فإن أحوال الإنكشارية قد هدأت وإن لم يخلو الأمر من تدخلاتهم وسيطرتهم على أمور الدولة خاصة في عهد السلطان عثمان الثالث ١١٦٨هـ - ١١٧١هـ / ١٧٥٤م - ١٧٥٧م^(٢) والذي بقي فترة وجيزة في الحكم ولكن هذا لا ينكر وجود تدخلات من الإنكشارية إلا أنه لم يرد ذكر أي تمرد أو تدخل في شئون القصر في عهده إذ أنه كان يتفقد أحوال الرعية ليلاً، حيث ينزل متكرراً للشوارع والأزقة^(٣) وهذا يدل على أن الدولة في عهده كانت تسير على ما يرام مما أدى إلى هدوء الإنكشارية وتدخلاتهم.

وعندما تولى الحكم السلطان مصطفى الثالث ١١٧١هـ - ١١٨٧هـ / ١٧٥٧م - ١٧٧٣م^(٤) أخذ يعمل من أجل الإصلاحات الداخلية، وقد أغفل اهتمامه بإصلاح الإنكشارية مما أدى به إلى مجابهتهم بين الحين والآخر داخل

عبد العزيز الشناوي، ج ١، مرجع سابق، ص ٥١٨.

(*) سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في المبحث القادم.

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٢٥.

(٢) مخطوط تاريخ الملوك العثمانية، ورقة ٤.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٢٧.

(٤) مخطوط تاريخ الملوك العثمانية، ورقة ٤.

القصر السلطاني فقط. (١)

تولى بعده عبد الحميد الأول ١١٨٧هـ - ١٢٠٣هـ / ١٧٧٣م - ١٧٨٨م. (٢)
ولكنه لم يوزع العطايا والهبات على الإنشكارية المعتادة عند تولي أي سلطان
الحكم وذلك لفرع الخزينة (*)، ولكنه لكي يتجنب ثورتهم أقر كل الموظفين والقادة
حتى لا يقع أي خلل من جهتهم. (٣) ولم يذكر أي تمرد في عهده أو تدخل في
القصر السلطاني ربما لإنشغال الإنشكارية بالحرب الدائرة بين الدولة العثمانية
وروسيا، فلم يكن هناك مجال للتدخل لأن الحرب كانت تضغط عليهم.

وفي عهد خلفه سليم الثالث ١٢٠٣هـ - ١٢٢٥هـ / ١٧٨٩م - ١٨٠٧م. (٤)
عادت الإنشكارية وبقوة إلى سابق عهدها في التحكم في السلاطين
وفي عزل وقتل من شاءوا.

لقد كانت مشكلة سليم الثالث الوحيدة هي إنشاء " جيش جديد " على النظام
الأوروبي وهو بذلك قد خرج من تحت سيطرة الإنشكارية، وكان شغله الشاغل
إعادة تنظيم الجيش وتطوير أسلحته. (٥) فكان موقف الإنشكارية يتركز في صدهم
للنظام الجديد، ولم تذكر لهم المصادر أي تمردات أخرى لأسباب تأخر رواتب أو
ما شابه.

وهكذا قامت بتمرد ضد السلطان سليم الثالث وإصلاحاته أرغمة خلالها على

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٢٩.

(٢) مخطوط تاريخ آل عثمان، ورقة ٣٦.

(*) وذلك لأن الدولة صرفت جميع الأموال في تجهيز الجيوش، للحرب ضد روسيا.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٤١.

(٤) مخطوط تاريخ ملوك العثمانية، ورقة ٤.

(٥) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٦.

إبطال النظام الجديد، وإرغامه على تعيين بعض من ضباط الإنشكارية في مناصب قيادية في أرجاء القصر والحكومة، وقد تقبل سليم مطالبهم وكأنه دولة مهزومة.^(١)

ولأن الإنشكارية خافت من عودة السلطان لمشروع الإصلاح قامت بالتجمع في ميدان آت^(٢) وقلبوا القدور، علامة على العصيان، وقاموا بقتل رواد الإصلاح، ورسوا رؤوسهم أمام الأهالي، وقرروا عزل السلطان سليم الثالث في ٢١ ربيع الآخر ١٢٢٢هـ / ٢٨ يونيو ١٨٠٧م ساعدهم على ذلك المفتي الذي أصدر فتوى بوجوب عزل السلطان.^(٣)

وقد تعهد شيخ الإسلام بإيصال هذا إلى السلطان، وكان ضالعا معهم، بتبليغ هذه الفتوى إلى السلطان، وأبلغه هذه الرسالة مظهراً أسفه من هذه الحادثة الجبرية، وقد تقبل هذا الأمر السلطان وغادر القصر السلطاني^(٤) ونودي بعد يومين بمصطفى الرابع بن عبد الحميد الأول، سلطاناً وخلفاً لسليم الثالث.^(٥)

وهكذا أهمل المشروع الجليل، مشروع الإصلاح، لعدم موافقته لأغراض الإنشكارية المستبدة في القصر.^(٦) وانسحب السلطان سليم الثالث إلى قصره، حيث بدأ في تعليم ابن أخيه محمود الثاني أصول حكم الدولة العثمانية، وعلمه كيفية الإحاطيات من الإنشكارية وتفادي ضعف السلاطين واعتبار ما حدث تجربة

(١) مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٧.

(٢) آت ميدان: إذا خففت لفظه آت فمعناها اللحم وإذا ضمت (أط) فمعناها الفرس، وهو

المقصود هنا، أي ميدان الخيل. محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٩٣.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٩٣. السيد رجب حراز: مرجع سابق، ص ١٧.

(٤) عبد العزيز الشناوي: ج ١، مرجع سابق، ص ٥٢٩.

(٥) مخطوط تاريخ آل عثمان ورقة ٣٦.

(٦) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٩٤.

فريدة من نوعها^(١)، تستحق المحاولة مرة أخرى وهكذا وضع عصارة تجربته وعلمه في ذهن محمود الثاني وعمل على إعداده ليكمل المشوار الذي بدأه.

وكان مصطفى الرابع ١٢٢٢هـ - ١٢٢٣هـ / ١٨٠٧م - ١٨٠٨م. ألغوية بأيدي المتمردين، وكآله يحركونها وقتما شاءوا، حيث كان نصير النظام القديم ومن مبغضين النظام الجديد،^(٢) وقد فرح به الإنشكارية كثيراً، لكن الرعب دب في قلوب أهالي إستانبول، فأقفلوا الحوانيت، ثم تقدم المفتي شيخ الإسلام وقائم مقام " موسى باشا " إلى الجموع التي كانت مجتمعه في ميدان آت وأخبروهم أن السلطان وعد بإبطال النظام الجديد، فعادت السكينة والهدوء إلى صفوف الإنشكارية، وصارت السلطة في يد القائم مقام " كوسبح موسى " باشا والمفتي شيخ الإسلام " عطاء الله أفندي " .^(٣)

استهل مصطفى الرابع حكمه بتثبيت الوزراء في مناصبهم، وأعتمد تعيين قباقيجي أوغلي حاكماً على قلاع البسفور، فأعاد الإنشكارية قدورهم إلى ثكناتهم علامة على رضاهم وخلودهم للراحة.^(٤) وقام بقتل كثير من ضباط النظام الجديد بناء على طلب الإنشكارية، وقام بإعادة النظام القديم وهكذا سادت القصر الفتن والاضطرابات.^(٥)

وقد نال بذلك مصطفى الرابع رضى الإنشكارية، كيف لا وهو من صنع يدهم وهم من نصبوه وموضع ثقة الرجعيين وخصوم التجديد.

(١) علي سلطان: مرجع سابق، ص ٢٦٩.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٩٤.

(٣) أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص ٢٧٨.

(٤) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٩٨.

(٥) علي سلطان: مرجع سابق، ص ٢٦٩.

وعلى أثر تمرد قباقيجي أوغلي واختلاف قادة التمرد، ومحاولة البيرقدار مصطفى باشا إرجاع سليم الثالث للحكم، وعدم موافقة الصدر الأعظم على ذلك، أثرت على مصطفى الرابع وزادت هواجسه، وخاف على نفسه من عواقب الأمور أو أن يصيبه سوء، فأنقلب على الإنشكارية، فعزل شيخ الإسلام، وأمر بتسريح فيالق الإنشكارية، وأظهر البيرقدار قائد هذه الحركة بأنه راض تماماً عما حدث، وأضمر محاصرة القصر والمطالبة بعودة سليم الثالث للحكم، وأمر البيرقدار بحبس الصدر الأعظم لأنه عارض في عودة سليم الثالث للحكم، خوفاً مما قد يحدث، فأصبح موقف مصطفى الرابع حرج، حيث خسر أنصاره الإنشكارية، كما خسر أتباع النظام الجديد، فخاف على نفسه والعرش، وأمر بقتل سليم الثالث، وأرسل أناساً لهذا الغرض، فدخلوا عليه وهو يصلي صلاة العصر فلم يمهلوه إلى أن يتم صلاته، بل وثبوا عليه وأوقعوه على الأرض، وقام مدافعاً عن نفسه، ولكنهم تغلبوا عليه وخنقوه حتى مات، وحملوه للسلطان مصطفى الرابع ميتاً، فأمر بإلقاء جثته من شباك القصر للنائرين،^(١) ثم عمد إلى التخلص من قباقيجي أوغلي قائد التمرد السابق،^(٢) وأعتقد أنه بذلك سيهدأ من تمردهم ويسكن من هياج الإنشكارية، إلا أن هذا العمل جاء بنتيجة عكسية، فقد زاد هياجهم، وقرروا عزل السلطان مصطفى الرابع، وحجزه في نفس المكان الذي كان محجوزاً فيه سليم الثالث، ولم يتم ذلك الأمر حيث تم قتله بواسطة الإنشكارية في قصره ولحق من سبقوه بنفس الشكل.^(٣)

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٩٧. انظر أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ج ٢،

ص ٢٧٨. انظر عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٣٣.

(٢) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٩٧. انظر عبد العزيز الشناوي: مرجع

سابق، ج ١، ص ٥٣٣.

وهكذا فقد انقلبت عليه الإنشكارية، لأنه حاول إضعافهم بتسريح فيالقهم، مما أدى إلى قتله وهم من وضعوه أصلاً، وسيضعوا محمود الثاني من بعده، وهو من سيقضي عليهم.

وكان مصطفى الرابع قد أمر بقتل محمود الثاني أيضاً ولكن البيرقدار مصطفى باشا، حماه من الموت، حيث سارع لإنقاذ سليم الثالث مع مجموعة من الرجال، ولكنهم وصلوا متأخرين، فعندما وصلوا كان سليم قد فارق الحياة، فأمر البيرقدار المجموعة التي معه، بالإسراع لنجدة محمود الثاني لأنه الوارث الوحيد لتخت السلطنة الباقي من سلالة آل عثمان، فأخذت تبحث عنه العساكر في جميع أنحاء القصر، وكان السلطان محمود الثاني قد أصيب في يده بخنجر، عندما هاجمه عساكر مصطفى الرابع يريدون قتله، فوجدوه العساكر من أعلى السرايا، فأنزلوه منها، وقد تهلل وجه البيرقدار مصطفى باشا فرحاً، وأجلسه على كرسي السلطنة، وهكذا فقد نصبته الإنشكارية سلطاناً عليها، فعين مصطفى باشا البيرقدار صدرًا أعظم، الذي سارع بأخذ الثأر من الذين قتلوا السلطان سليم الثالث.^(١)

وينتهي تدخل الإنشكارية في القصر السلطاني أو في غيره بعهد السلطان سليم الثالث، حيث كان آخر ما قاموا به هو تعيين محمود الثاني في الحكم، والذي لم يعطيهم فرصة التدخل في القصر السلطاني في عهده، حيث واجههم بكل قوته، وشعروا بأنه يريد الإصلاح وأنه يريد وضع نظام إصلاحي، فأصبحوا يتحذرون الفرص للقضاء عليه حتى واتتهم الفرصة المناسبة، وحاصروا القصر مطالبين بعودة مصطفى الرابع لكنه كان قد مات، فألقى بجثته من شباك القصر للإنشكارية الثائرة، مما زاد في ثورتهم وهياجهم، فأضرموا النار في القصر السلطاني، لكي يلجئوا الصدر الأعظم على الفرار والخروج لهم حتى يقتلوه، ولكنه دافع عن

(١) أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

القصر حتى الموت، وانتهى هذه التمرد بحرقهم لأطراف المدينة وأجزاء من القصر حتى رضخ لهم السلطان، مؤجلاً عملية القضاء عليهم حتى يستعد لهم جيداً. (١)

وهكذا دخل محمود الثاني إلى السلطة وهو مصر على القضاء على الإنشكارية وقام بعمل الكثير حتى وصل إلى نهاية الإنشكارية التي كانت معول هدم في داخل القصر أثر بشكل سلبي على الدولة العثمانية وتطورها.

غير أن ذلك لم يمنعه في بعض الأحيان من صرف أموال على سبيل المكافأة لهم أو الهدية، حتى تأتي إليه الفرصة المناسبة للتخلص منهم. (٢) لكن تدخلهم في السياسة العليا أثر على استمرار أو توقف الحروب، أو انسحاب جيش، وبالتالي أثر على موقفها بين دول أوروبا وروسيا، مما أضعفها فاستطاعوا التغلب عليها.

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٩٩-٤٠٠.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول. خط همايوني رقم الوثيقة ١٥٢٣٦ H.H.

المبحث الثالث

تدخلهم في مسائل السياسة العليا

لقد كانت الإنشكارية سلاحاً حاداً رهيباً استطاعت الدولة العثمانية من خلاله تحقيق أكبر انتصاراتهم، وفتوحاتهم، كان الجيش العثماني يخوض غمار المعركة ضد أعتى الجيوش وأقواها، ولكن شيئاً فشيئاً تبوأَت الإنشكارية مركزاً مهماً في الدولة، وأصبحت قوة خطيرة تحكمت رداً من الزمان في السلاطين وفي السياسة الخاصة بالدولة.

حيث بدأوا يشكلون خطراً على الدولة بتدخلاتهم في القصر كما سبق وأن أوضحت، وكذلك تدخلهم في المسائل السياسية العليا حيث رفضوا التقدم في حرب أو الخروج لمعركة وغير ذلك مما أثر بشكل سلبي على كيان الدولة من الداخل، إضافة إلى هذا أن الإنشكارية أدركوا أهميتهم في المعارك ومقدرتهم القتالية فدخلهم الغرور، وبدافع هذا الإحساس وصلوا إلى أعلى مستوى وزجوا بأنفسهم في السياسة العليا للدولة، وهي بالطبع مسائل ليست من اختصاصهم وكانوا يطالبون بخلع السلطان القائم بالحكم بمقولة أنه ليس له نشاط حربي، ويتدخلون في اختيار السلطان الجديد.

وتدخل الإنشكارية في السياسة العليا كان له أبلغ الضرر على الدولة حيث أنه عندما تسيطر عقلية عسكرية على الحكم، فإن هذه الدولة كتب عليها الهلاك لأن رجل الجيش، يفكر بالسيف فقط، لا يفكر بعقله وهو في نفس الوقت ليس رجل سياسة وإنما رجل حرب وفتح بلاد وحصون، وحكمة يصبح ليس فيه أي مرونة أو ليونة، إضافة إلى أن الإنشكارية، ستتخذ من أسلوب التمرد وسيلة لتحقيق رغباتها، ولن تبقى في الثكنات العسكرية للتدريب، وإنما ستتدخل في السياسة،

مما جر على الدولة المصاعب والنكبات. (١)

أصبحت الإنشكارية هي القوة المتحكمة تماماً في سير السياسة فإذا لم تكن ترغب في شيء قضت عليه، وهذا ما حدث بالنسبة للإصلاح، فقد استطاعت أن توقفه لأنه ليس في مصلحتها.

وقد صدق المؤرخون عندما قالوا عنهم أنهم تحولوا من "ضباط أمن ودفاع" إلى "آلات شر وفساد" فقد تضاعلت صلاحياتهم في وظيفتهم الأساسية الحرب والقتال، وتفاقت سلطتهم على الناس والأرواح، وكثر تعديهم على الأموال والأعراض.

ونجد أنهم لم يتركوا سلطاناً إلا وأدخلوا آراءهم في سياسته العليا.

أول ذكر لتدخلهم في السياسة العليا في عهد بايزيد الثاني ٨٨٦ هـ —
٩١٨ هـ / ١٤٨١م - ١٥١٢م، فقد ساد، الهدوء في بداية عهده، ولكن الإنشكارية ظلت تتحين الفرصة لتستهتر بأوامر السلطان بايزيد، خاصة مع طول المدة التي بقوا فيها بلا حرب، وجاعتهم الفرصة مناسبة عندما آوت مدينة بروسه (*) الأمير جم (**)، فساروا إليها وهموا بسلب المدينة، ولم يوقفهم عن هذا الأمر إلا دفع السلطان بايزيد لهم ألف أجرة لكل جندي. (٢)

(١) محمد عبد اللطيف البجراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٣.

(*) بروسه مدينة تقع في الأناضول. بنيت على سفح جبل، أسسها ملك بيثينية، بروسه بروسيس الثاني لها أهمية تجارية، واستراتيجية في الدفاع ضد الأتراك فتحها أورخان سنة ٧٢٦ هـ - ١٣٢٥م وجعلها عاصمة ولاياته. س. موستراس: مرجع سابق، ص ١٥٧، ١٥٨.

(**) طوال فترة حكم السلطان بايزيد الثاني كان على خلاف مع أخيه جم على العرش وهذا ما جعله يوقف الفتوحات على الجبهة الخارجية، ويتفرغ للجبهة الداخلية.

(٢) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٢.

وعلى هذا نرى أن تمردهم كان في البداية كشعة صغيرة في الهشيم لكن رغبة السلاطين في استمرار الفتوحات ونشر الإسلام جعلهم يتحملون مطالب الإنشكارية وتمرداتهم المبكرة جداً. خاصة وأن لهم الفضل بعد الله في الفتوحات ونشر الإسلام.

وبذلك أعتلى العرش سليم الأول، والذي اعتبرته الإنشكارية مديناً لها بحياته والعرش، فأغدق عليهم الهدايا، إلا أن هذا لم يجدي نفعاً، فقد اسهموا في تقليص الفتوحات، وتمردوا عليه رغم قوة شخصيته وصرامته، ورغم محاولته أن يربطهم مباشرة بشخصه، إلا أن ذلك لم ينفع. (١)

ومع هذا فقد ظل خطر الإنشكارية جاثماً على الدولة العثمانية وعلى سليم الأول بالأخص، إذ أنه رضى لرغباتهم في توزيع العطايا، لكن سرعان ما ظهر نفوذهم وتدخلهم الصريح في السياسة العليا بعد عام ونصف في حرب سليم الأول ضد الشاه إسماعيل الصفوي، وكان تدخلهم ينذر بخطر شديد. (٢)

وقد كانت أبرز أخطار الإنشكارية في عهد سليم الأول هي تسببهم في إيقاف بعض الفتوحات، مثل إيقاف الحرب في بلاد فارس، بل وقطع رأس الصدر الأعظم ورأس قاضي العسكر، ورأس قائدهم أيضاً. (٣)

وتفصيل هذه التمردات أنه في أثناء حرب الدولة العثمانية مع الدولة الصفوية في فارس، وأثناء سير السلطان سليم خلف خصمه الشاه إسماعيل الصفوي، وكان سليم معسكر في منطقة " أق ده " القريبة من قلعة " كماخ " حيث تبادل الرسائل مع الشاه إسماعيل الصفوي ولكن دون نتيجة وبقي سليم على رأيه

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٢.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٠.

(٣) محمد أنيس: مرجع سابق، ص ٧٨.

يسعى خلف خصم لم يخرج لمقابلته، في الوقت الذي دمر فيه هذا الخصم الجسور وحرق الغلال وأعلاف الحيوانات، فبدت خطة الشاه إسماعيل في الأفق للإنكشارية، وهي أن يخوضوا في الأراضي دون مؤن أو أعلاف، خاصة وأن المواد الغذائية بدأت تنقل في توزيع الجرايه اليومية، فبدأت همسات ولمزات الإنكشارية، وكذلك أصوات التذمر في الارتفاع، ولأن الوزراء ومستشارين السلطان خافوا من تجيش الجيوش دون فائدة، حاولوا إيصال^(*) هذا المعنى إلى السلطان سليم، لكن دون فائدة، خاصة وأن الإنكشارية قد قطعوا المسافات الطويلة دون أن يقابلوا هذا العدو الذي أتوا لمحاربته، وبدأ عليهم الإرهاق والتعب وعدم الرضا، وقد تمت تهدئتهم قليلاً بعد أن عين " زينل باشا " في قيادة الجيش بدلاً من همد باشا^{(**)(١)}

في هذه الأثناء كانت موقعة جالديران^(***) على الأبواب، أشيع بين الجنود أن السلطان مصمم على السير إلى تبريز وفتحها، ولأن الإنكشارية قد سئموا من طول الطريق ومتاعب السفر، إضافة إلى قلة المؤن، ثارت الإنكشارية للمرة

(*) وقد كلفوا همد باشا بكربيك قرمان بمهمة إيصال تذمر الإنكشارية للسلطان وكان رفيق صباه وكانت مهمته صعبة وشاقة خاصة مع مزاج سليم المتعكر، وقد باعت مهمته بالفشل ودفع حياته ثمناً لها، انظر محمود حسن الصراف: معركة جالديران ٩٢٠ هـ - ١٥١٤م، د. ط، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١م، ص ٨١.

(**) ذكرت بعض المصادر التاريخية أنهم أثناء هذا التمرد أطلقوا الرصاص على مقر قيادة السلطان، وأثاروا عليه لواء الوكلاء، راجع إسماعيل حقى أوزون: مرجع سابق، ص ٥٠٧. ولكن لم يأتي ذكر هذه الحادثة في مرجع أو مصدر آخر.

(١) محمود حسن صراف: مرجع سابق، ص ٨٠-٨١.

(***) جالديران: تقع صحراء جالداران في شمال غرب مدينة خوى، وتبعد عن مدينة تبريز ٢٠ فرسخاً. وكانت من توابع ولاية " يخور سعد " الأرمينية، محمود حسن الصراف:

الثانية ولكن هذه المرة اختلف أسلوبها عن سابقتها، فقد كان الفضل في تهدنتهم في المرة الأولى يرجع إلى سياسية همدم باشا، وهذه المرة جاء التمرد على شكل عصيان عسكري فقد وضعوا بنادقهم على الأرض وعلقوا عليها أذيتهم، وهذه الأعمال في عرفهم تدل على أنهم لن يتحركوا خطوة واحدة إلا في اتجاه إستانبول. (١)

فتنبه السلطان للموقف المتدهور، وبدأ في علاج الأمر وقد أرسل مندوبين من قبله لمقابلة ممثلي الإنشكارية، والذين قالوا ما يلي:

" لقد حضرنا للحرب، والحال أننا لسنا أمام عدو حتى نحاربه، وإلى أين يمكن الذهاب في هذا البلد الخرب!!؟ إن سفرنا الطويل وقلة المؤن " الجراية والعلوفة " قد أصابت خيول الفرسان والمدفعية بالتعب والإرهاق، والجيش الذي أصيب بالتعب والإرهاق لن يتمكن من التعامل مع جيش العدو المحتفظ بقوته، علاوة على أنه في حالة الدفاع. تقصير من هذا؟ وهذا العار الذي لحق بنا أسوأ لنا من الموت، ويمكن إرسال شخص إلى "أردبيل أو غلو " أي الشاه إسماعيل ليغقد معه صلحا. (٢)

وعلى أثر هذا الحديث اضطر السلطان إلى الخروج بنفسه من مقر القيادة، ليتحدث معهم، واكتفى بتهديدهم، ولمح إلى تحقيق رغبتهم كذلك، كما أنه أشاع بين الإنشكارية عن طريق جواسيسه أنه سيعقد صلح مع الشاه إسماعيل بمجرد وصوله إلى مدينة " خوى " بتكليف العلماء بهذا الأمر، وإذا لم يتمكنوا من عقد الصلح فإنه لا مفر من الحرب. وهكذا نجحت خطة السلطان وهدأت ثورة

(١) محمد حسن صراف: مرجع سابق، ص ٨٤-٨٣.

(٢) مرجع سابق: ص ٨٣.

الإنشكارية، وعاد كل فرد منهم إلى وحدته وتحرك الجيش بإتجاه "خوى" (*).

وكانت هذه الأخبار قد وصلت إلى الشاه إسماعيل، فأراد استغلال وضع الجيش العثماني للنيل منه، وهو في حالة الإجهاد والإحباط النفسي وعدم الاتزان، فتحرك صوب "خوى" وقد وصلت هذه الأخبار لسليم عن طريق جواسيسه (**). وفي أثناء سير سليم إلى "خوى" جاءت رسالة من الشاه إسماعيل تفيد بأنه قرر الحرب وحدد سهل جالداران مكاناً لها، فتحرك سليم فوراً لأرض المعركة، وفي هذا كان راحة لسليم لخوفه من التقدم أكثر في شمال غرب فارس لتعرضه لعصيان الإنشكارية من جديد،^(١) وهكذا وقعت معركة جالديران (***) الشهيرة في

(*) خوى: تقع في ولاية طرابزون، لواء كردستان، على البحر الأسود. س. موسستراس: مرجع سابق، ص ٢٦٠.

(**) لقد جاءت الأخبار تفيد بأن حاكم ديار بكر محمد خان أستاجلو وهو أحد قادة الشاه إسماعيل، قد وصل بجيشه إلى خوى، وأن الشاه أصبح قريباً منه، ثم جاءت رسالة أخرى تفيد أن الشاه قد التقى مع قائده في خوى على رأس قوة القزلباش، وهذه المعلومة جاءت من شهبسوار على بيك أحد قادة فرق الفرسان العثمانيين، وهذا الخبر أسعد سليم نوعاً ما فأهدى هذا القائد فرساً قيماً مرصعاً سرجه ولجامه بالياقوت والزمرد، وكانت هذه الهدية دليلاً على الفرحة بهذا الخبر، لأن سليم كانت حالته النفسية سيئة للغاية، وقد كان مثل هذا الخبر سيريقه من مغبة التقدم دون معرفة النتيجة لأنه سيتعرض بلا شك لعصيان وتمرد الإنشكارية، إضافة إلى تعريض جيشه للدمار والخطر الكبير.

(١) محمود حسن الصواف: المرجع السابق، ص ٨٣-٨٦.

(***) موقعة جالديران: لها أهمية تاريخية بالغة، حيث بلورت العداء الديني والسياسي بين الجارتين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، وكانت محصلة طبيعية للعلاقات السياسية العدائية بين الطرفين، وأصبحت الأمور فيما بعد نتيجة للعاطفة الدينية الجياشة لكلا الشعبين التركي والفارسي، أصبحت العصبية المذهبية عصبية سياسية، أي العداء بين السنة والشيعة، وأصبح العالم الإسلامي منقسم إلى قسمين السنة وتزعمها الدولة العثمانية، والشيعة وتزعمها الدولة الصفوية، مما كان له أبلغ الأثر السيئ على =

فجر يوم الأربعاء ٢ رجب ٩٢٠هـ والموافق ٢٢ أغسطس ١٥١٤م، وتلا ذلك بعدة أيام دخول تبريز، وقد دخلها سليم منتصراً واستولى على كنوز الشاه وتحفه ونساءه، وانتقل سليم من نصر إلى آخر متوغلاً في أراضي الدولة الصفوية، وتراجع الشاه إسماعيل إلى داخل بلاده خوفاً من الوقوع في الأسر، وكان سليم في قمة انتصاره. (١)

وقد أراد سليم اكتساح بلاد فارس، لكن هذا الأمر لم يتم إذ سرعان ما حدث تغير في الموقف الحربي، فلم تطل إقامة سليم في تبريز أكثر من ثمانية أيام، بسبب عدم رغبة الإنشكارية، في البقاء، أو الموافقة على خطط سليم العسكرية، وبدأوا يلحون في العودة لديارهم، وبدأوا حركة عصيان وتمرد ثالثة، على الرغم من أن السلطان بمجرد نزوله في تبريز، إذا لم يمض يومان إلا وكان قد دفع لهم رواتب ثلاثة شهور دفعة واحدة كمكافأة لهم على الانتصار في المعركة، إلا أن هذا لم يمنعهم من التمرد والامتناع عن تناول الطعام في وقت الظهيرة، بل وقلبوا قدورهم أمام الخيام. وكان هذا دليل على اعتراضهم وعدم رضاهم. (٢)

وهكذا نجد أن العطف الذي أحاطهم به سليم من البداية لم يكن ذا فائدة فعندما أمرهم سليم بمواصلة الزحف في بلاد فارس، رفضوا الامتثال لأوامره والتقدم إلى ما بعد نهر آراس (*)، بحجة البرد القارس وقلة المؤن وقد صدق

= الدولتين. محمود حسن الصراف: مرجع سابق، ص ١٣٨.

(١) عبد العزيز الشناوي، ج ١، المرجع السابق ن ص ٥١٠. انظر محمود حسن الصراف: مرجع سابق، ص ٨٦.

(٢) مرجع سابق، ص ١١٧ راجع بسام العسلي: مرجع سابق، ج ٥، ص ١٥٢.

(*) هو نهر آراس Aras وهو ينبع من جنوب تركيا ويمر بشمال إيران ثم روسيا ويصب في بحر الخزر. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ١٩١.

القول فيهم " فإن أنت أكرمت اللئيم تمرداً " (١)

في الناحية المقابلة كان الشتاء على الأبواب، والجيش قد عضه الجوع، لقلة المواد الغذائية في هذه البلاد، خاصة وأن الشاه إسماعيل قد أمر بحرق المؤمن والغلال التي في تبريز وقراها، ودمر مصادرها تماماً، لكن السلطان استطاع بصعوبة بالغة توفير الغلال من قمح وشعير لقواته، والأعلاف للدواب، وقد كلفته مبالغ طائلة في شرائها من أرمينيا وكردستان، وكذلك في نقلها، ومن هذا المنطلق، رأى أنه من الصعب توفير المؤن اللازمة للجيش خلال فصل الشتاء لارتفاع تكاليف شرائها ونقلها من ناحية، ومن الناحية الأخرى انقطاع الطرق بسبب تراكم الثلوج في المنطقة، فأجل فتح تلك البلاد إلى فرصة أخرى، وقرر الرجوع إلى بلاده أماسيا ليقضي فصل الصيف فيها ويستأنف الحرب في الشتاء، ولكن الإنشكارية عندما علموا بذلك ثاروا وهاجوا وأقسموا على أن ما من قوة في الدنيا تستطيع إجبارهم على التوغل في تلك البلاد الفيافي الجرداء. (٢)

وقد استدعى السلطان سليم أغا الإنشكارية وجماعة من قادتهم وكان في حالة غضب وسألهم لماذا لم يتناول الجنود طعامهم، وما هو سبب عدم رضاهم، بالرغم من أنهم أخذوا رواتب ثلاثة شهور، وحصلوا على جزء كبير من الغنائم، وعطايا الفتح، فماذا يريدون؟ أجابه أغا الإنشكارية، أن مطلبهم الوحيد هو الاكتفاء بهذا الفتح الكبير والعودة إلى آسيا الصغرى بأسرع ما يمكن. فأمهلهم السلطان مدة ٢٤ ساعة ليقدموا ردهم كتابة ليتسنى دراسته. (٣)

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق: ص ١٩١. انظر محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٣.

(٢) محمود حسن الصراف: مرجع سابق، ص ١١٧-١١٨. انظر حبيب السيوفي مرجع سابق، ص ١٧. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ١٩١.

(٣) محمود حسن الصراف: مرجع سابق، ص ١١٨.

وفي اليوم التالي ذهب أغا الإنشكارية إلى السلطان سليم وقدم عريضة (*) موقعة من ضباط وجند الإنشكارية، أصروا على عدم محاسبة أهل فارس، وذلك لأنهم مسلمين وموحدين بالله، ولكن يختلف مذهبهم، وقد تأثر سليم بهذه العريضة جداً، وطلب من العلماء والقضاة والمفتي أن يعرف فتواهم في مذهب الشيعة هل هو حق أم باطل؟

وقد تدارس العلماء هذا الأمر وخرجت فتواهم (***) بأن هذا المذهب باطل ويجوز محاربتهم لأنهم حللوا أكثر الأفعال المحرمة، والذي حلله الله حرموه ويغيرون في أحكام القرآن، وقد أرسل سليم إلى الإنشكارية نسخة منها، ليقرأ على الجنود، ولكن لم تهدأ ثورتهم إلا ظاهرياً، وبدأوا في ممارسة أعمالهم اليومية داخل معسكراتهم، إلا أنهم كانوا لا يزالون في داخلهم يرددون أن محاربة الفرس ليس لها داعي لأنها بدون سبب. حتى أنه في نفس الليلة قد أطلقت ثلاث سهام على مقر إقامة السلطان ومزقت خيمته وبحث في هذا الأمر ولم يجد نتيجة. وإزاء هذا الموقف قرر السلطان نهائياً العودة إلى إسطنبول. (١) وقد خاف سليم من تمردهم مرة أخرى، وهو بعيد عن قاعدة دولته مما قد يعرض الجيش للتمزق، وكان تقدير السلطان للموقف الحربي أن الانسحاب هو أخف الضررين، خاصة وأنه خاف من أن ينتهز الشاه إسماعيل هذه الفرصة الذهبية، ويعيد ترتيب جيشه، ويعاود الهجوم على الجيش العثماني وينال منه وتصبح الانتصار هزيمة، فآثار سليم الرضوخ لرغبتهم والعودة. (٢)

وترى الدراسة أن في تمرد الإنشكارية بعضاً من الحق حيث أن المدة طالت،

(*) لمراجعة نص العريضة. انظر الملاحق.

(**) لمراجعة نص فتوى العلماء والقضاة انظر الملاحق.

(١) محمود حسن الصراف: مرجع سابق، ص ١١٨-١٢٠.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٩٥-٥١٠.

وظروف الطقس سيئة، إضافة إلى أن قلة المؤن الغذائية والأعلاف زادت من الأمر سوءاً، كما وأن سليم لم يستمع لهم في البداية وقتل همدم باشا، ولكن تمردهم لا يصل إلى درجة إيقاف الحرب، وإنما كان يكفي إظهار عدم الرضا والسخط فقط خاصة وأن سليم قد رضاهم بالعطايا، أما بالنسبة لعدم اقتناعهم بقتال الصفويين الشيعة فهذا غير وارد لأنهم عندما خرجوا للحرب كانوا يعلموا أنهم ذاهبين لحرب الدولة الصفوية واعتبروه جهاد للقضاء على المذهب الشيعي. وقد كان في أثناء الإعداد للحملة، أن خاف قادة الجيش والوزراء من بعد المسافة ووعورة الطريق، ولكن حدث ما ثبت عزم السلطان هو أن أحد أفراد الإنكشارية ويدعى عبد الله أرتمى على قدمي السلطان وقال:

"يا مولاي لا تتردد في هذا الجهاد المقدس، ولكن موافقاً دائماً وسيفك بتاراً. إن جنود الإنكشارية معك، وسوف يرافقونك إلى أي مكان تتوجه إليه، ونحن في انتظار أوامرك لمحاربة" أردبيل أوغلي".

ومن هذا النص يتضح تصميم الإنكشارية على الحرب، وأصبح الوضع واضحاً ومهيئاً للمسير وقد نال هذا الجندي استحسان السلطان، لدعائه ورجاءه، حتى أنه رفع درجته من قائد فصيلة إلى درجة أعلى بجانب ولاية سالونيك. (١) وهذا يدل على أن الإنكشارية كانت تعلم وجه الجيش ومن سيحارب، فتمردهم إذاً لم يكن بسبب الذي ذكروه في العريضة، وإنما كان فقط لخوفهم من قلة المؤن، ولطمعهم في عطف السلطان، ورغبتهم الحقيقية في العودة لبلادهم.

على أنه يوجد أسباب أخرى لمطالب الإنكشارية، مثل سوء الأحوال الجوية في فارس، إضافة إلى أنهم تذرعوا بحجة الاكتفاء بهذه الفتوحات في بلاد أرمينية

(١) محمود حسن الصراف: المرجع السابق ن ص ٤٩.

وما بين النهرين، كما أوضحوا أنه من الصعب تعقب الشاه إسماعيل الصفوي، لوعورة المسالك وكثرة المستنقعات ووجود الهضاب المرتفعة. (١)

و يوجد سبب آخر لتمرد الإنشكارية وإذ لم تذكره أغلب المصادر، فقد ذكر في مصدر واحد، حيث أوضح أن الإنشكارية كانوا لا يرضخون لرغبة السلطان إذ ما قام بعمل لا يعجبهم فلم يقبلوا أن يأخذ سليم بهروزه هانم (*) زوجة الشاه إسماعيل المسلمة، وإزاء هذا الموقف، وحتى لا يكون سليم عرضة للقليل والقال من قادة الإنشكارية فزوجها لقاضي عسكر الأناضول، لكن هذا الزواج كان مشنوم، إذ لم يمض شهران حتى ثارت الإنشكارية أثناء طريق العودة في أماسيا، واستمرت ثورتهم عشرة أيام، وصبر سليم عليهم حتى وصل إلى إستانبول. (٢)

وقد قرر سليم على إثر تمرداتهم المتكررة هذه أن يتخلص من رؤوس الفتنة والمحرضين على التمرد، خاصة وأنه سمع من الإنشكارية تكرارهم لاسم ابنه سليمان، فقلق وخاف من أن يفعلوا مع ابنه ما فعلوه معه ضد إبيه بايزيد، وعندما أقرب من مشارف إستانبول أمر بنقل الإنشكارية عبر البحر، وحينما رأوا الإنشكارية أنفسهم في هذا المأزق، ليس لديهم رواتب أو سفن تدخلهم العاصمة، فخدمت ثورتهم، وذهبوا إلى أبواب العاصمة، حاملين عصيهم البيضاء دليل السلم، وطلبوا السماح من السلطان مظهرين الندم على ما فعلوا، (٣) فاجتمع بكبار شخصيات الإنشكارية وتحدث معهم على الثورتين المذكورتين وعرض

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٠.

(*) بهروزه هانم هي زوجة الشاه إسماعيل والأقرب إلى قلبه، ونفسه من بقية زوجاته، وقد حاول استردادها مرات عدة من الأسر لكن سليم لم يوافق ولم تكتب أخبار كثيرة عنها احتراماً لسيدهم وإمام الشيعة. محمود حسن الصراف: مرجع سابق، ص ١١٠.

(٢) محمود حسن الصراف: المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٣) حبيب السيوفي: المرجع السابق، ص ١٧.

أسماء مثيري التمرد، وأصدر أمر إلى قاضي أدرنه يتضمن تنفيذ حكم الإعدام فيهم.^(١) ثم أحضرهم مكبلين بالحديد وضرب أعناقهم وتخلص من رؤوس الفتنة عند أسوار المدينة، ثم سمح للباقي بالعودة لثكناتهم، كما جعل لنفسه الحق في تعيين القائد العام لهم، بدون أن يكون من قادة الإنشكارية وذلك لضمان السيطرة عليهم.^(٢) وفي أثناء ذلك قام بالتخلص من قاضي العسكر جعفر جبلي زوج بهروزه هاتم، وقتله، وهكذا انتهت قصتها ولم يعرف مصيرها.^(٣) وبعد هذه الأحداث والتمردات والقضاء على من قام بها لم يسمع بعد ذلك عن ثورات أو تمردات للإنشكارية داخل إستانبول^(٤) ولكن خارجها سيكون هناك ثورات كما سيأتي ذكرها.

لقد كانت لهم تدخلات في أثناء ضم مصر فقد حصل بين الإنشكارية وبعضهم اختلاف وارتفعت أصواتهم وأرادوا الهروب من ساحة المعركة، ولكن خافوا من عار الهزيمة، فاثروا البقاء والتصالح والانقضاء على العدو، وقد سمع سليم الأول أصواتهم فوقف ينظر إليهم، فاعتقدت الإنشكارية أن السلطان يريد تركهم فأحاطوا بجواده، وقالوا له بلسان واحد أين تذهب هل تسلمنا للموت وتنجوا أنت بنفسك، قف وأثبت أما تغلب أو تغلب.^(٥)

(١) أرشيف توب قابي سراي: تصنيف E ١١٤٥٧ محمود حسن الصراف: المرجع السابق، ص ١٢٧.

(٢) حبيب السيوفي: المرجع السابق، ص ١٧. أنظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٥٠.

(٣) محمود حسن الصراف: مرجع سابق، ص ١٢٨. أنظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ١٩١.

(٤) إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص ٥٨.

(٥) محمد الزنبلي الرمال: سيرة الجراكسة وما وقع بينهم مع السلطان سليم بن بايزيد بن =

هذه الحادثة إن هي صغيرة وغير محدده بزمان أو مكان ولكن تدل على مدى استعدادهم للثورة والتمرد، على الرغم من أنهم جنود دربوا على الحرب وليس العصيان.

لقد كانت لهم حركات تمرد في القاهرة ففي ٤ شعبان ٩٢٣هـ — / ٣١ أغسطس ١٥١٧م حدثت واقعة مهولة، حيث قبض السلطان على حوالي أربعين من جنود الإنشكارية وقد أمر بشنق جماعة منهم، وقطع أيدي البعض الآخر، وذلك لأنه ثبت عليهم أنهم أرادوا قتل السلطان أثناء تواجده في مقياس النيل كما وأن السلطان أراد معاقبتهم على ما فعلوه مع خاير بك^(*) في نفس السنة يوم الثلاثاء ٢٨ شعبان ٩٢٣هـ — / ٢٤ سبتمبر ١٥١٧م حيث أرسل إليه بخبره بأن الإنشكارية ثارت وطالبت بأن يجعل لهم كل يوم لحم وعليق مثل المماليك سابقاً.^(١)

وقد أحس السلطان سليم الأول نزعة الإنشكارية نحو التدخل في السياسة العليا والتمرد العسكري، وقد وضحت له هذه الأمور منذ الأيام الأولى لحكمه وفي

= السلطان محمد الفاتح القسطنطينية من الحروب والقتال. مخطوط ورقة ١٤-١٥.

(*) خاير بك أول أمير أمراء للعثمانيين على مصر. أصله شركسي ولد في إقليم قراج عام ٨٦٨هـ / ١٤٦٤م تربى في قصر قايتابي، وصار من ممالك قايتابي، تدرج في الوظائف، حتى أرسل إلى السلطان بايزيد الثاني رسولاً بهدايا قيمة، وقد شكل دوراً أثناء ضم سليم الأول لمصر، ودوره الجيد انعكس في توليه منصب والي مصر لما له من معرفة ودراية بأحوال مصر والمماليك وقيادة العرب، وقد نظم علاقة الأمراء العثمانيين والجيوش والمماليك وشيوخ العرب كان يقدم كل عام مقدار من خراج مصر وبارود وجنود أحياناً توفي عام ٩٢٨هـ — ١٥٢٢م. الموسوعة الإسلامية: الوقف الديني بتركيا، ج ١٧، د. ط، إستانبول: ١٩٩٨م، ص ٤٩ - ٥٠.

(١) ابن إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة مدبولي،

د. ت، ج ٥، ص ٢٠٢ - ٢١٠.

أثناء حربه في بلاد فارس، فرأى أن يحد من قوة الإنشكارية بعد ما أحس بضغطهم الشديد عليه، وكسر حدة قوتهم، وجبروتهم، مع الإبقاء عليهم كتنظيم عسكري في الجيش، والاستفادة منهم كقوة مشاة لها ثقلها في الحرب، فقام بتوزيعهم على البلاد المفتوحة، فعندما ضم بلاد الشام سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م ثم ضم مصر ٩٢٣هـ / ١٥١٧م، ترك قوات في الإقليمين لتعزيز القوات العثمانية في المنطقتين ولدعم الحكم العثماني من ناحية، وتشتيت جموع الإنشكارية من ناحية أخرى ومنع تجمعهم في العاصمة، وعندما عاد سليم الأول إلى إسطنبول، تلقى نداء استغاثة من خير الدين (*) بربروسا، ليعاونه في جهاده ضد الأسبان، فأرسل له السلطان سليم الأول عام ٩٢٤هـ / ١٥١٨م ألفين من الإنشكارية، كإجراء سريع، ولدعم حركة الجهاد الإسلامية في شمال إفريقيا. كما سمح له بتجنيد أهالي من الأناضول حتى يتمكن من مواجهة الأخطار المسيحية الصليبية، وقد أقبل أهالي الأناضول على هذا التجنيد طمعاً في الغنائم من ناحية، وإسهاماً في حركة الجهاد الديني من ناحية أخرى، هذه الأعمال جاءت متماشية مع سياسة سليم الأول في تفريق الإنشكارية وهي السياسة التي أرسى قواعدها إتجاه الإنشكارية (١). وذلك لأنهم إذا بقوا في العاصمة مجتمعين صاروا قوة كبيرة يصعب التغلب عليها في حالة أي تمرد.

(*) خير الدين بربروسا " أي حمر اللحية " أصله تركي نشأ في جزيرة مدلي، في بداية حياته مارس التجارة، ثم أسس قاعدة في جربة بتونس، انطلق منها إلى الجهاد البحري وقد صار اسم بربروسا يثير الرعب والذعر في قلوب القوى الصليبية في البحر المتوسط وعلى رأسها الأسبان. أنظر عبد اللطيف محمد الحميد: موقف الدولة العثمانية تجاه مأساة المسلمين في الأندلس، الطبعة الأولى، الرياض: العبيكان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٧٦.

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٠٠. محمد سهيل طقوش: مرجع

في أعقاب معركة مرج دابق ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، أعتقد الأهالي أن البلاد ستخلد للراحة، ويرفرف عليها طير السعادة، لكن الوضع لم يصبح، إذ زادت الضرائب وصارت تجمع بقسوة، وزاد فساد الإنكشارية فدانوا يجمعوا الأخضر واليابس في القرى، خاصة وأن الإنكشارية كانت تنتشر في القرى، وفي هذا الوقت يزيد الاعتداء على بيوت الأهالي وعلى أموالهم وأعراضهم، ويكثر خطف النساء من الطرقات وهكذا. (١)

وقد كان لهم تمرد في القاهرة حيث تذكر المصادر حادثة في يوم الإثنين ٢٧ محرم ٩٢٤هـ / يناير ١٥١٨م إذ طلب خيربك (*) والي القاهرة من جنود الإنكشارية السفر للشام، ولما جاء يوم الإثنين ولم يخرج الجنود وأظهروا العصيان على السفر، قرّر خيربك الخروج لهم والقبض عليهم، فنزل من قلعة قايتباي إلى مشارف القاهرة، وحدثت فتنة واشتباكات بين جند خير بك وجند الإنكشارية، حتى أن الناس خافوا على بضائعهم من نهب الجنود فنقلوها من الدكاكين إلى أماكن أكثر أمن وخاصة تجار الأقمشة، لأن الناس كانت تعلم نهب الإنكشارية وضررها. (٢)

لقد فسدوا كثيراً في فتوحات سليم الأول وكانوا يدخلون المدينة وينهبوها ويعيثون فيها فساداً، مخالفين بذلك شروط التسليم، وكانوا يرتكبوا شتى أنواع المعاصي والمحرمات، خاتوا الأمانات، وقطعوا الطرق، ونهبوا المنازل والدكاكين. (٣)

(١) محمد كرد علي: مصدر سابق، ج ٢، ٢٤٣ - ٢٤٤.

(*) للاستزادة عن أحوالهم مع خير بك. انظر ابن إياس: مصدر سابق، ج ٥، ص ٢٥٠ - ٢٥٨.

(٢) ابن إياس: مصدر سابق، ج ٥، ص ٢٣٨.

(٣) حسين ابن كمال البغدادي القلاري: مخطوط، ورقة ٥. وراجع محمد أنيس: مرجع سابق، ص ٧٨.

وجاء السلطان سليمان القانوني، وتقدمت الفتوحات في أيامه تقدماً كبيراً، وكثرت الفتوحات، وبلغت الدولة أوج تقدمها وإتساعها، لكن هذه الفتوحات لم تمنع الإنشكارية من القيام بتمردات، ففي أثناء فتح رودس وعندما تم عقد الصلح وتسليم الجزيرة في خلال إثني عشر يوم، وكان بشرط أن تبتعد الجيوش العثمانية عن المدينة المحاصرة، حتى لا يتضرر الخارجين من المدينة وكان ذلك في ٢ صفر سنة ٩٢٩هـ / ٢١ ديسمبر ١٥٢٢م لكن جزءاً من الإنشكارية لم يطق صبراً فدخل المدينة في ٥ صفر مخالفين بذلك أوامر السلطان سليمان، وقاموا بنهب المدينة وسلبها وارتكاب كافة أنواع القبائح، ومما أغضب عليهم السلطان، وأمر بالالتزام بشروط التسليم، وعاقب المفسدين على أفعالهم وهكذا عاد الأمن إلى المدينة. (١)

لقد أصبح أسلوب الإنشكارية إذا فتحوا أي بلد السلب والنهب وحرق الزرع وتخريب الديار. (٢) وكانت حركة تمردهم في رودس (*) تدل على أنه أصبح من الصعب السيطرة عليهم وأنه من الممكن خروج زمامهم من يد السلطان، استباحوا لأنفسهم أشياء عديدة ليست من أخلاق الجندي المسلم، وكل ذلك حدث في عهد يعتبر من أقوى عهود الدولة العثمانية، وما سيأتي بعد ذلك كأن أكثر فظاعة، على الأقل هنا لم يفكروا مطلقاً بقتل السلطان.

(١) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص ٢٠٦ راجع بسام العسلي مرجع سابق، ج ٥، ص ١٢٤.

(٢) حسين كمال القادري البغدادي: ورقة ١٩.

(*) رودس: تقع في البحر المتوسط، تعاقب على حكمها الإغريق ثم الفرس ثم الرومان ثم فرسان القديس يوحنا، حتى فتحها سليمان الثاني، س. موستراس: مرجع سابق، ص ٢٧٨.

وبعد فتح رودس لم يقيم السلطان سليمان بفتوحات لمدة ثلاث سنوات، هذا الهدوء لم يريح الإنشكارية، كانوا يريدون الحرب لكثرة الغنائم، ولأنهم لم يميلوا بعد لحياة الراحة والرفاهية، وكانوا كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله،^(١) كما أن جنود الإنشكارية القدماء كانوا يتذكرون كيف أنهم حرّموا من نهب رودس عند فتحها، وقد زاد على ذلك أنه في سنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م. بقوا في المدينة متحملين آلامهم لعدم وجود حرب، في الوقت الذي خرج فيه السلطان سليمان لقضاء الشتاء في أدرنه للصيد، مخالفاً بذلك القواعد بتركهم، واصطحب معه الديوان وكبار الضباط، فشعرت الإنشكارية بألم جديد أضيف عليهم، فقد تركهم السلطان للبرد والبطالة، فقاموا بعمل تمرد وقلبوا قدور حسائهم، ونزلوا إلى الشوارع مسلحين بأسلحتهم النارية والرماح والسيوف، وقاموا بحرق بيوت بعض الأهالي ونهبها^(٢) وهنا ترى الدراسة أن الجندي الإنشكاري تخلص عن صفات الجندي المسلم الذي تحلى بروح الجهاد والعطف على الأسرى و المعاملة الحسنة و أبدلها بالتمرد والنهب وعدم الإلتزام بواجبات الشريعة الإسلامية.

وذهبوا إلى بيت الصدر الأعظم إبراهيم باشا، وكان في مصر، واستولوا على ما فيه، كما استولوا على ما في ديوان الجمارك ومستودعاته، ثم عدد من بيوت الأعيان، ثم توجهوا إلى حارة اليهود، قرب السوق المسقفة، وقاموا بنهب ما فيها، وتركوا ورائهم الخراب.^(٣)

(١) محمد جميل بيهم: مرجع سابق، ص ١٣٣.

(٢) هارولد لامب: سليمان القانوني سلطان الشرق العظيم، ترجمة شكري محمود نعيم، د. ط،

بغداد نيويورك: شركة النبراس للنشر مؤسسة فرانكلين ١٩٦١م، ص ١٠١.

(٣) عبد العزيز الشناوي، ج ١، ص ٩١، راجع محمد جميل بيهم: مرجع سابق، ص ١٣٣، هارولد

لامب: مرجع سابق، ص ١٠١، محمد سهيل طقوش: ص ٢٥٠، انظر إسماعيل حقي

أوزون: مرجع سابق، ص ٥٠٨.

وعندما علم السلطان سليمان بالأمر ركب البحر متوجهاً للجنوب، ولم يذهب للجموع الثائرة قرب السراي، وإنما اتجه إلى الجوسق في أعلى البوسفور على المياه العذبة، ثم توجه مع حرس قليل إلى قاعة الاستقبال المهجورة قرب ثكنات الإنكشارية، واستدعى ضباط وحداتهم، وعندما حضر الضباط اندفع معه مجموعة من الجند رافعين السيوف في وجه السلطان وكان هذا خطر عظيم، إذ من الممكن أن يقوم الإنكشارية بمهاجمة السلطان، لكنه تدارك الأمر فسل سيفه وقتل واحداً، وجرح الآخر وعندما رأى الجنود الدماء على الأرض ألقوا سيوفهم، فقام السلطان بعتابهم بعدل وقسوة معاً، وأعدم أغا الإنكشارية وقادة العصيان،^(١) ووزع السلطان على الباقين ألف دوكة^(*) "قطعة ذهبية" كدفعة أولى تتلوها أقساط إذا هداؤا وعادوا لثكناتهم، فرجعوا راضين بما غنموا، وأنهوا التمرد طمعاً في مزيد من العطايا.^(٢)

وقام السلطان بتشتيت بعضهم فوزعهم على المناطق، وألقى القبض على رؤسائهم فقتل البعض، وعزل الآخر.^(٣) فقد فكر في استئناف الجهاد لأنه تأكد أن ترك الإنكشارية دون عمل ستكون عاقبته وخيمة على السكان والأمن العام، فهم لا يتورعون عن إرتكاب أي فعل وهكذا قرر إكتساح بلاد المجر وفتح مدنها، ونشر الإسلام بها.^(٤)

وما أن أعلن الشتاء والثلوج نهايته، وبدأت الأعشاب تغطي الأراضي حتى

(١) هارولد لامب: مرجع سابق، ص ١٠٢.

(*) ذكرت في بعض المصادر أنها كانت مائة ألف دوكة "قطعة ذهبية".

(٢) محمد جميل بيهيم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٣، راجع عبد العزيز الشناوي: مرجع

سابق، ج ١، ص ٩١.

(٣) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٥٠.

(٤) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ١٩.

دقت طبول الحرب مرة أخرى، وبهذا لم يكن أمام السلطان سليمان حل إلا إشغالهم في حرب جديدة.^(١) وفي نفس الوقت فرصة لإعادة مجد الفتوحات العثمانية وإحياء لحركة الجهاد

ونجد هنا أن تمردهم كان لطلب المال، فقد حاول السلطان امتصاص رغبتهم الدائمة في الحرب والثورة، عن طريق إشراكهم في حرب جديدة، ليحول تفكيرهم عن التمرد إضافة إلى أن هذا العمل سيجعل وقتهم غير كافٍ لتدبير حركات تمرد، إضافة إلى قوة شخصية السلطان سليمان، وقد عاد هذا بالنفع على الدولة العثمانية حيث امتدت الفتوحات في شرق أوروبا.^(٢)

وفي حرب المجر أصدر السلطان سليمان أوامر صارمة بأن لا تمس مدينة بودابست التي فتحها، والمحافظة على سلامة جنود النمسا في وقت انسحابهم، وهذا وفق الاتفاق المبرم بين الطرفين، لكن الأمر لم يعِ الإنشكارية ودخلت المدينة وانقضت على من فيها بالقتل والنهب، ولم تهتم للأمان الذي منحه السلطان للجنود.^(٣) وهناك تمرد آخر وقع من الإنشكارية في أثناء حملة فيينا عام ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م، حيث قامت الإنشكارية بمطالبة السلطان بزيادة الرواتب، وقد توسط الوزير إبراهيم باشا بينهم وبين السلطان لكنهم تعدوا عليه وشتموه وثاروا عليهم.^(٤) ويلاحظ القارئ أن الإنشكارية أصبحت في حالة ثورة مستمرة في السلم أرادت الحرب، وأثناء الحرب لم يهتموا بأمان المدن التي تسلم نفسها، ومن هذه الفترة يبدأ الخطأ فيهم وفي السلاطين فلو تعاملوا منذ البداية معهم

(١) هارولد لامب: مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٢) عبد العزيز الشناوي: ج ١، مرجع سابق، ص ٩١.

(٣) محمد جميل بيهم: مرجع سابق، ص ١٣٣.

(٤) إسماعيل حقي أوزن: مرجع سابق، ص ٥٠٨.

بحزم لما وصلوا إلى درجة أنهم يكونوا من أسباب ضعف الدولة العثمانية. (*)

أما عن تمردات الإنشكارية في الشمال الإفريقي في عهد سليمان، نجد أنه زاد نفوذهم مع ازدياد انتصاراتهم العسكرية التي أحرزوها في المنطقة كما صار لهم اليد الطولى في التحكم في الأمور فقد عارضوا مثلاً دخول بكربك إلى الجزائر ٩٦٤هـ / ١٥٥٦م بل وقتلوه حين دعمه مجاهدوا البحر، كما قاموا بأسر الوالي ٩٧٠هـ / ١٥٥٦م "حسن باشا" وهو ابن خير الدين بربروسا وأرسلوه إلى إستانبول مصفد بالسلاسل بحجة أنه حاول تجنيد القبائل في الجيش واتهموه بمحاولة الاستقلال. (١)

كذلك حدث أن تمردوا في عهد سليم الثاني، فأظهر محمد باشا الصدر الأعظم حزمًا ونشاطاً في مجازاة المتسببين في الاختلال، وإيقاف كلاً عند حده، وكان سبب تمردهم تأخر رواتبهم، لفراغ خزانة الدولة من الأموال، وقد واجهت الإنشكارية لعدم صرف رواتبها صعوبات في أثناء تواجدهم في الأستانة، ولكن حدث ما قضى على هذا التمرد إذ أنه تصادف وصول أحد القادة العسكريين من إيطاليا محملاً بالغنائم، فصرفت لهم الدولة رواتبهم من هذه الغنائم. (٢)

كان الوضع كذلك في طرابلس، ومع أن الدولة حاولت التصدي لهم وردعهم إلا أنهم مارسوا سلطتهم من خلال ديوان الإنشكارية. وقد صارت لهم كثير من الامتيازات في الجزائر ضد مجاهدي البحر وسيطروا عليها خلال النصف الثاني

(*) في عهد هذا السلطان زادت تمرداتهم كلها بسبب زيادة الأعطيات والرواتب وأخذ الهبات من السلطان فتكالبت عليه المحن واستهانوا بشخصيته نظراً لضعفها، وصار همهم بدل الحرب والجهاد وفتح البلاد ونشر الإسلام، أخذ العطايا من السلطان. وهذا كان مؤشر مبكر جداً لفسادهم.

(١) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٢٦.

(٢) إبراهيم حليم: مصدر سابق، ص ٩٧.

من القرن السادس عشر الميلادي^(١).

وكانت لهم تمردات في بلاد الشام، ولكنها لم تبلغ حد العنف بالنسبة للثورات الأخرى، ولم يكن لهم طمع في الزعامة بقدر ما هو ابتزاز الفلاحين فقط.^(٢) ويعتبر عهد سليم الثاني بداية إزدياد المشاكل من الإنشكارية، إذ أصروا على عدم الخروج للحرب، إلا إذا كان السلطان سليم على رأس الحملة.^(٣) كما صارت عاداتهم عندما يثوروا لا تخمد الثورة إلا بتوزيع الأموال.^(٤)

عندما حدث تمرد في بلاد الحجاز على الحكم العثماني ٩٧٦هـ / ١٥٦٩م، وخلع أهل الحجاز طاعة العثمانيين، وأخرجوهم من الأماكن المقدسة، وبقوا هم فيها، كانت هذه فرصة للسلطان سليم الثاني للتخلص من الإنشكارية، فأرسلهم إلى تلك البلاد البعيدة، لإخضاع الثورة، فأخضعوها بسهولة ويسر، وعادوا مرة أخرى إلى إستانبول بشكل لم يتوقعه السلطان نفسه، وقد توجس الصدر الأعظم منهم خطراً، فأشار على السلطان سليم الثاني أن يقوم بالجهاد وفتح بلاد جديدة، ووقع اختياره على قبرص والتي كانت تحت سيطرة البنادقة، فجهز مئتي سفينة على متنها عشرون ألف من الإنشكارية واستقبلهم أهل الجزيرة بالترحاب، لأنهم ملوا حكم البنادقة الظالم، فضربوا حصاراً على "نيقوزيه" مدة ليست قصيرة، وفتحوها، وهنا يأتي دور الإنشكارية في الشغب، حيث قاموا بقتل أهل المدينة حتى وصل عدد القتلى إلى خمسة عشر ألف، وهم بذلك أثبتوا عدم جدارتهم بثقة أهل الجزيرة بهم واستقبالهم بالترحاب، فأهملوا هذه المشاعر وقاموا بما أملت به

(١) عبد الكريم رافق: المرجع السابق، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٢) مرجع سابق، ص ١٤١.

(٣) إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص ٤٨٤.

(٤) يوسف أصاف: مرجع سابق، ص ٤٨.

عليهم طبيعتهم الثورية. أما مدينة فمغوسطه (*) فقد قاومتهم لمدة أربعة شهور حتى استسلمت في النهاية، فنهبتها الإنشكارية وعاثوا فيها فساداً وأوثقوا كل من لاقوه. (١) ثم سارت الجيوش الإسلامية إلى جزيرة كفالية فنهبوا وهدموا منازلها، ثم اتجهوا إلى جزيرة كورفس، وهي مفتاح بلاد البنادقة، وحاصروها لعدة أيام ثم دخلوها وعاثوا فيها فساداً ونهباً وسلباً، وكانت هذه أعمالهم في كل الجزر والمدن التي فتحوها في هذه المنطقة، وطالت إقامتهم في البحر حتى قابلهم العدو. (٢) ويتضح مما سبق أن هذا صار منهجهم في الفتوحات، وطريقهم النهب والسلب.

ثم جاءت معركة ليبانتو (***) البحرية لتفضح الإنشكارية وتنظيمهم المختل حيث خسرت الإنشكارية كثير من رجالها وخسرت الدولة العثمانية المعركة بسبب ضعف تنظيم الإنشكارية. (٣)

وعندما تولى مراد الثالث الحكم، استهل حكمه بمنع شرب الخمر، ربما يعود

(*) فمغوسطه: مدينة تقع في شرق جزيرة قبرص، ميناء جيد، دخلها الأتراك عام ٩٧٩ هـ — / ١٥٧١ م. س - موستراس: مرجع سابق، ص ٤٥٢.

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ١٩، ٢٠.

(٢) أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ج ٢، ص ١٨٠.

(**) معركة ليبانتو البحرية: وقعت في عهد السلطان سليم الثاني ١٧ جماد الأولى ٩٧٩ هـ - ١٧ أكتوبر ١٥٧١ م، حيث اشتبك الأسطول العثماني الإسلامي مع الأسطول المسيحي، ولكن شاعت إدارة الله هزيمة الأسطول العثماني، وقد كانت أول هزيمة للعثمانيين منذ أوائل ق ١٥م فرحت بها أوروبا، وكانت إيذاناً بزوال السيادة العثمانية عن البحر المتوسط. انظر علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص ٤٥٠، ٤٥١.

وليبانت: تقع في الطرف الشمالي الغربي لخليج كورنث في اليونان حالياً. علي حسون: مرجع سابق، ص ١٢٥.

(٣) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ١٩-٢٠.

ذلك لأنه لاحظ أن هناك فئات من الإنكشارية انخرطت في شرب المسكر مما يعيق القوة العسكرية ويؤثر عليها.

ولم يستطع مراد الثالث أن يحد من هذا الأمر كثيراً، وذلك يدل على ضعف قوة الدولة العثمانية وعدم إستطاعتها مجابهة منع الخمر وإقامة شرع الله عليهم^(١)، وهذا يدل على انحراف الإنكشارية عن خطها الإسلامي في الجهاد والشوق للشهادة.^(٢)

وعهد السلطان مراد الثالث يعتبر فاتحة جبروت الإنكشارية وهو أحد السلاطين الذين تصدوا لمشكلة الإنكشارية بعد أن أدرك أنهم أصبحوا مركز قوة خطير في الدولة وتجاوزوا اختصاصهم كمحاربين بالتعدي على السلطان وتنفيذ أوامره^(٣) وقاموا بتمردات أثناء التدريبات والتلفظ بألفاظ غير مناسبة، حيث كان يوقع عليهم العقاب اللازم.^(٤)

هذا الكرم من السلطان مراد الثالث لم يمنعهم من الثورة والتمرد مرة أخرى، حيث أخذت طابع العنف أكثر من ذي قبل، وأصبح أساس التمرد سوء الأوضاع الاقتصادية وانخفاض قيمة العملة التي كانوا يستلمون بها وراتبهم مما أدى إلى أنهم أصبحوا ميالين إلى السلب والنهب.

في عام ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م بدأت الحملات العسكرية على بلاد فارس اتخذ الإنكشارية هذه الحملات وسيلة لجمع الأموال والسلب والنهب وتقسيم الغنائم فيما

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٣. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٥٩.

(٢) علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص ٤٦٧.

(٣) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٥٠.

(٤) أرشيف رئاسة الوزراء: وثيقة رقم ١٩٣٧١ خط همايوني H.H.

بينهم. كما أنهم لم يفوتوا فرصة للتمرد على قادتهم، واتفقوا مع أشقياء جورجيا في أرمينيا والقفقاس على نهب وسلب البلاد التي يدخلوها واقتسام الغنائم فيما بينهم.^(١)

وفي عام ٩٩٣هـ / ١٥٨٥م تم عقد الصلح بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، تنازل بموجبيه الفرس عن أقليم الكرج وبشروان ولورستان وجزء من أنربيجان وهدأت الأحوال في البلاد خلال عام ٩٩٤هـ وهدأت الحروب في أنحاء الدولة، وقد أزعج هذا الأمر الإنشكارية والتي اعتادت على الاستمرار في الحروب نظراً لما تدره عليها من غنائم، فقاموا بثورات حتى يزيدوا من دخلهم.^{(٢) (٣)}

كانت الإنشكارية تتمرد إذا انقطعت الحروب وترتكب فظائع الأعمال، في البلاد المفتوحة بل وفي الأستانة ذاتها،^(٣) إذ أنه عندما تقع فتنة عظيمة أو حروب وسفك دماء، ينحصر هذا في الإنشكارية وأفعالها.^(٤)

والسبب الحقيقي لتمردهم هو حرمانهم من الحرب وأغنامها، وقد سولت لهم أنفسهم الجشعة القيام بتمرد جديد لجني المزيد من الأموال والغنائم، على الرغم من أنه ليس هذا السبب وراء كل تمرداتهم فبعضها كان بسبب رغبتهم في إنهاء الحرب، مثلما حدث في عهد سليم الأول في حربه مع الدولة الصفوية، وهذا يدل على عدم ثباتهم واختلاف آراءهم وعدم معرفتهم ماذا يريدوا.

(١) محمد جميل بيهم: مرجع سابق، ص ١٣٣ - ١٣٤. انظر علي حسون: مرجع سابق، ص ١٣٣.

(٢) لقد قامت السبائية بثورات ولكن لو أتحدت مع الإنشكارية لكانت عواقبها وخيمة على حياة الدولة من الداخل والخارج. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٦٩.

(٢) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٦٤.

(٤) حسين بن كمال: ورقة ١٤.

كذلك وصلت درجة فسادهم في عهد مراد الثالث إلى أنهم كانوا يتدخلون في تعيين أمراء منطقة الروملي، وقد نجحوا فعلاً في عام ١٠٠٠هـ — / ١٥٩١م أن يعينوا أمير منطقة بغداد بالرشوة، بعد أن أخفوه في ثكنتهم لمدة من الزمن. (١)

ومما يؤكد عدم ثبات مطالبهم أنه عندما طال أمد السلم، ولم تدخل الدولة في حروب جديدة بدأت تظهر الثورات في كل مكان من العاصمة وبودابست والقاهرة^(*) وتبريز وغيرها من المدن، مطالبين بالحرب والجهاد، فاضطر سنان باشا^(**) الصدر الأعظم إلى إدخالهم في حرب طاحنة ضد بلاد المجر، رغم أنه متيقن من ضعف الاستعداد الحربي عند الدولة وحاجتها الماسة للراحة. (٢) وأكد على ذلك جميع الوزراء الذين رأوا أن من حسن السياسة إشغال الإنشكارية

(١) إسماعيل حقي أوزون، مرجع سابق، ص ٤٨٣.

(*) سيأتي الحديث عن ثورات القاهرة.

(**) سنان باشا: أحد أهم رجال الدولة العثمانية، ١٥٢٠ - ١٥٩٦م، من أصل ألباني تربى في الدوشرمة، ترقى في المناصب بفضل وجود أخيه إياس آغا عين قائد على اليمن برتبة وزير، قام خلالها بأعمال جليلة في ربط اليمن بالدولة العثمانية، ثم عين أمير أمراء مصر، ثم قائد أعلى للقوات البرية والبحرية. وفي عام ١٥٥٢م صار صديقاً عظيماً. قام بأعمال مهمة من أجل رفع مستوى الأتجة وأمر بفتح دور لسك العملة في أنحاء من الدولة العثمانية، وأعظم مبادرة له مشروع قناة صقاريا لأهميته في تلبية حاجة القوات من الأخشاب، ومن ناحية التجارة والاقتصاد، لكن الحساد لم يمهلوه وعزل من الصدارة، ثم عاد مرة أخرى وتوجه إلى إيران لإخضاعها، ولم يستطع، وعزل مرة أخرى وعاد للمنصب في عهد محمد الثالث ومات تاركاً ثورة طائفة خلفه، اشتهر بالشجاعة مع قليل من الغرور. الموسوعة التركية: ج ٢٩، د. ط، أنقرة، ١٩٨٠م، ص ٦٦، ٦٧.

(٢) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٦٤. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ

بحروب خارجية، فأوعز السلطان مراد الثالث إلى حسن باشا (*) والي البشناق والهرسك بشن غارة على بلاد النمسا وإفتعال حرب حتى ينتهي الإنشكارية بها (١).

وقد أدى عدم كفاية الاستعداد الحربي إلى سقوط عدد من القلاع العثمانية بأيدي النمسا التي ساندت المجر، كما هزم حسن باشا والي الهرسك وقتل والي بودابست العثماني (٢) وإذا نظرنا إلى إلحاحهم في دخول الحرب، لا يوجد سبب مقنع إذ أن استعدادهم العسكري كان ضعيفاً، فلماذا الحرب هل للفتائم؟ واستمرت هذه الحرب خمسة عشر عاماً، زلزلت أركان الدولة العثمانية الداخلية، رغم ما حققته من بعض الانتصارات. (٣)

وكانت هذه الحرب هي أولى مساوئ تدخل الإنشكارية في مسائل السياسة العليا، إذ أنها ترغم السلطان على افتعال الحرب، مما يعتبر مؤشر خطير يهدد كيان الدولة العثمانية الداخلي، حيث فقدت هذه الدولة بعض أراضيها بسبب تمردات الإنشكارية وهذا دليل واضح على أن الإنشكارية كانت من أسباب ضعف الدولة العثمانية ومن ثم سقوطها.

(*) حسن باشا: من أصل ألباني. جاء عن طريق الدوشرمة. شارك مع الجيش في حرب المجر تحت قيادة سنان باشا، ثم عين أغا للإنشكارية، ثم عين أمير أمراء شبروان، وأثناء ذلك هاجم الروس وهزمهم وكبدهم خسائر فادحة. أصلح عملة الأفجه عين صدرأ أعظم بناء على رغبة والده السلطان، تزوج من ابنة السلطان محمد الثالث كان له دور عظيم في حرب النمسا. وقد ولي الهرسك، وتم قتله أثناء الحرب في حديقته. الموسوعة الإسلامية: الوقف الديني التركي، د.ط، إستانبول: ١٩٩٧م، ج ١٦، ص ٣٤٣.

(١) إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٥١.

(٢) علي حسون: مرجع سابق، ص ١٠٧. علي محمد الصلابي: مرجع سابق، ص ٤٦٩.

(٣) علي حسون: مرجع سابق، ص ١١٣.

ونتيجة للفوضى التي عمت البلاد في عهد مراد الثالث، لم يعد حكام الولايات التابعة للدولة العثمانية يهتموا بالأوامر التي تصدر لهم، وذلك لعدم وجود رقيب عليهم^(*)، وكان أشدهم وطأة والي قرمانية والذي أعلن العصيان على إستانبول، فسار له الصدر الأعظم ليصده عن إستانبول التي أراد مهاجمتها. (١)

لقد كانت لهم عدة ثورات في الأقاليم في عهد مراد الثالث ففي تونس مثلاً كان لهم نفوذ واسع، حاول الوالي العثماني مواجهة هذا النفوذ والتصدي له، ولكنه لم يفلح، وقد ضمت الإنشكارية في جنباتها عناصر غير تركية، برز خلالها مسلمون من أصل مسيحي وهؤلاء قاموا بثورات عديدة، حتى صار لهم ديوان خاص بهم ينفذ رغباتهم، ولقبوا رئيس الديوان بالداي وأسسوه سنة ١٠٠٠هـ / ١٥٩١م وقاموا بقتل بعض من أعضاء الديوان القديم. (٢)

وعلى نقيض ثورات العساكر في شمال إفريقيا في عهد مراد الثالث، كانت ثورات مصر نتيجة لظروف اقتصادية وسياسية، فقد قامت الإنشكارية بسلسلة من التمردات في ٢ شوال ٩٩٧هـ / ١٥٨٩م وحتى ١٠ ذي القعدة ١٠١٧هـ / ١٦٠٩م اتصفت هذه التمردات بالعنف والبطش، ففي أول تمرد هاجمت الإنشكارية الوالي العثماني " أويس باشا " وهو في الديوان، كما اقتحموا بيت قاضي القضاة الحنفي العثماني، وقتلوا عدداً من أتباعه، كما بدعوا بسلب ونهب الحوانيت في القاعدة، وهجموا على بيوت الأعيان وخاصة السكان المحليين، ونهبوا الكثير منها، ولم يهدأ التمرد إلا حين وافق " أويس باشا " على قبول

(*) عندما كانت الدولة ترسل مفوضين معهم خط شريف يأمر بضرب عنق أحد الولاة، كان الولاة لا يهتمون بهذا الأمر ويقوموا بالقبض على الرسول وقتله دون خوف من السلطان.

حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٣.

(١) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٣.

(٢) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٢٨.

طلباتهم، وكانت تتلخص في السماح بأخذ ما يسمى الطلبة، وهي مبالغ من المال كانوا يفرضونها على الفلاحين وأصحاب الأتيان في الريف.^(١)^(*)

أما عن الإنشكارية في دمشق، فقد دخلت فيها عناصر من أصل محلي أي غير تركي، كما حدث في كثير من الولايات الأخرى، وذلك للاستفادة من الامتيازات الكثيرة التي تتمتع بها هذه الفرقة، وهذا يدل على بدأ تسوس أنظمة الإنشكارية الصارمة، والتي كانت لا تسمح لغير الأورام الانتساب إليها، وبهذا اختلطت الإنشكارية مع السكان، وصاروا تجاراً وتعاطوا الربا، ودخلوا في الحرف، وعاشوا خارج القلعة، وقد أحس السلطان مراد الثالث بخطر هذا الأمر فأصدر فرماناً في جمادى الأولى ٩٨٥هـ / ١٥٧٧م موجهاً إلى حاكم دمشق يأمره فيه أن يعين في الوظائف الموجودة في الإنشكارية إنساً من رومي، وليس من السكان المحليين أو الغرباء مثل الأكراد. ولكن صدور هذا الفرمان جاء متأخراً إذ أن انتساب غير الأورام إلى الإنشكارية في دمشق بدأ قبل تاريخ هذا الفرمان، ولم يتوقف بصدوره، بل ازداد شدة، وعمت الفوضى بين صفوف الإنشكارية، وكثر تحديدهم للسلطات القائمة بل وأمتد تسلطهم خارج دمشق.^(٢) وكانت في الفتن والتمردات تكثر مظالمهم وإجرامهم في البلاد.^(٣)

(*) وقد ذكر محمد بن أبي السرور البكري الأخباري المعاصر، أنهم كانوا يأخذوها دون وجه حق، ويذكر أن بلداً بالمنوفية كان مقدار الضرائب الذي يؤخذ منها مائة ألف ونصف فضة، ولكن بالطلبة غرمت ضعف المبلغ، وقد طلبت الإنشكارية النائرة منع أولاد البلد المحليين من الانتساب إلى الطوائف العسكرية، ومنع دخول المماليك البيض أنظر عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(١) المرجع السابق، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٣) حسين بن كمال: ورقة ٢٢.

على أنه أبرز ثوراتهم في دمشق ما حدث في عام ٩٨٧هـ / ١٥٧٩م عندما قام أحد الجلادين بإعدام أحد مشايخ دمشق، أثار ذلك العمل نفوس الإنشكارية ونقمتهم فقاموا بالقبض على هذا الجلاد وقطعوه بالسكاكين وقد ساعد على هذا الشغب سوء الأوضاع الاقتصادية في الدولة والتضخم المالي الذي نتج عنه، فأدى ذلك إلى انخفاض مرتباتهم^(*) وتحت ضغط هذه الأوضاع بدأ أفراد هذه الحاميات العسكرية في الخروج من ثكناتهم ومشاركة الأهالي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية.^(١)

ومن كثرة فسادهم أنهم كانوا لا يستمعون إلى نصائح القائد العام للجيش ففي سنة ١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م، تركوا مواقعهم التي حددها لهم القائد سنان باشا، وذهبوا إلى إستانبول، وعندما أمرهم السلطان مراد الثالث بالذهاب مرة أخرى إلى الجبهة، وقد أمرهم السلطان بذلك وهو في قصره، لكنهم رفضوا الطلب واشتروا خروج السلطان معهم، وأخذ الهبة من السلطان.

ولم يتحرك الجند إلا بعد أن توسل لهم أغا الإنشكارية، ليتحركوا لجبهة القتال، وفي الطريق توقفوا مرة أخرى في جورلو، وقالوا للأغا أنه المسئول عن صرف المنحة التي طلبوها، فرد عليهم الأغا أنه عبد مثلهم ولا يملك حق منح المال، هذا الحق يملكه فقط السلطان مراد الثالث وتقدم للمسير، لكنه عاد واقترح عليهم أن يرسلوا رسالة للسلطان يذكره بهذه المنحة، وذهب قائد فرقة المشاة للسلطان وذكره فقال له السلطان هل يريدوني أنا أم يريدون خزانتي؟ فرد قائد المشاة أن الإنشكارية لن تتحرك إلا بعد صرف الأجور لهم المتأخرة سنة، وبالفعل أرسل لهم السلطان في اليوم التالي ستمائة ألف قطعة ذهبية على عربة

(*) انخفاض القيمة الشرائية لمرتباتهم الثابتة.

(١) نوفان رجا الحمود: مرجع سابق، ص ١٣٣-١٣٤.

يجرهما إثنا عشر حصاناً. (١)

منذ أواخر عهد مراد الثالث أصبحت الإنشكارية من أهم أدوات التخريب، وكثرت اعتدائهم على الرعية، إذ حاول الولاة تخفيف حدة غلوائهم، إما لكي يستأثروا بالقوة دونهم، أو يخففوا عن عاتق الأمة بعض شرورهم، ولكن هذه الأعمال لم تأت إلا بشرور أكثر على الناس، وصارت الحوادث مليئة بالدماء. (٢)

وزادت حركات الطغيان في إستانبول وخارجها من الإنشكارية في عهد محمد الثالث، وتكررت الحركات الخارجة (٣) عن طاعة الدولة في الأقاليم، (٤) ولكنها كانت تحدث على فترات متباعدة، ولم تبلغ درجة خطورة حركات الإنشكارية، (٥)

وأيضاً في عهد السلطان محمد الثالث صارت الإنشكارية تنهز من القتال، وهنا حدث تغير في ثوراتهم، كانت في بعض الأحيان تقوم طلباً للحرب، والغنائم، ولكن في عهد محمد الثالث، صاروا يميلون لحياة السلم والرفاهية، ويتهربوا من الحروب.

عندما عزم محمد الثالث على الحرب في إحدى المرات، تهرب من الإنشكارية ما يقرب من عشرة آلاف جندي، وكذبوا بشكل صريح جداً، وقدموا ما يثبت أنهم غير مؤهلين للحرب، مع العلم بأن عدد الإنشكارية في ذلك الوقت كان لا يتجاوز

(١) إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص ٤٨٣، ٤٨٤.

(٢) محمد كرد: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

(*) يطلق عليها الحركة الجلالية، للاستزاده الرجوع نوفان رجا الحمود: مرجع سابق، ص ١٣٤-١٣٥.

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٤.

(٤) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: رقم الوثيقة ١٩٣٠٤. خط همايوني عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٣.

الأربعين ألف جندياً^(١) لدرجة أنه في بعض الأحيان كانوا يهربون من معسكرات التدريب حتى لا يدخلوا المعركة^(٢)

وعندما تأكد محمد الثالث من ضعفهم وتخاذل حالهم، خرج بنفسه للحرب وقيادة الجيش، فدبت الحمية الدينية في الإنشكارية، وساروا إلى بلغراد ودمروا جيوش النمسا، وعادت إلى الأذهان صورة الفتوحات في عهد سليمان القانوني، وعاد السلطان غانماً إلى العاصمة، ويقول إبراهيم أفندي في تاريخه وكان حاضراً تلك الموقعة، لو أن الجنود الإنشكارية ثبتت أكثر وأمضت الشتاء على الحدود، ولم تصر على العودة، وتقدمت في الربيع، لتمكن العثمانيون من فتح مدينة فيينا.^(٣) كذلك حدث أثناء القتال مع الأفلاق والبلغدان، تمردات مما اضطرهم للتقهقر لعدم ثباتهم ومجاهرتهم بالعداء.^(٤)

أما عن تمرداتهم في الأقاليم نجد أنه في أواخر القرن السادس عشر الميلادي دخل نفوذ الإنشكارية ولاية حلب، فكان يذهب كل سنة قسم منهم لغرض الخدمة، حيث يقومون بتحصيل أموال القرى، أي الضرائب، وفي سبيل ذلك كثيراً ما مارسوا الظلم والجور وابتزاز الأموال، حتى ضجت الناس منهم، واستفادت الإنشكارية^(٥) من قتال الحركات الجلالية، ووطدت نفوذها في شمال حلب، وعندما زاد الأمر عن حده، اضطروا ولاية حلب إلى قتالهم وإخراجهم بالقوة،

(١) إسماعيل حقي أوزون: مرجع سابق، ص ٤٨٢.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: وثيقة رقم ١٢٧٢: خط همايوني H.H.

(٣) علي حسون: مرجع سابق، ص ١٣١. إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية، ص ١٣١.

(٤) يوسف همام أضاف: مرجع سابق، ص ٧٢.

(*) أشتهر من إنشكارية دمشق عدة أسماء مثل: خداوردي، أق ياق، قره ياق، وحمزه الكردي، وتدل أسماءهم على أنهم في الأصل غرباء عن دمشق. انظر عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٤٢.

وإجبارهم على مغادرة حلب بمساعدة علي باشا جانبلاط^(*)(١)

وقد تجاوز الإنشكارية الحدود في الاعتداء على الرعية والتسلط على فقرائها بحجة جباية الأموال، فأعدم والي حلب سبعة عشر رجلاً منهم^(٢).

وإذا دققنا النظر في تمردات الإنشكارية في داخل استانبول أو خارجها نجد أنها من الإنشكارية القليلي العدد الموجودون داخل المدن، وهذا يعني أن الأغلبية كانت في الحروب الدائرة بين الدولة العثمانية، والنمسا والمجر، وهذا يبرر إرجاع بعض المؤرخين إلى أن قلة الثورات في عهد محمد الثالث تعود إلى انشغال الدولة العثمانية وبالتالي الإنشكارية، بالحرب الطاحنة على حدود النمسا والمجر، ولكن هذا الانشغال لم يعوقهم عن التدخل والقيام ببعض التمردات في عهد محمد الثالث^(٣).

أما عن تمرداتهم داخل القاهرة في عهد محمد الثالث، فقد زادت بسبب تخاذل أويس باشا، وبلغت جرأتهم في عام ١٠٠٦هـ / ١٥٩٨م أن اجتمعوا واعترضوا طريق حاكم مصر محمد باشا، قرب قلعة القاهرة، وأطلقوا النار عليه، فهرب من طريقهم والتجأ إلى القلعة وأصبحت السلطة الفعلية في يد العساكر، وأبطلت أحكام هذا الوزير، وقتل الثائرون كثير من كبار الأمراء والموظفين والأعيان ممن كان يعارضون مصالحهم، وتتبعوا أولاد البلد الأصليين من لهم

(*) حكمت أسرة جانبلاط كلس وحلب، ومن هنا جاء العداء بين هذه الأسرة وبين الإنشكارية، حيث رفضت أسرة جانبلاط تسلط الإنشكارية وجبروتها على الأهالي في دمشق وحلب، ومما أدى إلى وقوع صدام شديد بينهم. عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٤٢.

(١) مرجع سابق، ص ١٤٢، ١٤٣.

(٢) محمد كرد: مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٤٧.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٧٥.

مناصب عليا وقتلوهم، ربما بهدف الحيلولة دون تسرب هؤلاء للطبقة الحاكمة.^(١) ومع تولي أحمد الأول الحكم زاد عصيانهم خاصة في البلاد العربية، أما في إستانبول فقد ثاروا أثناء حرب أحمد الأول مع الشاه عباس، وإخراجه من البلاد التي اغتصبها، فثارت الإنكشارية مطالبة بالعطايا فاضطر السلطان أحمد إلى الرجوع لإستانبول متداركاً لثورتهم حيث ألف مجلساً حربياً وحكم بالإعدام على المتسببين في التمرد.^(٢)

أما عن الأقاليم العربية ففي مطلع القرن السابع عشر الميلادي زادت سيطرتهم على شمال إفريقيا، وساعدهم في ذلك ظهور ديوان لهم يمثلهم، ويمثل طلباتهم وكان الولاة تبعاً يمشون على قرارات هذا الديوان وشيئاً فشيئاً زادت سيطرة هذا الديوان على الأهالي.^(٣)

وقد استتب الأمر داخل إستانبول للإنكشارية في عهد أحمد الأول، وسارت الأمور وفق هواهم، فلا نكاد نسمع عن ثورات داخل إستانبول، أما في البلاد العربية فنجد أنها تعددت في بغداد ودمشق والقاهرة.

ففي القاهرة كان أجراً عمل قاموا بعمله هو قتل حاكم مصر إبراهيم باشا، في ١ جمادى الأولى ١٠١٣ هـ / ٢٥ سبتمبر ١٦٠٤ م، وعرف بالمقتول، وكان مكلفاً بالقضاء على تمرد العساكر، وإزالة الطلبة، وقد نصبت الإنكشارية مكانه قائم مقام.

هذا التحدي الصارخ جعل الدولة العثمانية تبطش بالمتمردين وقتل عدد منهم، في عام ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م. لكن حركة التطهير هذه لم تؤت فائدة، فإن

(١) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٣٠-١٣١.

(٢) يوسف همام أصاف: مرجع سابق، ص ٧٤.

(٣) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٢٨.

القضاء عليهم نهائياً جاء في عهد محمد باشا^(١)، الذي أبطل الطلبة، مما أثار الإنشكارية، فتجمعوا عند مقام أحمد البدوي^(٢)، وتحالفوا على عدم رفع الطلبة، وتقاسموا حارات القاهرة لنهبها، لكن قوات محمد باشا، استخدمت المدافع، وهزمت الثائرين في موقعة إسمها الخانقاه في ١٠ ذي القعدة ١٠١٨ هـ / ١٤ فبراير ١٦٠٩ وقد قتل عدد كبير منهم، والباقي نفي إلى اليمن. (**)(٣)

وقد اشتركت مع الإنشكارية السباهية وبعض من المماليك الشراكسة وقد كانت مهمتهم الأساسية، الحفاظ على الأمن، وحماية الفلاحين، والمساعدة في جمع الضرائب، التي بدأ عليها الاختلال بوضوح، منذ عهد علي باشا الصوفي. (٣)

على أنه لو تأملنا هذا التمرد نجد أنهم خلعوا السلطان ونصبوا مكانه سلطاناً

(١) أحد أهم الصدور العظام في عهد أحمد الأول، وله دور في تهدئة الأوضاع في مصر، تولى خلال حياته عدة مناصب أهمها أمير أمراء البوسنة. الموسوعة الإسلامية، العالم الإسلامي، قاموس التاريخ والجغرافيا والأثنوغرافيا والسير الذاتية، ج٧، إستانبول: دار المعارف ١٩٨٨م، ص ٥٨٥.

(*) الواقع في مدينة طنطا بمصر.

(**) ويعلق على ذلك ابن أبي السرور أنه الضم العثماني لمصر في عهد الدولة العثمانية، وهذا يدل على أهمية القضاء على الثائرين بالنسبة لهيبة الدولة العثمانية. وقد وضع كتاب لهذا الحدث أسماه " تفريج الكربة بدفع الطلبة " وأطلق على محمد باشا عدة ألقاب مثل معمر مصر ومبطل الطلبة وقول قيران أي محطم المماليك. وقد قام محمد باشا بالعديد من الإصلاحات أهمها تنظيم الضرائب، والعمل بمقتضى دفتر التبريع الذي أحله العثمانيون، محل دفتر الشراكسة، وكان المماليك قد عادوا إلى العمل بدفتر الشراكة للاستفادة من امتيازاتهم القديمة. وأمر بدفع الرواتب بكاملها يوم ٢٨ من كل شهر. عبد

الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٣١، ١٣٢.

(٢) مرجع سابق، ص ١٣١، ١٣٢.

(٣) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٣٢، ١٣٣.

آخر، وهذا ما حدث فعلاً فكان هذا التمرد تحويل لأفكارهم. أما في دمشق فقد برزت أسماء لزعماء من الإنشكارية كان لهم دور كبير فيها أمثال حسن التركماني وبعض أفراد أسرته، وذلك في عام ١٠١٥هـ / ١٦٠٦م، كما حفل سجلهم بالخزيا ضد المعنيين. (١)

أما ولاية بغداد فقد كانت تمرداتهم أكثر عنفاً من الولايات العربية الأخرى، وربما يرجع ذلك إلى مركز العراق الاستراتيجي أمام أعداءها الصفويين، مما استلزم وجود قوة عسكرية عثمانية كبرى لحمايتها، وساعد على ظهور زعامات عسكرية لم تشهد مثلها القاهرة أو بلاد الشام. كما وأن تعدد القبائل البدوية والكردية المتعددة الأجناس والولاء، ووقوع العراق على أطراف الدولة العثمانية، كل هذه العوامل ساعدت على ظهور ثورات أكثر عنفاً.

لقد فرضت الإنشكارية نفوذها على العراق في مطلع القرن السابع عشر وتحذوا الوالي حسن باشا، فخرج هارباً من بغداد عندما ثاروا عليه، لأنهم تصوروا أنه أثار عليهم السلطان، وأقام بالموصل، واستمر يحاربهم حتى عزل، ويبدو أن هذا ساعد على تشجيع الإنشكارية للقيام بأعمال أكثر جرأة، حيث أحسوا أن السلطان أعترف ضمناً بنفوذهم، وكانت هذه أولى مراحل ازدياد نفوذهم، إذ قاموا بثورات بعد ذلك، حاول السلطان أحمد الأول إخضاعهم فأرسل جيشاً بقيادة والي ديار بكر نصوح باشا، (٢) الذي استطاع إخضاعهم فترة من

(١) عبدالكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٤٣، ١٤٤.

(*) أحد رجال الدولة العثمانية، وهو ابن أحد الألبان المسيحيين الذين أتوا إلى الديوشمرة، ثم نشأ في القصر الهمايوني، عين على إمارة زيلة، ثم عزل برغبة الإنشكارية عين على ولاية مصر ثم عين قائم مقام الصدر الأعظم، وفي عام ١٦١١م عين صدر أعظم وقام بعمل مباحثات مع الصفويين الشاه عباس، في ديار بكر وحددت في هذه المباحثات الحدود بين الدولتين، كان على عداء مع خوجه زاده أفندي شيخ الإسلام، ونتيجة لتمرداته أمر =

(١) الزمن

وفي عهد مصطفى الأول، يقوم باشا أرضوم بعصيان ضد السلطان ويحذف إلى أنقرة، فتنضم الناس إليه في كثير من بلاد الأناضول كرهاً للإنكشارية. (٢)

وسنرى أنه في خلال حكم ثلاث سلاطين مصطفى الأول وعثمان الثاني ومراد الرابع، تصبح اليد الطولى للإنكشارية، في كل أمور الدولة، ويعتبر عثمان الثاني مثال متجسد لطغيان الإنكشارية وجبروتها.

وضعوا عثمان الثاني في الحكم في سن مبكرة، فقد أطلق عليه لقب كنج أي الحدث صغير السن، وكان توليه العرش في هذا السن المبكر حدث غير مسبوق، وأيضاً أطلق هذا اللقب عليه ليميزه عن عثمان الأول مؤسس الأسرة والدولة. (٣)

ولكن بعد أن وضعته الإنكشارية، بدأت تنفر منه لكثير من الأسباب (٤)، ومما زاد من نفورهم أن الصدر الأعظم، عزل قائم مقام الصدارة، وهو أغا الإنكشارية، الذي عاد من الأراضي الفارسية منتصراً. (٥)

كما أعلن السلطان عثمان الثاني الجهاد على بولونيا (٥٥) لأنها تدخلت في

= السلطان أحمد الأول بإعدامه. ومن أشهر إبنائه المؤرخ محمد جلبي. الموسوعة التركية: ج ٢٤، د. ط، ١٩٧٧م، ص ١٣٩-١٤٠.

(١) عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٢) شكيب أرسلان: مرجع سابق، ص ٢١٧.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٣.

(*) تم ذكر الأسباب بالتفصيل في المبحث السابق من نفس الفصل.

(٤) حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٦.

(**) ذكر مصدر آخر أن سبب الحرب كان لتلبية دعوة قرال ترنسيلاوانية، الذي رغب في محاربة ملك النمسا، منتهزاً فرصة الشقاق الذي أحدثه في أوروبا، كما أن انتشار الآراء=

شؤون إمارة البغدان،^(١) وقاد جيش كبير العدد عبر نهر بروت وهزم البولونيين المتجمعين عند نهر دينستر^(*)، وكان لهذه المعركة وقعاً مؤثراً في نفوس المسيحيين حيث أدت إلى الخوف والرغبة في قلوبهم، ولكن الإنشكارية تمردت، وأضاعت هذا النصر وجعلته غير حاسم.^(٢) فقد طلبت، عدم الاستمرار في الحرب، لأنها متعبة ومرهقة منها، فغضب السلطان منهم وأعتاظ لميلهم للراحة.^(٣) كما منع التدخين وصار السلطان عثمان يخرج بنفسه ليعاقب المخالفين.^(٤)

وعندما طلبت بولونيا عقد الصلح معه عام ١٠٢٩هـ / ١٦٢٠م.^(٥) استخف به الإنشكارية لأن ذلك يتعارض مع تقاليدهم في حب الحرب، ولأنهم جنوداً محترفين، المفروض أن مهنتهم الحرب وليس التكاسل والميل

= الدينية الجديدة كان لها أكبر الأثر في ذلك، وأختلف المرجع في نهاية المعركة حيث ذكر أن المعركة انتهت بانتصار البولونيين، بزعامة ولا ديسلاس ابن ملك بولونية. انظر حبيب السيوفي مرجع سابق، ص ٢٧.

لكن الدراسة ترى أن العثمانيين انتصروا لأننا نرى أن بولونيا تطلب الصلح فإذا كانت منتصرة فلماذا تطلب الصلح، إضافة إلى أنها ما هي نتائج انتصارهم؟ لم يورد النتائج في سياق كلامه.

(١) علي محمد الصلابي: مرجع سابق، ص ٤٨٧.

(*) نهر دينستر، أحد روافد نهر جوسا، الذي يصب في البحر الأدرياتيكي س. موسستراس: مرجع سابق، ص ٥٨.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٣.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٧٨.

(٤) محمد جميل بيهيم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ٢٨.

(٥) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٧٨. انظر علي محمد الصلابي: مرجع سابق، ص ٤٨٧.

للراحة، ولا بد أن تكون أفئدتهم تهوى القتال، و نقتم عليه الإنشكارية وقررت وضع خطة للتخلص منه. وعقد السلطان الصلح دون أن يحقق جميع أهدافه، من هذه الحرب،^(١) ونتيجة لذلك عزم السلطان عثمان على التخلص منهم وإبادتهم، ولأجل هذا الأمر الخطير بدأ في الاستعداد لضرب الإنشكارية وذلك بحشد قوات جديدة في آسيا وأهتم بتدريبها وتنظيمها.^(٢)

وبعد أن استقر في إستانبول، قرر التوجه للحج عام ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م^(*) وأن يجمع في الطريق عسكرياً من الشام ومصر من رجال العرب، خاصة وأنه سيمر على الشام عن طريق البر ويعسكر هناك، وهؤلاء الرجال يكونوا مطيعين له طوع البنان، ويقضي بهم على الإنشكارية ويمحي أثرهم،^(٣) خاصة وأن السلطان عزم على إخماد ثورة الدروز في جبل لبنان بجيش يجمع من مصر،^(٤) وهنا تأكدت الإنشكارية أنه عازم على الغدر بهم، وقد سعى العلماء ليشنوا السلطان عثمان الثاني عن السفر، كما طلبوا من الإنشكارية العفو عن السلطان، وأبلو غهم بعدول السلطان عن السفر إلى الحجاز، فأمر بتسريح الرجال الذين جهزوا في القاهرة واجتمع معهم العلماء في فسحة آت ميدان^(**)

(١) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٣ - ٥١٤.

(٢) علي محمود الصلابي: مرجع سابق، ص ٤٨٧. انظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٥١.

(*) عزم على أداء فريضة الحج ولكن السياسة لم تحقق أمنيته.

لقد تم الحديث عن هذا الأمر بالتفصيل من المبحث السابق من نفس الفصل.

(٣) يوسف أضاف: مرجع سابق، ص ٧٧. أنظر إبراهيم حليم: مصدر سابق، ص ١٢٢-١٢٣. حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٢٨.

(٤) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٣.

(**) للاستزادة عن أخبار صراع الإنشكارية مع عثمان الثاني الرجوع إلى أحمد زيني دحلان: =

ولكن ظلوا ثائرين وهجموا على بيوت الوزراء متسلحين ونهبوها، وقتلوا عدد كبير منهم، ونهبوا من خزائن الدولة. (١)

وانتهى الأمر بهم إلى التخلص من السلطان عثمان في عام ١٠٣١هـ / ١٦٢١م. (٢)

وهكذا أصبح السلطان عثمان الثاني أول ضحاياهم البارزين، وبعد قتله مارسوا التدخل في السياسة العليا بمنتهى الحرية، فلم يعد هناك من يقف أمامهم في تحقيق رغباتهم وانتهى الأمر بهم أن رغبوا في التخلص من السلطان عثمان الثاني وتمكنوا من إعدامه في سنة ١٠٣١هـ / ١٦٢١م.

وبهذا الإثم العظيم والجرأة على السلاطين، صارت نقطة انطلاق جديدة للإنكشارية للتمادي في طغيانهم والتحكم بالسياسة العليا، وكان لإعدامه أصداء بعيدة، حيث انتشرت الرهبة في دوائر الحكومة وبين العامة. (٣) كما أن الولايات صارت في حالة ترقب دائمة وحاول بعض الولاة الأخذ بثأر عثمان الثاني والانتقام له ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل مثل محاولة والي أرضروم أباطة باشا الذي حاول دخول إستانبول والانتقام من قتلة عثمان. (٤)

هذه الجرأة قوبلت باستياء عام بين الناس والجند حتى أن طائفة منهم أنكرتها، خاصة عندما بدأوا بتبديد الثروات وأموال الخزينة العامة، ولم يحفلوا

= مصدر سابق، ج ٢، ص ١٩٥، ١٩٦.

(١) يوسف أضاف: مرجع سابق، ص ٧٧.

(٢) محمد مختار: مرجع سابق، ج ٢، ص ١٠٦٧.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٤. انظر محمد سهيل طقوش: مرجع

سابق، ص ٢٥٢.

(٤) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٧٩.

بأي شخص، وزادوا في تمردهم. (١)

لقد صار لهم شأن سياسي، وأضحوا أداة في يد أهل الفتن الذين فضلوا اللعب من خلف الستار، (٢) فنجد أنه منذ ثورتهم على عثمان الثاني حتى ثورتهم على سليم الثالث تمت بصورة واحدة متكررة من حيث الأسباب والأحداث والنتائج. (٣)

وقد أعادوا السلطان مصطفى الأول مرة أخرى للحكم، لأنه كان ضعيف الشخصية، ولم تحدث حروب أو فتوحات في عهده لقصر المدة، ولأن الإنشكارية سيطروا تماماً على مقاليد الأمور.

وهكذا نجد أن مصير كثير من الذين يحاولون الإصلاح، تتسلط عليهم الجيوش الفاسدة، فتدمرهم. (٤) وفي عهده تم تغيير الوزراء والصدور العظام سبع مرات في خلال عام واحد وأربعة شهور، وارتكبت كافة المظالم. (٥)

وبتولي مراد الرابع الحكم أصيبت الدولة بحالة من الارتباك والفوضى لصغر سن السلطان، فقد كان في الحادية عشر من عمره، وقد وضعوه لحدائثة سنه حتى لا يجدوا معارضة في أعمالهم الاستبدادية، ولا يضعف نفوذهم الذي اكتسبوه بقتل سلطان وعزل الآخر، وقد ساروا في طريق الطغيان لمدة العشر سنوات الأولى من حكمه، فكانوا أصحاب الأمر والنهي في سياسة الدولة، حيث واصلوا الثورات والسلطان خاضع لرغباتهم، لا يجد مفر من تحقيقها، فبدلوا الوزراء والصدور

(١) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٤.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: مجلد الخامس، مكتبة الشعب، ص ١١٥.

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٣.

(٤) علي حسون: مرجع سابق، ص ١٠٧.

(٥) علي محمد الصلابي: مرجع سابق، ص ٤٨٨.

العظام على حسب أهوائهم. (١)

وقد أدى شغب الإنشكارية وعبثهم غير المسئول إلى قفز الطامعين في السلطة إلى المراكز الحساسة، حيث استثمر البعض جو الضعف في الدولة بسبب التمردات المتتالية من الإنشكارية، ومن ضمنهم قائد شرطة بغداد " بكير أغا " (*) الذي تمرد على الوالي واستبد بالحكم، فأرسلت له الدولة جيشاً بقيادة " حافظ باشا " الذي حاصر بغداد (**)، فاستنجد بكير أغا بالشاه عباس الصفوي، الذي وجد أن هذه فرصة سانحة لتوسيع ممتلكاته، ودخول بغداد، وفعلًا عادت من جديد بغداد تحت الحكم الصفوي. (٢)

وكان هذا أخطر عمل قامت به الإنشكارية إذ هي مهدت السبيل لضياح بغداد من حوزة الدولة العثمانية الأمر الذي أدى إلى فتح الباب لضياح البلاد من تحت

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٨٠. انظر علي حسون: مرجع سابق، ص ١٠٦-

١١٣. انظر عمر الإسكندري: مرجع السابق، ص ٤٠.

(*) بكير الصوباشي: والي بغداد، كان له فرقة عسكرية خاصة به تتألف من ١٢٠ ألف جندي، جمع ثروة طائلة، استولى على ولاية بغداد إثر قتله للنقيب محمد الوالي السابق، وكان له جولات مع الصوفييين للاستيلاء على بغداد، وقد دخلها الصوفييين بناء على خيانة محمد بن بكير لأبيه ونفي بكير إلى مدينة زفر، وأحتل الصوفييين بغداد وعذبوا أهل السنة كثيراً. الموسوعة التركية: ج ٦، د. ط ١، إستانبول، د. ت، ص ٢٩.

وتذكر أيضاً بثورة بكر الصوباشي، وهو من أصل رومي، ينتسب إلى إنشكارية بغداد، تدرج في المراتب العسكرية، حتى صار هوباشي، ثم نصب نفسه والياً، ولذلك لقب بالصوباشي واعتمد في الأساس على الإنشكارية. عبد الكريم رافق: ص ١٣٧-١٣٨.

(**) وقد حاصرها الشاه عباس لمدة ثلاثة شهور، بعد أن تم الصلح مع الجيش العثماني ووافق الشاه عباس على منح بكير أغا الولاية. وعادت بغداد للصوفييين. انظر بسام

العسلي: مرجع سابق، ج ٥، ص ١٧٣.

(٢) المرجع السابق، ج ٥، ص ١٧٣.

حكم الدولة العثمانية الواحدة تلو الأخرى.

وعندما أراد حافظ أحمد^(*) باشا استرداد بغداد، وقام بحصارها، وثارَت الإنشكارية لطول الحصار، مما أرغم حافظ باشا على رفع الحصار والعودة إلى الموصل، ومن ثم إلى ديار بكر، ولكن الإنشكارية عادت إلى التمرد مرة أخرى، فتم تعيين خسرو باشا^(**) في الصدارة العظمى في أثناء ثورات الإنشكارية المتتالية في إستانبول.^(١)

أما خسرو باشا فقد ظلم الأهالي كثيراً وأعدم الكثير وبطش بيد من حديد، فقد كان نموذج لشخصية الوزير المستبد برأيه، واعتمد في استبداده على الإنشكارية بزعامة داماد رجب باشا، وكان هذان الوزيران، يقومان بكافة الأعمال التي من شأنها إخافة السلطان مراد الرابع، حيث كانوا على استعداد للقيام بأي حركة تمرد، ضد السلطان لأنهم أرادوا سلطاناً مطيعاً فاقد العزيمة.^(٢)

(*) حافظ أحمد باشا ولد عام ٩٧١هـ / ١٥٦٤م في مدينة فيلييه. أبوه مؤذن. تميز بصوته الحسن وقد عاصر ولاية بكير لبغداد، وفشل في استرداد بغداد من الفرس، وقد سلمه خسرو باشا للإنشكارية الذين قتلوه. الموسوعة التركية للشؤون الدينية، ج ١٥، د. ط، إستانبول: ١٩٩٧م، ص ٨٤-٨٥.

(**) خسرو باشا: يقال أنه ولد عام ١٧٥٦م واسمه محمد خسرو، من أهل منطقة أباطة تم إحضاره إلى إستانبول في سن صغيرة، تدرج في الوظائف، وحارب ضد الفرنسيين لإخراجهم من مصر، وكلف بالذهاب لحرب الدولة العثمانية وروسيا في عام ١٨٠٦م وكان له دور الحياة السياسية في بغداد. الموسوعة الإسلامية: الوقف الديني لتركيا، د. ط، مجلد ١٩، إستانبول، ١٩٩٩م، ص ٤١-٤٤. تولى قبله عدة وزراء المنصب مثل جركس محمد باشا، وحافظ أحمد باشا، و خليل باشا ثم عين خسرو باشا. بسام العسلي: مرجع سابق، ص ١٧٣-١٧٤.

(١) المرجع السابق، ص ١٧٣ - ١٧٤. انظر محمد سهيل طقوس: مرجع سابق، ص ٢٦٧.

(٢) يلمازا وزتونا: مصدر سابق، ج ١، ص ٤٧٠.

وقد أراد الصدر الأعظم خسرو باشا دخول بغداد واستردادها، لكن الإنشكارية لم تطعه، لأنهم كانوا قد تعودوا على حياة الراحة والهدوء، ولا يريدوا حرب، لأن ضياع ممتلكات الدولة لم يعد يهمهم سوى تنفيذ رغباتهم وآرائهم.

لقد تمردوا على خسرو باشا لأنه أراد استرداد بغداد، وهو زعيمهم وقائدهم ومع ذلك ثاروا عليه، هذا يدل على أنهم صاروا فرقة ضالة لا تعترف إلا بالراحة وتفضل مصلحتها وحياتها الشخصية على مصلحة الدولة، ولم يكن تمرد الإنشكارية على خسرو باشا هو الحادثة الأولى التي جعلت إحساسهم بالفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام يخف تدريجياً حتى كاد أن يختفي لأن هذا الأمر اتضح منذ بداية خلعه للسلطين وتولية آخرون وتفضيل مصلحتهم الشخصية على مصلحة الدولة والإسلام.

ونتيجة لفشل خسرو باشا في فتح بغداد، فقد عزله السلطان مراد الرابع، وأعاد حافظ باشا إلى منصب الصدارة العظمى. لكن خسرو باشا لم يرض بهذا العزل، وحاول أن يوقع بين السلطان، ورؤساء الإنشكارية وأن يكيد للسلطان، فاتصل برؤساء الإنشكارية وأوهمهم بأن السلطان عزله من منصبه، لأنه كان ينفذ رغبات الإنشكارية ويطيعهم، فثارت الإنشكارية وطالبت بعودة خسرو باشا إلى منصبه، ولكن السلطان مراد الرابع أصر على موقفه، فصارت فتنة في إستانبول، وقتلت الإنشكارية حافظ باشا، بعد أن فشل السلطان في حمايته، وقرر السلطان مراد الرابع قتل خسرو باشا على أساس أنه محرك الفتنة، وعين مكانه من يدعى بيرام^(*) محمد

= عن صراع خسرو باشا مع محمد علي في مصر وقضاء الأخير على نفوذ الإنشكارية انظر بسام العسلي: مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٥٥، ٢٥٦. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٩٠.

(*) الكلمة بيرم وليس بيرام: كلمة تركية ومعناها اللغوي عيد فكما أن الناس يسمون شعبان =

باشا. (١)

ومنذ ذلك الحين أظهر عزمًا شديدًا على مواجهة الإنشكارية والقضاء على رؤوس الإنشكارية وإبادتهم، ثم وسع عمليات القتل لتشمل كل من يثبت عليه أنه شارك في الفتنة التي أشعلوها. (٢) وبذلك دخل الرعب إلى قلوبهم ووقعته مهابته في قلوبهم، فخافوا منه، وأمن الناس على أموالهم وأعراضهم من تعدي الإنشكارية عليهم، وسادت السكينة في إستانبول. (٣)

وعندما رأت الإنشكارية هذه القوة من السلطان مراد الرابع لجأت إلى خداعه وتظاهرت بأنها تلتزم بالقواعد والانضباط العسكري، وأنهم يقدروا السلطان وينفذون أوامره ويطيعوه. ولكن ذلك لم يكن إلا تمويهاً حتى يوقف عمليات القتل والمذابح التي أمر بها، وبيتوا أمراً آخرًا. (٤)

فلم يمض شهران حتى قاموا بحركة عصيان جديدة بقيادة داماد باشاه إلا أن السلطان مراد الرابع أمر بقتله وإلقاء جثته من شباك السرايا للإنشكارية حتى تهدأ ثورتهم، وفعلاً عرفت الإنشكارية أنها أمام سلطان قوي، لا يستطيعون التغلب عليه بسهولة، وفرض هيبته على الجميع وبسط نفوذه في الداخل والخارج، وتولى إصلاح وقيادة الجيوش بنفسه، وقام بإصلاح الإنشكارية وإبعاد زعماء

= ورمضان ورجب وغيرها من أسماء الشهور كذلك يسمون عيداً. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٨٢.

(١) مصدر سابق، ص ٢٨٢.

(٢) لقد قيل أن رؤوسهم تكدست على ضفاف البسفور وقد قيل أن من قتلوا في هذا الحادث يبلغون مائة ألف أو يزيدون. انظر عمر الإسكندري: مرجع سابق، ص ٤٠.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٨٣.

(٤) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٥. انظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٥٢.

الإنشكارية والأفراد المشبوهين، والمشكوك في أمرهم،^(١) وهكذا استطاع مراد الرابع مواجهة الإنشكارية بكل حزم وقوة، أن يوقف لمدة محدودة تدخلهم في المسائل السياسية العليا، ويضع حداً لتصرفاتهم الهوجاء، على الرغم من أن السنوات العشر الأولى من حكمه تميزت بالضعف والاحتلال إلا أنه لم يلبث أن أعاد السيطرة على الدولة، وفرض الأمن والاستقرار في وقت كانت الدولة في أشد الحاجة له.^(٢)

أما في عهد السلطان إبراهيم الأول نجد أن الإنشكارية عادت لسيرتها الأولى في التدخل في المسائل السياسية، وكثر طغيانهم، حتى أنهم كانوا يوجهون إلى السلطان انتقادات علناً لسياسته.^(٣) غير أنه مع ذلك استطاع كبح جماح ثورتهم لمدة طويلة، لكنه لم يستطع اقتلاع الفساد من رؤوسه، فأراد التخلص منهم وقتل قادتهم ولكنهم اكتشفوا هذا الأمر، وتأمروا عليه، وتم عزله، وتولية ابنه محمد الرابع، الذي لم يكمل عامه السابع، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بخنقه والتخلص

(١) بسام العسلي: مرجع سابق، ج ٥، ص ١٧٤. انظر محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٤-١٣٥.

(٢) وقد كان لثورات الإنشكارية نتائج سلبية على الأقاليم فديوان الإنشكارية في شمال إفريقيا، أصبحت له كل السلطات في التعيين والترقية منذ عام ١٠٣٦هـ / ١٦٢٦م، وتم ذلك بموافقة السلطان مراد الرابع، وصار بذلك له قوة القاتون في البلاد، حتى أنهم وصلوا إلى تعيين القبطان باشا وتحديد مرتبته، وهذا كله تحكم فيه أغا الإنشكارية رئيس الديوان. وفي عهد السلطان مراد الرابع أيضاً زادت سلطة الولاة، بسبب نشاط الإدارة في إستابول فقد قتل ولاة الشام في عهده عدداً كبيراً من زعماء الإنشكارية في الشام، أمثال ابن الصباغ، وعلى بن الأرنؤوط، ونفوذ هؤلاء الزعماء في الشام سواء في الإنشكارية أو لدى شعب دمشق، يمثل حلقة في سلسلة الصراع على النفوذ في دمشق بين الولاة وزعماء الإنشكارية عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٢٨ - ١٤٤.

(٣) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٥.

منه، خوفاً من عودته للسلطة. (١) (*)

أما السلطان محمد الرابع فقد أمدت مدة حكمه ٤٠ سنة وعدة أشهر (٢)، توالى خلالها ثورات الإنشكارية، وتمردات الأهالي من تسلط الجنود عليهم، واستبداد الإنشكارية حتى اختل النظام، وصار عدم النظام سمة من سمات الدولة. (٣)

وعادت الإنشكارية لممارسة نشاطاتهم بحرية تامة، فزاد عبثهم بالناس وزاد فسادهم، وانتقلت عدوى التمرد وعدم الانضباط إلى البحرية، مما أدى إلى ضعف الروح القتالية في البحرية، (٤) ومن ثم طبعاً التخازل أمام العدو، إذ أنه عندما تقابلت سفن الدولة العثمانية مع سفن البنادقة في الدردنيل، تمردت الإنشكارية،

(١) محمود شاكر: مرجع سابق، ج ٨، ص ١٣٥. انظر بسام العسلي: مرجع سابق، ص ١٨٠. (*) أما عن الحال في الشام فقد زادت مدة الصراع بين الولاة وزعماء الإنشكارية، وزادت حوادث القتل بين الفريقين، وأبلغ دليل على ازدياد نفوذ زعماء الإنشكارية، ضغطهم على الدولة العثمانية لتعين بعض أفرادهم أمراء لقافلة الحج الشامي، للمحافظة عليها. مما يدل بوضوح على مدى سيطرتهم على القرار السياسي في الدولة العثمانية. وقد حدثت لهم فتنة كبيرة في حلب حيث كان السبب أن الإنشكارية طلبت من رؤسائها أن يصرفوا لهم الرواتب بالقروش وليس بالأقجاج، وطلبوا عزل وكيل رئيسهم وكتابه، ف وقعت فتنة نتيجة لرفض هذه المطالب فقتل منهم عدداً كبيراً، ثم صارت فتنة بينهم وبين رجال الصدر الأعظم وقتل فيها نحو خمسين رجلاً من الطرفين وانتهت الثورة بانتصار الإنشكارية وقتل الوكيل وكتابه. محمد كرد: ج ٢، المصدر السابق، ص ٢٧٠. عبد الكريم رافق: مرجع سابق، ص ١٤٤-١٤٥.

(٢) مخطوط تاريخ آل عثمان: مؤلف مجهول، ورقة ٣.

(٣) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص ٢٩٠.

(٤) بسام العسلي: المرجع السابق، ص ١٨٠.

وأحجمت عن مهاجمة سفن العدو وهربت الإنكشارية بسفنها،^(١) وبالتالي هزم الأسطول العثماني في هذه الموقعة بالقرب من مدينة فوقيه^(*) عام ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩ (٢)

وقد استفاد أسطول البندقية^(**) من غياب الانضباط في البحرية العثمانية، وقيام الإنكشارية بكثير من التمردات، وهاجم أسطول البنادقة، الأسطول العثماني أثناء تواجده في بوغاز الدردنيل عام ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م أثناء حرب الدولة العثمانية مع البنادقة، فقامت الإنكشارية بعمل تمرد مع الملاحين بحجة أن سفن العدو أكبر وأمتن من سفنهم مما أدى إلى احتلال البنادقة لمدينتي تينيدوس^(***) وجزيرة لمنوس^(****) وغيرهما، وتمرداتهم هذه أدت إلى شيء

(١) علي حسون: مرجع سابق، ص ١١٤.

(*) فوقيه أو خوسيه مدينة قديمة على ساحل البحر المتوسط، تقع شمال أزمير، وتبعد عنها حوالي ٤٢ كيلو متراً، وهناك فوقية الجديدة، تقع شمال فوقيه الأولى. انظر بسام العسلي: مرجع سابق، ج ٥، ص ١٨٠.

(٢) مرجع سابق: ص ١٨٠.

(**) حرب البنادقة اشتدت في عهد محمد الرابع، لأن الدولة كانت تعاني من الاختلال والفساد في الإدارة والحكم، فانتهز البنادقة هذه الفرصة وأرسلوا عمارة لتهديد مضيق الدردنيل. ولما أتت هذه العمارة حصل بينها وبين العثمانيين عدة وقائع، ولما رأت الدولة أن سفن البنادقة قوية وأن معظم سفنها ببناء صغيرة، بادر الصدر الأعظم صوفي محمد باشا بإرسال أوامره إلى دار صناعة السفن ببناء سفن كبيرة من نوع الغليون لتكون عمادة العثمانيين على درجة من القوة. انظر إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ١، ص ١٥٧.

(***) تينيدوس: جزيرة صغيرة تقع عند مدخل الدردنيل.

(****) لمنوس: جزيرة صغيرة تقع إلى الغرب من تينيدوس. انظر بسام العسلي: مرجع

سابق، ص ١٨١.

مهم، وهو اختلال النظام الاقتصادي، والذي سبب ارتفاع أسعار القمح والشعير وسائر أصناف المأكولات، حيث منع البنادقة وصول السفن الحاملة لهذه البضائع من الوصول إلى إستانبول،^(١) وهكذا أصبحت مالية الدولة سيئة جداً ومنخفضة، لصرفها الأموال في حل المشكلات الداخلية، إضافة إلى التصدي للحروب الخارجية.^(٢)

ومما زاد خطورة الأمور اندلاع ثورة بآسيا الصغرى في نفس العام، بقيادة رجل يدعى قاطرجي أوغلي^(٣)، لكن التمرد انتهى بالعفو عن قاطرجي أوغلي وتعيينه والي على القرماني، وهكذا انتهى التمرد، لكن نارها ظلت تحت الرماد، فقد كانت الإنشكارية، تغذي نار الثورة أحياناً، وفرسان السباهية هم من يعملون على إبقائها.^(٤)

وقد استمر الموقف على التدهور، لا نظام ولا أمن ولا استقرار، ولا حكومة

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٩٠. انظر بسام العسلي: مرجع سابق، ص ١٨١.

(٢) علي حسون: مرجع سابق، ص ١١٤.

(*) قاطرجي أوغلي أحد زعماء قطاع الطرق الجلايين، الذين ظهروا في منطقة "جوهر" في القرن السابع عشر الميلادي، ينسب لقبيلة جميل التركمانية، وعائلته كرن وهي من الأسر الإقطاعية في تركستان، اشتهر منذ صغره بالفروسية والمحاربة، تولى زعامة الأشقياء وقطاع الطرق في سن مبكرة، وانتشر نفوذه بين أنيون وبايشهر، وعندما تم القبض عليه وإرساله إلى إستانبول، أعلن توبته وخدم مع محمد كوبرلي باشا، وصار من مشاهير القادة وفي عام ١٦٥١م عين قائد للجيش العثماني. دائرة المعارف التركية: ج ٢١، د.ط، أنقرة، ١٩٧١م، ص ٤٠٠.

(**) انضم إليه رجل يدعى كورجي بني، ولكن وقع خلاف بينهما قبل الوصول إلى العاصمة، فافترق عنه، فحاربه الجند، وقطعوا رأسه وأرسلوها إلى إستانبول. بسام العسلي: مرجع

سابق، ج ٥، ص ١٨٠.

(٣) مرجع سابق، ج ٥، ص ١٨٠.

ثابتة، حتى قيض لها الله سبحانه في منصب الصدارة محمد باشا الشهير بكوبرلي^(*) (١) لقد برز آل كوبرلي في وقت كانت النعمة عمت على الناس جميعاً، عرفت هذه الأسرة بإخلاصها في العمل، وقد تمكنوا من كسر شوكة الإنشكارية بفرض النظام والانضباط عليهم، وإخضاعهم وقد بادر محمد باشا منذ تولي الصدارة العظمى إلى تأديب الإنشكارية في أعقاب تمرد حدث منهم، وأمر بإلقاء جنثهم في البحر، حتى قيل أنها بلغت أربعة آلاف جثة، وبهذه الشدة التي عوملوا بها هدأت ثوراتهم وقصر طغيانهم. (٢)

ولكن نجد أن الإنشكارية لعبت دوراً كبيراً عند أسوار فينا، حيث طلب الصدر الأعظم الإذن من السلطان محمد الرابع، بالسفر إلى بلاد النمسا وافتتاح مدينة فينا ونشر الإسلام فيها، وفعلاً تم التجهيز^(**) لهذا الأمر، وبدأ المسير إلى قلعة بج، وأطلق الصدر الأعظم أمره بنهب القلاع وحرق المزارع وقد سعت الإنشكارية بهذا الأمر فنفذته على أكمل وجه، ونهبت ما لا يحصى من الغنائم، ولكنها تجاوزت الحدود وتعدت على النساء والرجال العاجزين عن الحركة، وسبوا كثيراً من النساء، وتعدوا على حرمة البيوت، واستولوا على الأموال، وعلى طول الطريق إلى فيينا كانوا يقومون بكافة الأعمال البشعة، حتى وصلوا إلى فينا وكانت محصنة بشكل جيد، فضربوا حولها الحصار ورموها بالمدافع، وكان قد هرب منها الأهالي، وعندما ضاق الخناق على الناس المتبقية بداخلها طلبوا أن

(*) الكوبرو: هو الجسر ومعناها صاحب الجسور، أو صانع الجسور، وما زال الناس يستخدمون هذا اللفظ على الجسر، وقد كان لهذه الأسرة شأن في الدولة العثمانية. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق ص ٢٩٠.

(١) المصدر السابق، ص ٢٩٠.

(٢) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٥.

(**) للاستزادة عن التجهيزات العسكرية في الجيش العثماني. انظر أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص ٢٠٩.

يسلموها طوعاً، ولكن الوزير خاف من الإنشكارية ونهبها للمدينة، وعندما راجعه الوزراء والعسكر في الدخول صلحاً رد عليهم أنهم إذا ضمنوا عدم فساد الإنشكارية بها، وافق على الصلح واستمرت المفاوضات ثلاثة أيام، وطال الحصار، حتى تكالبت^(*) جيوش أوروبا وتجمعت على الجيوش العثمانية،^(١) ومنيت السلطنة بهزيمة وإنكسار فظيع حول أسوار فينا في عام ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٧ م،^(٢) على الرغم أنهم كانوا أحد الأسباب الرئيسية لعدم فتح فينا إلا أنهم نسوا ذلك وسارعوا بالتمرد للتخلص من السلطان والصدر الأعظم وفي أثناء حرب العثمانيين مع جيوش النمسا، ألتحم الجيشان في معركة كبيرة في سهل موهاكز^(**) في ٣ شوال ١٠٩٨ هـ / ١٢ أغسطس ١٦٨٧ م، وبعد أن دارت رحى المعركة، انقلبت على العثمانيين وهزموا هزيمة نكراء وبدأت الجيوش النمساوية في جميع ما معهم من مدافع وسلاح ومؤن وذخائر، وعندما وصلت الأنباء للإنشكارية الموجودة في العاصمة هاجت وماجت وثار، وأرسلت للإنشكارية الموجودة مع الصدر الأعظم سليمان باشا في ساحة المعركة، وطلبت منهم إشهار العصيان والتمرد، وفعلاً تم ذلك، ولولا هروب الصدر الأعظم لبلغراد لأعدموه، وانتهت هذه الثورة بعزل السلطان محمد الرابع في ٢ محرم

(*) للاستزاده عن استعدادات ملوك أوروبا لقتال العثمانيين. انظر أحمد زيني دحلان: مصدر

سابق، ص ص ٢٠٩-٢١١.

(١) مصدر سابق، ص ٢٠٩-٢١١. انظر محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٩٥-

٢٩٦.

(٢) محمد جميل بينهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٥.

(**) تقابل العثمانيون في هذا السهل من قبل مع المجريين وانتصروا نصراً عزيزاً مجيداً قبل

هذا التاريخ بـ ١٦٠ عام. محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٠٣.

١٠٩٩هـ/ ٨ نوفمبر ١٦٨٧م^(١) واضطر حسين باشا الذي كان يحاصر مدينة كنديا في كريت، وأن يرفع الحصار عنها، بسبب التمرد الذي أثارته الإنشكارية.^(٢) وهكذا نرى أنها تحكمت في حركة المعارك ونهايتها طوال عهد محمد الرابع. تولى سليمان الثاني الحكم، وأغدق العطايا والهبات على الإنشكارية خوفاً منهم،^(٣) إلا أن حالة الهياج والثورة لا زالت مستمرة.

وفي خضم هذه الأحداث كانت الدولة تعاني الأمرين من جراء الحرب الطاحنة بينها وبين الدول المتعاضدة عليها: النمسا وبولونيا والبندقية، وفي الوقت الذي كانت ترجو فيه من الإنشكارية الهدوء ضاعفت هذه الأخيرة مشاكلها الداخلية،^(٤) وللأسف هذه الأعمال التي قامت الإنشكارية بها لم تفيدهم، ولم تفيد الدولة، فقد استغل أعداء الدولة العثمانية انصرافها في حل مشاكلها الداخلية، وبدأوا باحتلال أجزاء من أراضيها.

وهاجم أعداء الدولة العثمانية ممتلكاتها في النمسا والمجر وبلاد اليونان والصرب،^(٥) وكانت هذه بداية ضياع ممتلكات الدولة العثمانية وهذه من أخطر نتائج تمرد الإنشكارية المستمر.

وقد اغتنمت النمسا هذه الفرصة من ارتباك الدولة العثمانية وزحفت بجنودها

(١) مصدر سابق، ص ٣٠٣.

(٢) محمود شاكر: مرجع سابق، ج ٨، ص ١٣٥.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٧. يوسف أصف: مرجع سابق، ص ٩٤،

٩٥.

(٤) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٥.

(٥) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٧.

على ولايتي البوسنة والهرسك واستولت عليها،^(١) واستولت على قلعتي أرلو^(*) وليبيا^(**) وغيرهما، إضافة إلى احتلال البنادقة لمدينة ليبيا في بلاد اليونان بقيادة موروزيني، كما احتلوا كافة سواحل دالماسيا وأدالماتيا سنة ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٧م، وفي السنة التي تلتها سقطت مدائن سمندرية وقلومباز^(***) وبلغراد، وكان ذلك في سنة ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٨م. ثم فقدت الدولة العثمانية في سنة ١١٠٠ هـ / ١٦٨٩م مدينتي نيش وودين في بلاد الصرب.^(٢)

وإزاء هذه الأخطار الجسيمة التي واجهت الدولة العثمانية، قام سليمان الثاني بعزل مصطفى باشا من الصدارة العظمى، لعدم كفاءته وضعفه في مواجهة العدو، وعين كوبرلني مصطفى باشا، الذي كان يتمتع بكفاءة أبيه، فقام بكسب ود الإنشكارية، وحرز بذلك الانتصارات في الحروب التي خاضها.^(٣)

وقد استخدم معهم سياسة اللين تارة والشدّة تارة أخرى كما صرف لهم ما هو متأخر لهم من رواتب^(٤)، من أموال الأوقاف، حتى لا يكون لهم حجة في

(١) يوسف أضاف، مرجع سابق، ص ٩٥.

(*) أرلو: مدينة صغيرة ببلاد المجر، تقع شمال شرق مدينة بودابست، اشتهرت في التاريخ العثماني بصد هجمات العثمانيين، وإلزامهم وضع الحصار عنها في سنة ١٥٥٢م، ولكنها فتحت عنوة ١٥٩٦م. وبعد صلح سنة ١٦٠٦م، صارت تتبع النمسا تارة وترانسلفانيا تارة أخرى، وتسمى بلغة المجر إيجر والآن إيكير.

(**) ليبيا: في بلاد المجر تقع قرب إيكير، شمال شرق بودابست. محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٢٤١-٢٩١.

(***) يطلق عليها كولمباز: محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٠٥.

(٢) مصدر سابق، ص ٣٠٥، انظر بسام العسلي: مرجع سابق، ص ١٩٥. انظر سعيد برجايوي، مرجع سابق، ص ١٦٩.

(٣) محمد جميل بيهم: مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٤) بسام العسلي: مرجع سابق، ص ١٩٥.

اختلاس أموال الناس، ومنعهم من اغتيال الأهالي، وبذلك انتظمت أمور الجيش نوعاً ما. (١)

وبعد سليمان تولى أحمد الثاني الحكم، ولكن لم يذكر أن للإنشكارية تدخلات في السياسة العليا، أو حتى يذكر التاريخ أحداثاً مهمة فقد اقتصر الأمر على مناوشات حربية خفيفة في عهده. (٢)

أما عهد مصطفى الثاني، فقد تميز بهدوء الإنشكارية، نظراً لأن آل كوبريلي كانوا في الصدارة العظمى، فسارت الدولة في طريق الانتصارات إلا أنها منيت بسوء الحظ نتيجة استشهاد مصطفى باشا كوبريلي في حربه مع النمسا، وكادت الجنود تتشتت لولا أن مصطفى الثاني تولى قيادة الجيش بنفسه، ولكن الهزائم التي منيت بها الدولة كثيرة، أمام عصبة الأمم الأوروبية، النمسا - روسيا - البندقية - بولونيا حيث انتصروا على الجيش العثماني لافتقاره التنظيم وتمرد الإنشكارية مما أضعف الدولة العثمانية أمام التحالف الصليبي واضطراره إلى التوقيع على معاهدة كارلوفتس^(*) وبناءً على شروط المعاهدة انسحب العثمانيون من بلاد المجر وإقليم ترانسلفانيا وتركوها للنمسا وتركوا أراق لروسيا وتنازلت لبولونيا عن كامليك والبندقية عن دلمانيا. وحاول السلطان مصطفى الثاني التصدي لتدخلات الإنشكارية في السياسة، مما نتج عنه عزله عن الحكم، وتولية أحمد الثالث. (٣)

كما كان من أسباب عزله أيضاً، أنه عين رامي محمد باشا في الصدارة،

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٠٥.

(٢) مصدر سابق، ص ٣٠٧.

(*) كارلوفتس: بلدة يوغسلافيا على نهر الدانوب.

(٣) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣١٠. محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني،

ص ١٣٥، ١٣٦. محمد علي الصلابي: مرجع سابق، ص ٤٩٦.

والذي سار على خطى آل كوبرلي في إبطال تمرداتهم ومعاقبة المتسببين فيها ومنع المظالم، ومعاقبة المرتشين، إلا أن أصحاب المصالح والغايات ثاروا، فثارت معهم الإنشكارية لميلهم للسلب والنهب، وطلبوا عزل الصدر الأعظم، وعندما لم يوافق السلطان، ثاروا أكثر، فأرسل لهم فرقة من الجنود لتحاربهم، فانضمت إليهم، إضافة إلى أن عقد السلطان للصلح مع النمسا وفرنسا وإنجلترا أثار حفيظة الإنشكارية فقررت عزله في ٢ ربيع الآخر ١١١١هـ / ١٥ أغسطس ١٧٠٣م.^(١) وبعد جلوس أحمد الثالث على أريكة الحكم العثماني، ثارت الإنشكارية عليه وأرغمته على تعيين نيشانجي أحمد باشا^(٢) في الصدارة، وبدأوا في عزل أعظم رجال الدولة واستبدلوهم بمن أرادوا.^(٣) على أن السلطان أحمد الثالث، بقي متذكراً ما فعلوه، فانتظر حتى هدأت الأحوال، وحاول إيقافهم عند حد، وفرض هيبة عليهم مدة من الزمن، لكنهم ظلوا يتحينون الفرصة لاسترداد نفوذهم، ووجدوا الفرصة سانحة في عزم الدولة العثمانية عقد صلح مع دولة فارس، فثارت ثائرتهم.^(٤)

لقد نشبت الحرب بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية في عهد كلاً من

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣١١، انظر حبيب السيوفي: مرجع سابق، ص ٣٢.
(*) أحمد باشا: والدته من " ألبانيا " نشأ بجوار عمه الوزير " الحاج أبو بكر باشا، عمل في إستانبول في منصب القيادة، عين قائداً للرمية، ولاقى كثيراً من التقدير أثناء ذلك، عين والي على حلب وديار بكر وبغداد، وعين في الصدارة العظمى أثناء عهد أحمد الثالث توفي أثناء ولايته حلب. الموسوعة التركية: وقف الديانة بتركيا، ج ٢، د. ط. د. ت، ص ١١٤.

(٢) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٦. يوسف أصاف: مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٣) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٦.

أحمد الثالث وطهماسب الثاني، وكان سببها (*) عدم رغبة الدولة العثمانية في إعادة ما أخذته من الدولة الصفوية، من بلاد أجداده على حد قول طهماسب، وعندما رفضت الدولة العثمانية، أغار على حدودها، فرأى السلطان أحمد الثالث أن من مصلحة الدولة العثمانية عقد صلح مع الدولة الصفوية، (١) خاصة وأن السلطان أحمد كان عزوفاً عن الحرب، ورغب في تسوية النزاع القائم بين الدولتين بالطرق السلمية، ولكن الإنشكارية ثارت وتمردت عليه، (٢) مستثيرة حماس المواطنين (٣).

وكانت حجتهم أن وقف الحرب سوف يحول بينهم وبين الغنائم، كما أن نهب البلاد المفتوحة سيتوقف، وتزعم ثورة الإنشكارية بطرونا خليل (**) الذي طالب السلطان بتسليم شيخ الإسلام والصدر الأعظم وقائد البحرية قبودان باشا، بحجة أنهم مؤدين للصلح مع الدولة الصفوية. (٤)

رفض السلطان الاستجابة لطلبهم في بادئ الأمر، لكنه تراجع عن قراره حين تأكد من إصرارهم على قتلهم طوعاً أو كرهاً، وخشي على نفسه منهم، فسلم لهم الصدر الأعظم والقبودان باشا (**) وسمح لهم بقتلهم وتم قتلهم وإلقاء جثثيهما في البحر، لكنه طلب الإبقاء على حياة شيخ الإسلام خوفاً من إثارة الرأي العام

(*) لمزيد من المعلومات عن أسباب حرب الدولة العثمانية مع الدولة الصفوية الرجوع إلى بسام العسلي: مرجع سابق، ص ٢٠٨.

(١) بسام العسلي: مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٠٨.

(٢) عبد العزيز الشناوي: ج ١، مرجع سابق، ص ٥١٧.

(٣) بسام العسلي: مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٠٨.

(**) ينطق أيضاً بطرونا خليل. عبد العزيز الشناوي: ج ١، مرجع سابق، ص ٥١٧.

(٤) محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٥٣.

(**) أي أميرال الأساطيل البحرية. محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص ٣١٨.

وقبلت الإنشكارية هذا الحل على مضض. (١)

لكن انصياع السلطان جرأهم على الثورة عليه وعصيانه، فأعلنوا عزله في مساء نفس اليوم الذي قتلوا فيه الصدر الأعظم والقبودان باشا ١٥ ربيع الأول ١١٤٣هـ / ٢٨ سبتمبر ١٧٣٠م ونادوا بابن أخيه محمود الأول سلطاناً على الدولة وأذعن أحمد الثالث (*) لرغبتهم بدون معارضة وتنازل عن الحكم. (٢)

وهنا نلاحظ أن ثورات الإنشكارية أخذت جميع الاتجاهات ثورة للنهب والسلب وللتعدي على السلطان، وأخرى للتدخل في السياسة العليا، وهكذا أصبحت الأحوال داخل الدولة ضعيفة جداً نتيجة للتخبط في هذه الأروقة، كما وأن السلاطين صاروا ألعبوة في يد الإنشكارية يحركوهم كيفما شاعوا، مما زاد ضعف الدولة العثمانية على الصعيد الداخلي.

وهنا نرى أنهم أصبحوا كالنار يأكلون بعضهم، فأعمالهم العدوانية، لم تقتصر على السلاطين والصدور العظام وكبار رجال الدولة، بل امتدت إلى زعمائهم، حيث لم يكن للسلطان محمود الأول من السلطة إلا اسمها، (٣) ولم يكن سوى صورة لسلطان يجلس على عرش الدولة فلم يصدر قرارات ولم يُقد جيوشاً. وقد تبوأ الدولة وكان عمره خمسة وثلاثون عاماً، وكانت الأحوال في إستانبول مضطربة بسبب تمرد الإنشكارية. (٤)

وقد استأثر بالسلطة الفعلية والنفوذ بترونا خليل رئيس الإنشكارية وقائد

(١) عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ج ١، ص ٥١٨.

(*) لم تقتله الإنشكارية، وإنما بقي معزولاً إلى أن وافته المنية في سنة ١١٤١٩هـ. محمد فريد

المحمي: مصدر سابق، ص ٣١٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٣١٨-٣١٩.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٨.

(٤) إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار في دول البحار، ج ١، ص ٦٢٢.

الإنتلاب ضد السلطان أحمد الثالث، فكان هذا الأخير يولي في مناصب من يريد ويعزل من لا يريد، وأصبح كبار رجال الدولة يتمنون رضاه عنهم، وزاد استبداده، حتى بدأت الإنشكارية تنقم عليه، فقد تحركت الأطماع داخلهم، وطالبوه بتحسين أوضاعهم المادية، ولكنهم اكتشفوا عكس ذلك، إذا أنه كان سيتولى على جزء من مخصصاتهم المالية، فقرروا التخلص منه، معتمدين على كثرة عددهم، وتم قتله دون أن يدافع أحداً عنه وبمقتله، عادت السكينة والهدوء إلى استانبول، وأمن الأهالي على أرواحهم وأموالهم، وبدأ السلطان في سياسة حربية نشيطة ضد الدولة الصفوية ثم ضد النمسا وروسيا. (١)

وعندما تولى عثمان الثالث الوضع لم يتغير وبقي التحكم في يد الإنشكارية. أما مصطفى الثالث فقد تجنب الاحتكاك بالإنشكارية، وأراد أن يكون حكمه أمناً، حتى لا يصيبه ما أصاب خلفه، وقام بعدة إصلاحات في الجيش لكنها لم تثمر لأنها لم تمتد إلى الإنشكارية (٢) إلا أن بقيت الحروب متصلة مع الفرس تارة ومع روسيا والنمسا تارة أخرى، وقد استمرت الحرب مع روسيا، وقد كلفت الدولة العثمانية الكثير. (٣)

وفي أثناء الحرب مع روسيا كان الجيش بقيادة الصدر الأعظم، وبعد عدة معارك، ثارت الإنشكارية، وكانت العساكر قد كلفت من الحروب وشقت عصي الطاعة على قائدها، وتركوه في ساحة المعركة وعادوا إلى استانبول وعندما علم السلطان بذلك وجد أنه لا مفر من عقد الصلح مع روسيا، وعرفت هذه المعاهدة

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣١٢ - ٣٢٠. عبد العزيز الشناوي: مرجع

سابق، ج ١، ص ٥١٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٥١٩.

(٣) محمد جميل بيهيم: فلسفة التاريخ العثماني، ص ١٣٦.

باسم كوتشك قينارجيه^(*)

لقد سيطرت على الفترة السابقة رؤوس متعصبة تبغي المنفعة والسلطة وأفكار محدودة الأفق لا ترتبط بمصلحة الدولة بل كانت الدولة ضحيتها، فقد صارت الدولة نطاق مليء بالعصيان، وهذا العصيان يحدث ثقب وثغرات في جسم الدولة مما يهددها بالزوال.^(٢)

لقد كانوا أحد الأسباب غير المباشرة في عقد صلح كوتشك قينارجيه وهذه المعاهدة كانت مجحفة في حق الدولة، ولكن الدول اضطرت لها نظراً لهروب جيشها من ساحة المعركة.

وظل الحال كما هو في عهد عبد الحميد الأول من تدخل في السياسة خاصة وأن الحرب مع روسيا كانت مستمرة، لكن لم يذكر في المصادر التاريخية تدخل الإنشكارية مباشرة في السياسة العليا، ولكن هذا لا يمنع عدم تواجدهم على الساحة السياسية.

لقد حفل تاريخ الإنشكارية في هذه الفترة بشتى أنواع التخريب والدمار فقد تحولوا من أداة بناء تحافظ على الدولة، إلى معول هدم وتخريب، ومن قوة حربية عالية الكفاءة، إلى ما يشبه اللصوصية، وقطع الطريق، وسلب الأرواح والأموال، وخير دليل ما حدث في دمشق وبلاد الصرب. فمثلاً في دمشق نجد أن صراع الإنشكارية مع الشعب حول دمشق إلى ساحة لطغيان الإنشكارية وتخبط

(*) عقدت معاهدة كوتشك قينارجيه بعد أن انتقل السلطان مصطفى الثالث إلى الرفيق الأعلى، وقد عقد في ٩ شوال ١١٨٧هـ / ٢٤ ديسمبر ١٧٧٣م، وأبرمت في مستهل حكم أخيه السلطان عبد الحميد الأول. عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ج ١، ص ٥١٩.

(١) يوسف أصاف: مرجع سابق، ص ١١٠، انظر أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص ٢٢٨.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٤. منقولاً عن مقدمة رفيق قباقيجي مصطفى.

موقف باشوات الشام في الانضمام إلى الإنشكارية أو الوقوف ضدها في بعض الأحيان انضمت إلى الإنشكارية وفي أحيان أخرى إلى الدروز وظلوا يهددون دمشق فترة من الزمن بالإغارة عليها وصارت بينهما عدة مصادمات، كان من نتائجها ضياع المال والأرواح من الأهالي. (١)

أما ما حدث في الصرب فهو خير دليل على الصورة السابقة، فبعد فتح بلاد الصرب أعطيت كافة أراضيها إلى الفرسان على شكل إقطاعات، وعندما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية والنمسا وروسيا في ١٢٠٣هـ / ١٧٨٨م في عهد عبد الحميد الأول، استطاعتا إزال الهزائم المتلاحقة بالدولة العثمانية وهاجر كثير من أهالي الصرب إلى النمسا وبلاد المجر، حيث انضموا إلى سلك الجندية النمساوية، أملاً في أن تنتهي الحرب بهزيمة ساحقة للدولة العثمانية، لكن نشوب الثورة الفرنسية ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م، أدى إلى نهاية الحرب، وتم عقد صلح مع النمسا في ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م ثم تلتها معاهدة مع روسيا. (٢)(*)

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل قامت الإنشكارية بحركات عصيان ضد أهالي الصرب، وبالتالي أفسدوا سياسة الدولة العليا، وبعد نهاية الحرب، عاد الصربيون الذين انخرطوا في سلك الجندية النمساوية، إلى بلادهم، وبدأت الإنشكارية التعرض لهم، بالقتل بوحشية لم يسبق لها مثيل، والسلب، والنهب، (٣) وكانت حجتهم في ذلك أن هؤلاء رفعوا السلاح ضد دولتهم، ووقفوا مع أعداء

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٥.

(*) احتفظت في المعاهدة روسيا ببعض الأقاليم التي كانت قد استولت عليها أثناء الحرب انظر عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٠.

(٢) مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٠. انظر فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٨٣. انظر محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص ٢٥٣.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٠.

الدولة العثمانية، فلا بد من التنكيل بهم والتخلص منهم، فقامت بنهب قرى الصرب، والتعدي عليهم بكل أنواع الإهانة. (١)

وقد كان هذا تبريراً يتسترون به على غرضهم الحقيقي، وهو تحقيق منافع شخصية وعاجلة لهم، وطبعاً هذه الأعمال أخرجت الدولة العثمانية وسياستها العليا، حيث نصت الفقرة الثانية من المادة الأولى من معاهدة الصلح، أن يمنع حصول التعدي والإهانة من أحد الطرفين على الآخر، ويتم العفو عن كل من اشترك في الحرب، خاصة أهالي الصرب والبوسنة والجبل الأسود والأفلاق والبغدان، بحيث يعودوا إلى أوطانهم ويتمتعوا بجميع حقوقهم وأموالهم، دون أن يتعرض أحداً لهم بالأذى أو المساءلة أو العقاب. (٢)

وقد أرسلت الدولة العثمانية تعليمات سريعة إلى الوالي العثماني في بلغراد، تستنكر فيها تصرفات الإنشكارية ضد الصربيين، وقضت التعليمات بأن يتم تنبيه الإنشكارية إلى أنه أصدر عفواً عاماً لأهل الصرب، إضافة إلى أن يمنع اعتدائهم على الصربيين، إلى أن الإنشكارية ضربت بهذه الأوامر عرض الحائط، واستمرت في اعتدائها. (٣)

وقد توالى شكايات الأهالي من ظلم الإنشكارية، فأمرت الدولة الوالي بمعاينة الإنشكارية وإخراجهم من أراضي الصرب، فلم يمتثلوا لهذه الأوامر، فحاربهم الوالي بمساعدة السباه " الفرسان الإقطاعيين " وتغلب عليهم وأخرجهم من بلغراد بعد أن قتل رئيسهم " ولي أحمد " (٤) وهكذا نجد أن بلاد الصرب عانت منهم

(١) محمد فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٨٣.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢١.

(٣) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول: رقم الوثيقة ٣٩٤٦ تصنيف HAT.H عبد العزيز

الشناوي: المرجع السابق، ج ١، ص ٥٢١.

(٤) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص ٣٨٣.

الكثير، لقد فسد فيها الإنشكارية لدرجة أن أصبحوا من الأسباب التي أدت إلى استقلال الصرب عن حكم العثمانيين.

وقد أرسل السلطان يهدد الإنشكارية بأنه سيرسل لهم جيشاً من ديانة أخرى ليحاربهم، ففسرت الإنشكارية ذلك القول أن السلطان يقصد الصربيين فقاموا بعمل مذبحه رهيبة بالصربيين مما أدى إلى تأزم الوضع.^(١)

وبعد ذلك التجأت الإنشكارية إلى بازوند أوغلي^(*)، وهو أحد المغامرين الثائرين، وقد شق عصا الطاعة على الدولة العثمانية، وأتخذ من ولاية ودين^(**) مقراً له، وجمع حوله قطاع الطرق، والإنشكارية الثائرة، وقد حاربت الدولة عدة مرات، ولكنها فشلت في التخلص منه، فأرسلت حسين باشا^(***) لمحاربته، والذي خاف من أن يحذو حذوه حكام الولايات العثمانية في البلقان، ويقوموا بتمردات ضد الدولة العثمانية، فاقترح على سليم الثالث أن يعطيه حكم ولاية ودين طوال حياته، وفعلاً تم هذا الأمر، وقد انضوت تحت لواء الإنشكارية، وقد توسط لهم عند الباب العالي حتى يعودوا لبلغراد، بشرط أن يلتزموا الهدوء وعدم التعدي على الأهالي، إلا أنهم لم يلبثوا أن حاصروا بلغراد ودخلوها عنوة، ولم يرجعوا

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٦.

(*) يرد ذكر اسمه في بعض المصادر: باسبان أوغلي، بازوانت أوغلي، بازواند زاده عثمان.

عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ج ١، ص ٥٢٢.

(**) ودين تقع في بلغاريا، ويرد ذكر اسمها أحياناً فيدين، وهي مدينة حصينة تقع على نهر

الدانوب وذات موقع استراتيجي، واكتسبت شهرتها في الدولة العثمانية لأنها مقر بازواند

أغلي. انظر المرجع السابق، ص ٥٢٢.

(***) يعد حسين باشا من أعلام العسكريين العثمانيين. وكان الذراع الأيمن للسلطان سليم

الثالث وقد نفذ فكرة تطوير القوات المسلحة العثمانية، ورأى ضرورة التخلص من

الإنشكارية، وتم تعيينه قبوداناً عاماً. المرجع السابق، ص ٥٢٢.

عن غيهم، واستمروا في نهب وسلب البلاد مرة أخرى، ونشروا الفساد في المدينة. (١)

وعندما فاض الأهالي، من أفعال الإنشكارية، قرروا الدفاع عن أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، ورأوا ضرورة استخدام القوة لردع الإنشكارية، وانتخبوا رئيساً لهم جورج بتر وفتش^(*) أو قره جورج، أي جورج الأسود، وبدأ الصربيين في مطاردة الإنشكارية حتى أبعدوهم عن القرى، وأحكموا حولهم الدائرة حتى حصروهم في المدن، وسكان هذه المدن كانوا على أهبة الاستعداد للاتقضاض على الإنشكارية إذا ما قاموا بأعمال سلب أو نهب. (٢)

وهنا أدركت الدولة العثمانية خطورة الموقف، نتيجة تصرفات الإنشكارية في الصرب، فخافت أن تنقلب ثورة الصربيين ضد الإنشكارية وتصبح ضد الوجود العثماني في الصرب، فأرسلت إلى والي البوسنة بكير باشا تطلب منه الزحف على بلغراد وطرد الإنشكارية منها، وقد نجح هذا في دخول بلغراد وتنفيذ المهمة التي أرسل من أجلها وتم طرد الإنشكارية من بلغراد. (٣)

(١) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص ٣٨٣. انظر المرجع السابق، ص ٥٢٢-٥٢٣.
(*) ولد هذا الثائر في بلغراد سنة ١٧٧٠ م، وكان يلقب بقره جورج أي الأسود، وهو أول من جمع الصربيين على مقاومة الدولة العثمانية وطلب الاستقلال، في سنة ١٨٠٦ م نال بعض الامتيازات التي عادت وسحبته الدولة العثمانية عام ١٨١٣ م وطردته فهاجر إلى روسيا حيث عين هناك قائداً لجيوشها وفي سنة ١٨١٧ م حاول الرجوع إلى الصرب لإثارة الفتن فقبض عليه ميلوش وقتله وأرسل رأسه إلى إسطنبول علامة على ولائه. وينسب إليه أنه قتل أباه وأخاه عندما أحس ميلهم للعثمانيين. انظر محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

(٢) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص ٣٨٣، ٣٨٤.

(٣) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٣.

وكان هذا يدل على مدى فساد الإنشكارية، وأنها صارت عالة على الدولة العثمانية، لدرجة أنها تتعاون مع الصربيين لطردهم والتخلص من شرورهم، وهذا يوضح مدى فقد الدولة العثمانية لزام السيطرة على الإنشكارية ومن ثم عدم قدرة الدولة العثمانية السيطرة عليها. (١)

ومع كل هذه الجهود المهددة من قبل الدولة العثمانية لم تخضع الإنشكارية ولم تقدر وضع الدولة العثمانية التي كان أعدائها من الروس والنمسا يتربصون بها.

فقد عادت الإنشكارية لسيرتها الأولى، وجمعوا فلولهم، وبدأوا في ممارسة أعمالهم العدوانية مرة أخرى، فقامت صربيا بزعامة قره جورج عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٤م وقاتلت الحامية العثمانية في بلغراد، وأعلنت فيها مذبة رهيبة، على اعتبار أنها المسؤولة عن أعمال الإنشكارية الإجرامية وعن ابتعادهم عن القواعد العسكرية. وقد اتشحت هذه الحرب بمذابح دموية، وأخيراً بعد حرب ثمانية سنوات، وحصلوا على وعد بالاستقلال الذاتي في المعاهدة العثمانية الروسية عام ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م (٢)

ويتضح من تمردات الإنشكارية في بلاد الصرب، أن شرورهم وصلت إلى البلقان ولم تقتصر على إستانبول والبلاد العربية، وأنهم كانوا مقدمة لاستقلال الصرب، حيث أن حرب الإنشكارية تطورت إلى حرب ضد الوجود العثماني. ونجد أن أول شعب سعى للخروج عن الدولة العثمانية هم شعب الصرب، على الرغم من أنهم كانوا أكثر خضوعاً للعثمانيين من شعوب منطقتي مولدافيا و ولاشيا، وكان ضعف الدولة وتباطؤها في معاقبة الإنشكارية في صربيا وقتاً مناسباً لقيام

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٦.

(٢) عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٥.

شعوب البلقان بحركات انفصالية. (١)

ومع بداية حكم السلطان سليم الثالث، قامت الإنشكارية بحركات عصيان في مصر ضد الوالي العثماني هناك بسبب رغبتهم في أخذ المكافأة والعودة إلى بلادهم حيث لم يصبروا حتى يرد أذن سفرهم واستعجلوا الرحيل فما كان من الوزير إلا أن حبسهم في القلعة حتى يرد الإذن بإنهاء للتمرد (٢)

وقد قامت الإنشكارية بتمرد على السلطان سليم الثالث وعزلوه، ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى قتله، وكان من نتائج قتل سليم الثالث أن قام تمرد عارم في جميع الأوساط، أصبح الوضع غير محتمل، خاصة وأن الدولة العثمانية تعاني من عدة جبهات مفتوحة عليها.

ولم يتوقف شغب الإنشكارية في عهد مصطفى الرابع إذ أنهم تمردوا على السلطان عندما أقال شيخ الإسلام عطاء الله أفندي، لأنه كان يحرضهم على الأعمال العدوانية، فتمردوا عند إقالته وأعادوه إلى منصبه مرة أخرى فطغى واستبد بالأمر وزادت الأحوال تكدراً. (٣) في أثناء ذلك كانت الحرب دائرة بين الدولة العثمانية وروسيا عند نهر الطونة، فوصلت أخبار إبطال النظام الجديد إلى الإنشكارية في ساحة المعركة، فسعدوا بذلك كثيراً وشملهم السرور، وعندما أحسوا من القائد العام الصدر الأعظم حلمي إبراهيم باشا، عدم ارتياحه لما حدث من إلقاء النظام الجديد، قاموا بقتله، وتعيين جلبي مصطفى باشا مكانه، وبالتالي فشلت الجيوش العثمانية في الاستمرار في الحرب، ولو أن جيوش روسيا متكاملة في مواجهة الدولة العثمانية لكانت نتائج هذه الحروب وخيمة على الدولة

(١) مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٦.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء: وثيقة رقم ٦٦٣٣ HAT.H.

(٣) إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ١، ص ٢٦١.

العثمانية، فقد كانت أغلب جيوش روسيا تواجه الإمبراطور نابليون بونابرت. (١)
لقد عمت الفوضى في صفوف الإنشكارية، لدرجة أنهم يقتلوا قائدهم العام،
وفي وسط حرب، لمجرد أنه لم يستحسن إلغاء النظام الجديد، لقد وصلوا إلى
درجة كبيرة من الاستهتار والفوضى.

إن وصول الفتن والحروب والخروج عن القانون، وحدثت الخصومات أدت
إلى تزايد الكروب على الناس وكثر الظلم والجور وكل ذلك بسبب شغب الجنود
والعساكر الإنشكارية. (٢)

أما عهد محمود الثاني فقد كثرت تمرداتهم في الأقاليم وتعيدهم على أمن
الأهالي، بل وتعدى ذلك بتعيدهم على الوالي العثماني في الأقليم.

فعلى سبيل المثال نجد أنهم تعرضوا لمصطفى باشا الوالي العثماني في
البوسنة، بالإفتراء والاعتداء، ونشروا حوله الأكاذيب كما تعدوا على قاضي
محكمة ترافنيك، حتى فر من أيديهم، وكان هدفهم من هذا التمرد مده حتى يصل
إلى أستانبول. (٣)

كما زادت تمرداتهم في محافظة خربوت، على الرغم من أن أغا الإنشكارية
هناك أظهر الطاعة، إلا أن الجنود كانوا على العكس، كثرة اعتداءاتهم، مما سبب
صدمة للدولة العثمانية حيث رأت أنه لا يجوز أن تترك المنطقة على هذا الحال،
لأن الإنشكارية بدأت تتدخل في السياسة العامة، فقررت الدولة العثمانية عزل

(١) محمد فريد المحامي: المصدر السابق، ص ٣٩٤.

(٢) عبد الغني النابلسي: الكشف الشافي والبيان الوافي في معرفة حوادث الزمان في دولة آل
عثمان، مخطوط محفوظ في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، تحت
رقم ٢٠٦٦٦، ورقة ٨.

(٣) أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول: رقم الوثيقة ٢١٨١٣ HAT.H.

الأغا وتعيين مكانه آخر، وأمر السلطان بإعدام المتسببين في هذه التمردات. (١)
 كما كثر تعديهم على مزارع الأهالي في بلاد الشام وخاصة قسبة سلوري،
 وكانوا يعتدون على المزارعين في منازلهم ويهتكوا الأعراض، وأظهروا القوة
 والخشونة، مما دفع بنائب سلوري الاستنجد بإستانبول لإرسال ضباط لحفظ الأمن
 في المنطقة من تعديات الإنشكارية. (٢)

ومن العرض السابق يتضح لنا أنهم تسببوا في ضياع كثير من ممتلكات
 الدولة العثمانية، كما وأنهم تسببوا في توقف حركة الفتوحات في بعض الأحيان،
 ومما لا شك فيه أن تدخلهم في المسائل السياسية العليا كان له أبلغ الأثر في
 إرهاب الدولة داخلياً، وجعلها دائماً في حالة ترقب لهم ولأعمالهم، مما جعلها
 مشغولة في أمورها الداخلية، الذي أدى بدوره إلى إنقضااض الأعداء عليها من كل
 الجهات.

لا شك أن ضعف شخصية السلاطين ساعد على ظهورهم بشكل كبير على
 مسرح الأحداث السياسية، وبلغوا من القوة أنهم قضوا على أي سلطان قوي، أو
 محاولة إصلاح جادة، وهم بذلك وقفوا موقفاً عدائياً من الإصلاح والنظم الحديثة
 ورفضوا أي استخدام للأسلحة الحديثة، مما عطل من تطويرهم ومن ثم خسرانهم
 أغلب المعارك التي دخلوها.

ومن هذا العرض السابق يتضح لنا أنهم تسببوا في ضياع كثير من ممتلكات
 الدولة العثمانية بسبب شغب الجنود والعساكر الإنشكارية. (٣)، كما وأنهم تسببوا

(١) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول: رقم الوثيقة ١٦٦٧٣، خط همايوني H.H.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول: رقم الوثيقة ١٧١٠٧ HAT.H.

(٣) عبد الغني النابلسي: الكشف الشافي والبيان الوافي في معرفة حوادث الزمان في دولة آل

في توقف الفتوحات في بعض الأحيان، ومما لا شك فيه أن تدخلهم في المسائل السياسية العليا كان له أبلغ الأثر في إرهاب الدولة داخلياً، وجعلها دائماً في حالة ترقب لهم ولأعمالهم مما جعلها مشغولة في أمورها الداخلية، مما أدى إلى انقضااض الأعداء عليها من كل الجهات، لا شك أن ضعف شخصية السلاطين ساعد أيضاً على ظهورهم بشكل كبير على مسرح الأحداث السياسية، وبلغوا من القوة، لدرجة أنه عند اعتلاء أريكة الحكم العثماني سلطان قوي، وأراد الإصلاح قاموا بخلعه وقتله، وبذلك وقفوا موقفاً معادياً من الإصلاح والنظم الحديثة ورفضوا أي استخدام للأسلحة الحديثة، مما عطل في تطويرهم ومن ثم خسرتهم أغلب المعارك التي دخلوها.

الفصل الثالث

تفاقم خطر الإنكشارية

المبحث الأول :

موقف الإنكشارية من النظم العسكرية الحديثة

المبحث الثاني :

إلغاء فيالق الإنكشارية ومناقشة وجهات النظر حول إلغائها

المبحث الأول

موقف الإنكشارية من النظم العسكرية الحديثة

مع حلول القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي بدأت تظهر في الأفق مشكلة جديدة للإنكشارية، وهي قصور الناحية العسكرية، ومن ثم خسرتها أغلب المعارك التي تدخلها، إضافة إلى ما سبق ذكره عن تمرد الإنكشارية وثوراتهم الدائمة.

إن قصور الناحية العسكرية جاء من استخدام الإنكشارية أسلحة قديمة غير متطورة، ولعدم مواكبتها لروح العصر السائدة، خاصة في أوروبا، فأصبحت في أمس الحاجة إلى التطوير والإصلاح بعد أن أصابها الجمود. وإذا قورن الوضع بما هو عليه في الغرب، فإن الفرق واضح حيث كانت أوروبا في تطور مستمر في نظم الحرب ووسائله مع استخدام أسلحة حديثة أكثر قدرة على التدمير، إضافة إلى اهتمام قيادات الجيوش الأوروبية بالبحث عن طرق جديدة تساعد على التحصين والهجوم والدفاع عن القلاع والمدن.

وكان طبيعياً جداً أنه عندما يفكر السلاطين في الإصلاح تتجه أنظارهم إلى الجيش، وبالأخص جيش الإنكشارية للحفاظ على الدولة وأمنها واستمرار حركة فتوحاتها. وهكذا جاء الإصلاح نتيجة لضرورة ملحة، إضافة إلى إعجاب السلاطين بأنظمة أوروبا العسكرية.

لقد كانت أوروبا تعيش حركة علمية ملحوظة في أعقاب الثورة الصناعية، في الوقت الذي وقف فيه الفتح العثماني، وأرتد في اتجاه مضاد، مما أدى إلى عجز الأنظمة القديمة الحربية في الدولة العثمانية عن مواجهة الظروف الجديدة،

فاضطرب الأمن وسادت الفتن والقلق في أجزاء الدولة. ^(١) وهكذا كان لعدم وجود هذه التطورات العسكرية في الإنكشارية أثره في عجز الجيش عن مسايرة جيوش أوروبا.

وعندما حاول بعض السلاطين إصلاح الإنكشارية وإصلاح وضع أسلحتها القديمة، دفع بعض هؤلاء السلاطين حياتهم ثمناً لهذه الرغبة، مثل عثمان الثاني، وإبراهيم الأول، وسليم الثالث وغيرهم.

ومع حلول القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي أصيبت الدولة بهزائم متكررة، وفادحة أمام الأعداء، والتي كشفت بجلاء أن الدولة بكيانها القديم لن تستطيع حماية وجودها أمام الدول الأوروبية، ^(٢) خاصة مع تنامي قوة أوروبا الاقتصادية إلى جانب تطور الأسلحة والمرونة السياسية التي تميز بها حكامها. ^(٣) فأصبح أمر إصلاح الإنكشارية ضرورة ملحة، بعد تحولها من أداة ظفر إلى أداة تخريب وهزيمة.

وأصبح لا مفر من الاتجاه نحو إجراء تنظيم عام في كافة المؤسسات والتي من خلالها تستطيع الدولة العثمانية الوقوف على قدميها من جديد، خاصة وأن الهزائم الفادحة التي لحقت بالدولة العثمانية جعلتها تسارع في إصلاح العسكرية وتنظيم الإنكشارية وفق الأساليب التي سارت عليها الدول الأوروبية. ^(٤)

ولأجل هذا التأخر في التنظيم العسكري صارت جميع الحروب التي تخوضها

(١) أميره مداح : مرجع سابق، ص ٦١.

(٢) أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ج ١، ص ٧٨. أنظر عبد العزيز عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية، ص ٨٢، ٨٣.

(٤) محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص ٢٤٥.

(٥) أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ج ١، ص ٧٩.

الدولة العثمانية، كثيراً ما تنتهي بهزائم شنيعة، حتى أن حدود الدولة أخذت تتراجع وتتقلص في الجهات المتاخمة لأوروبا^(١)

وعندما قررت الدولة العثمانية تطوير الجيش، بإدخال النظم العسكرية الحديثة زادت مشكلة الإنشكارية تفاقمًا. ولم يكن أمر إصلاح الجيش سهلاً أبداً، إذ أنه قوبل بمعارضة شديدة جداً، واستهلك قوة رجال الدولة وجهودهم لمدة تزيد عن نصف قرن. وانقسم الرأي ما بين مؤيد للإقتباس من الغرب، وآخر معارض ذلك، إضافة إلى رأي ثالث يرى ضرورة الإصلاح.^(*)

ويبدو أن المشكلة كانت تكمن في استعلاء شعب الدولة العثمانية واحتقارهم لكل ما هو أوروبي، وقد أوضحت الوثائق هذا بالألفاظ وعبارات توضح استعلائهم على كل ما هو غير إسلامي، ووصفتهم بأنهم كفار لئام، وغير ذلك على الرغم من أن الإسلام لا يمنع الأخذ من الغرب في النواحي التي لا تمس العقيدة الإسلامية.^(٢)

وقد كانت العقبة أمام السلاطين المصلحين هي كيف أن أمة ظلت قروناً عديدة تكره أوروبا بشدة، ثم تضطر في حقبة من تاريخها أن تقتبس منها، ويزداد الأمر غرابة بملاحظة الفئة التي تطالب بالإصلاح فقد جرت العادة أن الشعب هم من يطالب بالإصلاح، والحكام يرفضوا هذا الأمر، ولكن هنا الصورة تختلف، فالسلطان هو من يطالب بالإصلاح، بينما تعارضها فئات من الشعب منها

(١) ساطع الحصري : مرجع سابق، ص ٧٣.

(*) لمزيد من تفاصيل جهود الدولة العثمانية في تطوير الإنشكارية على الأسس الأوروبية الحديثة الرجوع إلى إحسان ثريا صرما : مساوئ التنظيمات، د.ط، د.م، ١٩٨٨م، ص ٦٥.

(٢) أميرة مداح : مرجع سابق، ص ٦٢.

الإنشكارية وبعض رجال هيئة العلماء ممن تسرب إليهم الخلل أيضاً^(١) واستعان بهم الإنشكارية في رفض الإصلاحات، وتفسيرها بأنها محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.^(٢)

وفي مطلع القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، كان على الدولة العثمانية أن تخرج من هذا الوضع، أو تسقط العاصمة في أيدي الأعداء، وينهار البناء كله، وصار الخروج من هذا الظلام والأخذ بالأفكار الأوروبية وإعادة بناء الدولة أمراً حيوياً، ولكن كيف السبيل إلى ذلك وكل خطوة ناحية الإصلاح تقابل بعنف وفتاوي بالإنحراف، ويتعرض السلطان إلى نقمة الإنشكارية، وإنتقامها، وينتهي الأمر إما بالعزل أو القتل، وإراقة الدماء، ويعم العاصمة الفتن الدموية والتمردات وتراجع الدولة مرة أخرى إلى ما كانت عليه من توقف وشلل.^(٣)

وإذا فصلنا موقف الإنشكارية من النظم الحديثة، وموقف السلاطين منهم، وتناولنا بشيء من التوسع، نجد أن مشكلة قصور أسلحتهم عن مسايرة أسلحة أوروبا المتطورة أول ما ظهرت في عهد مراد الثالث وإن لم تأخذ الشكل الواضح الأساسي، كالذي أخذته في عهد من جاءوا بعده.

وإنما وجدت كبذرة صغيرة نمت فيما بعد، ففي عهد مراد الثالث نشبت الحرب العثمانية الفارسية والتي استهلكت من قوة الدولة الكثير، حيث أرسلت الدولة العثمانية جيشاً لبلاد الفرس، جهزته بسرعة، وأمدته بالأسلحة المتوفرة، وذلك

(١) أميرة مداح: المرجع السابق، ص ٦٢.

(٢) عبد الوهاب بكر: مرجع سابق، ص ٥٨.

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٢.

ليستغلوا أوضاع الفرس الداخلية،^(*) فحقق هذا الجيش انتصاراً، ولكنه عكس التوقع فلم يكن على المستوى المطلوب لا سيما وأن أعداد الجيش العثماني كان أكثر من جيش الفرس بكثير. (١)

أما في عهد عثمان الثاني فقد تميز عهده بمنهجين أراد تطبيقهما المنهج الأول إنشاء قوة عسكرية جديدة منظمة على أحدث الفنون العسكرية تحل محل الإنشكارية، والمنهج الثاني القضاء على الإنشكارية والتخلص من نفوذهم، أو العمل على تقليل وتقليص نفوذهم على الأقل.

وكان عثمان الثاني من سلاطين فترة الضعف، ولكنه حاول أن لا يستسلم للإنشكارية، وقد أدرك أن الخلل وأسباب الانحدار يكمن في العلماء فلم يحدث أن استطاع سلطان إخماد أي عصيان عسكري أيده العلماء، ولكن الإنشكارية ثارت عليه، وتجمع الثوار وطالبوا السلطان برؤوس ستة أشخاص، أولهم أستاذ السلطان عمر أفندي وهو صاحب الفكرة الحقيقية للإصلاح، وكان يعتبر الرجل الثاني بعد شيخ الإسلام، فأصدر السلطان عثمان الثاني بيان وعد فيه بعدم تسليم الرجال المطلوب إعدامهم، واستهان بالثوار علناً، فأتدفع الثوار لداخل القصر ثائرين. (٢)

ولم تكن فكرة إصلاح الإنشكارية، من بنات أفكار عثمان الثاني، وإنما تعود

(*) أراد الصدر الأعظم محمد باشا صقلي استغلال الاضطرابات الداخلية لبلاد العجم، فقد توفي الشاه طهماسب سنة ٩٨٤ هـ، ١٥٧٦م وتولى بعده ابنه حيدر الذي قتل بعد توليه بساعات ودفن مع أبيه، ثم تولى إسماعيل الأبن الآخر لطهماسب والذي توفي مسموماً ٩٨٥ هـ، وخلفه أخوه محمد خدابنده أي عبد الله، وكانت البلاد منقسمة عليه. محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٢٦١.

(١) كارل بروكلمان : مرجع سابق، ص ٤٦٦. فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٢٦٢، ٢٦١.

(٢) يلمازا وزوتونا : مصدر سابق، ج ١، ص ٤٦١، ٤٦٢.

إلى سنة ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٦م في أواخر عهد مراد الثالث وبداية عهد محمد الثالث، فقد كان أول من فكر بها هو الخوجة سعد الدين أفندي ثم ورث هذه الفكرة أستاذ ومعلم السلطان عثمان الثاني وهو عمر أفندي، وهذا هو الذي لقن السلطان الشاب أفكار الإصلاح، وبدأ عثمان الثاني في تنفيذ هذه الأفكار خاصة وأنه قرأ كتباً أوروبية كثيرة وصارت لديه فكرة عن أوروبا ونظمها الحديثة، وقد نفذها بصورة سريعة دون مراعاة لشعور الناس، مما سبب الخوف والفرع، إضافة إلى أن هذه الإصلاحات كانت تحتاج إلى إعداد فرق جديدة. (١)

أراد عثمان الثاني تأسيس فرقة عسكرية على النظم الحديثة في نظام الجيش الأساسي وتكوينه، ورأى أن تسلط هؤلاء على أجهزة الحكم سبب مباشر في الاستبداد والرشوة والتفكك الذي أصاب الدولة. (٢)

وقد حاول عثمان الثاني خلال الفترة القصيرة لتوليهِ العرش أن يدخل إصلاحات على القوة العسكرية العثمانية، وللوصول إلى ذلك رأى من الضروري تقليص نفوذ الإنشكارية. (٣)

وشرع عثمان الثاني في تنفيذ خطته الإصلاحية، فأرسل تعليمات سرية إلى العديد من البكر بك، لجمع الجنود من آسيا وتدريبهم في محاولة لتنظيم مشروعة، (٤) واعتمد في هذا المشروع على الفلاحين من سوريا والأناضول وأمر بحشد القوات في ولايات آسيا، وأهتم بتدريبها وتنظيمها، ولكنه تعمد

(١) يلمازا أوزتونا : مصدر سابق، ج ١، ص ٤٦٠، ٤٦١٥.

(٢) عبدالوهاب بكر: مرجع سابق، ص ٥١، ٥٢.

(٣) سيد مصطفى : مرجع سابق، ص ١٢.

(٤) يلمازا أوزتونا : مصدر سابق، ج ١، ص ٤٦٠. أنظر أيضاً على حسون : مرجع سابق،

تقليص صلاحيات العلماء، وهو بذلك ضرب على وترأ هاماً للغاية، أفسد عليه كل نظامه الإصلاحية فقد حاول إنقاص نفوذ هذه الهيئة الدينية "العلماء" حتى لا تستخدم صلاحياتها الدينية لإيقاف وعرقلة محاولاته الإصلاحية، مما أدى إلى حدوث مواجهة معهم، وحتى مع أبي زوجته شيخ الإسلام خوجة أسعد أفندي^(*)، كما وأن الإنشكارية قد فقدت صبرها عليه، وتوجست من إصلاحاته في الجيش الشر، وأحسوا بأن الخطر يداهمهم فقاموا بعمل ثورة على السلطان عثمان الثاني.^(١)

وهكذا وجد عثمان الثاني نفسه بين جماعتين حانقتين على إصلاحاته ومعنيتين بإيقاف هذا الإصلاح، من أجل نفوذهما وهما "الإنشكارية - العلماء" واللتين اتحدتا للتخلص من حكمه وممن أيدوه في الإصلاح، ووقعت في عام ١٠٣١هـ / ١٦٢١م مأساة عثمان الثاني وتوقف الإصلاح، ولم يتوقف الفساد المتغلغل في فرقة الإنشكارية، واستمر الحال على ما هو عليه، واستمرت الفوضى والعناد من الإنشكارية ضد النظم الحديثة.^(٢)

وكانت هذه الثورة قد حصلت على تأييد العلماء لأن أي تمرد لا يحصل على دعم العلماء، يستطيع السلطان إخماده، وفي هذه الثورة لم يتمكن من إبادة الإنشكارية والتخلص من شرورهم بل انقلب الوضع عليه، وأبادته الإنشكارية مع

(*) وهو ابن شيخ الإسلام خوجه سعد الدين أفندي وأخو شيخ الإسلام محمد أفندي. يلماز أوزتونا : مصدر سابق، ج ١، ص ٤٦٠.

(١) مصدر سابق، ج ١، ص ٤٦٠. انظر أيضاً عبد الوهاب بكر : مرجع سابق، ص ٥٢. انظر أيضاً علي محمد الصلابي : مرجع سابق، ص ٤٨٧، ٤٨٨. انظر أيضاً محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص ٢٥١. أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول : رقم الوثيقة ٧٩١٧

تصنيف HAT.H.

(٢) عبد الوهاب بكر : مرجع سابق، ص ٥٢-٥٣.

مساعديه خوفاً من بطشه. (١)

أما عهد مراد الرابع فقد استفحل في عهده نفوذ الإنشكارية كثيراً (٢) وكانت أحوال الدولة سيئة للغاية، فقام بعدة إصلاحات داخلية بعيدة عن فرقة الإنشكارية، وبما أن الدولة كانت في حالة انهيار فقد قام بإجراءات بغية وقف الإتهيار، كما انتقم لمقتل أخيه السلطان عثمان وأعدم طغاة العسكر في إستانبول وجميع أنحاء الدولة. (٣) حتى تكدست رؤسهم على ضفاف البسفور. وقيل أن من قتل في عهده بلغ مائة ألف أو ما يزيد. (٤)

وقد كانت جدته (*) ذات حكمة وعقل راجح، ساعدته على إصلاح الدولة والإعلاء من شأنها، ولكنها قتلت في النهاية (٥) لمحاولتها إصلاح أمر الإنشكارية، مما جعلهم يدبرون لها مؤامرة خبيثة أدت إلى قتلها.

وقد لقي إبراهيم الأول (**) نفس مصير عثمان الثاني، حيث حاول إصلاح الجيش، والتخلص من الإنشكارية، فأحسوا بمقصده فتلصصوا منه، ولم يستطع

(١) محمد جميل بيهم : أوليات سلاطين تركيا، ص ٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨.

(٣) محمد علي الصلابي: مرجع سابق، ص ٤٨٨، ٤٨٩. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة

الإصلاح العثماني، ص ٩٣

(٤) عمر الإسكندري - سليم حسن : مرجع سابق، ص ٤٠.

(*) لقد تمت الإشارة إلى مقتلها بالتفصيل في الفصل الثاني المبحث الأول.

(٥) إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية : ١٥٦.

(**) سبق الإشارة إلى مقتله. في المبحث الثاني من الفصل الثاني.

عمل شيء. (١)

ولم تظهر فكرة إدخال الأساليب الحديثة في القتال مرة أخرى إلا في عهد مصطفى الثاني، فقد تولى العرش وحرّم الإنشكارية من الهبة المعتادة، فلم يحركوا ساكناً، ولكن عندما أراد تطوير الجيش وإدخال النظم الحديثة عليه أبوا ذلك، ونقموا عليه وثاروا ونزلوا إلى الشوارع فأنضم إليهم الشعب وخلعوا أرباب المناصب وعينوا غيرهم وانتهى حكم هذا السلطان بالخلع سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م ومات في نفس السنة. (٢) دون إراقة نقطة دم واحدة.

ولكن الفكرة تطورت في عهد السلطان أحمد الثالث وعمل على تنظيم الإنشكارية (٣) ونمت في أذهان السلاطين بعد ذلك فكرة الإصلاح الحربي، للقضاء على بذور الثورة التي زرعتها الإنشكارية (٤) فقد أخذت محاولات الإصلاح والاتصال بالغرب تشق طريقها وسط تحديات الإنشكارية والعناصر الرجعية. (٥)

وقد كان الصدر الأعظم الداماد "إبراهيم باشا" الذي تولى الصدارة العظمى عام ١١٣١هـ / ١٧١٨م. (٦) وهو من ضمن العدد القليل من العثمانيين الذين نادوا بالإصلاح بهدف الوصول إلى الوسائل التي غذت بها أوروبا قوتها الخاصة في التنظيم العسكري والفن الحربي، واستخدام الأسلحة الجديدة، وهو يعتبر أول

(١) يلمازا وزتونا : مصدر سابق، ج ١، ص ٤٩٤.

(٢) حبيب السيوفي : مرجع سابق، ص ٣٢.

(٣) عبد العزيز عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية، ص ٨٣.

(٤) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ٩٤.

(٥) عمر عبد العزيز عمر : مرجع سابق، ص ٢٤٧.

(٦) مرجع سابق، ص ٢٤٧.

مسئول عثماني يعترف بأهمية ووجوب التعرف على أوروبا. (١)

لذا أخذ يعمل لمدة اثنتي عشر عاماً متواصلة على إدخال الاقتباسات الغربية إلى الدولة العثمانية، خاصة في المجال العسكري والحربي، فأول عمل قام به هو تقديم مذكرة للسلطان حذره فيها من أن الحرب التي نشبت مع النمسا في السنوات السابقة لتعينه صداراً أعظم ستؤدي بلا شك إلى نهاية الدولة العثمانية سريعاً، إذا لم يباشروا بإصلاحات عسكرية واسعة النطاق بسرعة، وحث السلطان على ضرورة البدء بالإصلاحات العسكرية حالماً يوقع مع النمسا الصلح. (٢)

لذا فقد قام بعمل اتصالات مباشرة مع سفراء أوروبا خاصة سفير فيينا وباريس للمرة الأولى. وأوكل لهم مهمة تزويده بمعلومات عن قوة أوروبا العسكرية، إضافة إلى توقيع الاتفاقات التجارية والدبلوماسية الخاصة بالمعاهدات التي سبق توقيعها، وكان يعني هذا الأمر الاعتراف ضمناً بالأمر الواقع الخاص بأنه لم يعد بإمكان العثمانيين تجاهل التطورات الداخلية (*) التي كانت تحدث في أوروبا. (٣)

وتنفيذاً لهذه المعاهدات قام أحد الفرنسيين ويدعى David (**) في عام

(١) علي محمد الصلابي : مرجع سابق، ص ٤٩٨.

(٢) عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي، مرجع سابق، ص ٢٤٧.

(*) علي الصعيد الداخلي حاول السلطان أحمد الثالث إصلاح السباهية حيث اشترط على الجندي السباهي صاحب التيمار أن تكون إقامته في مكان وجود تيماره، وأن لا يترك منطقته.

أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول. دقاتر مهمة، دفتر ١١٤، ص ١٧٢.

(٣) علي محمد الصلابي : مرجع سابق، ص ٤٩٨ - ٤٩٩.

(**) اعتنق الإسلام وسمى نفسه جرشك. عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي،

١١٣٣ هـ / ١٧٢٠م بإنشاء فرقة عسكرية في إستانبول مزودة بالأسلحة النارية، كما أحدث عدة تغيرات في الأسلحة العسكرية فعلى سبيل المثال أحدث تغير مهم في صناعة السفن، فقد حسن صناعتها كثيراً، اختفت السفن الشراعية من البحرية العثمانية. ولم يكتف بما قدمه هؤلاء الأجانب من خدمات للدولة بل أنه أرسل في عام ١١٣٢هـ / ١٧١٩م بعثة إلى فيينا مهمتها الإطلاع على التقدم العسكري والعمل فيهما. وفي العام الذي تلاه أرسل شخص يدعى محمد سعيد شلبي إلى فرنسا مهمته إرسال تقارير عن الخطوات العلمية التي يجب أن يتبناها الجيش العثماني. ^(١) وبالطبع فقد أثارت هذه الإصلاحات حفيظة الإنشكارية وغضبهم، خاصة وأن استقدام الخبراء والسفر إلى الخارج قد كلف الدولة أموالاً كثيرة، مما أدى إلى ثورتهم كالمعتاد.

وقد ثاروا على السلطان " أحمد الثالث " حتى أرغموه على التنازل عن العرش، وبالتالي إعدام الصدر الأعظم وكل القائمين على الإصلاح، وعاد الأمر كما أرادوا. ^(٢)

تولى الحكم محمود الأول في وقت كانت فكرة الإصلاح الحربي كانت قد تبلورت في أذهان السلاطين، وكان مؤمناً بضرورة الإصلاح العسكري، فانتظر حتى هدأت أوضاع الإنشكارية بعد اضطرابهم في عهد أحمد الثالث، وقرر استقدام مستشار أوروبي من فرنسا واسمه Alexander de bonval، وهو متخصص في الشؤون العسكرية وعهد إليه بإحياء فرقة المدفعية التي أسست في عهد أحمد الثالث، وأدخلت أنظمة جديدة في الخدمة العسكرية على أسس فرنسية ونمساوية، بهدف إحياء الفكرة القديمة للإنشكارية وهي أنها مهنة حقيقية توفر المرتبات

(١) عمر عبدالعزيز عمر: تاريخ المشرق العربي، ص ٢٤٧.

(٢) مرجع سابق، ص ٢٤٧.

والمعونات. (١)

على أن يتم تقسيم فرقة الإنشكارية وتوزيعها إلى وحدات صغيرة يقودها ضابط شاب، ولكن بالطبع رفضت الإنشكارية هذا الأمر وعارضت تنفيذ هذه الخطة وأوقفتها، مما حدا بالكونت "دي بونفال" التركيز على فرقة المدفعية، (٢) وقرر عدم التعرض للإنشكارية خوفاً من ثورتهم وتمردهم. كما أمر محمود الأول الصدر الأعظم "طوبال عثمان باشا" بأن يكلف أحمد باشا بإصلاح المدفعية وبناء هندسة خانة في إسكدارة وقد حاول الصدر الأعظم إخفاء أمر هذه المدرسة عن الإنشكارية ولكن الإنشكارية علمت بها، وثاروا مطالبين بإغلاقها، فأغلقت (٣) وانتهى أمرها. (٤) ولم يبق بعد ذلك بعمل يغضب الإنشكارية.

وعندما تولى مصطفى الثالث الحكم، كان الخطر يهدد الدولة العثمانية، فقد كانت روسيا تتربص بها وتتحين الفرص للإنقضاض عليها، ففكر السلطان مصطفى الثالث، في أنه لا بد من القيام بعدة تنظيمات من شأنها إصلاح الجيش العثماني، حتى يصبح قادراً على مواجهة الجيوش الأوروبية (٥) المتقدمة في الأداء الحربي والأسلحة.

لقد حمل مصطفى الثالث أفكار محمود الأول الإصلاحية، لكنه تولى في وقت

(١) علي محمد الصلابي : مرجع سابق، ص ٥٠٠. انظر أحمد عبدالرحيم مصطفى : مرجع سابق، ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) علي محمد الصلابي : مرجع سابق، ص ٥٠٠.

(٣) لقد أثمرت هذه المدرسة من حيث إيجاد اتجاه إلى التأليف والترجمة في الفنون العسكرية والهندسة والطب. انظر محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ٩٥

(٤) مرجع سابق، ص ٩٥.

(٥) محمد علي الصلابي : مرجع سابق، ص ٥٠٢.

كانت الحروب محيطة بالدولة من كل جانب، فلم تعطه فرصة لقيادة حركة إصلاحية على نطاق واسع. (١)

ولكن السلطان مصطفى الثالث حاول قدر الإمكان العمل على الإصلاح، فقد كان دائماً يدعو السفراء الأوروبيين إلى الحفلات ويتحدث معهم عن الإصلاح وأفكاره حول هذا الموضوع، وقد حدث مرة أنه صرح في إحدى هذه الاجتماعات التي ضمت كبار رجال الدولة وكبار العلماء، صرح بأن فرنسا هي حليفة له، وأنها قد تعهدت بإرسال عدد كبير من السفن الحربية لتكوين أسطول جديد، وبذلك دل على تصميمه وإرادته. (٢)

وقد حاول منذ بداية حكمه أن ينظر في أمر الإنشكارية، فعندما بويغ بالحكم، سار في موكب عظيم إلى القصر، ومر في أثناء سيره على ثكنات الإنشكارية، فقدموا له شرباً مرطباً، حسب العادة، فشرب السلطان وقال: سنشرب هذه الكأس معاً، في الربيع المقبل، تحت أسوار "بندر شاه" إن شاء الله (٣) وقد فرحت الإنشكارية فرحاً عظيماً وتحمست لهذا الكلام، وعرفوا أن السلطان سيعيد أيام الجهاد الأولى، ويقودهم للحرب، التي جبلوا عليها. (٤) والأرجح أن السلطان أراد بهذا الكلام، أن ييبث فيهم روح الجهاد القديمة، ويحثهم على الحرب والعودة للماضي العظيم بفتوحاته ونشره للإسلام، وأراد أن يفهم أنه قبل خوض هذه المعركة، لابد من إعادة تدريبهم على الطرق العسكرية الحديثة، في محاولة من السلطان مصطفى الثالث إقناعهم بضرورة تعلم النظم الحديثة وتشجيعهم على ذلك بأنه سيقودهم بنفسه لحرب جديدة.

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ٩٥.

(٢) مرجع سابق، ص ٩٥.

(٣) حبيب السيوفي : مرجع سابق، ص ٣٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٤، ٣٥.

وقد قام بعدة أعمال من إنشاء خيام مخصوصة بهم وبناء سفن حربية على أحدث طراز وأنفق عليهم المبالغ الطائلة لتوفير المؤن والذخيرة لهم، وأعد الاستراحات المهيأة بكل أسباب الراحة لهم على الطريق إلى العراق. (١)

لكن محاولات الإصلاح في عهد مصطفى الثالث اصطدمت بعقبات كثيرة أهمها معارضة الإنشكارية لكل إصلاح. ولم يسلموا مطلقاً بضرورة الإصلاح "التعليم العسكري" بل حقروا فائدته وكانوا يرددون دائماً "إن ولي الله الحاج بكتاش، كان يبارك جماعة الإنشكارية، منذ تأسيسها، ودعى لها بالنصر الدائم" وكانوا متأكدين أن دعاء هذا الولي وبركته تغنيهم عن تعلم أي جديد. (٢)

ونتيجة لتخوف السلطان مصطفى الثالث منهم، ولأنه كان مهتم بالإصلاح على النظام الأوروبي، والإنشكارية ترفض الإصلاح العسكري رفضاً تاماً، فقد أتجه إلى إصلاح البحرية والمدفعية، وتجنب الاحتكاك بالإنشكارية، وقد أستعان في هذا الأمر بضباط وخبراء أوروبيين. (٣) وبذلك مضى مطمئناً في حكمه غير خائف من الإنشكارية بأن تصيبه بما أصاب سلفه. (٣)

(١) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء بأستانبول : وثيقة رقم ٢١٤ خط همايوني H.H

(٢) ساطع الحصري : المرجع السابق، ص ٧٦، ٧٧.

(*) لقد أتجه إلى تطوير السلاح البحري، وسلاح الطوبجية - المدفعية - وقد أستعان بخبراء عسكريين أوروبيين. وكان من بينهم البارون دي توت وهو مجري الأصل، وقد التحق والده بخدمة الحكومة الفرنسية، وحصل على الجنسية الفرنسية. وقد جاء البارون دي توت إلى إستانبول من قبل الحكومة الفرنسية، وعكف على إصلاح سلاح المدفعية وسلاح البحرية. انظر عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق، ج ١، ص ٥١٩.

(٣) السيد رجب حراز : المرجع السابق، ص ١٥. انظر عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق، ص ٢٤٩. انظر عبد العزيز عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية،

ولكن إصلاحات مصطفى الثالث، لم تثمر الثمرة المرجوة منها ولم تحقق أي نتائج إيجابية، لأنها لم تتناول القوة الرئيسية في الجيش العثماني وهي قوة مشاة الإنشكارية. (١)

وكان السلاطين يخشون التحدث عن مسألة الإصلاح خوفاً من الإنشكارية فقد حدث ذات يوم أن قال الصدر الأعظم للسلطان مصطفى الثالث أن هذا الجيش لا ينفع في هذا العصر، وضروري من إيجاد النظام الجديد فأندهش السلطان ونظر يميناً وشمالاً، ليتأكد من عدم وجود أحداً ينقل الكلام إلى الإنشكارية، فرد عليه بأن جيشنا عظيم، يريد بذلك إخفاء هذا الخبر، وأشار إلى الصدر الأعظم بالسكوت، وبعد هذا المجلس طلب من الصدر الأعظم أن يتكلم معه بمفرده، وقال له السلطان أنك قلت قولاً عظيماً يخشى منه الخطر، أما أنا في حيرة من أمري، فأنا أفكر في هذا الأمر، من قبل توليه السلطنة بسنين عديدة في مسألة اختلال الجيش، ولكن أخاف من الخطر العظيم الذي يحيط بهذا الأمر وهذا الداء في جوفي كالقروح. (٢)

وعندما سأل أحد رجال الدولة، أحد الجنود الإنشكارية عن النظام الجديد، من باب الاستفهام عن الأمر بهدوء ولطافة، كان جوابه "أننا ما كفرنا ولن نكفر" وقد أراد بذلك التفهيم أن اتخاذ النظام الجديد ضرب من الكفر. وهذه العبارة توضح إلى أي درجة تكره الإنشكارية النظام الجديد، وخطورة هذا الأمر على الدولة العثمانية. (٣)

وتولى السلطان عبد الحميد الأول الحكم وسار في اتجاه إصلاح الإنشكارية

(١) عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق، ج ١، ص ٥١٩. انظر السيد رجب حراز : المرجع

السابق، ص ١٥. عبد العزيز عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية، ص ٨٣.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ٨٤.

(٣) مرجع سابق، ص ٨٤. إبراهيم حليم : المصدر السابق، ص ١٩٠.

بخطوات واسعة مع الحذر من إغصاب الإنشكارية. وكان أول عمل قام به، هو الإصلاحات العسكرية حيث باشر في تعليم النظام الجديد. ولكن الإنشكارية كانت دائماً تنفر منه، حتى أن الصدر الأعظم "يوسف باشا"، كاد يموت بين أيديهم ذات يوم، عندما أصر على قيامهم ببعض الحركات العسكرية حسب الأساليب الحديثة. ولم تهدأ ثورتهم إلا بعد أن وزع عليهم مبلغاً من المال. (١)

وقد كانت سنة ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م تمثل ثقل الضغط الخارجي على الدولة، وجاءت معاهدة "كوجك قينارجة" كمقياس حقيقي لمدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة العثمانية، ولهذا فقد اقتنع عبد الحميد الأول أن الدولة إذا لم تصلح جيشها ونظامها العسكري، فإن أيامها لن تطول، ولابد أن يأتي الإصلاح الحربي في المقدمة. (٢)

ولهذا بدأ السلطان عبد الحميد بتقوية المدفعية، والإكثار منها وترتيب عساكرها، ولكنه لم يستطع الاستمرار في تنفيذ هذا البرنامج لثورة الإنشكارية ومعارضتهم فأوقف الإصلاحات خوفاً من الفتنة. (٣)

ومع كل المصاعب التي خاضها عبد الحميد الأول، فقد ورث أفكاره الإصلاحية للسلطان سليم الثالث، وتعتبر الخبرة التي أكتسبها السلطان سليم في القصر السلطاني أثناء حياته المبكرة في حد ذاتها عاملاً مهماً في تنشئة السلطان سليم وتوجهه الإصلاحي للدولة، حيث منحته الثقة والحرية الكاملة. وأهله لأنه يقوم بعمل وتنفيذ رغبات كثيراً ما جاشت في صدور السلاطين السابقين له، فقد

(١) حبيب السيوفي : المرجع السابق، ص ٣٤، ٣٥. أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول : رقم

الوثيقة ٢١٤، خط همايوني H.H.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ٩٨.

(٣) مرجع السابق، ص ٩٨.

أُتيحت له فرصة الاستمرار في التأهيل لقيادة الإصلاح^(*) في عهد عبد الحميد الأول والذي عامله بلطف وتفهم.^(١)

ومع أن محاولات الإصلاح سارت سيراً حثيثاً في عهد السلطان عبد الحميد الأول، إلا أنها دخلت طوراً جديداً في عهد سليم الثالث، الذي كان يؤمن بضرورة إصلاح الجيش على أساس النظم الأوروبية^(٢) عندما تولى سليم الثالث الحكم كانت الدولة في حالة فوضى عامة، مصبوغة أرضها بالدماء، والخلل أصاب جميع أجهزتها، والإنشكارية ترفض كل قانون جديد يبتغي أحد السلاطين تنفيذه.^(٣)

وازدادت ثروات الإنشكارية وتمردهم خطورة، وقد رأى سليم كيف أن كل سلطان حاول الإصلاح عزل، وتم قتل بعضهم، ولقد رفضت الإنشكارية أكثر من محاولة إصلاح قام بها عدة سلاطين على فترات متباعدة قبل مجيء سليم الثالث نفسه.

لقد كانت ثورات الإنشكارية وحركات العصيان قد زادت وأخذت الدولة تتلقى الهزائم في كل الميادين ولم يعودوا جيشاً للفتوحات بل جيش تخريب^(٤) فحرص

(*) لقد قيل أن أباه ترك له مذكرات شرح فيها، أوجه الخلل في الدولة ووسائل الإصلاح، ولذلك جاء سليم متحفزاً للإصلاحات. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ٩٩.

(١) محمد عبد اللطيف : حركة الإصلاح العثماني، ص ٩٩.

(٢) السيد رجب حراز : مرجع سابق، ص ١٦. سليمان صالح الخراشي : مرجع سابق، ص ١٣، ١٤.

(٣) أحمد صائب. محمد توفيق جانا : وقعة السلطان عبد العزيز، د. ط. مصر : مطبعة الهندية، د. ت. ص ٨.

(٤) أميره مداح : مرجع سابق، ص ٦٢.

السلطان سليم على إحياء الروح المغوية في نفوس الجنود، وذلك باستعادة أعمالهم البطولية، وتمجيد ما حققوه من فتوحات عظيمة، وقد ألقى السلطان سليم يوم توليه العرش، خطبة حماسية، وأشاد بما حققه الإنكشاريون من أعمال بطولية ضد أعدائهم، وأن سبب تراجعهم وتخاذلهم هو بعدهم عن الإسلام وسنة نبيه، وحثهم على طلب الشهادة وطاعة ولي الأمر، وضرورة استعادة بلاد القرم.^(١) لقد كان السلطان سليم حريص على استعادة القرم وتحقيق النصر على أعدائه، والعمل على تطوير الجيش، وقام بإصدار الأوامر للصدر الأعظم باتخاذ اللازم وإرسال حملة إلى ساحة القتال لمواجهة جيوش النمسا وروسيا.^(٢)

وتحركات القوات العثمانية عبر البغدان والأفلاق حتى شارفت مقدمة الجيش العثماني نهر رمينيك عند حدود النمسا وهناك أنقض الجيشان الروسي والنمساوي على الجيش العثماني، وتمكنوا من مباغتتهم والانتصار عليهم، وسميت هذه المعركة "يوزا" أو "مينيك"^(*) وقد كان لهذه المعركة أثراً سيئاً على الدولة العثمانية، حيث أحبطت فرصة تنظيم الجيش، وتوالى بعدها الهزائم على الدولة العثمانية وتراجعوا إلى الوراء باتجاه شرق الدانوب، وأعطت للنمسا فرصة لفك حصار بلغراد، وفتح الطريق لقوات النمسا لإخراج العثمانيين من أوروبا.^(٣)

إضافة إلى نشوب الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا، وقد استطاعت

(١) يوسف علي رابع النقي : موقف أوروبا من الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، الطائف :

دار الحارثي، ١٤١٧هـ، ص ٦٨.

(٢) محمد علي الصلابي : مرجع سابق، ص ٥١٣، ٥١٤.

(*) نسبة إلى النهر الذي وقعت عنده المعركة.

(٣) مرجع سابق، ص ٥١٥.

الأخيرة أن تستولي على كثير من أملاك الدولة العثمانية، إضافة إلى أن جيش الدولة العثمانية وخاصة الإنشكارية كان يرتكب أبشع الأعمال في المدن التي يدخلونها وبمنتهى القسوة، مما أثار الرأي العام في الأستانبول، فكانت هذه أول تجربة قاسية تمر بها الدولة العثمانية.^(١)

وهكذا أدرك السلطان سليم الثالث أن الجيش بحاجة إلى إصلاح جذري ليتحقق به الانتصار على أعداء الدولة.

وكانت أولى خطوات الإصلاح، أن طلب من بعض رجال الدولة وذوي الرأي الصائب، بكتابة أفكارهم ومقترحاتهم حول إصلاح الإنشكارية، وحول ما يرونه، مناسباً لمشاريع الإصلاح، وقد ركزت هذه التقارير التي أطلق عليها "لوائح" على ضرورة الإصلاح العسكري، وجاءت باتجاهات متباينة حول الإصلاح العسكري، ولكنها أكدت على إعادة تنظيم الجيش بوجه خاص. وتجاوب السلطان مع هذه الأفكار وقرر إقامة جيش جديد حديث يجري تدريبه على الأساليب الأوروبية^(*)، ليكون بجانب الإنشكارية في أي معركة، وهذه القوة المحاربة

(١) محمد ضياء الدين الرئيس : تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية أثناء الدور الأخير

للخلافة، الجزء الأول، د. ط، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٠م، ص ١٠٦.

(*) تولى سليم الثالث الحكم أثناء الثورة الفرنسية، وأمتنع لإعدام لويس السادس عشر، إلا

أن هذا لم يثنه عن الاقتباس من أوروبا وخاصة في المجالات العسكرية. أحمد عبد

الرحيم مصطفى : مرجع سابق، ص ١٧٣، ١٧٤. للاستزادة محمد عبد اللطيف

البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٠٠.

الثورة الفرنسية تعتبر من أبرز أحداث القارة الأوروبية، قامت سنة ١٧٨٩م على يد طبقة

الشعب من راع وفلاحين، استطاعوا القيام بثورة اسقطوا خلالها الملك لويس السادس

عشر والملكة ماري انطوانيت، وتم إعدامهم بالمقصلة، ثم سقطت الملكية وقامت

جمهورية فرنسا الحديثة، كانت ثورة عنيفة اتشحت أحداثها بالدماء والبطش، من أهم

أحداثها سقوط سجن الباستيل، وأهم مبادئها الحرية والإخاء والمساواة. عبدالعزيز نوار =

الجديدة أسماها "النظام الجديد" مع استقدام الخبراء الأوروبيين من فرنسا وإيطاليا وغيرها. (١) وتدريب الجنود الإنشكارية الراغبة في الانضمام للجيش الجديد على استخدام السلاح الناري المتطور. (٢)

وبدأ (*) بإصدار قرارات وفرمانات كثيرة تستوجب الإصلاح وتجديد النظام العسكري، وقد حاول الفصل بين الإصلاح العسكري والإدارة العسكرية والتي جعلها في يد رجل برتبة وزير، أما الأعمال العسكرية فتركها في يد أغوات الإنشكارية، الذين كانوا يتمتعون بصلاحيات ونفوذ قوي داخل لواء الإنشكارية. (٣) وعقدت الاختبارات للضباط والجنود، ومن لا تثبت كفاءته يتم الاستغناء عنه، وبذلت جهود مضيئة لتعيين الضباط الذين تثبت كفاءتهم ومنحت الترقيات حسب الأقدمية بقصد الحد من الرشوة، وصرفت رواتب الإنشكارية في وقتها وتم تأسيس منظمات وإدارات تقوم بإدارة كل وحدة. وكان من الممكن أن تأتي هذه الإصلاحات بنتائجها المرجوة لكن موقف الإنشكارية المعادي جعلها تفقد أهميتها وفساد الجهاز القائم عليها. (٤)

= عبد المجيد نغمي : التاريخ المعاصر لأوروبا، د. ط، بيروت : دار النهضة العربية، د. ت، ص ١٩-٤٨.

(١) أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ص ٧٩. أميرة مداح : مرجع سابق، ص ٦٣، محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص ٢٥٧. إبراهيم حليم : مصدر سابق، ص ١٩٠،

(٢) جوزيف فون هامر : مرجع سابق، ج ٤، ص ١٣٤.

(*) بعد أن تخلصت الدولة من مشاكلها الخارجية بعقد صلح ياسي ١٧٩٢م، و وفاة كاترين الثانية حتى أمكن للعثمانيين أن يلتقطوا أنفاسهم. انظر أحمد عبد الرحيم مصطفى : ص ١٧٧.

(٣) ستانفورد شو : الدولة العثمانية وتركيا الحديثة، ج ١، د. ط، إستانبول، ١٩٨٢، ص ٣٥٣.

(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع سابق، ص ١٧٨. أنظر ستانفورد شو : مرجع سابق، ص ٣٥٣.

وقد سار سليم على هذه الخطوات وهو يرتجف من الإنشكارية ويفكر في حل لوضعها. هل يتم القضاء عليها وهي صاحبة الأمجاد الحربية. أو يحاول إصلاحها^(١) وقد اختار إصلاحها لصعوبة القضاء عليها، فقرر عمل تدريبات لجنود الإنشكارية في أيام معدودة من كل أسبوع، وفكر أيضاً في عمل يحول دون تداول بطاقات الأسامي التي كانت بمثابة شهادة راتب يجري تحصيله كل ثلاثة شهور، وله سوق مثل سوق السندات تباع وتشترى فيه، والسعي لإيجاد وسيلة للحيلولة دون استغلال غير عساكر الإنشكارية لهذه السندات. ولكن هذه الإجراءات مست طبقة عريضة من غير الإنشكارية، والتي أدى سخطها إلى تأليب الإنشكارية على السلطان ومناهضة النظام الجديد، وكشفوا عن عدم رغبتهم في الإصلاحات، إضافة إلى رفضهم التدريب على الأساليب القديمة والحديثة معاً، وأتضح أن الإصلاح سيعتمد على الفرقة الجديدة وهدفها.^(٢) وما زاد الأمر سوءاً أن المفتشين الذين كانوا يذهبون للنظر في الإصلاحات يأتون بمعلومات مخالفة للواقع مما جعل الإصلاح غير نافع.^(٣)

وفعلاً فقد واجه سليم الثالث معارضة شديدة في إدخال النظام الجديد إلى فيالقهم، خاصة وأنهم يعتقدون أن تطبيق هذا النظام عليهم سيؤدي إلى اندماجهم في الفرق العسكرية الجديدة ومن ثم ذوبانهم فيها، وهذا ما قصده سليم الثالث فعلاً، فقد ضم إليهم عدد جديداً، وأعطاهم أجور النظام الجديد، إضافة إلى تدريبهم على الأساليب الحديثة، على أمل ربطهم في نهاية الأمر بالفرقة الجديدة، وإثارة حماسهم، لكن الإنشكارية كانت حريصة على الاحتفاظ بكيانها الخاص وامتيازاتها،

(١) أميره مداح : مرجع سابق، ص ٦٣.

(٢) أكمل الدين أحسان أوغلي : مرجع سابق، ج ١، ص ٧٩، ٨٠.

(٣) ستانفرد شو : مرجع سابق، ص ٣٥٣.

لذلك عارضوا وبشدة التدريبات العسكرية، والسماح لهم بالانضمام لهذه الفرقة، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل بدأت الإنكشارية في تحريض الجنود على ترك النظام الجديد ونبد عادات الكفر والانضمام للإنكشارية المسلمين حقاً. (١)

على الرغم من أن سليم الثالث قام بهذه الأعمال منتهزاً فرصة غياب زعماء الإنكشارية خارج إسطنبول في مهمة حربية، إلا أن هذا الأمر مهد الطريق أمام المعارضين للإصلاح، من الفرق الإنكشارية. (٢) ويبدو أن السلطان سليم الثالث لم يعبأ بمعارضتهم حيث أستمّر في إصلاحاته وعين " حسين كوجك " قائداً عاماً للجيش لكي يعيد بناء الجيش على الأسس الأوروبية الحديثة، وكانت أهم أعمال هذا الأخير إنشاء الفرقة العسكرية الجديدة (*) على الطراز الأوروبي ولكن

(١) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٤٩٨، ٤٩٩، السيد رجب، حراز : مرجع سابق، ص ١٥.

(٢) محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص ٢٥٧. محمد عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني، ص ١٠٢.

(*) الفرقة الجديدة في عام ١٢١٠هـ / ١٧٩٦م تم إنشاء فرقة جديدة على النظام الأوروبي ومرتبدة الـزي الأوروبي، في أدرنه، ويجري تدريبهم العام في البلقان. وخصصت منطقة لميقات شغلتك لتكون مركز التدريب، ويبدو أن اختيار هذا الموقع لكي يبقى أمرها سراً بين السلطان والصدر الأعظم، وجعل عدد أفراد أول فرقة جرى تنظيمها ١٦٠٠ جندي، واسند قيادتها إلى ضابط إنكليزي أعنتق الإسلام، وحسن إسلامه وسمي " مصطفى الإنكليزي " ولزيادة تكتم السلطان على هذه الفرقة كانت مصروفاتها من طرف السلطان ومن موارد وبنود سرية. كما كان للبعثة الفرنسية دور في إنشاء مصانع لصب المدافع الثقيلة والخفيفة وقد تمرنت عليها هذه الفرقة الجديدة على أحدث الطرق الأوروبية، وأخذ بهذه الفكرة كل من خسرو باشا والي مصر وأحمد باشا جزار صاحب عكا. وبحلول عام ١٢٢٦هـ / ١٨١١م وصل عدد هذه الفرقة إلى ٢٥ ألف جندي تقريباً ثم إزداد عددهم بعد ذلك حتى وصل إلى ستين ألفاً. وبإزدياد عددهم زادت مشاكلهم من عدم الانضباط

العثمانيين أنفسهم لم يكونوا على استعداد للتجاوب مع الإصلاح، فقد اصطدم السلطان برغبة الناس في المحافظة على القديم، وبمصالح كثير من الناس.^(١) والواقع أن هذه الفرقة قد قامت بأعمال مهمة وقد زادت من شعبيتها، وأكسبتها تأييد الرأي العام، لتصديها لحملة نابليون بونابرت^(*)، والقضاء على فساد العصابات المسلحة في بلاد الروملي^(**) وقد قامت بمهمتها الأخيرة على أكمل وجه ، في الوقت الذي فشلت فيه الإنشكارية في هذا العمل، وعادت جنود النظام

والنظام، وأنضم إليهم عدد من رجال الأناضول والفلاحين مما أدى إلى عدم استيعاب هؤلاء الجند وبالتالي انقطعوا عن التدريبات مما حدا بالسلطان إلى إعادة تنظيمهم. ويقال أن أغلب من دخل فيها كان من أسرى حرب الدولة العثمانية وروسيا. إبراهيم حليم : مصدر سابق، ص ١٩٠. بسام العسلي : مصدر سابق، ج ٥، ص ٢٣١. محمد أنيس : مرجع سابق، ص ٢١٥. حبيب السيوفي : مرجع سابق، ص ٣٥. عمر عبد العزيز عمر : محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٥٨ محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص ٢٥٨.

(١) مرجع سابق، ص ٢٥٧. جلال يحيى : العالم العربي الحديث، د.ط، د. م، ١٩٩٨م، ج ١، ص ٩٥.

(*) لقد جاءت حملة نابليون بونابرت على مصر لتشكل نقطة تحول مهمة في حياة الدولة العثمانية. فقد أثارت هذه الحملة أيام الثورة العاتية، لأنها أظهرت ضعف الدولة العثمانية، من قبل عندما تتعرض لهزيمة، تعيد بناء قوتها من جديد، وتنظيم جيشها وتحرز انتصار يزيل ما لحق بها من هزيمته أو فشل. ولكن هذه المرة لم تعمل بمفردها. بلا عملت معها روسيا وبريطانيا، مما جعل الدولتين تتدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية، وقد انعكس هذا بصورة واضحة على تمردات الإنشكارية. انظر بسام العسلي : مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٤١.

(**) انتشرت في بلاد الروملي العصابات المسلحة أكثر من إنتشارها في باقي ولايات الدولة في أوروبا، ولم تتمكن الإنشكارية من التصدي لها وصارت البلاد في كرب وبلاد عظيم، حتى أن هذه العصابات هددت مدينة أدرنه، أنظر مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٤٤.

الجديد ظافرة إلى العاصمة، فأعقد عليها السلطان الهدايا والهبات، وفرح الناس بهذا الأمر وأنشرح قلب السلطان. (١)

أما ثاني أعمالهم فهي التصدي لنابليون بونابرت في عكا وتمكنها من صد زحف نابليون على بلاد الشام، مما زاد من ثقة سليم في النظام الجديد، وشرع في إصدار خط شريف في ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م إلى جميع الولايات بتكليف الولاة بجمع جميع الشبان من الإنشكارية والأهالي البالغين سن الخامسة والعشرين وإدراجهم في سلك العسكرية وترتيبهم على النظام الجديد. (٢)

لم يقبل الإنشكارية بالتنظيم الجديد وتمردوا وأشعلوا نار الفتنة، فرأى السلطان استخدام الضغط العسكري عليهم، واستقدم من الأتاضول عبدالرحمن باشا، وهو من أكبر المساندين للإصلاحات العسكرية، فتوجه عبد الرحمن باشا إلى إستانبول وبعد أن استعرض السلطان سليم الثالث العساكر المصاحبة لعبد الرحمن باشا سار إلى أدرنة على اعتبار أنها وكر مؤامرات الإنشكارية وكان ذلك عام ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م، ولكن هذه القوة فشلت في دخول المدينة فعادت أدرجها إلى إستانبول. واتضح أن السلطان لن يستطيع إخضاع الإنشكارية إلا بحرب يذهب ضحيتها الكثير، ولكي يهدأ الأوضاع اتحنى للعاصفة قليلاً، وأصدر أمراً إلى عبد الرحمن باشا بالعودة إلى آسيا الصغرى مع جنوده، وتظاهر بالعدول على مشروعه، ولكي يبرهن على صدقه قام بإلغاء النظام الجديد، أو على الأقل وقف تطبيقه على الإنشكارية، وعزل الصدر الأعظم وعين بدلاً منه أغا

(١) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٣٨٦. محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة

الإصلاح العثماني، ص ١٠٢، ١٠٣. بسام العسلي : مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٤٤.

(٢) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٣٨٦. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة

الإصلاح العثماني، ص ٨٦، ٨٧. محمد ضياء الدين الرئيس : مرجع سابق، ص ١٠٩. بسام

العسلي : مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٤٠.

الإنشكارية صدرأ أعظم، كما عين بعض الضباط في مناصب قيادية في الدولة.^(١)

ولكن يبدو أن وجود الإنشكارية تحت قيادة واحدة جعلهم يحسون بمدى قوتهم وأهميتهم كهيئة لها اعتبار خاص، كما أن وجودهم في العاصمة والمدن المهمة في فترات بين الحروب أكسبهم نفوذاً محلياً ورجح كفتهم في الصراع، مما أوجد فيهم روح التساهل والاستهتار. وجعلهم يفرضون شروطهم على سليم الثالث الذي تقبلها كرئيس دولة منهزمة.^(٢)

كما وأن قضية " النظام الجديد " خرجت عن المنطق والعقل والتجربة، وذلك لأنه كلما ظهرت كفاءة الجيش الجديد، زادت مخاوف الإنشكارية من النظم الحديثة والإصلاحات، فاشتدت مخالفتهم لها، لأنهم أدركوا أن بقاء هذا النظام سيؤدي في نهاية المطاف إلى تعميم التعليم العسكري على الإنشكارية، أو إدماجهم في الجيش الجديد.^(٣)

ولذلك عملت الإنشكارية على دس المؤامرات والدسائس بين أفراد النظام الجديد، مشيعين شتى أنواع الأكاذيب مستعينين في ذلك بالعلماء الذين يقولون بأن التعليم العسكري من الأمور التي لم يعرفها الإسلام. وكانت حجتهم في ذلك أن الفتوحات الإسلامية تمت دون الحاجة إلى أمثال هذا التعليم " كما ردوا أن من تشبه بقوم فهو منهم " وأن هذا النظام يؤدي إلى إدخال عوائد الإفرنج وسيادة

(١) بسام العسلي : مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٤٠. عمر عبد العزيز : مرجع سابق، ص ٢٦٢.

عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٧. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة

الإصلاح العثماني، ص ٨٧. محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٣٨٦، ٣٨٧.

(٢) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٧. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة

الإصلاح العثماني، ص ٨٧

(٣) ساطع الحصري : مرجع سابق، ص ٧٩.

الأجانب وطبيعي أن انتشار هذه الكلمات بين العامة على ألسنة العلماء، أثار مخاوف الناس من النظم الحديثة، وجعل الأهالي تنفر منها وترفضها، وتزيد من تمسك الإنشكارية بموقفها.^(١) ولكن الإنشكارية نسيت أن المسلمين كانوا على أعلى مستوى من التقدم والتطور في الأساليب العسكرية وظلوا في تطور مستمر، وتظهر لنا هنا نقطة مهمة، وهي اشتعال الدسائس الأجنبية التي قوى بها سفراء الدول الأوروبية في إستانبول، فتيل النزاع بين الإنشكارية والسلطان، وكان في مقدمة هذه الدول روسيا القيصرية.^(٢) والتي لعبت دوراً هاماً في أحداث الإنشكارية، فقد كانت السفارة الروسية في إستانبول البلاء على الدولة، نظراً لتوفر الحماية لهم، فلم يكن هؤلاء سوى جواسيس على الدولة العثمانية وجيشها، فقد كانوا يدخلون بين صفوف الإنشكارية لتعطيل الإصلاحات وإثارة الإنشكارية أكثر ضد النظم الحديثة، ونقل أخبار الإصلاحات والجيش لروسيا للعمل على إنهزام الجيش العثماني.^(٣)

أما عن سليم الثالث فقد زاد الهياج من حوله وتلبدت السماء بغيوم الثورة فعمل على تأجيل مشروع إصلاحه وحاول تهدئة الأوضاع وسحب قواته الجديدة إلى العاصمة، وسرت إشاعة بأن النظم الجديد جاء ليؤدب من يعترض على الخط

(١) ساطع الحصري : مرجع سابق، ص ٧٩، ٨٠. محمد ضياء الدين الريس : مرجع سابق، ص ١٠٩.

(*) كاترين الثانية كانت من أشد الحاقدين على الدولة العثمانية، وقد أخبرت سفيرها مرة أن السلطان الجديد الذي يدعى سليم الثالث رجلاً يعمل على إصلاح الدولة ويحاول استقطاب العلماء من شتى أرجاء العالم ويحاول إصلاح أمور الدولة والجيش. سليمان قوجسه باشي : مرجع سابق، ص ٢٠.

(٢) سليمان قوجسه باشي : مرجع سابق، ص ٢١، ٢٢. عبد اللطيف محمد الحميد : سقوط الدولة العثمانية الطبعة الأولى، الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ٢٥.

الشريف - السابق الذكر - وتجددت الاضطرابات وهاجت الإنشكارية مرة أخرى.^(١)

وقد انعكست هذه الاضطرابات بصورة واضحة على الأقاليم فنجد أنه في باشوية بلغراد أصدر حاجي باشا عدة فرامات أهمها فرمان الذي يمنع دخول الإنشكارية إلى مدن الباشوية وذلك في الفترة ما بين ١٢٠٨-١٢٠٩هـ / ١٧٩٣-١٧٩٤م،^(٢) وذلك لما ارتكبته الإنشكارية من فظائع وفساد في هذه المدن ولكي يحد من أعمالهم ضد الأهالي.

ولكن لم يكتب لهذه الفرامات الاستمرار نتيجة لأعمال وثورات قامت بها الإنشكارية في المنطقة حيث نجد أن الإنشكارية التي غادرت بلغراد نتيجة لتطبيق الإصلاحات، لجأوا إلى والي فيدين^(*) عثمان باشا، والذي كان من المعارضين للإصلاح وإدخال النظم الحديثة، وقد قام هذا الوالي بدعمهم، فقامت الإنشكارية بعدة محاولات للاستيلاء على بلغراد بقوة السلاح، وقاموا بثورة عارمة تحت زعامة هذا الوالي ضد السلطان والنظم الحديثة، أثناء الحملة الفرنسية على مصر، ورغبة السلطان في تأمين حدوده مع النمسا، ليتفرغ لما حدث في مصر. فخضع لرغبات الوالي والإنشكارية ووافق على عودتهم إلى بلغراد عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م فحاول والي بلغراد تدارك الوضع ولكنه لم يستطع، ودخلها الإنشكارية فاتحين عام ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م. وأصبحوا بذلك أسياد الموقف وتحول الوالي إلى أسير في أيديهم، وانتهى الأمر بقتله عام ١٢١٦هـ /

(١) محمد عبد اللطيف البجراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٠٤.

(٢) محمد موفاكو : مرجع سابق، ص ٧٤.

(*) مدينة حصنة في بلغاريا. تقع على نهر الدانوب، كانت مركز ولاية ودين. س. موستراس:

مرجع سابق، ص ٤٨٧.

(١) ١٨٠٢ م.

وانتشرت عمليات استيلاء الإنشكارية على الأراضي وتحويلها إلى ملكيات خاصة مع إلزام الفلاحين على العمل بها، مما أدى إلى توتر الوضع في الريف ضد الإنشكارية، ومما زاد الأمر سوءاً، فقد وقعت بأيديهم رسالة من أحد زعماء الصرب إلى النمسا يطلب فيها السلاح والعتاد للقيام بتمرد ضد الإنشكارية، مما حدا بالإنشكارية إلى قتل حوالي سبعين شخص من أعيان المجتمع الصربي. (٢)

وهكذا نجد أنهم أسهموا بشكل كبير في تشويه صورة الحكم العثماني في شرق أوروبا، مما أدى بالأهالي إلى رفض العثمانيين ومحاولة التحرر من ظلم الإنشكارية، الذين ثاروا بسبب رفضهم للنظم العسكرية الحديثة. وإذا عدنا إلى إستانبول وجدنا أن ثورات الإنشكارية لم تنقطع أبداً وزادوا بعد وفاة الجنرال الفرنسي Debiat والذي استقدمه السلطان لتدريب الفرقة الجديدة. (٣)

وفي عام ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م نشبت الحرب بين روسيا والدولة العثمانية حول "بوخارست" فإتخذت الإنشكارية من ذلك فرصة طالما انتظروها، لإنهاء حكم السلطان سليم الثالث، فبينما كان الجيش النظامي يتأهب لإخراج العدو من "الأفلاق والبغدان" كانت الإنشكارية تعد العدة لمهاجمة قصر السلطان في العاصمة. (٤) (*) ففي أثناء تجمع (**) الفرق العثمانية عند الدانوب

(١) محمد موفاكو : مرجع سابق، ص ٧٥.

(٢) مرجع سابق، ص ٧٦.

(٣) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٣٨١.

(٤) محمد ضياء الدين الرئيس : مرجع سابق، ص ١١١.

(*) لقد أعلنت الدولة العثمانية على روسيا الحرب، اثر احتلال الأخيرة لرومانيا وملاووية. وهذه الحادثة تنبئ بتقلص نفوذ الدولة العثمانية في الولايات التي تحكمها، وتندر بتقلص =

للدفاع عن الدولة العثمانية بقيادة مصطفى باشا (*) البيرقدار، والذي كان ميالاً للإصلاح ومؤمناً به، أصيب النظام الجديد بانتكاسة حقيقية عندما توفى المفتي الذي كان بمثابة الذراع الأيمن لسليم وإصلاحاته، وتولى مكانه قاضي عسكر الروملي الذي كان على عكس سلفه، عدواً للإصلاح على النمط الغربي، وبمجرد أن بدأ بممارسة مهام عمله قام بعمل تحالف مع القائم مقام الصدر الأعظم، لتغيب الصدر الأعظم في الدانوب لمحاربة الروس، اتفق القائم مقام مع قاضي عسكر الروملي والمفتي الجديد مع بعض العلماء والشيوخ والإنشكارية على العمل لإبطال النظام الجديد لأنه ضد الإسلام وقادم من عند الكفار وبدعة مخالفة للشرع (١).

وتفصيل هذا الأمر أن مصطفى باشا البيرقدار بعث بملابس عسكرية من الزري الجديد، إلى قلاع الدردنيل، والقصور السلطانية الواقعة على ضفتي البسفور، وذلك بأمر أن تلبسها جميع فرق الجيش بما فيهم الإنشكارية فما كان من الإنشكارية، إلا أن ثاروا وهاجوا في العاصمة، معبرين عن سخطهم ورفضهم

= نفوذ السلطان. حبيب السيوفي : مرجع سابق، ص ٣٥.

(**) لقد سار الصدر الأعظم وفرقتان من الإنشكارية وجيوش آسيا المنظمة إلى مدينة شوملة، واستعد مصطفى باشا البيرقدار، حاكم روستجوق للإغارة على الأفلاق بخمسة عشر ألف جندي قام هو بتدريبهم وخصص منهم جزء كبير في قلاع الدردنيل والبسفور لدفع الطوارئ البحرية. محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٣٩٢.

(*) كان له دور في تشجيع النظام الجديد وتولي محمود الثاني الدفاع عنه ومحاولة الدفاع عن سليم الثالث مراجعة المبحث الأول من الفصل الثاني.

(١) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٣٩٢. بسام العسلي : مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٤٧. علي سلطان : مرجع سابق، ص ٢٦٨. قيس جواد العزاوي : مرجع سابق، ص ٤٩.

للزي الأوروبي^(١)، ومما زاد من سوء الأمر محاولة الرسول وهو محمود رئيس أفندي، إرغام الفرق غير المنتظمة والإنشكارية على لبس الزي الجديد، ودفاعه عن النظام الجديد^(*)، وصارت فتنة ومعركة بين الطرفين سالت فيها الدماء، وانتشرت بين القلاع^(٢)، نتج عنها معارك شديدة قتل فيها عدد كبير من الأعيان والذوات المساندين للنظام الجديد ولحقوا بمحمود أفندي وقتلوه^(٣).

وقد دخلت ثورتهم في هذه المرحلة طوراً مهماً، فقد أصطنعت الإنشكارية وسيلة جديدة وهي تأليب بعض عناصر الشعب، وتشويه النظام الجديد وزرع الشكوك في نفوس العساكر غير المنتظمة والتي أضيفت إلى الفرق المنتظمة حديثاً، وذلك بنشر أنهم لم يأتوا من بلادهم إلا لإجبارهم على الانخراط في النظام الجديد، حتى وإن كان ضد رغبتهم، وإرغامهم على لبس الملابس الغربية، وهو الزي النصراني المخالف للشرع والقرآن، وقد سرت هذه الأقاويل حتى ملأت عقول الجنود وأشربت قلوبهم بهذه الأباطيل، كما ضموا إليهم جماعة من علماء الدين المتصوفين^(**) وبهذا تكونت جبهة عريضة لمعارضة النظام الجديد قوامها

(١) حبيب السيوفي : مرجع سابق، ص ٣٥.

(*) لمزيد من المعلومات عن الصراع الرجوع إلى كامل باشا : مصدر سابق، ج ٢، ص ٣١٧، ٣٢١.

(٢) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٣٩٢، ٣٩٣. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١١٩. أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول : وثيقة رقم . HAT.H . ١٧٣٧٤.

(٣) قيس جواد العزاوي : مرجع سابق، ص ٤٩.

(**) انتشرت الطرق الصوفية انتشاراً واسعاً في آسيا الصغرى أولاً ثم في الروم ألبى بعد ذلك. وكانت الإنشكارية تستمد نفوذها وسطوتها من البكتاشية إحدى الطرق الصوفية. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٧.

الإنشكارية والعلماء ورجال الطرق الصوفية، وعدد من أفراد الشعب وفريق من الوصوليين من رجال الدولة، وهذا الخليط تزعمه رجل يدعى قباقيجي أوغلي.^(١) والذي وضع خطة محكمة لاغتيال كبار رجال الدولة، والمؤيدين للنظام الجديد، والعمل على إلغائه، ثم عزل سليم الثالث أو اغتياله إذا تطلب الأمر.^(٢)

وفي هذه المرحلة كان من الممكن إخماد هذه الثورة والسيطرة عليها لو أن المعلومات وصلت إلى السلطان صحيحة، ولكن أبهم على هذه الثورة، وقدمت للسلطان سليم الثالث تقارير خاطئة بعدم خطورة هذه الحركة، وقد أوضح القائم مقام مصطفى باشا أنه سيعاقب المتسببين في هذه الثورة، ولكنه راسل الإنشكارية سرّاً وأخبرهم أن اللحظة التي سيجري فيها تحطيم النظام الجديد قد اقترب موعدها، فصارت الإنشكارية تعقد المجالس لتبادل المشورة والآراء، وإصدار القرارات، وقد خلا للمتآمرين الجو لتغيب الصدر الأعظم عبد الرحمن باشا ومصطفى باشا البيرقدار في مواقع الحرب، وكانا هذان الإثنان من أشد المتحمسين للإصلاح.^(٣)

ثم جاءت المرحلة الثانية في الثورة والتي صارت بقيادة قباقيجي أوغلي، وقد أعلن أنه عازم على دخول إستانبول في عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، وقد اطمأنت نفوس رؤساء الإنشكارية إلى اكتمال التخطيط وخيوط المؤامرة لإلغاء النظام

(١) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٣٩٢، ٣٩٣. محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ١١٩. عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٨. السيد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، ص ١٧. روبرت مانتريان : مرجع سابق، ج ٢، ص ٣١.

(٢) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٨.

(٣) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١١٩ - ١٢٠.

الجديد وعزل السلطان، وقد جمع قباقيجي أوغلي (*) في طريقة عدد من فرق الجيش الأخرى غير الإنشكارية، مستملاً أيّاهم بكرامات الشيخ بكتاش وأنهم أبناءه ولا يجوز أن يتنازلوا عن امتيازاتهم التي منحها لهم حاجي بكتاش. (١) وقد لقي هذا الزعيم مساندة كبيرة من عطاالله أفندي شيخ الإسلام قائمقام الصدر الأعظم، فقد دعموه سرّاً وقدموا له كل المساعدة التي يحتاجها. (٢)

وصلت قوات قباقيجي إلى إستانبول في الساعة الرابعة صباحاً والعاصمة في سكون وهدوء تام، وتجمعوا في آت ميدان وطبقاً لعادات وتقاليد الإنشكارية، جاءوا بالقرانات الفارغة ووضعوها مقلوبة متراسة في صفوف منتظمة، وهذا دليل على عصيانهم وتمردهم، وهذه القرانات كانت الإنشكارية تحترمها أكثر من أعلام الأوجاقات. ولم تكن تخرج إلا في الظروف المهمة وفي خروجها إلزام للإنشكارية إتباعها. (٣)

ثم جاءت الخطوة التالية حيث أعطاهم المفتي عطاالله أفندي لائحة كتبها بأسماء أنصار ورواد الإصلاح، وقرأت على الإنشكارية فطفقوا في العاصمة تدخل البيوت وتسلب وتنهب وقامت بقتل عدداً من الذين جاءت أسمائهم في القائمة، والآخرين لم تجددهم حيث اختفوا وفروا من إستانبول، وكان هؤلاء من كبار

(*) للاستزادة عن ثورة قباقيجي أوغلي وعن قتل الإنشكارية للمساتدين للإصلاح الرجوع إلى

محمد عبداللطيف البحرأوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٢٠-١٢١.

(١) إبراهيم حليم : مصدر سابق، ص ١٩٥، ١٩٦. عبداللطيف البحرأوي : حركة الإصلاح

العثماني، ص ١٢١. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٨.

(٢) إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٦٠.

(٣) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٣٩٣. بسام العسلي : مرجع سابق، ج ٥،

ص ٤٤٧، ٤٤٨. محمد عبد اللطيف البحرأوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٢١. عبد

العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٩.

موظفي الدولة، وقيل أنهم قتلوا سبعة عشر رجلاً، ثم أخذوا رؤوسهم ورصوها أمام القزانات ولم يكتفوا بذلك بل ساروا إلى قصر السلطان سليم الثالث وحاصروه. (١)

ثم ضربت الإنشكارية حصاراً حول القصر السلطاني وشددوا الحصار، فلم يملك سليم الثالث إزاء هذه الثورة إلا إلغاء النظام الجديد وتسريح الجنود الذين التحقوا بالجيش الجديد، وأصدر أمره بذلك، وقد حزن حزناً شديداً على ضياع مجهوداته. (٢) فلم يمهلّه الأجل حتى يرى نتيجة إصلاحاته ويجني ثمرة أعماله.

كما وأن الثوار لم يكتفوا بهذا الإلغاء بل صمموا على عزل السلطان سليم الثالث لعلمهم أنه سيعود إلى تنفيذ مشروعه في وقت لاحق، والانتقام منهم. وتهكموا على السلطان قائلين :

"يا أيها السلطان المغشوش بهذه التقاليد نسيت أنك أمير المؤمنين وعوضاً عن اتكالك على الله القادر العظيم الذي يبذل بدقيقة واحدة الجيوش الكثيرة العدد وأردت أن تشبه الإسلام بالكفار وأغضبت الله، فكيف يسوغ لك أن تكون أمير المؤمنين ومحامياً عن الدين ؟ ! فالعساكر المحافظة على كرسيك لم يبق لهم ثقة بك، والمملكة أضحت مضطربة فيجب عليك أن تلاحظ وتفصل على كل شيء شرف الإيمان وسلامة الإسلام. (٣)

(١) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٣٩٣. إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٦٠. أحمد زيني دحلان : مصدر سابق، ص ٢٧٦. على سلطان : مرجع سابق، ص ٢٦٨. محمد ضياء الدين الريس : مرجع سابق، ص ١١١.

(٢) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٣٩٣. السيد رجب حراز : الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، ص ١٧. محمد ضياء الدين الريس : مرجع سابق، ص ١١١.

(٣) أحمد زيني دحلان : مصدر سابق، ص ٢٧٦. محمد ضياء الدين الريس : مرجع سابق، ص ١١١. محمد عبداللطيف البحرأوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٢٢، ١٢٣.

وفيما يبدو أن الإنشكارية التي ظلت تردد أن السلطان لم يعد أهل للحكم لأنه أراد الاستعانة بنظم الحديثة، يبدو أنهم نسوا قول الله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (*)

إن تفسير هذه الآية الكريمة يتضمن الإعداد والاستعداد لقتال الأعداء بجميع أنواع القوة : المادية، والمعنوية، كما يجري، إعداد الخيل التي تربط في سبيل الله حتى تخيفوا بتلك القوة الكفار أعداء الله وأعداء المسلمين. وهكذا نرى أن الله سبحانه يأمر المسلمين المجاهدين في سبيل الله إعداد القوة اللازمة لقتال الأعداء، وقد جاء التعبير عاماً " من قوة " ليشمل القوة المادية، والقوة الروحية، وجميع أسباب القوة، من أسلحة جديدة وعتاد حربي متطور. (١)

وهذا ما أخذ به السلطان سليم الثالث، حيث أراد مواجهة العدو بأسباب القوة والتي يدخل تحتها إعداد جيش مدرب على أحدث الطرق سواء أوروبية أو عربية، كما أن إعداد القوة يلزم شراء أسلحة جديدة، وإذا كانت على النظم الحديثة، فلا بد من تدريب جيش لهذا الأمر، وهذا ما حدث، ولكن الإنشكارية أهملت أمر الإعداد للحرب، وأرادت البقاء على حالها فأين هذه الآية من ذهنهم عندما أرادوا عزل السلطان سليم الثالث. الذي أراد إعداد جيش بأحدث الأسلحة لمواجهة أوروبا وروسيا والتي كانت قوتها على أحدث طراز. ربما يكون خطأ سليم الثالث الوحيد، هو إرغامهم على إرتداء ملابس عسكرية على الطراز الافرنجي، فلا يضر أن يتركهم على نفس ملابسهم طالما أنها ملابسهم منذ إنشائهم فلن يتنازلوا عنها. أما مسألة الزي الأوروبي كانت ستأتي مع الوقت.

ونعود للإنشكارية المحاصرة للقصر، والذين بعد تهكمهم على السلطان، قام

(*) سورة الأنفال، آية ٦.

(١) محمد علي الصابوني : مصدر سابق، ج ١، ص ٥١١، ٥١٢.

قباقي وخطب فيهم أن السلطان الذي وضعوا ثقتهم فيه، قد عاملهم بعنف طوال اثني عشر سنة، وأنه حقر نظمهم وأهمل مشورة علمائهم، وفرض عليهم نظم الكفار التي رفضوها، واسترسل قباقي في الحديث وأوضح أنه وجب عزل هذا السلطان حتى لا يفكروا في استرداد النظم الأوروبية وينتقم منهم، وهنا يتوجب على الإنشكارية حمل السلاح مرة أخرى للدفاع عن نظامهم الذي وصفه سليم بالنظم الفاسدة وبعد الحديث المثير، طالبت الإنشكارية بعزل السلطان سليم، ولكن قباقي رفع الأمر للمفتي الذي هو مصدر التشريع وتتصرف الإنشكارية دائماً طبقاً لفتواه.

وأخيراً قرر شيخ الإسلام " عطاء الله أفندي " عزل السلطان سليم الثالث في عام ١٢٢٢ هـ / ١٨٠٧ م، وجاء في فتواه شيخ الإسلام " إن كل سلطان يدخل نظم الإفرنج وعاداتهم ويجبر الرعية على إتباعها لا يكون صالحاً للملك " (١) وكلفت الإنشكارية شيخ الإسلام بتبليغ السلطان سليم الثالث فتوى عزله، فذهب إليه وطلب المثل أمامه، فدخل عليه متذللاً منخفض الرأس قائلاً : يا مولانا إني قد حضرت برسالة محزنة أرجوك قبولها لتسكين الهيجان وليس خافياً على مسامعكم الشريفة بأن الإنشكارية قد نادوا باسم السلطان " مصطفى الرابع " ابن عمك سلطاناً عليهم، فلم تظهر على السلطان أي كآبة أو حزن وودع الجالسين وخرج من القاعة وعجز عن المقاومة، ولكنه أفرغ خلاصة تجاربه في جعبة ابن أخيه محمود الثاني، الذي بعث حركة الإصلاح بعد سليم الثالث وأخذ عن سليم خلاصة تجاربه وأفكاره.

وتم تنصيب مصطفى الرابع، الذي سارع بإلغاء مشروع تطوير الجيش العثماني على الطريقة الأوروبية لاعتراض الإنشكارية عليه وتم قتل بعض

(١) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٣٩٣. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١،

ص ٥٢٩. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٢٤، ١٢٥.

الوزراء المؤيدين للنظام الجديد، بينما اختفى البعض الآخر عن الأنظار. خضوع سليم الثالث لرغبة الإنشكارية لم يعصمه من القتل في العام التالي، حيث قامت ثورة على يد البيرقدار مصطفى باشا لإعادة النظام الجديد وإعادة سليم إلى العرش. (١)

والواقع أن حركة البيرقدار أوضحت للعيان أن النظم العسكرية الحديثة اكتسبت مؤيدين على نطاق واسع خارج هيتي العلماء والإنشكارية، أي أنها أصبحت حركة شعبية على نطاق معين، رغم النكسة التي تعرضت لها على أيدي الإنشكارية وعزل سليم الثالث، إلا أن هذا يعني نجاح سليم رغم عزله - في إرساء قواعد للنظم الحديثة، ورغم ما ينقصه من رباطة الجأش. (٢) وكان ينقصه أيضاً دعم الهيئة الدينية أي العلماء والمفتي فهؤلاء انضموا إلى الإنشكارية مما أعطاهم القوة والصلاحية في قلب الموازين، كما أن الثورة من الإنشكارية جاءت مبكرة وسريعة في الوقت الذي كانت فيه الفرقة الجديدة في بدايتها، وزاد من حدة الثورة أن التعاليم الإسلامية في نظرهم عدته كفراً مما زاد من هيجان الإنشكارية وهذا أدى إلى عواقب وخيمة.

وهذا يدحض رأي المستشرق الذي قال، أن حركة العصيان هذه غير خطيرة في بدايتها، وعلى الرغم من أنه كان ظاهراً منذ البداية أن الإنشكارية غير راضية تماماً عن النظم الحديثة، وحاولوا القضاء على هذا الكفر حسب إعتقادهم، كما يدحض القول بأن هذا الحدث يعبر عن هشاشة السلطة، ومحدودية أثر الإصلاحات على عدد معين من العناصر الأساسية في الدولة العثمانية، وهذا عكس ما ثبت

(١) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٩ - ٥٣٠.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٢٩.

في حركة (*) البيرقدار التي اشترك فيها جيش وشعب على حد سواء، وقد تمتع السلطان سليم بقوة الشخصية حيث وضع أساس الإصلاح واستطاع أن يبذر بذور الإصلاح في نفوس الناس، وأثر تأثيراً عميقاً بأفكاره الإصلاحية وثباته عليها، على الناس، وهذا يتضح في موقفه أثناء تبليغه بخبر العزل، حيث ثبت ولم ينهار وضحي بكل شيء في سبيل إدخال النظم الحديثة على الجيش بصفة عامة والإنشكارية بصفة خاصة.

وهذا الحدث في إحدى تفاصيله الصغيرة، وهي إصدار فتوى من شيخ الإسلام لعزل السلطان سليم الثالث، يدل على مدى التزام الإنشكارية بالإسلام وصرامة هذا الأمر في نظرهم، رغم فداحة النتائج إلا أن إسلامهم منعهم من ترك سلطان أدخل أنظمة الفرنجة المنافية للإسلام، على عرش السلطنة. (١)

والواقع أن إصلاحات سليم الثالث كانت بداية عهد جديد من التغيير، لإتقاذ الدولة من الأطماع الأوروبية، والضغط الاستعمارية التي تكالبت على الدولة العثمانية من كل جانب. (٢) والواقع أنه بنهاية عهد سليم الثالث أثبتت الإنشكارية أن حركات العصيان وسيلة لتحقيق رغباتهم من ناحية، ومن ناحية أخرى أثبتوا لسائر أفراد الجيش وكبار رجال الدولة والأهالي أنهم لا يزالون أولي بأساً شديداً، يستطيعون عزل السلاطين وقد قتل سليم الثالث في العام الذي تلاه ١٢٢٣هـ — / ١٨٠٨م (٣)

(*) لمزيد من تفاصيل حركة البيرقدار الرجوع عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٣٠ - ٥٣٣.

(١) زياد أبو غنيمة : مرجع سابق، ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص ٢٥٩.

(٣) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٤٩٩.

وكانت هذه خاتمة آمال سليم الثالث، فقد دفع حياته ثمناً لهذه المحاولة الجريئة الفريدة من نوعها، ولكن جهوده لم تذهب هباءً، فقد ترك مدرسة من الرجال، حملوا لواء الإصلاح بعده، ودل على الطريق الذي يسير عليه من جاء بعده، ولا شك أنه كان الملهم للسلطان محمود الثاني. (*)

قد كانت انقلابات إستانبول هي المدرسة التي تخرج منها السلطان محمود الثاني، حيث شارك في أحداثها ورأى بنفسه الأسباب والنتائج، وأدرك أن مستقبل الدولة بين يديه، وكانت انقلابات إستانبول المرآة التي عكست الصورة وأوضحت الأمور. (١) للسلطان وأفراد الشعب، فقد رأى محمود الثاني معارضة الإنشكارية للنظم الحديثة، ومدى تشبثهم برأيهم، فوضع نصب عينه أمر الإنشكارية منذ توليه العرش.

السلطان محمود الثاني هو الابن الثاني للسلطان عبد الحميد الأول (**) وعندما تولى العرش كان آخر من تبقى من نسل آل عثمان، (٢) كان من أنصار التنظيمات على النمط الغربي، وعلى الرغم من مشاهدته مصير سليم الثالث

(*) هناك رأي يقول أن إصلاحات سليم الثالث هي الملهمة لمحمد علي في مصر. محمد ضياء الدين الرئيس : مرجع سابق، ص ١١٢.

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٣١.

(**) هو ابن السلطان عبد الحميد الأول من امرأة فرنسية، اسمها أيمه دي بيك دي ريفري ابنة عم الإمبراطورة جوزفين، وقد أسرها القراصنة أثناء سفرها الطويل في البحر للالتحاق بوالدها في مزرعته في المارتنيك، وسيقت كأمة إلى باي تونس الذي أذهله جمالها فقدمها هدية إلى السلطان عبد الحميد الأول فولدت له محمود. ويدعي بعض المؤرخين أنها هي من زرعت في ابنها روح إصلاح نظم بلاده. مرجع سابق، ص ١٣٢. سعيد أحمد برجلاوي: مرجع سابق، ص ٢١٠.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٣٢.

وأنصاره، إلا أنه ظل يتربص الفرصة المناسبة للبدء في استكمال إدخال النظم الحديثة على الإنشكارية، فقد كان يفهم الحالة المتدنية التي وصلت إليها الدولة (*) من اضطراب شديد وفوضى عارمة على جميع الأصعدة، والعقبة الرئيسية أمامه هي الإنشكارية الفاسدة الرافضة لأي إصلاح، لذلك لم يفصح عن أي قوانين أو تنظيمات جديدة، لذا فقد صبر محمود الثاني ورتب نفسه، وأنتظر أكثر من ثمانية عشر عاماً حتى يحقق مراده. فأقر التنظيمات والقوانين القديمة، وأخفى قوانينه وإصلاحاته خلف الستار. (١)

لقد نظر محمود الثاني إلى حال الدولة عند توليه العرش حيث وجدها تأخرت نحو نصف قرن في مدة حكم مصطفى الرابع التي لم تتجاوز أربعة عشر شهراً. (٢)

لقد تولى محمود الثاني العرش في الوقت الذي كانت تهاجم فيه الدولة من كل جانب مع تراجع الإنشكارية أمام روسيا وعدم استطاعتها مواجهة الدعوة السلفية (**) في الحجاز، إضافة إلى ثورات وتمردات الإنشكارية المستمرة داخل

(*) كما وأن حكمه كان يتعرض لمضايقات النصارى داخل إسطنبول. علي رشاد : تركيا والتنظيمات تاريخ الإصلاح في الدولة العثمانية، د. ط، إسطنبول مطبعة عامرة، ١٣٣٢هـ، ص ١٢.

(١) علي رشاد : مصدر سابق، ص ١٢. عبد اللطيف الحميد : مرجع سابق، ص ٢٦. سعيد أحمد برجاي : مرجع سابق، ص ٢١٣. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع سابق، ص ١٨٧، ١٨٨. السيد رجب حراز : مرجع سابق، ص ١٧.

(٢) إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٦١.

(**) هي دعوة دينية إصلاحية ظهرت في وسط شبه الجزيرة العربية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب والتي استهدفت في جوهرها القضاء على البدع والخرافات السائدة ثم تحولت إلى حركة سياسية قامت على أثرها الدولة السعودية الأولى في عام ١١٥٧هـ عبد الله

العاصمة. (١) وقد اتضح لمحمود الثاني أن العقبة (*) أمام إدخال النظم الحديثة في الإنشكارية، فكان لزاماً أن يعمل على إزالتها، ورأى أن غلطة سليم الثالث أنه سار في طريق الإصلاح، دون أن يعمل على إزالة هذه العقبة، كما وأن اشتداد نفوذ الإنشكارية قد حطم كل مجهودات الإصلاح من قبل السلاطين السابقين، وخطوة مهمة كإدخال النظم الحديثة كانت تحتاج للتأييد والحذر الشديد، خاصة وأن عدد الإنشكارية كان قد زاد عن الحد المطلوب فهم مائتين وتسعة وعشرين أورطة سبعة وسبعون منها في العاصمة. (٢)

وكانت فاتحة أعمال محمود الثاني تعيين البيرقدار مصطفى باشا في الصدارة العظمى، وأوكل إليه أمر تنظيم الإنشكارية، وإرغامهم على إتباع نظمهم القديمة منذ عهد السلطان سليمان القانوني، والتي أهملت شيئاً فشيئاً. (٣)

وقد حاول محمود الثاني في البداية التعامل معهم بالحسنى وإقناعهم بالنظم

= صالح الغيثمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ١، الطبعة العاشرة، الرياض: العبيكان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص ٨١-٨٥.

(١) عمر عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي، ص ٢٦٦.

(*) اتضحت ضرورة القضاء على الإنشكارية من رسالة أرسلها سفير إنجلترا لدولته في تاريخ ١٢٢٤هـ / ٣ يونيو ١٨٠٩م حيث قال " لقد رفض الإنشكارية الاعتراف بالوزير الكبير، وإلى أن يتم الحصول على موافقتهم فقد ظل لا يجرؤ على الظهور في العاصمة وعلى ذلك فلا يمكن القول أنه يحكم الدولة، ولما أمروا بالتوجه للقلاع ... ووصلوا للدانوب كانوا حريصين على قيد أسمائهم في الكشوف بدلاً من حرصهم على التجمع في جيش واحد وتحت قيادة واحدة.. أنهم يعرضون بلادهم لحرب أهلية، مع أنهم على مرأى من خيام الروس "

(٢) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني، ص ١٦٩، ١٧٠.

(٣) محمود فريد المحامي: مصدر سابق، ص ٣٩٨. بسام العسلي: مرجع سابق، ج ٥،

الحديثة، والتعظيم العسكري على النظام الأوروبي وعرض عليهم معاشاً لكل من يرفض منهم الانضمام إلى هذه الفرقة في سبيل اقتناعهم بقبول إدخال النظم الحديثة إلى فيالق الإنشكارية حتى تكون متمشية في تنظيمها وتسليحها مع سائر فرق الجيش الأخرى، وعلى الرغم من اقتناع السلطان محمود أنهم سوف يرفضوا طلبه، إلا أنه أراد أن يمد لهم حبال الصبر، ويمنحهم فرصة أخرى قبل أن يخوض مواجهة عسكرية سافرة ضدهم. (١)

وعندما لم يجد محمود الثاني نتيجة من الحسنى مع الإنشكارية قام في مستهل حكمه عام ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م، مقدم حسن النية، باستدعاء جميع كبار رجال الدولة والوزراء والأمراء وأهل الحل والعقد وشيخ الإسلام وبكلربك الروم إيلي، وبكلربك الأناضول، وحكام الولايات القريبة من العاصمة، وعندما لبى الجميع دعوة السلطان قام بعقد اجتماع معهم، شرح (*) فيه ما آل إليه حال الإنشكارية من تدهور وانحطاط بعد أن كانوا أداة بطش للدفاع عن الإسلام والدولة العثمانية، وأوضح ما يجب. أن تكون عليه من الالتزام الصارم بالانضباط العسكري (**). وعرض حلولاً من شأنها رفع مستوى الإنشكارية أهمها، ضرورة تسليحهم بالأسلحة النارية المخترعة حديثاً، وضرورة إنشاء جيش منظم يعادل الجيوش الأوروبية، حتى يستطيع العثمانيون مواجهة الأعداء خاصة روسيا،

(١) السيد رجب حراز : مرجع سابق، ص ١٧. عبد العزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٣٤.

(*) الحديث الذي دار في الاجتماع، انظر مخطوط السيد أحمد محمد أسعد الإستنبولي، أس ظفر، إستنبول، ١٢٤٣هـ، محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١٦٤ س، ٤٨٣٥، تاريخ تركي ورقة، ١٧-٢١.

(**) لمزيد من تفاصيل الحديث الرجوع إلى إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٦٣.

والتي استخدمت الأسلحة الحديثة، وهكذا تمكن السلطان محمود من إقناع جميع الحضور حتى المفتي نفسه بضرورة الإصلاح، وإن بقيت المعارضة موجودة من البعض، وتم اختتام الحديث بعرض عدة إقتراحات أهمها تسليحهم بأسلحة نارية حديثة.^(*) وأكد الصدر الأعظم أن الإنكشارية لو استجابت لهذه الاقتراحات، لعادت الإنكشارية لمجدها القديم، ولاستطاعت التغلب على الجيوش الأوروبية، ولأصبحت الإنكشارية من أقوى الجيوش في العالم. فأقرا الجميع ما جاء من إصلاحات وحرروا محضراً بذلك، ولم يكتف الصدر الأعظم بذلك، بل أستصدر فتوى من شيخ الإسلام، بضرورة تنفيذ هذه المقترحات على الإنكشارية بكل صرامة وحزم، وأصدر الصدر الأعظم أوامره بتنفيذ هذه المقترحات متحصناً بموافقة المجلس وفتوى شيخ الإسلام.^(١) وقد أقسم بعض من زعماء الإنكشارية وكبار الشخصيات الدينية على تنفيذ هذه الخطوة الإصلاحية والتي وصفت بأنها تتماشى مع المبادئ الإسلامية.^(٢)

(*) أهم القرارات التي جاءت في الاجتماع :-

إلزام الإنكشارية بملازمة ثكناتهم أيام السلم خاصة غير المتزوجين منهم.

وقف صرف مرتبات وبدلات الساكنين خارجها.

ضرورة مواظبتهم على حضور التدريبات العسكرية.

تسليحهم بالأسلحة النارية الحديثة، وتمرينهم على الأسس العسكرية المطبقة في الجيوش الأوروبية.

وقف عادة بيع الوظائف.

انظر محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص ٣٣٢.

(١) محمد أسعد : أس ظفر، ورقة ١٩. إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٦٣.

محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٣٩٨. بسام العسلي : مرجع سابق، ج ٥،

ص ٢٥١. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٣٥.

(٢) عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي، ص ٢٦٧.

ونجد هنا أن خطوة محمود الثاني هذه كانت مشابهة لخطوة سليم الثالث من حيث الاجتماع وأخذ رأي أهل المشورة وكبار رجال الدولة، ولكن محمود تعلم درساً من سليم الثالث وهي أهمية شيخ الإسلام، فحرص محمود على عدم ارتكاب نفس خطأ سليم وهو عدم كسب شيخ الإسلام لصفه، وحصل على فتوى رسمية بضرورة إجراء الإصلاحات وإدخال النظم الحديثة من شيخ الإسلام وبذلك ضمن ولاء الهيئة الدينية.

وأصدر محمود الثاني قراراً بأن مصاريف هذه الاقتراحات تخرج من خزينة السلطان الخاصة، وبالرغم من أنه أبقى على فرقة الإنشكارية ولم يقم حتى تلك اللحظة بإلغائها، إلا أنه قرر اختيار مائة وخمسين شخصاً من كل وحدة عسكرية للإنشكارية موجودة في إستانبول وذلك حتى يتسنى له تشكيل ذلك الجيش الجديد، وبهذا أظهر محمود الثاني للإنشكارية أنه متمسك بقرارات جده سليمان القانوني وأنه محافظ على القوانين القديمة. كما أنه في نفس الوقت كان للقرار الجديد الخاص بالتشكيل العسكري الجديد أثره، حيث يقضي بأن يكون جميع أفراد التشكيل من المسلمين وليسوا من النصارى. وسيكون تعليمهم على أيدي ضباط عرب من الذين قاموا بمناورات حربية مع الجيوش الأوروبية، وبفضل هذا القرار لم يمانع الإنشكارية من تنفيذ التعليمات، وتم تعيين قاضي وإمام لكل فرقة في الإنشكارية.^(١) وفي نفس الوقت عمل الصدر الأعظم مصطفى باشا على تنفيذ القرارات بكل صرامة وشدة، وأدخل أغلب الضباط الجيوش المنتظمة التي أمر بإبطالها في جيش الإنشكارية في الوظائف المهمة والحساسة، وهؤلاء عملوا

(١) علي رشاد: مرجع سابق، ص ١٢-١٣. أُرشيف رئاسة الوزراء -أستانبول. رقم الوثيقة

على تنفيذ رغباته بكل عناية وشدة. (١)

هذه الأعمال وأعمال الصدر الأعظم جعلت الإنشكارية تضرر الثورة والحقده على الصدر الأعظم البيرقدار مصطفى باشا واستغلوا خلوا العاصمة من جيشه المدرب على النظم الحديثة، وقاموا بثورة أضرموا النار في إستانبول وساروا بأسلحتهم يطلبون قتل العساكر الذين تعلموا على النظم الحديثة، وأحاطوا بقصر الصدر الأعظم، وأحرقوه ودافع الصدر الأعظم عن نفسه بمنتهى البسالة حتى مات، في سبيل مبدأ آمن به، ودارت معارك طاحنة بين السلطان وأنصاره، وبين الإنشكارية، حتى أن قطع من الأسطول العثماني قامت بضرب الإنشكارية من البحر، ومع أن للنظم الحديثة أنصار ومؤيدين كثر مستعدين للتضحية بأنفسهم من أجل إحلال النظم الحديثة وتدريب الإنشكارية، إلا أن النار كادت تلتهم إستانبول، مما حمل السلطان (*) على الاستجابة لرغبات الإنشكارية وصرف النظر عن النظم الحديثة. (٢)

ومع هذه الأحداث فقد أنقسم الناس بين من يؤيد التعليم الحديث ومن يكرهه،

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٧٠ : ١٧١.

(*) هذه الأحداث أرغمت السلطات محمود الثاني على عقد إتفاقية مع إنجلترا في ربيع الآخر ١٢٢٤هـ / يوليه ١٨٠٩م وقام بالتفاوض مع روسيا التي تجددت معها الحرب. بسام العسلي : مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٥١.

(٢) إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٦٤. محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٣٩٨ - ٤٠٠. أحمد زيني دحلان : مصدر سابق، ص ٢٨٠، ٢٨١. بسام العسلي : مرجع سابق، ص ٢٧٥. محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص ٣٣٢، ٣٣٣. عمر عبد العزيز : مرجع سابق ص ٢٦٣. لمزيد من التفاصيل عن الثورة الرجوع عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ٥٣٦ - ٥٣٨. أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول : رقم الوثيقة ١٧٣٩٣. HATH.

وهذا يدل على أن إدخال النظم الحديثة لم ينته وإنما استمر حيث قام السلطان محمود الثاني بتأجيل تنفيذه وقت ما يتسنى له التخلص من هذه الفئة. والدليل على ذلك أنه قام بإنشاء فرقة إسمها عسكر جديد " سكبان " موالية للسلطان احتراساً من تجدد أي فتنة. (١)

ونتج عن هذا التمرد عزل شيخ الإسلام عطاء الله أفندي الذي أصدر الفتوى بضرورة إصلاح الإنشكارية وتم تعيين مكانه علي عرب زاده محمد عراف أفندي، وكان شيخاً ذا عفة ورأي سديد ومن أنصار الإصلاح، وهو أكثر ما احتاج له محمود الثاني في تلك الفترة. (٢)

وإذا ما تحقق النظر في أسباب هذه الثورة، نجد أنه بجانب رفضهم للنظم الحديثة، كانت هناك أسباب مالية، وهي أن الإنشكارية في ذلك الوقت كانت قد فقدت صفتها العسكرية وأصبحت وسيلة للتكسب، مما قلل ارتباطهم بالتكنة العسكرية، فصاروا لا يذهبوا إليها إلا لتسلم الرواتب التي تسمى علوفة، وما يتبع ذلك من بيع هذه العلوفة، والتي بلغت في عهد محمود الثاني مائة وخمسة وثلاثين ألف تذكرة، تصرف بموجبها مرتبات شهرية من خزانة الدولة. ولم يكن من حاملي هذه التذاكر يقوم بعمل الجندية أكثر من خمسة في المائة. وكان طبيعي أن يثور أصحاب هذه المنافع ضد أي إصلاح للإنشكارية يستهدف سحب البساط من تحت أقدامهم ببطء. (٣)

في عام ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م اندلعت الثورة اليونانية في شبه جزيرة

(١) محمد أسعد : أس ظفر، ورقة ٦٦.

(٢) أحمد زيني دحلان : مصدر سابق، ص ٢٨٠. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٧٢.

(٣) محمد كمال الدسوقي : مرجع سابق، ص ١١٢.

المورة، وقد ظفر الثوار بانتصارات سريعة وباهرة على القوات التي أرسلها محمود الثاني بقيادة خورشيد باشا، وفشلت الإنشكارية في صد الثورة وإيقافها، التي انتقلت من نصر إلى آخر^(*)، ولم يمر عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢ م حتى تقلص النفوذ العثماني في شبة جزيرة المورة مما جعل الإنشكارية في موضع تهكم وسخرية الشعب، والتي كانت تعلق آمالاً كبيرة على الإنشكارية، بسبب ما اشتهرت به من شجاعة وكفاية قتالية. وفي هذا الوقت العصيب استعان السلطان محمود الثاني بوالي مصر محمد علي باشا، لإخماد ثورة اليونان والذي سارع بإرسال قوة من الجيش المصري بقيادة ابنه إبراهيم باشا^(**)، واستطاعت هذه الحملة إخضاع بلاد اليونان مثلما أخضعت شبة جزيرة العرب للعثمانيين من قبل. وبذلك قارن الناس ما بين إخفاق الإنشكارية وانتصار الجيش المصري، وهنا عزم محمود الثاني على توجيه ضربة قاضية للإنشكارية إذا أصرت على الرفض.^(١)

(*) لقد انتقل انتصار الثوار اليونانيين إلى مقدونيا وساليا، واستولوا على المدن، والمراكز الحصينة، مثل تريبولتزا مقر السلطة العثمانية في المنطقة، وقاموا بمذابح رهيبة ضد القوات العثمانية والسكان المسلمين. راجع عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٣٩.

(**) كان إبراهيم باشا على رأس حملة كبيرة من الجيش المصري تحرسه عدداً من وحدات الأسطول المصري، وأطلقت الحملة من الإسكندرية في عام ١٢٤٠هـ / و ١٨٢٤م وتمكنت القوات المصرية من النزول في مودن في أقصى الطرف الجنوبي الغربي للمورة، وأخضعها وفي العام الذي تلاه استطاعت خلاله توجيه ضربات عنيفة للثوار، واستولت على معظم المدن الحصينة مثل مسولنجي، وتريبوليتزا، وأثينا، وبسقوط هذه الأخيرة أصبحت المورة بأكملها في أيدي القوات المصرية راجع عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٤٠.

(١) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٣٨-٥٤٠. محمود السيد : مرجع سابق، ص ١٣١، ١٣٢.

يتضح هنا أن الإنشكارية خسرت المناصرة الشعبية وبذلك أصبحت لا تستطيع المقاومة وحدها، خاصة وأن الجميع إلا قلة اقتنعوا بضرورة الإصلاح.

كان السلطان محمود الثاني يتابع الأعمال القتالية في اليونان بمنتهى الاهتمام، حيث أكدت له التجارب أفضلية الأنظمة والأساليب الحديثة والتي سارت عليها جيوش أوروبا وكذلك الجيش المصري، وكان ما أنجزه إبراهيم باشا من انتصارات بجيشه الحديث، مثال حي خير برهان على ضرورة إدخال النظم الحديثة، وأظهرت محاسن العسكر الجديد عند الناس بحيث لم تعد هناك معارضة للإصلاح، وأصبح هذا الأمر ضرورياً.^(١)(*)

وهكذا عاد محمود الثاني إلى كيفية إصلاح أمر الإنشكارية وجرت مشاورات ومراسلات بين رجال الدولة، وأخيراً استقر الرأي على التعامل مرة أخرى بالحسنى، لأن محمود رأى أن إعدام أعداد كبيرة منهم أمر منافي للعدل والحق، ولذلك قرر التفاهم معهم، فإذا وافقوا كان أفضل ويتم كتابة موافقتهم.^(٢)

تمكن السلطان محمود الثاني من إقناع العلماء ورؤساء الإنشكارية وشيخ الإسلام بضرورة الإصلاح، وإن بقي البعض معارض لكل تجديد، وتم عقد الاجتماع الثاني في عهده عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م حيث عقد اجتماع لكبار رجال الدولة، حضره رجال الهيئة الدينية الإسلامية، وكبار ضباط فيالق الإنشكارية في عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م وقد ترأس الاجتماع الصدر الأعظم "

(١) بسام العسلي : مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٧٥. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٧٤.

(*) حيث أنشئ من الفلاحين عام ١٢٣٦هـ - ١٨٢٠م ولكن على الأساليب والنظم الحديثة، واستقدم الخبراء العسكريين من دول أوروبا لتدريب أفرادها على أحدث النظم الحديثة. عبدالعزيز الشناوي: مرجع سابق، ج ١، ص ٥٤٢، ٥٤١.

(٢) مرجع سابق، ج ١، ص ٥٤١، ٥٤٢.

سليم محمد مظهر باشا " الذي قام بشرح وعمل عرض سريع لما وصلت إليه الإنشكارية من ضعف وانهييار. (١)

أساسه عدم انضباط الإنشكارية، وانعدام الطاعة للقادة والرؤساء، وكثرة تمرداتهم، وتدخلهم في المسائل السياسية العليا، وميلهم للسلب والنهب، وارتكاب المعاصي والآثام في وضح النهار، دون خوف أو رادع، وبهذه الأعمال غدت الإنشكارية من أكبر عوامل ضعف الدولة العثمانية بالمقارنة مع ما وصلت إليه الدول الأوروبية من تقدم وتطور، وأظهر أنه من المحال أن تواجه الإنشكارية جيوش أوروبا وهي بهذه الحالة من الضعف، فأقتنع الحضور بضرورة إصلاح الجيش وإدخال النظم الحديثة عليه للمرة الثانية، ثم تلا المكتوبجي - هو كاتم السر في الاجتماع - مشروع الإصلاح والمكون من ست وأربعين مادة.

وتمت الموافقة على هذه البنود وحررت مضبطة - محضر - حمل تواريخ وأختام جميع الحضور بما فيهم قادة الإنشكارية، ثم أعيد قراءة المشروع مرة أخرى لضباط الإنشكارية مرة أخرى فأقروه، وأفتى شيخ الإسلام بوجوب تنفيذ هذه التعديلات ومن يعارض تنفيذها يتم معاقبته، فأقر ضباط الإنشكارية ذلك. إضافة إلى أن الإنشكارية لن يصبحوا مبعدين عن القوات الجديدة بل سيزودونها بوحدهاتهم الأولى وكل أورطة تقدم مائة وخمسين جندياً كما حدث سابقاً. (٢)

والملاحظة المهمة هنا أن السلطان محمود الثاني اختار دار شيخ الإسلام

(١) محمد أسعد : أس ظفر، ورقة ١٨ - ٢٠. محمد عبد اللطيف البحراري : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٧٤.

(٢) محمد عبد اللطيف البحراري : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٧٤، ١٧٦ جلال يحيى : مرجع سابق، ص ٩٧. يسام العسلي : مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٧٥. عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي، ص ٢٢٨، ٢٢٩. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٤٧ - ٥٤٨. أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول : رقم الوثيقة ١٧٣٧٤ HAT.H.

مكاناً لعقد هذا المجلس الموسع، بهدف إضفاء الشرعية الدينية على القرارات، مما يجعل الأهالي يتقبلوها ويقتنعون بها دون مناقشة لأنها تمت في دار شيخ الإسلام وفي حضوره وموافقة^(١). وهذا يعني أنها لا تخالف الشريعة الإسلامية مطلقاً، ومن واجب الأهالي مساعدة ولي الأمر لإتمام هذا الأمر.

وفي اليوم التالي للاجتماع، أصدر السلطان محمود الثاني في ضوء القرارات التي صدرت مسبقاً، خط شريف يقضي بإنشاء جيش جديد وفقاً للنظم الأوروبية الحديثة، وأشتمل هذا الخط الشريف على ست وأربعين من المواد التي أقرها الاجتماع الموسع.

وعلى هذا الخط الشريف ثلاث ملاحظات هامة :

أولاً : لم يعمد السلطان محمود إلى إلغاء الإنشكارية، بل أبقى عليها، وقرر أن كل أورطة ستمد الفرق الجديدة بمائة وخمسين جندياً وفي ذلك استمالة للإنشكارية حين يدركون أن السلطان قد أبقى عليهم كعسكريين، وأنهم ليسوا مبغدين عن القوات الجديدة.

ثانياً : قرر السلطان عدم استخدام خبراء أو ضباطاً مسيحيين في تدريب الفرق الجديدة، وقد أراد السلطان بهذا القرار أن يقطع الطريق عليهم فلا يعمدون إلى الإثارة الدينية سواء هم أو العلماء.

ثالثاً : تجنب السلطان ذكر " النظام الجديد " في الخط الشريف "، لأن هذا النظام يقترب في الأذهان بأعمال السلطان سليم الثالث الإصلاحية، وعلى النقيض صور الفرق الجديدة على أنها بعث للنظام العسكري الصارم الذي أرسى قواعده السلطان سليمان القانوني. وقد لقي هذا الخط تأييداً واسعاً.^(٢)

(١) عبدالعزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٤٨.

(٢) مرجع سابق، ج ١، ص ٥٤٩، ٥٥٠.

وهكذا نجح محمود الثاني إلى حد ما في تهيئة الجو المناسب للإصلاح، وتكوين رأي عام، وإكساب العلماء إلى جاتبه، وبذلك حقق التفرقة بين العلماء والإنشكارية، بعد ما كانوا دائماً مساندين لحركاتهم وتمرداتهم، كما أوجد انقساماً داخل الإنشكارية نفسها مما يمهّد السبيل للقضاء عليهم فيما بعد.^(١) وهذا ما فشل

فيه سليم الثالث، فلم يستطع كسب رأي العلماء مما أفقده السيطرة على الموقف.

لكن موافقة ضباط الإنشكارية لم تكن إلا ظاهرية، من أجل كسب الوقت، والإعداد الجيد للثورة وإحباط الفرق الجديدة، وبذلك أظهرُوا غير الذي في قلوبهم، فما كاد الضباط يبدأوا في تعليم الفرق الجديدة، حتى تنبه الإنشكارية إلى عواقب الأمر، وعرفوا أن هذا النظام سيكون سبباً في ضياع كافة امتيازاتهم، فرأى أنصار الإصلاح أنه من الضروري بيان أسس فريضة الجهاد التي هي إحدى الدعامات الرئيسية للدولة، وأن يشرحوا أن طاعة ولي الأمر هي الأساس الذي تقوم عليه هذه الفريضة، ومع هذه الأحاديث لم يفد الإنشكارية بشيء بل زاد تمردهم، فلم يكد يبدأ الضباط التدريب والإشراف على تنظيم الجنود، حتى زاد التذمر، على الرغم من أن الضباط الذين يقومون بتدريب الجند كانوا من المسلمين حتى لا تتور الإنشكارية، فقد كان السلطان حريصاً على عدم ظهور الضابط المسيحيين إلا نادراً، وكمدربين ويجوارهم ضباط مسلمون لتقليد حركاتهم فقط، وبدأت الوحدات في التدريب واستلمت كسوتها ومعداتُها، وأطلق على هذه الفرقة اسم إشكنجي "الجنود العاملون" وهذه التسمية إحياء لاسم قديم كان يطلق على جنود الإنشكارية أثناء قيامهم بالعمل.

وما أن مضت عشرة أيام على الحفل الرسمي الذي أقيم بمناسبة بدء تكوين الفرق الجديدة، حتى بدأت بوادر التمرد والعصيان. ومما زاد في إشعال نار

(١) محمد عبداللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٧٦.

التمرد، أن محمود الثاني قد استعان بضباط مصريين لتدريب الإنشكارية وهؤلاء لا يعرفون معنى للهوادة أو التساهل للوصول إلى أعلى مرحلة ممكنة من الكفاءة في الخدمة، لكن هذه الروح النظامية التي سرت في الجيش المصري لم تكن مقبولة لدى الأتراك، كما تعرض الإنشكارية للجنود وقت التدريب، وأوسعهم ضرباً، وقرروا القيام بتمرد وكان ذلك في عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م، وتجمعوا في آت ميدان، ووضعوا القزانات مقلوبة أمامهم، وانطلقوا بعصياتهم في الشوارع، يعيثون فساداً، فأمر السلطان محمود بقتل كل من يتعرض للجنود، هنا فرغ صبر محمود الثاني وقرر القضاء عليهم والتخلص منهم نهائياً. (١)

وكانت هذه آخر حركة عصيان للإنشكارية في تاريخ الدولة العثمانية، وقد كان السلطان أكثر استعداداً لمواجهةهم، والجماهير أكثر ميلاً للإسهام في مقاومة الإنشكارية بعد أن لاقوا من جبروتهم وطغيانهم ما لم يكونوا يطيقون. (٢)

وهكذا نجد أن الأحداث التي صنعتها الإنشكارية قادت إلى نهايتهم المحتومة. فمن استعراض المعلومات السابقة يتضح موقف الإنشكارية بجلاء من النظم الحديثة، فقد عدوها كفراً ولم يتقبلوها بأي شكل ورفضوها، وقد حاول محمود استخدام الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، فتمادوا في طغيانهم وفسادهم ولم يتوقعوا أن يأتي سلطان ويقضي عليهم نهائياً، على الرغم من خسراتهم أغلب المعارك التي دخلوها. لقد تكالبت عليهم عدة عوامل أهمها عدم استطاعتهم

(١) يسام العسلي : مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٧٥. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع سابق، ص ١٨٩. جلال يحيى : مرجع سابق، ص ٩٧، ٩٨. الموسوعة العربية : مادة الإنشكارية، ص ١١١. محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص ٣٣٣. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٧٦، ١٧٧.

(٢) عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق، ح ١، ص ٥٥. أرشيف توب قابي سراي : أستانبول :

الوقوف في وجه الجيوش الأوروبية، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تضغط على الدولة العثمانية من جميع الجهات، إضافة إلى أن الإنكشارية بكثرة ثوراتهم أضعفت الجبهة الداخلية، مما جعل القضاء عليهم الحل الوحيد.

المبحث الثاني

إلغاء فيالق الإنشكارية

بدأت سياسة محمود الثاني الإصلاحية تسير في الطريق المرسوم لها، واطمأنت نفس محمود عندما حصل مشروعهُ الإصلاحي على تأييد الجميع بما فيهم ضابط الإنشكارية، وإن أظهروا التأييد فإنهم لم يستطيعوا الصبر عندما رأوا المشروع يخرج إلى حيز التنفيذ، وشعروا أن هذا النظام سيكون سبباً في ضياع كافة امتيازاتهم، وسلب حريتهم، فقاموا كعادتهم بإعلان الثورة والعصيان كمحاولة لإيقاف تنفيذ المشروع الإصلاحي.

في هذا الوقت لم تفكر الإنشكارية في قتل السلطان محمود الثاني أو حتى عزله، وذلك لأنه كان آخر من بقي من سلالة آل عثمان، ^(١) وفي الوقت نفسه رسخت فكرة القضاء عليهم في ذهن السلطان محمود الثاني، خاصة وأن الإنشكارية خسرت تأييد الرأي العام بشدة.

وفكرة القضاء على الإنشكارية وإبادتهم لم تكن جديدة فقد دارت في ذهن السلطان عثمان الثاني ^(*) والذي وضع في رأسه عدداً من الخطط الإصلاحية التي لو كتب لها النجاح لغيرت مسار الإنشكارية كثيراً، ولكن الحاسدين ومن لا يريدون الإصلاح مثل الإنشكارية وقفوا أمامه ولم يساعده، كما أنه لم يجد صدىً أعظم قوي يسانده، أو وزير يعاونه في خطته الإصلاحية، وكانت النهاية أن قتله

(١) حسين ليبب : تاريخ الأتراك العثمانيين، ج ٣، ص ٤٠.

(*) كان شاعراً حساساً، ومن أبياته المشهورة :

كانت نيتي الخدمة لحكومتي ودولتي * وللعجب أن الحسود يعمل لتكبتي

الإنكشارية.^(١) أما إبراهيم الأول، فقد كان مصيره لا يختلف كثيراً عن عثمان الثاني نتيجة لميله للإصلاح. أما مراد الرابع لم تخطر هذه الفكرة على باله، على الرغم من امتلاكه القوة اللازمة لذلك. لأن في عهده لم تكن فكرة التخلص من الإنكشارية قد تبلورت في أذهان السلاطين العثمانيين بعد.

والواقع إن القضاء على الإنكشارية لم يتم بطريق الصدفة، وإنما جاء نتيجة خطة مدروسة بدأها السلطان محمود الثاني بسلسلة من التغيرات متفادياً بذلك الأخطاء التي وقع فيها سليم الثالث، وهذه التغيرات تمت بمعاونة مساعدين مخلصين له، الخطوة الأولى إعادة تنظيم الجيش. والخطوة الثانية هي الحصول على تأييد وعطف العلماء وكبار رجال الدولة، أما الخطوة الأخيرة فهي الحصول على تأييد الرأي العام لسياسة الإصلاحية، وقد ساعد العلماء في توعية الناس بسياسة السلطان محمود الثاني الإصلاحية.^(٢)

كما أنه فيما بين عامي ١٢٣٠هـ، ١٢٣٢هـ / ١٨١٤م، ١٨١٦م استطاع السلطان محمود الثاني التخلص من بعض الجماعات الصغيرة من الإنكشارية سرّاً.^(٣) وذلك تمهيداً للتخلص منهم نهائياً.

وقد حققت بعض المؤثرات الخارجية دورها في تنفيذ حركة الإصلاح العثماني في عهد محمود الثاني فكانت أولى هذه المؤثرات، موقف روسيا وضغطها المستمر على الدولة العثمانية والذي كان أشبه بحروب متصلة، أما المؤثر الثاني فتمثل في الأزمات التي نتجت عن سياسة نابليون التوسعية والتي أثارت متاعب

(١) عبد القادر دده أوغلو : مرجع سابق، ص ٦١.

(٢) عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي، ص ٢٢٦، ٢٢٧. محمد كمال الدسوقي :

مرجع سابق، ص ١١٠.

(٣) السيد رجب حراز : مرجع سابق، ص ١٧، ١٨.

عظيمة للدولة العثمانية، وحرب استقلال اليونان شكلت مؤثراً ثالثاً، وهناك حركة محمد علي التوسعية كمؤثر رابع حيث شكل خطراً كبيراً على وحدة الدولة العثمانية وهدد بانقسامها، وقد صارت مصر مستقلة بزعامة محمد علي في العقد الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، كما شكل نفس الخطر علي باشا تباه دلتلي والي ياتينا^(*) والذي استبد بالسلطة في بلاد ألبانيا حتى تم القضاء عليه عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م فقد قتله جنود السلطان.^(١)

وهكذا نجد أن موقف محمود الثاني داخل الدولة العثمانية لا يحسد عليه، فقد أحاطت به الضغوط من الداخل والخارج، وهددت كيان واستقلال الدولة فوجد نفسه مضطراً للوقوف موقف المدافع على الجبهتين الداخلية والخارجية، حيث عمت الفوضى الأراضي الشاسعة التي تحكمها الدولة العثمانية.

ومن أجل التغلب على هذه الخصوم العتيدة ومجازرة هذه الأخطار الشديدة، كان لابد من وجود جيش قوي منظم، وكان لابد أن يحظى بمساندة الأهالي وأعيان الدولة، على الرغم من وجود جيش الإنشكارية إلا أنه، لم يعد مخلصاً في أوقات الحرب، ومشاكساً متمرداً عاصياً في الثكنات أيام السلم. فشرع السلطان محمود الثاني، وهو ذو إرادة حديدية وحذق سياسي عظيم وصبر لا ينفذ، في معالجة هذه العلل، فلم تنضج فكرة القضاء على الإنشكارية إلا بعد مرور عشرين عاماً، تخللتها سلسلة من المحاولات المضنية لإصلاح الإنشكارية.^(٢) وقد اقتنع خلالها محمود الثاني أن إزالة معالم القديم جزء من بناء الجديد.

(*) مدينة تركية أوروبية في مركز ياتينا، تقع على الضفة الغربية لبحيرة ياتينا، إستعادها اليونان من العثمانيين سنة ١٩١٣ م. س. موستراس : مرجع سابق، ص ٤٩٥.

(١) حسين ليبب : المسألة الشرقية، ص ٦٦.

(٢) حسين ليبب : المسألة الشرقية، ص ٦٦، ٦٧، إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٩٠.

ولا شك أن الإصلاحات الواسعة والناجحة التي قام بها محمد علي باشا في مصر، كانت أعمال يود محمود الثاني لو اقتدى بها، ولا سيما وأن العساكر المصرية المنظمة والمعروفة باسم " الجهادية " والتي جيء بها إلى المورة أثناء العصيان اليوناني قد حققت نجاحاً خلال فترة قصيرة، وكشفت للعيان حالة الضعف والفساد التي كانت عليها قوات الإنشكارية والقوات الأخرى، فترك ذلك انطباعاً طيباً لدى الرأي العام اتجاه ضرورة إيجاد جيش مدرب، فانتهاز محمود الثاني هذه الفرصة وراح يعمل سراً على اتخاذ التدابير اللازمة لإلغاء الإنشكارية. والتي قدمت الفرصة لذلك إذا قامت في ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م بقلب قدور طعامها علامة على الثورة، وهم في غفلة عظيمة. فكانت هذه الحادثة بمثابة إعلان لنهاية الإنشكارية ولا سيما تكايا الطريقة البكتاشية بعد ذلك. كما كان بمثابة بداية الانتقال السلطاني نحو تشكيل " العساكر المحمدية المنصورة " الجيش الجديد والحديث الذي قضى على الإنشكارية. (١)

وفي الحقيقة، كانت المصائب عظيمة، بحيث وجد فيها الإنشكارية ما أرادوا بلا خوف ولا حساب.. ولكن حالت الأيام دون ما يريد السلطان، وأوشك أن يصيبه ما أصاب سلفه، إذا اجتمع الإنشكارية في ميدان " آت ميدان " وتأمروا على قتله، ولكن شاء الله أن يرفع عن السلطان شر المتآمرين وتمكن منهم جميعاً. (٢) ولم تنجح الإنشكارية في تنفيذ مخططها وبقي السلطان محمود الثاني على كرسي السلطنة وعلى الرغم من أن ضباط الإنشكارية أقرؤا المشروع الذي عرضه عليهم الصدر الأعظم محمد مظهر باشا في آخر اجتماع عقده السلطان محمود إلا أنهم في أول فرصة سنحت لهم تعرضوا للجند وقت التدريب وأوسعوهم ضرباً، واستقر رأيهم على التمرد. وجرياً على العادة اجتمعت خمسة فيالق من

(١) أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ج ١، ص ٩٧، ٩٨.

(٢) أحمد صائب، محمد توفيق : مرجع سابق، ص ١٠.

الإنشكارية في " آت ميدان " ووضع أفرادها القزانات أمامهم وهي مقلوبة، وانطلقوا في شوارع إستانبول يشعلون النار في الشوارع، ويهاجمون المنازل، ويحطمون الحوانيت، ويسلبون البضائع وكان السلطان مستعداً لهذا التمرد والأهالي أكثر ميلاً للإسهام في مقاومة الإنشكارية. وكان محمد علي باشا والي مصر قد بعث إليه بالمدربين الذين اقتضاهم إنشاء الجيش الجديد الخاص بالإصلاح. وحدد يوماً لعرض الجيش الجديد قرب إستانبول فشق الإنشكارية عصا الطاعة قبل الموعد بثلاثة أيام، وطالبوا في البداية بإلغاء القوانين المستحدثة للجيش الجديد. (١)

يعتبر السلطان محمود الثاني الذي قام بإلغاء فرقة الإنشكارية من أعظم الخلفاء وأقواهم وأكثرهم توكلاً على الله سبحانه واعتماداً عليه و إقداماً واجتهاداً. لما قام به من بسط للأمن وتأمين للمسالك. (٢)

وقد عمل السلطان محمود الثاني منذ بداية حكمه على كسر قوة الإنشكارية التي أصبحت تمثل خطراً على الدولة العثمانية، كما قام بتبديل جيش الإنشكارية كلياً على ما يتفق مع الأصول والفنون الحربية الحديثة. وكان يأمل في أن يدير الحكومة بصفة مطلقة بدون تدخل أحد. وهو الأمل الذي خطط له عمه السلطان سليم الثالث على الرغم من مقاومة الإنشكارية. (٣)

(١) إبراهيم حليم : مصدر سابق، ص ٢٠٨، ٢٠٩. إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ٢، ص ٦٧٨، ٦٧٩. عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي ، ص ٢٧٠. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع سابق، ص ١٩٠. علي سلطان : مرجع سابق. ص ٢٨٦. حسين ليبب : المسألة الشرقية، ص ٦٦، ٦٧.

(٢) أحمد أيوب الأنصاري الطرابلسي : مصدر سابق، ص ٣٣٣.

(٣) علي رشاد : مصدر سابق، ص ١١.

إلا أن السلطان محمود الثاني، أظهر ثباتاً ومهارة أكثر من عمه سليم الثالث. وكان هدفه أن يعمل الإصلاح على تقوية السلطنة العثمانية. وقد قام على الفور بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على هؤلاء الجند الذين خرجوا على السلطان، وانتهى الأمر بإسقاط كافة حقوقهم، وإلغاء الإنشكارية، وقتل منهم من قتل، وتفرق منهم من تفرق. فوصل عدد ما قتل منهم ما يقرب ستة أو سبعة آلاف جندي، ونفي خمسة عشر أو ستة عشر ألفاً. إذ أن السلطان خطط لإلغاء الإنشكارية بصورة محكمة، صورة كان يتوقع فيها كل الاحتمالات التي ستقوم بها الإنشكارية حتى يتسنى له في نهاية الأمر القيام بإلغاء هذا اللواء. (١)

وفي الحقيقة فإن السلطان محمود كان يدرك مدى الفساد الذي وصل إليه الإنشكاريون، ويعلم مقدار تخلفهم وتعتيهم وقتلهم للسلطين. والتلاعب بالدولة ووظائفها، واعتدائهم على الولاة والناس. كما شهد بأمر عينه وهم يقتلون سليم الثالث، وكيف هرب هو ونجا منهم. (٢)

نعود لآخر تمرد قامت به الإنشكارية، وكان بعد آخر اجتماع عقد محمود الثاني لمناقشة أمر الإنشكارية والإصلاحات، وعلى الرغم من موافقة قادة الإنشكارية على تعليم الأصول الأوروبية الحديثة في ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦/٧/١١م وعند البدء في التدريب بعد ثلاثة أيام فقط أي في ١٨٢٦/٧/١٥م، قاموا بثورة، وكان هدفهم من ذلك إظهار عدم موافقتهم بشكل قاطع على التعليم العسكري الحديث. فقد كان من بين الحاضرين في الاجتماع جماعة يميلون إلى الإنشكارية فتعصبوا لهم سرّاً وأخبروهم بما صار في الاجتماع فهاجموا على بيت الصدر الأعظم وبيوت بعض من كبار رجال الدولة، وأخذوا

(١) علي رشاد : مصدر سابق، ص ١٢، ١٤.

(٢) علي سلطان : مرجع سابق، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

ينادون في شوارع العاصمة "الموت لكل من كان السبب في وضع النظام الجديد" وأشعلوا النار في البيوت بعد نهبها وقتلوا كل من صادفهم، وفر الصدر الأعظم إلى السلطان وأخبره ما حدث من أمر الإنشكارية. ونتيجة لهذا التمرد الذي يعتبر خروجاً على السلطة وخروجاً على الشرع، قام السلطان محمود الثاني بدعوة كبار رجال الدولة لكي يبحث معهم الأمر، فحضر شيخ الإسلام طاهر أفندي، وعارف أفندي قاضي العسكر الروملي، وصادق أفندي قاضي إستانبول. وقد حضر الاجتماع أشهر علماء ذلك العصر البارزين أمثال عبد اللطيف عبد الرحمن أفندي الكردي، وكذا حضر مشاهير علماء الدين والمتصوفة. (١)

وتم عقد الجلسة في دار الفتوى يوم الأحد الموافق ٢١ ذي القعدة ١٢٤٢هـ واجتمع السلطان مع الحضور وكان من ضمنهم إغا الإنشكارية وبدأ الحديث شيخ الإسلام المفتي. (*)

كما أن السلطان محمود سأل بعد خطاب شيخ الإسلام ما حكم الشرع في أمر الإنشكارية وأمر تمردهم وخروجهم عن أمر السلطان؟ وما رأي الشرع في قتالهم؟ فرد العلماء بإتفاق أن قتالهم مشروع. وبالفعل تمكّن في نفس السلطان أمر قتال الإنشكارية. ورد الصدر الأعظم أن علاج هذا الداء العضال بالإتفاق يكمن في إخراج الدم الفاسد من كيان الدولة عن طريق التدبير الحسن. وبالفعل رأى الحضور توافق الشرع مع حل القضاء على الإنشكارية، ووجوب الانصياع لأمر المؤمنين.

(١) عرفان كوندوز : مرجع سابق، ص ١٣٦. أحمد زيني دحلان: مصدر سابق، ص ٢٨٣.

محمد أسعد بن السيد أحمد الإستانبولي : أس ظفر، ورقه ١٥، ١٦.

أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول : رقم الوثيقة، HAT.H ١٧٣٩٣.

(*) أنظر الملحق.

لكن السلطان عندما راجع نفسه وجد أن قتالهم يدعو إلى قيام حرب أهلية مجهولة النتيجة. ولكن الغزيمة كانت سارت في المجلس فقام عبد الرحمن الكردي معلم القصر، فشرح للحضور وجهة نظره التي يمكن للدولة أن تسير عليها. وبدأ المعلم الكردي كلامه واحتد وأشد في الكلام وقال "إذا قدر الله البقاء لهذا الدين وهذه الدولة، فلتقضي على تلك الفئة الباغية العصاة وإلا ستغرق الدولة. ونضيق نحن وهذا الدين. فما الذي يمكن حدوثه بعد ذلك" (*) فقام السلطان محمود الثاني على الفور ودخل الحجرة الشريفة الموجود بها الأمانات المقدسة. وأخرج اللواء النبوي الشريف، ليهجموا على العصاة، وسلمه لشيخ الإسلام وقاضي العسكر والعلماء البارزون، والذين بدأوا في التشاور حول ما ستسير عليه الأمور، إذا ما تجرأت الإنشكارية على السلطان، وتم هذا بالفعل فأصدر شيخ الإسلام الفتوى الشرعية (**) بالقضاء على الإنشكارية وإبادة وحل الطريقة البكتاشية. (١)

وعندما علمت الإنشكارية بذلك قامت بعمل اجتماع وتجمعت في ساحة " آت ميداني"، وفي أثناء تجوالهم في الشوارع استشهد على أيديهم عدد من الناس، وزاد هياجهم، وقد ذهب إليهم العلماء في محاولة منهم لنصح الإنشكارية

(*) ومن فرط الإثفال القى الشيخ الكردي سبخته الكهرمانية على الأرض بشدة من شدة غضبه، فانفطرت حباتها على الأرضية المرمرية للقصر. وقد أثر هذا الموقف كثيراً في نفوس الجالسين حتى أنهم بكوا من شدة تأثرهم. محمد أسعد : اس ظفر، ورقة ٦٧.

(**) راجع نص الفتوى في الملاحق.

(١) عرفان كوندوز : مرجع سابق، ص ١٣٧. أحمد زين دحلان : مصدر سابق، ص ٢٨٣.

محمد عبداللطيف البحراوي : مرجع سابق، ١٨١. محمد أسعد، ورقة ٦٧. عبد

العزیز الشنلاوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٥١، ٥٥٢. أرشيف توب قابي سراي رقم

وترغيبهم وتشريفهم لبحث أمل التعليم على الأسلحة الحديثة. ^(١) ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل فقد أصرت الإنشكارية على رأيها وتمسكت بموقفها فحكمت على نفسها بالإعدام.

وفي أثناء ذلك خرج المنادون لدعوة الناس للاجتماع وتحت السنجق الشريف، فأخذ ذوو الغيرة على الدين والدولة يتجمعون حول اللواء الشريف، وفي مقدمتهم طلبة العلوم، وسلم الصدر الأعظم اللواء الشريف لأركان الدولة في الميدان، ونصب اللواء الشريف على مبنى جامع السلطان أحمد، وطلب كبار رجال الدولة من العلماء بيان حكم الشرع مع الطغاة الذين خرجوا على السلطان إمام المسلمين، وأجاب العلماء بأنه يستحسن إرسال من يزيل شبهتهم أولاً، فأعترض بعض القادة على ذلك واعتبره مضیعة للوقت وأن الشبهة لا تزول إلا بالسيف.

فقرر السلطان بدء القتال، وأتجه السلطان مع القوات العسكرية ومع الأهالي الذين تجمعوا تحت العلم النبوي الشريف، واتجهوا جميعاً إلى آت ميدان أي ميدان الخيل، والذي كان يطل على ثكنات الإنشكارية. وقد أحتشدت فيالق الإنشكارية في هذا الميدان ثائرة، وقد قامت بقلب قدور الطعام أمامهم رمزاً على استمرار حركة العصيان العسكري. وكانوا في هرج ومرج شديدين. وأقاموا المتاريس أمام البوابة الكبرى لثكناتهم ولم يمض قليل من الوقت حتى أحاط رجال المدفعية بالميدان، واحتلوا جميع المرتفعات المشرفة عليه. ^(٢) وقد كانت أعداد الجموع المحيطة بالإنشكارية تزيد على ستين ألفاً على رأسهم السلطان وتبعه الصدر

(١) أحمد زيني دحلان : مصدر سابق، ص ٢٨٣. محمد أسعد، ورقة ٦٥، محمد عبد اللطيف البحراني، ١٨١.

(٢) إسماعيل سرهنك : تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٩٠. إبراهيم حليم : مصدر سابق، ص ٢٠٨، ٢٠٩ بسام العسلي : مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٧٦. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٥٠. حبيب السيوفي : مرجع سابق، ص ٣٨، ٣٩.

الأعظم سليم باشا وشيخ الإسلام قاضي زاده طاهر أفندي يتبعهم العلماء والطلبة،^(١) وهكذا سلطت فرقة المدفعية مدافعها على الإنكشارية من جميع الجهات، وهجم الإنكشارية على موقع المدافع يبغون الاستيلاء عليها، لكنها صبت حممها فوق رؤوسهم.

وحصدتهم المدفعية ونالت منهم منالاً كبيراً. وأيقنوا أنه لا طاقة لهم على مقاومة المدفعية. والتجأوا إلى ثكناتهم طلباً للنجاة. وفشل مخططهم إذ سلطت المدافع قذائفها على الثكنات وهدمتها واشتعلت فيها النيران حتى دمرتها على رؤوس البقية الباقية منهم، وقام الجنود النظاميون بإلقاء جثث الإنكشارية في البحر. وقدر عدد قتلهم في ذلك اليوم ستة آلاف إنكشاري.^(٢)

كما قام الناس بإلقاء الجثث المتبقية تحت شجرة السرو الكبرى. وقد شاهد هذه النهاية العنيفة جموعاً غفيرة من الأهالي لأخذ العظة والعبرة.^(٣) وأطلق العثمانيون على وقعة القضاء على الإنكشارية بـ"وقعة خيرية" لأنهم تفاعلوا بها خيراً.^(٤)

وفي اليوم التالي صدر فرمان سلطاني بإبطال فئتهم كلية وإلغاء تنظيم

(١) علي محمد الصلابي : مرجع سابق، ص ٥٤٣.

(٢) محمد أسعد : ورقة ٩٤ - ٩٦. محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٤٢٩، ٤٣٠ عبد

الرحمن شرف: مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٣٤، ٣٣٥. أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع

سابق، ص ١٩٠. حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيون، ج ٣، ص ٤٤ - ٤٧. لمزيد

من المعلومات مراجعة محمد عبد اللطيف البحراوي : مرجع سابق، ص ١٨١، ١٨٢

وقد تحدث أغلب المؤرخين عن نهاية الإنكشارية فلا يكاد يخلو كتاب عن الدولة العثمانية

من قصة الوقعة الخيرية.

(٣) محمد أسعد : أس ظفر، ورقة ٩٨، ٩٩.

(٤) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص ٣٣٣.

الإنشكارية، وإزالة أسمائهم وشاراتهم وإبطال ملابسهم واصطلاحاتهم، من جميع أقاليم الدولة العثمانية، وهدم أماكن تجمعهم ونودي بذلك في شوارع إستانبول. وصدرت إلى جميع الولايات الأوامر بالبحث عن كل من بقي من الإنشكارية وإعدامه أو نفيه إلى أطراف البلاد، حتى يتم القضاء عليهم جميعاً.^(١) وقد عين السلطان محمود الثاني لجنة من كبار الوزراء لتطبيق الإصلاحات وعين " حسين باشا " قائداً عاماً للجيش، وكانت لهذا الأخير اليد الطولى في القضاء وإبادة البقية المتبقية من الإنشكارية.^(٢) كما أرسل السلطان فرمانات إلى ولاياته في الولايات يأمرهم بالقضاء على باقي الجنود الإنشكارية في ولايتهم.^(٣)

وإذا أخذنا مصر على سبيل المثال وأحوال الإنشكارية بعد الواقعة الخيرية سنجد أنهم ندموا على أفعالهم وعضوا على أناملهم من الغيظ، حيث لا ينفع الندم فقد انتهى أمرهم بالهلاك.^(٤)

ويصف أحد جنود الإنشكارية الناجين من الواقعة الخيرية وكان قد فر إلى الأناضول، وعاش بها وعاد إلى إستانبول شيخاً مسناً في عهد السلطان عبد المجيد، يصف ذلك فيقول : " لقد كنت في فرقة المراقبة بالإنشكارية، وكانت نيتها في ذلك التمرد هو الاستيلاء على الراية الشريفة. وكنا نستطيع أن نفعل ذلك لأن جنود حسين باشا وجنود عزت باشا لم تصل بعد، ولكن خروج الراية الشريفة من

(١) محمد فريد المحامي : مصدر سابق، ص ٤٣٠. بسام العسلي : ج ٥، مرجع سابق، ص ٢٧٦.

(٢) مصدر سابق، ص ٤٣٠. علي محمد الصلابي : مرجع سابق، ص ٥٤٤. أرشيف رئاسة الوزراء : وثيقة رقم ١٧٣١٥ HAT.H.

(٣) أرشيف توب قابي : ٥٢١٦ E. أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول : وثيقة رقم ١٧٤٦١ H.H. ٣٩

(٤) عبد الغني النابلسي : ورقة ١٥

مقر الباب العالي وسط آلاف العمائم والتكبيرات جعلنا في دهشة، ولم يعد بمقدورنا فعل أي شيء، واندھشنا، ماذا سنفعل ؟ واضطرب الوضع في صفوف الإنشكارية وظلت هكذا حتى أتتني الفرصة واستطعت الفرار من المكان^(١)

ومن هذه الرواية يتضح لنا أن الإنشكارية تفاجأت من إخراج الراية الشريفة، فنصر المفاجأة هنا لعب دوراً مهماً في القضاء على الإنشكارية حيث أنهم لم يتوقعوا أن يتم توجيهه أفواه المدافع إلى ثكناتهم، وهكذا سادتهم الفوضى ولم يعرفوا إلى أين المفر، وبذلك سهل القضاء عليهم.

كما بذل والي صيدا جهده في تنفيذ فرمان إلغاء الإنشكارية، حيث قام بإغلاق القلاع وحراستها من الإنشكارية وتسلم جميع قدورهم وأدواتهم الخاصة، وقد رحب أهالي صيدا بهذا القرار لأنهم تخلصوا من هذه الفئة.^(٢)

وبهذا الحدث تخلصت الدولة العثمانية من جهاز قوي فاسد، أثر كثيراً على تقدم الدولة وتوسعها في الفتوحات، كما كان سبب في ضعفها، مما نتج عنه ضعف كل الفئات الأخرى التي كانت تعتمد على مناصرة الإنشكارية وفسادها، مما سيجعل إدخال الإصلاحات أمراً ميسراً، ودون مغامرة بالرؤوس هذه المرة مقارنة بما حصل في الماضي القريب.^(٣)

لقد تم القضاء على المؤسسة العسكرية العثمانية التقليدية التي كانت محط أنظار العالم كله في أيام مجدها العتيد، فقد وصفها أحد المستشرقين بقوله " هي التي كان مستقبل الدولة العثمانية يعتمد إلى حد كبير عليها ... فقد أحرزت الدولة العثمانية أعظم انتصاراتها بفضل الإنشكارية " ويذكر آخر " يكفي أن توجد فرقة

(١) عرفان كوندوز : مرجع سابق، ص ١٣٨، ١٣٩.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء وثيقة رقم ١٧٣٧٤ HAT.H.

(٣) علي سلطان : مرجع سابق، ص ٢٨٦.

واحدة من الإنشكارية في أي جيش عثماني لكي يستमित هذا الجيش كله في ميدان القتال " لقد كانت الإنشكارية أول جيش مدرب ومنظم ودائم في أوروبا، وعلى عاتق هذه المؤسسة قامت الفتوحات العثمانية وخاصة في أوروبا.^(١) لقد أسس العثمانيون جيشاً صنف في عام ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م ثاني أقوى جيش في العالم بعد جيش تيمورلنك وفي عام ٨٥١هـ / ١٤٤٧م صار هو الجيش الأول في العالم، ثم بدأ الجيش العثماني في التراجع عن المركز الأول، حيث فقد هذه الصفة بحلول عام ١١٨٥هـ / ١٧٧١م، وفي عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م كان الجيش الثالث، وفي عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م كان الجيش الرابع في العالم.^(٢)

هذا الضعف والتراجع الذي أصاب الجيش العثماني بصفة عامة، كان سببه تراجع الإنشكارية وضعفها وتناحرها على مصالحها الشخصية دون الالتفات إلى الفتوحات أو الدفاع عن الدولة العثمانية وهذا يوضح لنا أهمية الإنشكارية في الجيش العثماني، فقد كانت السبب الرئيسي في ضعف الجيش، بعد أن أوصلته إلى قمة الانتصار.

لقد تبع إصدار فرمان إلغاء الإنشكارية إصدار عدة فرماتات وقرارات عامة لتأمين المجتمع، ففي أعقاب إصدار فرمان إلغاء الإنشكارية وأعلامها وشاراتها، أصدر السلطان محمود الثاني في اليوم الثاني فرماتاً بإنشاء جيش جديد وفق النظم الأوروبية الحديثة، وأطلق عليه اسم " عساكر منصوري محمدي " أي العساكر المنصورة المحمدية، وهذا الاسم ذو طابع إسلامي، وقد استهدف السلطان محمود من هذه التسمية الدينية قطع الطريق أمام أي هيئة أو طائفة تحاول الإثارة الدينية بين الأهالي، نتيجة إلغاء الإنشكارية، كما أراد السلطان أيضاً من هذه التسمية إحياء الأمل الذي تعلقه الدولة والأهالي على هذا الجيش لتحقيق

(١) قيس جواد الغزاوي : مرجع سابق، ص ٥٢، ٥٣.

(٢) يلمازا وزتونا : مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٧٤.

انتصارات عسكرية باهرة لا تقل روعتها عن انتصارات الإنشكارية في عهدهم الذهبي. ^(١) ولكي تسمح العار الذي ألحقته الإنشكارية بالدولة العثمانية نتيجة هزائمها المتكررة وصراعاتها الداخلية. كما تم تعيين معلمين للعساكر المحمدية، وكان هذا قرار من علماء الدولة العثمانية. ^(٢)

كما ألغى السلطان محمود الثاني منصب ينبي تشرية أغاسي أي رئيس الإنشكارية، وأنشأ منصباً جديداً مكان المنصب القديم أطلق على شاغله "سرعسكر" ^(٣) وأصبحت له جميع اختصاصات القائد العام للجيش وقد تم تسليح وتدريب عشرين ألف جندي كمرحلة أولى، على أن تكون الحصيلة العامة في نهاية العام التالي مائة وعشرين ألف جندي نظامي. ^(٤)

الواقع أن إستانبول منحت حياة جديدة بالقضاء على الإنشكارية، وصار مسجد السلطان أحمد مركزاً للجيش الجديد. وأما من تبقى من أفراد الإنشكارية فقد كانوا يرسلون مكبلين بالأغلال من كل مكان إلى إستانبول ليتم إعدامهم،

(١) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٥١، ٥٥٢. أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول : وثيقة رقم ١٧٣٥٤ HAT.H.

(٢) كامل باشا : مصدر سابق، ج ٣، ص ١٠٨.

(*) مصطلح تاريخي عثماني قديم، استخدم في العهود السابقة وكان يمنح لقادة الجيش، ومعناه رئيس العسكر أو القائد العام. ولكن السلطان محمود الثاني أدخل تعديلات شتى على اختصاصات شاغل هذا المنصب، فأصبح يجمع في يديه اختصاصات وزير الحربية واختصاصات القائد العام للجيش، وأضاف إليه اختصاص ثالث هو مسئولية المحافظة على الأمن العام وواجبات الشرطة في العاصمة، وقد عين السلطان في هذا المنصب حسين باشا أغا وهو أحد كبار ضباط الإنشكارية، وكان قد أنقلب على الإنشكارية من قبل احتجاجاً على تصرفاتهم وأنضم إلى السلطان، وكانت له اليد الطولى في الوقعة الخيرية.

(٣) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٥٢.

وأثناء إنتظار هذه اللحظة كان طعامهم بسيط و يعملون في زراعة شجر الدلب، وقد تم إعدام عدد كبير جداً في أول يوم من أيام إعدامهم، يتجاوز المائتين شخص، وفي باب الأغا " حسين باشا " تم إعدام ما يقرب من مائة وعشرون فرداً. واستمرت هذه الإجراءات كل يوم جمعة وقت الظهر لمدة ليست قصيرة. (١) وقد لقيت هذه الخطوة ترحيب من سفراء الدول الأجنبية داخل إستانبول خاصة سفير النمسا وإنجلترا. (٢) وكانت هذه فرصة لتدخل السفراء الأجانب في شؤون الدولة العثمانية، كأصدقاء يريدون مصلحتها وهم في الحقيقة ليسوا سوى أعداء. على أن أهم خطوة خطاها السلطان محمود الثاني على الإطلاق بعد إبادة الإنشكارية، هي حل الطريقة البكتاشية وإلغاؤها. وهذه الخطوة في حد ذاتها تدل على جرأة السلطان محمود الثاني، فقد استطاع إلغاء إحدى أهم الطرق الصوفية، وهي الطريقة البكتاشية والتي ارتبطت بها الإنشكارية منذ نشأتها (*) وكانت الدعامة الأساسية لها، كما يدل على حنكة السلطان محمود السياسية فقد استطاع إقناع العلماء الدينيين بضرورة هذه الخطوة، ويدل أيضاً على بعد نظره السياسي، حيث رأى أن استمرار فرقة البكتاشيين قد يؤدي إلى تمرد وعصيان غير محمود العواقب.

ولم يكن يمر شهر واحد على إلغاء الإنشكارية حتى أصدر السلطان محمود الثاني فرماناً بحل الطريقة الصوفية البكتاشية، وهكذا جاء الدور على معاقبة البكتاشيين الذين كثيراً ما ساندوا الإنشكارية العصاة، فقد أجمع العلماء في مسجد القصر السلطاني في ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦/٩/٨م وكان من بين الحاضرين الصدر

(١) كامل باشا : مصدر سابق، جع ٣، ص ١٠٧، ١٠٨.

(٢) أرشيف رئاسة الوزراء : رقم الوثيقة ١٧٣٤٩. HAT.H.

(*) لقد سبق الإشارة إلى قصة الشيخ بكتاش ومباركته لأطفال الدوشرمة منذ بداية تأسيسها.

الأعظم وشيخ الإسلام وقاضي عسكر الأناضول والرومللي وبعض مشايخ النقشبندية وحافظ أحمد أفندي، ومصطفى أفندي، والشيخ قدرت الله شيخ الطريقة المولودية في غالاتة إحدى الطرق الصوفية، والشيخ علي أفندي، والشيخ البكتاشي عبد القادر أفندي، والشيخ قوجه مصطفى باشا، وعدد كبير من مشايخ الطرق الصوفية الموجودة حينئذ، كما حضر الاجتماع كبار العلماء، واتفق جميع هؤلاء بعد عرض الأمر على السلطان، وانقضوا على هدم تكايا البكتاشية، وفعلاً تم هدمها، وهدم مدارسهم والمساجد الملحقة بتلك التكايا،^(١) وإغلاق بقية تكاياهم التي كانت منتشرة في أنحاء البلاد كما أمر السلطان محمود الثاني بعدم دفع أي إعانات لهم، مستنداً في ذلك إلى أن أصحاب هذه الطريقة كانوا يثيرون القلاقل ويحرضون الشعب ضد السلطان احتجاجاً على الوقعة الخيرية. وقام السلطان محمود الثاني بإصدار فتوى من شيخ الإسلام تفيد بأن البكتاشية خارجون عن القانون وذلك لإضفاء الصفة الشرعية الدينية على قراره، وذلك لمنع الشرور عن المسلمين واستناداً لهذه الفتوى قام السلطان بإعدام ثلاثة منهم علناً أمام الأهالي، من كبار البكتاشية، ونفي الباقون، وعُمل على تشتيت أتباعهم بترحيلهم إلى أطراف الدولة متفرقين، منعاً لأي تجمع يقومون به. وقد جاءت تصرفات السلطان في هذا الشأن بعد إلغاء الإنشكارية^{(٢)(*)} وقد تم نفي الشيخ

(١) عرفان كوندوز : مرجع سابق، ص ١٤٠، ١٤٢. عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٥٢.

(*) يبدو من ملاحظات هذه الفترة العصبية أن حل الطريقة البكتاشية كان إجراءً مكملًا لإلغاء فيالق الإنشكارية، وأن هذا الإجراء كان أمراً لا مفر منه في خلال الأزمة، لأن الطريقة البكتاشية عادت إلى الانتعاش رويداً رويداً، مرة أخرى، ولو أنها لم تعد كسابق عهدها في تاريخ المجتمع العثماني.

(٢) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٥٣.

ملك باشا زاده عبد القادر أفندي إلى مانيسا، وشافي زاده محمد عطا الله أفندي إلى تيره، وفرح أفندي إلى بورصة. (١)

وفي هذا الشأن يأخذ بعض المؤرخين عليه أنه أسرف في الإقتصاص من البكتاشية، فقد ضرب بيد من حديد على كل شخص ثبت أنه كان متصلاً بهم أو حتى متعاطفاً معهم. (*) (٢)

وهكذا نرى أن الفتوى الشرعية لم تقتصر على إلغاء الإنشكارية والقضاء عليها، بل شملت أيضاً من تعاطف معهم وشدد وأزر حماسهم من شيوخ البكتاشية، فكانت الفتوى تتضمن القضاء على الطريقة الدينية التي كانت في جانب الإنشكارية ضد السلطان محمود الثاني (**)، ومن سبقوه من السلاطين

(١) عرفان كوندوز : مرجع سابق، ص ١٤٢.

(*) من الأمثلة التي تساق في هذا الصدد الشيخ عطا الله محمد ويشتهر باسم شاتي زاد" ١١٨٣هـ، ١٢٤٢هـ / ١٧٦٩م، ١٨٢٦م كان أحد أعلام الفكر العثماني، ذو عقلية موسوعية تعلم عدة لغات أوروبية، درس الطب وقد عينه السلطان في ١٢٥٣هـ / ١٨١٩م مدوناً للتاريخ العثماني. قام بترجمة بعض المراجع الطبية إلى اللغة التركية، وقام ببحوث عديدة في التشريع والتطعيم، وأدخل في اللغة التركية لأول مرة مصطلحات لغوية في علم الطب، وقد أخذ السلطان عليه صلته باتباع الطريقة البكتاشية فقام بعزله ونفيه إلى أطراف نائية على حدود الدولة العثمانية ومات في نفس السنة التي نفي فيها، ولم يشفع له الإثراء العلمي الطبي الذي حفلت به حياة هذا العالم.

مهما بلغت صحة هذه القصة، فإن بها بعض المبالغة، لأن السلطان محمود كان يميل إلى العلم والإصلاح والتجديد، فأرجح أن السلطان لم يقم بهذا العمل وربما تعرض العالم لبعض المسألة ولكن ليس النفي، لأنه عرف عن محمود احترام العلم والعلماء.

(٢) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٥٤.

(**) بعض المصادر ترجع أن محمود الثاني في قضاء على الإنشكارية قد تأثر بما قام به محمد علي باشا ضد الأمراء المماليك في مذبح القلعة ١٢٢٦هـ / ١٨١١م، لكن الدراسة ترى =

المصلحين، وضد الإصلاحات التي أرادوا إدخالها. وهكذا ترى أن الفتوى كانت محل إجماع العلماء من مختلف الاتجاهات وجاءت جميعاً تصب في خاتمة الإصلاحات وتحديث القوة العسكرية للدولة العثمانية.

ومثلما حُلت الطريقة البكتاشية المتصلة بالإنشكارية تم حل فرق الإطفاء والحمالين وهؤلاء على صلة وثيقة بالإنشكارية. والواقع أن الدولة لم تغفل رجال المدفعية وحرس البوسفور الذين تعلقوا بأهداب الولاء على الرغم من أنهم كثيراً ما أيدوا الإنشكارية وتضامنوا معهم، فقضت على كل أمرئ منهم أحست منه أن له ميول للإنشكارية. (١)

ولكن الدول الغربية لم تدع للسلطان وقتاً يجني فيه ثمرات هذا الإصلاح. ففي سنة ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م، عقدت إنكلترا وفرنسا وروسيا الحلف الثلاثي، وكانت روسيا هي الأخيرة في الانضمام لهذا الحلف، وكان هذا الحلف مكون من أجل إكراه السلطان محمود الثاني على منح بلاد اليونان استقلالها، بعد حملة إبراهيم باشا المكلفة بالنجاح. (٢)

وهكذا نرى أن الدول الأوروبية لم تمهل محمود الثاني الوقت الكافي لإظهار محاسن هذا الإصلاح، وقامت بإعادة الكرة عليه في الوقت الذي لم يكن لديه جيش مجهز للتصدي لأي هجمة.

ومما عطل ظهور النتائج المرجوة من إلغاء الإنشكارية، ازدياد هوة الخلاف

= أن التشابه جاء فقط في الأسلوب لكن ليس في الأسباب للاختلاف الشاسع بينهما.

Dr. Ahmed m. salem : “ ١٧٩٨ – ١٨٤٨ “ Y , Har arasinda , misip ulem asi.

Doktare Te ٢١ , I.U – Ed. Fak. ١٩٩٦ ٤. Dolum.

(١) كارل بروكلمان : مرجع سابق، ص ٥٤١.

(٢) مرجع سابق، ص ٥٤١.

بين السلطان محمود الثاني ومحمد علي باشا والي مصر، فنجد أن السلطان محمود الثاني بدأ في إصلاحاته العسكرية ووجهة نظره شطر محمد علي باشا والي مصر وطلب منه إرسال إثني عشر خبيراً من الخبراء العسكريين لتدريب الجيش العثماني، فأعذر محمد علي عن عدم إرسال الخبراء بأعذار مخادعة واهية، ولم يستجب لطلب السلطان فاستشعر منه الخوف والريبة. وكان هذا الأمر في سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م. (*) (١)

(*) عندما لم يجد السلطان محمود الثاني رغبة من محمد علي في مساعدته، توجه ناحية أوروبا وقد ترددت فرنسا وبريطانيا، أما بروسيا والنمسا فقد استجابت لرغبته وأرسلت بروسيا في عام ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥م في زيارة خاصة الضابط البروسي ذو الشهرة العالمية خون مولتكة. وعينه السلطان مستشاراً لشؤون تدريب الجيش، ثم لحق به ١٥ ضابط. وكان استخدام الضباط الألمان في الجيش العثماني خطوة مهمة على أول الطريق نمو النفوذ الألماني في الجيش العثماني نمواً عظيماً. والذي نتج عنه سياسة ألمانيا نحو الدولة العثمانية وفي سياسة الاتجاه نحو الشرق.

مولتكة : أحد أربعة عمالقة قامت على اكتافهم الإمبراطورية الألمانية الحديثة " غليوم الأول، وبسمارك، وخون رون " ولد عام ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م عين ضابطاً بالجيش البروسي، سافر إلى إستنبول وظفر بتقدير عميق من السلطان محمود الثاني، خدم في الجيش العثماني، شهد موقعة نصيبين عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م " التي هزم فيها الجيش العثماني على يد الجيش المصري وكان هيئة أركان الحرب بالجيش العثماني. ويقال أنه هرب مع سائر الضباط العثمانيين الذين فروا من أرض المعركة، ويقال أنه هرب دون أن يتمكن من أخذ ملابسه وأوراقه الخاصة. وعاد إلى بروسيا وتدرج في الوظائف العسكرية، حتى وصل إلى رئيس لأركان الحرب بالجيش الروسي، وحصل على رتبة مشير وصار في عهده الجيش البروسي أقوى جيش في أوروبا، وكان له الفضل في انتصار بروسيا على النمسا في معركة سادوا، التي يسميها المؤرخين الألمان كونيغراتز في ١٢٨٢هـ / ١٨٦٦م ، وعلى فرنسا في موقعة سيدان ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م أعزلت الخدمة عام ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م. وتوفي عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م. انظر عبدالعزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٥٤، ٥٥٥.

وكانت هذه بداية الأزمة بين الطرفين حيث تصاعد الموقف بعد ذلك، عندما طلب السلطان من محمد علي باشا إرسال عدد من الجنود للاشتراك مع جيوش الدولة العثمانية في حربها ضد روسيا عام ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م، فرفض محمد علي طلب السلطان معتذراً بأسباب عادية، منها بعد المسافة عن طريق البر، وعدم وجود سفن تنقل الجنود بطريق البحر، كما تحجج بتفشي وباء الكوليرا في مصر والشام وانتشاره بين جنود الجيش المصري. وقد صدق خوف السلطان منه. فلم تُكد تمر عدة سنوات حتى نشبت بين السلطان ومحمد علي حرب الشام الأولى عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣١م، وتلتها حرب الشام الثانية عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م.^(١) وهكذا ساءت العلاقة بين الطرفين حتى غدى من المتعذر اعتماد السلطان محمود الثاني على محمد علي في أي أمر.

وهكذا مد محمود الثاني بإصلاحاته عمر الدولة العثمانية، حيث استطاع أن يكمل المشوار الذي بدأه من سبقه من السلاطين وإصلاحات محمود الثاني بما فيها إلغاء الإنشكارية في تلك الفترة الحاسمة من تاريخ الدولة العثمانية أعطتها مزيداً من القدرة على مواجهة الدول الأوروبية الكبرى ومطامعها تجاه أملاك الدولة.

لم تكن فكرة القضاء على الإنشكارية بالأمر الهين البسيط فالإنشكارية فرقة في الجيش العثماني، لها تاريخ طويل مديد حافل بالبطولات ونكران الذات، وقامت جميع الفتوحات العثمانية على اكتاف هذه الفرقة، ولها من العراقة ما للدولة العثمانية نفسها من العراقة. لذلك كان على السلطان محمود الثاني التريث لحل

(١) كارل بروكلمان : مرجع سابق، ص ٥٤٥، ٥٤٦.

هذه الأزيمة، وقد جاء الحل حاداً وصعباً، ولكنه كان لابد منه، إن بتر العضو الفاسد في الجسم مؤلم ولكنه ضروري لصحة الجسم العامة، وهذا ما حدث للإنشكارية، صحيح أن القضاء على الجيش بالنسبة لدولة كبرى يضعها في موقف محرج جداً، ولكن بالنسبة للإنشكارية كان الأمر مختلف، فقد كانت خطراً داخلياً يهدد كيان الدولة، ولم تعد تفيد الدولة في الحروب بل على العكس تسببت في خسارة الدولة الكثير من المعارك والأراضي. وإذا استمرت الإنشكارية بحالتها الأخيرة، لكانت سبباً مباشراً في التعجيل بنهاية الدولة العثمانية.

إن هذه المرحلة تمثل مرحلة مهمة في تاريخ الدولة العثمانية والأقاليم العربية، لما لها من نتائج جيدة و مهمة. فهي تمثل بداية التحرك والرغبة في التطور بعد الجمود، والتحرك للأمام. إن الإنشكارية كانت من أسباب هذا الجمود والعجز عن المواصلة، انحلالها جعلها منغلقة على نفسها، عاجزة عن تطوير نفسها، فعجزت بالتالي عن القيام بالدور المطلوب منها. (١)

وللأسف فإن الإنشكارية هذه هي التي ألقت الرعب في شعوب أوروبا، وحملت بعض ملوكها على التحالف والتكاتف، لصد هجماتها ووضع حد لفتوحاتها في أوروبا. (٢)

انقسمت آراء المؤرخين حول مدى صحة خطوة محمود الثاني في القضاء على الإنشكارية، فمنهم من أيد الخطوة، ومنهم من عارضها. وأن السلطان أخطأ في القضاء عليهم قبل تأمين جيش جديد مدرب. وإذا أردنا تنفيذ كل رأي ومدلولاته فإن الرأي الأول القائل بأن السلطان أخطأ

(١) حسن الضيقة : الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، دار المنتخب العربي، ١٤١٧هـ

١٩٩٧م، ص ٩٩-١٠١.

(٢) حبيب السيوفي : مرجع سابق، ص ٣٩.

بقضائه على الإنشكارية قبل تشكيل " الصاكر المنصورة المحمدية " وكقاعدة عامة أن تكوين جيش جديد يحتاج مدة طويلة، كيف والدولة العثمانية كانت مشتبكة في حروب في عدة ميادين. ^(١) وهذا ما حدث فقد استغلت الدول الأوروبية الفترة الغير قصيرة، والتي أعقبت القضاء على الإنشكارية وقامت بإحراز انتصاراتها، ولم يقتصر الأمر فقط على الدول الأوروبية بل تعداه للولاة العثمانيين، فقد أحرز محمد علي انتصاراته المعروفة في بلاد الشام. ^(٢)

وأصحاب هذا الرأي يستندون إلى هذه الفترة بالتحديد، التي كانت مفعمة بالأحداث السياسية، فقد نهضت اليونان مسرعة وضربت الأساطيل العثمانية ضربة قاضية سحقت فيها الأسطول العثماني ومهدت لاستقلال اليونان. ^(٣)

إن القضاء على الإنشكارية أوجد عدة متغيرات سواء في المجتمع أو بنينه الدولة العثمانية، وكان سبباً في ظهور بعض الكوارث التي حدثت خلف بعضها في وقت قصير، كان بقاء الدولة بلا جيش مطمع للأعداء، فقد بدأت الدول الأوروبية في التحرك، فبعد استقلال اليونان، بدأت فرنسا وإنجلترا وروسيا بتتبع خطى أخرى للوصول إلى الهدف، فقد قامت الدول الثلاث بحملة بحرية هزمت الأسطول العثماني هزيمة نكراء في موقعة " نوارين " عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م ^(٤) ولم تكثف روسيا بذلك بل أرادت تأمين الجبهة الغربية والجنوبية الغربية، وتقدمت الجحافل الروسية الضخمة، وأستأنف القتال عام ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م، ولم

(١) أميرة مداح : مرجع سابق، ص ٦٥.

(٢) محمد أنيس : مرجع سابق، ص ٢١٥.

(٣) أميرة مداح : مرجع سابق، ص ٦٥.

(٤) حيتا نور أقصون : التاريخ العثماني، المجلد الأول، د. ط، إستانبول : دار نشر أوته كن،

تستطيع القوات العثمانية الجديدة القليلة العدد فعل شيء أمام الجحافل الروسية، فقد كان الفوز من نصيبهم، رغم ما أظهره القادة العثمانيون من الكفاءة الفذة في إدارة المعركة، وما أظهره الجيش من الشجاعة والبسالة، فقد تمكنت الجيوش الروسية عبور نهر الدانوب واختراق جبال البلقان بجيش قوامه عشرين ألف جندي، ودمرت في طريقها الحاميات العثمانية، ووصلت أدرنة وأحتلتها عنوة. وهنا تظهر نقطة خطيرة وهي أنه لم يبق إلا القليل للوصول إلى إستانبول واحتلالها، وعلى الرغم من أن محمود الثاني قد أعد جيشاً من أهالي إستانبول يقدر بنحو ثلاثين ألف جندي إلا أنهم لم يستطيعوا صد التقدم الروسي.^(١) فإن سياسة إنكترا خاصة ومعها فرنسا وبقية الدول الأوروبية، ترغب في إضعاف الدولة العثمانية ومنعها من التقدم والتطور، ولكن مع بقائها عقبة في مواجهة روسيا، وحاجزاً منيعاً يمنعها من الوصول إلى البحر المتوسط. ولهذا فعندما استولت روسيا على أدرنة، هبت الدول الأوروبية ضد روسيا، وتوسطت في إجراء مباحثات بين الدولتين المتحاربتين بواسطة بروسيا، وأرغم السلطان محمود الثاني على توقيع أسوأ معاهدة مهينة في تاريخ الدولة العثمانية "معاهدة أدرنة" في ١٥ / ٣ / سنة ١٢٤٥ هـ الموافق ١٤ / ٩ / ١٧٢٩ م، وقد وقعها السلطان والدموع تملأ عينيه، وكانت مهزلة في التاريخ العثماني.^(٢)

إضافة إلى أنه في هذه الفترة كان من الضروري أن تصادق الدولة العثمانية على استقلال اليونان.^(٣)

(١) حيتا نور أقصون : مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٣. بسام العسلي: مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٧٨.

(٢) أميرة مداح : مرجع سابق، ص ٦٥. بسام العسلي : مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٧٨.

(٣) حيتا نور أقصون : مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٠٣.

وبالطبع استفادت فرنسا من هذه الأوضاع الداخلية للدولة العثمانية التي صارت بلا جيش ولا أسطول، وقامت بإتزال جيشها على سواحل الجزائر واحتلالها عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م ثم اعترفت الدولة العثمانية باستقلال بلاد العرب. أما بالنسبة لمحمد علي باشا والي مصر فقد تقدم بجيشه حتى وصل إلى كوتاهية ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م، في الوقت الذي كان فيه السلطان محمود الثاني منشغل بحرب روسيا، مما أضطره لعقد اتفاقية ميناء خنكار ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م. حتى يمنع تقدم محمد علي باشا، كما أن بريطانيا تدخلت في التجارة، مما جعل السلطان يشعر بضرورة توقيع اتفاقية تقضي بحرية التجارة (*) للأجانب في الدولة العثمانية. (١)

من المعلومات السابقة نكتشف أن جميع هذه الأحداث لم تكن جديدة على الساحة السياسية، فهي عوامل خارجية ومخاطر واجهها محمود الثاني منذ بداية حكمه، ولم تظهر بعد القضاء على الإنشكارية مباشرة. لقد كانت بلاد اليونان في حالة ثورة دائمة لنيل الاستقلال، والجزيرة العربية ظهرت فيها الدعوة السلفية كما أن الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا كانت مستمرة وتعتبر حرب تقليدية. وهكذا نرى أن جميع هذه المشاكل السياسية كانت موجودة، أما عن فرنسا واحتلالها للجزائر، نجد أن فرنسا كانت قد طمعت في الجزائر حتى بوجود الإنشكارية، فإن وجودها لم يكن ليمنعها من القيام بالاحتلال، لأن الإنشكارية كانت

(*) وكان هذا موجهاً ضد محمد علي باشا والي مصر والذي إزدادت كراهية السلطان له بسبب الإدارة المطلقة التي كان يطبقها في مصر. وكان هذا الوضع له نتائج خطيرة على اقتصاد الدولة العثمانية. ويقول جودت " أن الدولة فتحت مصراعها للصادرات، وانحطت الصناعات الداخلية بشكل ملحوظ عام ١٨٣٨م. حيناً نور أقصون : مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٣، ١٩٤.

(١) مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٤. عبد اللطيف محمد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٦، ٢٧.

أصغر من أن تتصدى للجيوش الفرنسية. وهذا لم يكن جديداً على الدولة العثمانية فإتباعها كانت تعاني من تكاليف الأعداء عليها قبل القضاء على الإنكشارية بأكثر من مائة وخمسين عاماً.

وهذه جميعاً عوامل خارجية خنقت نتائج القضاء على الإنكشارية، ولم تمهل محمود الثاني (*) وقتاً يتم فيه مشروعه العسكري كما أن محمد علي استغل ضعف الدولة العثمانية قبل القضاء على الإنكشارية، فقد أظهر بؤار الاستقلال والقوة في أعقاب إخماده حركة التمرد في بلاد اليونان، ورفض مساعدة محمود الثاني في إرسال خبراء عسكريين لتدريب الجنود الجدد مكشراً بذلك عن أنياب الاستقلال بحكم مصر والشام إضافة إلى الحجاز.

أما كون الدولة أصبحت عارية تماماً دون الإنكشارية، (١) فهل كانت الإنكشارية تحميها حقاً وتستتر عريها؟ لم تكن الإنكشارية قادرة مطلقاً على الدفاع عن الدولة العثمانية، كانوا يدخلوا المعركة من أجل خسراتها، وأعدادهم كثيرة، ولكن عدداً قليلاً من الإنكشارية يخرج إلى الحرب، وهؤلاء يهربوا من ساحة المعركة، فالإنكشارية جيش داخل العاصمة وضد السلطان، ولم يكن جيش يحمي الدولة.

وإذا صارت عارية كما يقال، لأن العساكر المنصورة المحمدية ما زالت في دور الإنشاء فالإنكشارية لم تكن لتسمح أبداً بإنشاء فرقة صغيرة في وجودها، والأمثلة على ذلك كثيرة، فلم يكن ممكناً عمل ذلك إلا بالقضاء على الإنكشارية.

(*) لقد توفي محمود الثاني عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م. بداء السل الذي أصيب به نتيجة حزنه على فشل إصلاحاته بسبب كثرة الضغوط الأوروبية، عبد القادر ده ده أوغلو : مرجع سابق، ص ٧٧.

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ١٤٩.

أما المؤرخ الذي قال أن الجيش لم يكن له جذور وهو الذي جعل السلاطين العثمانيين دمي في أيدي أوروبا، لأنه كان على القواعد الأوروبية كيف ذلك ؟ (١) و جذورهم التاريخية وماضيهم العريق هو الذي صلب عقول الإنشكارية وجعلها ترفض كل إصلاح أو تطوير. فإذا كان الجيش الجديد جعل السلاطين دمي في أيدي أوروبا، فالإنشكارية جعلت السلاطين دمي في أيديها على المسرح السياسي الذي يراه كل العالم، كما وأن الدولة كانت آخذة في الضعف والانهيار نتيجة لعدة عوامل أخرى مما ساعد على زيادة سلطة أوروبا على السلاطين العثمانيين، ليس ضعفاً من السلاطين، ولكن للحفاظ على ما تبقى من أراضي الدولة العثمانية، فالقواعد الأوروبية التي بني عليها الجيش الجديد لم تمس الشرع الإسلامي وهذا هو المهم.

أما الرأي الثاني فهو أن السلطان محمود الثاني أصاب في عمله، ويستدلون على رأيهم هذا بما حققه من إصلاحات، لم يكن لينطلق فيها بوجود الإنشكارية. (٢)

لقد تخلص محمود الثاني من العائق الأول ضد الإصلاح، ثم انطلقت عجلة الإصلاح بعد ذلك، وكان أهم الأعمال ما تناول الناحية العسكرية، فقد شرع في تكوين الجيش الجديد على الطراز الأوروبي الحديث (٣)، كما كان القضاء على الإنشكارية تحطيم للأغلال التي قيدت محمود الثاني والسلاطين من قبله عن المضي في إصلاح الدولة وخاصة الناحية العسكرية، فقد أنطلق في الخطط

(١) حيتا نور أقصون : مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٤.

(٢) أميرة مداح : مرجع سابق، ص ٦٦.

(٣) سليمان الخراشي : كيف سقطت الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، دار القاسم للنشر،

الإصلاحية التي ظلت كامنة في ذهنه لمدة ثمانية عشر عاماً^(١)، والحق أن السلطان محمود الثاني بذل جهوداً مضاعفة^(٢) في تأسيس "العساكر المنصورة المحمدية" فقد أدرك أنه إذا كان الحصول على الجنود أمراً سهلاً فإن الحصول على ضباط أكفاء ليس بالأمر اليسير، فقد أرسل ضباط جيشه في عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م إلى مختلف المدارس الأوروبية ليتدربوا بها.^(٣) كما قام باستدعاء ضباطاً ومهندسين فرنسيين وألمان لتدريب الجند، وقد أسس أكاديمية عسكرية في عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م وأرسل خريجها إلى العواصم الأوروبية لاستكمال دراساتهم العليا.^(٤) كما أهتم بالتنظيم المالي لهذا الجيش فخصص له خزانة عرفت باسم "خزانة المنصورة" للصرف على الجنود ودفع رواتبهم بانتظام. فقد كانت لهم رواتب شهرية، وزياً خاص، وغطاء للرأس من الجوج مستدير العمة، ثم تحول إلى نوع من الطربوش، وبمرور الوقت عززت قوات الجيش الجديد بوحدات احتياطية في الأقاليم المختلفة.^(٥) وقد تمكن محمود الثاني في خلال سنتين من وضع نواة الجيش الجديدة فقد قضى هذه الفترة في غرفة حجرية في إحدى الثكنات، كان يخرج للتدريب في برد الشتاء أمام الجيش كأي زعيم عسكري، أختلط بالطين أثناء التدريب، كان لا ينام في الليل ويدقق في

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(٢) للاستزادة الرجوع عبد العزيز عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية، ص ٨٤.

أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ج ١، ص ٤٠٨ - ٤١١.

(٣) عبد العزيز عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات المتحدة العربية، ص ٨٤.

(٤) محمد سهيل طقوش : مرجع سابق، ص ٣٣٤.

(٥) أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ج ١، ص ٤٠٧، ٤٠٩.

الكتب الواردة، مرّن عساكره بنفسه، وارتدى ملابس الجند،^(١) وأخيراً فقد قام بكافة الأعمال لتأسيس جيش قوي مدرب تعتمد عليه الدولة العثمانية في حروبها. ونتيجة لجهود السلطان محمود الثاني اللامحدودة في إعادة تنظيم الجيش، وصف أحد المؤرخين الجيش الجديد بأنه صار في عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م أحد جيوش العالم الذي يعمل له حساب.^{(*) (٢)}

كما أن معركة نافارين لم تثن السلطان عن عزمه، فقد استعد لتأسيس أسطول جديد. وفي هذه الفترة اشترى أول سفينة حربية بخارية عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م، وأسمها "سرعت" أي سرعة.^(٣)

وقد ظهرت نتائج بناء الجيش الجديد في صورة الهزائم التي منيت بها كل من مدينتي فلأفير وتشرتش في ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م في اليونان، كما وأن القائد المحنك هاستنجز لقي الهزيمة على يد النظام الجديد، كما أنه في أثناء الحرب مع روسيا في بلاد القرم أبدت القلاع التركية مقاومة شديدة مما جعل القيصر ينسحب من الميدان مجروح الكبرياء تاركاً القيادة إلى "دبيتش" القائد العام وفي أثناء حصار شوملة أضطر القيصر إلى رفع الحصار لما لاقاه من مقاومة وانتظام الجيوش الجديدة، وقد اكتشفت روسيا مدى تطور وانتظام الجيوش الجديدة على عكس الإنشكارية، فحار رجال أوروبا في ما أبداه الجيش من شجاعة وثبات، فقد

(١) يلمازا وزتونا : مصدر سابق، ج٢، ص١١. حسين لبيب : تاريخ المسألة الشرقية، ص٦٨.

(*) لمزيد من المعلومات مراجعة يلمازا وزتونا : مصدر سابق، ج٢، ص٣١٢، ٣١٣.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٤١٢.

(٣) يلمازا وزوتونا : المصدر السابق، ج٢، ص٤١١.

شاهدوا تراجع الجيوش الروسية في شوملة، على الرغم من استعدادها وكثرة عددها، مع تكبدها خسائر فادحة، كما شبه وزير النمسا " مترنخ " تقهقر الروس في هذه الحروب بتقهقر نابليون في عام ١٨١٢م. (١)

هذه النجاحات شجعت محمود الثاني على الاستمرار في الإصلاحات، خاصة وأن المدن العثمانية سكنت إلى الراحة والهدوء واطمأن الناس خاصة الأجانب على أنفسهم وأموالهم، ظهر هذا بوضوح في أعقاب معركة نافارين لأنه لو وقعت أثناء وجود الإنشكارية لقامت مذابح دامية ضحاياها من اليونانيين والأجانب على أيدي الإنشكارية. (٢)

ولكن للأسف فبالرغم من كل هذا النجاح فإن بقاء الدولة فترة غير قصيرة قبل أن يتم إعداد الجيش الجديد، جعلها مطمع للأعداء (٣) فقد جاءت معركة نافارين حادث مكمّل لانهيار القوة الحربية، كما أن روسيا استغلت هذا الوضع تماماً وفرنسا كذلك. (٤) ولكن إذا ما دقننا النظر في هذه النتائج سنجد أنها ليست بسبب سوء تنظيم الجيش وإن وجدت فيه بعض العيوب (٥)، فهي ليست مجال الدراسة، وإنما كانت هذه النتائج بسبب ضغط الدول الأوروبية باستمرار على الدولة العثمانية، هذا الأمر لم يظهر في عهد محمود الثاني فجأة، ولكن ظهر في عهد السلاطين السابقين له كما أن الإنشكارية لم تكن لتسد هذه العيوب.

فإذا أخذنا عهد سليم الثالث على سبيل المثال، فإن روسيا والدول الأوروبية

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ٢٤٠، ٢٤١.

(٢) مرجع سابق، ص ٢٤٢.

(٣) عبد العزيز عوض : التنظيمات العثمانية في الولايات العربية، ص ٨٤.

(٤) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ٢٤٢.

(٥) لمزيد من المعلومات مراجعة محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني،

كانوا قد وضعوا أعينهم على أراضي الدولة العثمانية منذ زمن، فلم تنشأ هذه الدول الصلاح للدولة العثمانية وعودتها إلى سابق عهدها في القوة والمنفعة، قاموا بتحريض الإنشكارية مع الضغط على الدولة العثمانية في الجبهات الحربية أدى إلى إلغاء النظام الجديد في عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٨م. ^(١) مع مساعدة الإنشكارية لهم، فقد كانوا يتشاجرون على العلوقة في ميدان القتال بدلاً من الثبات أمام العدو. ^(٢)

إن إعادة تنظيم جيش في إنشاء الحرب، هو أمراً صعب، فمن طبيعة الحرب سواء كانت ناجحة أم فاشلة استنزاف قدرة الجيش وإظهار عيوبه ونقاط الضعف في تسليحه وتنظيمه، لأنه يكون من الصعب معرفة هذا الأمر أثناء السلم، نار الحرب كانت تصهر الدولة العثمانية وإمكانياتها بصفة مستمرة، مظهرة في ذات الوقت الحاجة إلى الإصلاح، فإذا كان الجيش الجديد قد فشل إلى حد ما في الحروب التي خاضها، فهذا لم يكن عيباً به، وإنما لأن آثار الإنشكارية باقية رغم القضاء عليها، إن الشرخ الذي أحدثته انحرافات الإنشكارية، لم يستطع أحداً في الدولة العثمانية رآه، لأن الألوان قد فات.

لقد احتملت الدولة العثمانية كثير من انحرافات الإنشكارية وحاولت إصلاحها وتقويمها ولكنها لم تستطع، وآخر دليل على ذلك أنه عندما قام السلطان محمود الثاني بمحاولاته في ترميم القوات المحاربة، أحرزت انتصارات في حروب ١٢٢٤هـ، ١٢٢٥هـ / ١٨٠٩م، ١٨١٠م أثارت إعجاب أوروبا، وجعلتها في شك من قوة الدولة الحقيقية، وفي هذه الحرب لم يحظ العثمانيون بمساعدة خارجية أبداً، فقد قاسى منهم الروس وفروا حتى أن الأتراك قرروا عبور الدانوب

(١) أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ج ١، ص ٤٠٨.

(٢) محمد عبد اللطيف البحرأوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ٢٣٥.

وتعقب أعدائهم إلا أن هذا النجاح لم يدعم سلوكهم الحضاري، فعندما سلمت " بلغراد " للأتراك عام ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م أعلن المنتصرون المبادئ الجديدة في معاملة الأسرى، إلا أنه في اليوم التالي قاموا بإعدام أكثر الأسرى أمام قلعة بلغراد ولم يهتموا بالوعود التي قطعوها. على أي حال إن القضاء على الإنشكارية، لا يدل على القسوة، وإنما على الحزم والصبر والخبرة وضبط النفس والشجاعة، فقد رأى السلطان محمود بعينه سليم الثالث ومصطفى الرابع، وهما يذبحان أمامه، وهذا بلا شك أثر في محمود الثاني ضد الإنشكارية.^(١)

هناك شبه إجماع من المؤرخين والباحثين على الإشادة بعمل السلطان محمود الثاني، وتخليص الدولة والمجتمع العثماني من شرور أفعالهم، والحق أن الباحث المحايد لا يستطيع أن يقلل من أهمية النجاح الذي أصابه السلطان محمود الثاني، بعد أن تفاقمت خطورتها وجبروتها.^(٢)

وهنا تجد الدراسة أن هناك سؤالاً يطرح نفسه عن مدى صحة عمل محمود الثاني ؟ و للإجابة على ذلك نجد أن هذا العمل نسبة الصح فيه أعلى من الخطأ بمراحل، فمحمود الثاني أصاب بالقضاء على الإنشكارية فهي فئة فاسدة، فإذا لم يتمكن السلطان محمود الثاني من القضاء عليها لكانت قضت هي عليه وعلى الدولة العثمانية، ولسقطت الدولة بعد محمود الثاني، لأنه لم يكن بالمستطاع منع روسيا من دخول إستانبول، أو نزول القوات الفرنسية في الجزائر، أو استقلال اليونان، وما إلى ذلك، لأن فرنسا كانت قد خططت لاحتلال المغرب العربي دون خوف من الإنشكارية وبلاد اليونان قد قامت بثورة أخمدها جيش محمد علي باشا في وجود الإنشكارية وفشلها في هذا الأمر، وطالما قامت ثورة أولى حتى ولو

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ٢٣٨، ٢٧٣.

(٢) عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق، ج ١، ص ٥٥٥، ٥٥٦.

أخمدت فإن طريق الاستقلال في اليونان كان قد بدأ. أما روسيا وهي العدو المتربص بالدولة العثمانية دائماً فلم يكن وجود الإنكشارية يردعها عن الحرب، وإن كان الجيش الجديد قد فشل نوعاً ما في مواجهة هذه الأمور، فهذا ليس عيباً في إلغاء الإنكشارية أو تدريب الجيش الجديد، وإنما لأن الدول الأوروبية لم تكن تردعها الإنكشارية وبالمثل الجيش الجديد.

وخطأ محمود الثاني هو أنه لم يضمن ولاء الأقاليم العثمانية، بمعنى أنه لم يتفق مع الولاة العثمانيين على إمداده بجيوش تدافع عن الدولة العثمانية في الوقت الذي يتم فيه تدريب الجيش الجديد، فقد كان حوله ولاية أقوياء مثل والي البوسنة وبعض ولاية شرق أوروبا و محمد علي باشا والي مصر والشام، إلا أن هذا الأخير عليه ملاحظات في أنه أصلاً يرفض مساعدة الدولة العثمانية، إضافة إلا أنه يريد الاستقلال، وترى الدراسة أن هذا هو الخطأ الذي وقع فيه محمود الثاني، إذ أنه لم يضمن مساعدة جيوش من الأقاليم العثمانية قبل إلغاء فيالق الإنكشارية.

أما أن محمود قد حرر أوروبا من رهبة سيطرت على نفوس الشعب والحكام، بسبب الإنكشارية، ^(١) فإن الإنكشارية نفسها هي من حرر الدول الأوروبية من هذا الإحساس فقد قدمت أراضي الدولة لقمة سهلة للأعداء في الوقت الذي كانت تتخاضل في أرض المعركة، وتتصارع داخل القصر السلطاني على الأعطيات.

وعلى أي حال فإن الخطأ الآخر هو توقيت إتخاذ هذه الخطوة لأن فكرة القضاء على الإنكشارية جاءت متأخرة أكثر من قرن من الزمان، فلو حدثت قبل وقت وقوعها، لكانت أثمرت الثمار المرجوة منها، ولكن تخوف السلاطين من هذا الأمر وتباطأهم في القضاء عليهم، وقوة الإنكشارية اللامحدودة في نفس الوقت

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني، ص ٢٤٢.

عطلت القضاء عليهم، مما عطل بالتالي ظهور النتائج، وذلك لأن الأخطار الخارجية كان قد استفحل أمرها، ولم يعد من المفيد إجراء الإصلاحات التي قام بها محمود الثاني، وعلى هذا فإن إلغاء الإنشكارية لم يكن خطأ وإنما متأخراً.

حقاً أن محمود الثاني قد أنقذ الدولة العثمانية من شرورهم، و قام بعمل لم يستطع غيره القيام به، كما أنه مهد الطريق لمن جاء بعده، وخلصهم من خراب داخل الدولة، إلا أن " الترياق لم يأت من العراق إلا بعد أن شارب المريض على الهلاك " (١)

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة عن دور الإنشكارية في إضعاف الدولة العثمانية تمكنت بفضل الله تعالى أن أجمع ما استطعت من المعلومات من واقع المصادر والمراجع المتخصصة من أجل إعطاء صوره واضحة للدور الذي قامت به الإنشكارية لإضعاف الدولة.

(١) بادئ ذي بدء عالجت في التمهيد مصطلح "الإنشكارية" وأظهرت الدراسة أن كلمة الإنشكارية هي كلمة عربية، وأنها حرفت عن "يكي جري" عندما ترجمت عن التركية، وبالتالي يتضح أن هناك اختلاف من حيث نطق وكتابة الكلمة.

(٢) ويعود هذا الاختلاف والتحريف إلى اختلاف في نطق الحروف العربية عن مثيلاتها في اللغة التركية.

(٣) أما عن مصطلح الدوشرمة، فقد أطلقه المستشرقون على الأطفال المسيحيين الذين يجمعوا من البلاد المفتوحة أو من القرى المسيحية، وذلك بهدف إلصاق تهمة انتزاع الأطفال من أحضان أسرهم بالدولة العثمانية، على الرغم أن لفظ دوشرمة أخذ من كلمة عربية وهي داشر والتي تعني المتشرد أو الذي لا يلتزم بالعادات والتقاليد، فالأولى إذن أن تطلق على الأطفال المشردين في الطرقات، وليس لمن ينعموا بحياة هائلة في أحضان ذويهم. وبهذا تسقط دعواهم بوجود ضريبة الغلمان في الفترة المبكرة من تأسيس الإنشكارية.

وعالج الفصل الأول موضوع نشأة الإنشكارية حيث أفردت الدراسة ثلاث موضوعات بهذا الفصل والفقرة الأولى تتعلق بالأوضاع العسكرية في

بداية العهد العثماني.

(٤) أتضح من خلال العرض أن أول شكل للجيش العثماني كان من المتطوعين من البدو الرحل. ولم يأخذ صفة الجيش النظامي، وإنما اعتمد على المناده بين قوات العشائر لتجميع المجاهدين، وأطلق عليهم "مجاهدي النفير" ثم ظهرت قوة المشاة "البياده" والتي اعتمدت على الجنود المدربين، لكن هذه القوة لم تستمر طويلاً إذ أن قلة خبرة العثمانيين العسكرية ساعدت على فشل تحويل الفارس التركي إلى جندي مشاة.

جاءت الفقرة الثانية خاصة بتأسيس الإنشكارية وكانت تنظيماً لها لا نظير لها في التاريخ.

(٥) وأتضح من خلال الدراسة أن أساس فكرة جيش الإنشكارية من كتاب الوزير السلجوقي نظام الملك وهذا يعني وجود فكرة تدريب الأطفال على القتال ليصبحوا جنوداً أشداء، منذ زمن بعيد، ومتبعه في كثير من الدول عبر التاريخ فرأى أورخان الاستفادة من الأطفال الأيتام نتيجة الحروب الدائرة على حدود العالم المسيحي.

(٦) كما يظهر ارتباط الإنشكارية منذ نشأتها بالطريقة البكتاشية الصوفية، والذي كان عاملاً مهماً في تقدم الفتوحات العثمانية، وكما كان هذا الارتباط محركاً للنجاح، فقد تحول مع الزمن وصار محركاً على التمردات وثورات الإنشكارية لأن شيوخ البكتاشية لم يتراجعوا يوماً عن مد يد العون للإنشكارية.

(٧) وتظهر قوة أنظمة وقوانين الإنشكارية التي كانت متبعه في شئون حياتهم، فهي لم تترك أي جانب إلا وأحكمت تنظيمه وعندما التزمت الإنشكارية بهذه القوانين قامت بأعظم الانتصارات الإسلامية.

(٨) وضحت أهمية منصب الأغا وكيف أنه كان يعتبر شخصية بارزة في الدولة

العثمانية، فقد نال بعض الأغوات منصب الوزارة ومن خلال أهمية منصبه جاءت سيطرته على الإنشكارية وثوراتها.

(٩) وظهر أن عدم السماح للإنشكارية بالزواج أحد أهم الأسباب في عصر ضعفهم إلى انتهاكهم لحرمان الأهالي في المدن المفتوحة حديثاً.

(١٠) يتضح من أنظمتهم أن عقوبة الإعدام لا تنفذ على جندي الإنشكارية إلا في الضرورة، وبأمر مباشر من السلطان وبسرية داخل إحدى القلاع، وهذا يثبت عدم صدق ادعاء بعض المؤرخين والمستشرقين بأن عقوبة الإعدام كانت لأتفه الأسباب ويقوم بها قائد الأورطة وأمام زملاءه من الجنود.

(١١) أما المبحث الثالث فقد تعرض إلى أهم آراء المستشرقين، ومن خلال البحث والتدقيق ظهر أن فكرة تجميع الأطفال لتكوين قوة محاربة لم تكن فكرة جديدة على الشعوب بل كانت متواجدة منذ القدم عند كثير من الشعوب في ذات الوقت لم تكن لدى أوربا جيوش متفرغة ومتهيئة دائماً للقتال وبالتالي لم يبتدع هذه الفكرة العثمانيين، وإنما مارستها أغلب شعوب العالم القديم والحديث.

(١٢) جاءت فكرة جمع الغلمان النصارى بالقوة من أسرهم المسيحية بنص يكاد يكون واحداً عند كل المستشرقين مع اختلافات بسيطة ولكن تركز في جوهرها على استثارة المشاعر الإنسانية بتصوير معاناة وآلام ودموع الأم والأب على فقيداهما الغالي.

(١٣) ترديد المؤرخين العرب والمسلمين دون تمحيص للحقيقة أو اكتشاف مدى صحة ما جاء في روايات المستشرقين.

(١٤) تشويه المستشرقين للإنشكارية إنما هو تشويه للإسلام لأن هؤلاء هم الذين حملوا راية الجهاد الإسلامي ونشر الإسلام في أواسط أوربا.

(١٥) أوضحوا أن الإنكشارية من أفضل أبناء الأسر المسيحية وأعرقها، وبالتالي هم يرجعون الفضل في هذه الانتصارات التي حققها الإنكشارية والشجاعة والقوة التي تمتع بها هؤلاء إلى أبناء جلدتهم محاولين بذلك التهوين من شأن العثمانيين كقوة إسلامية.

(١٦) لم يورد أحد المستشرقين مصدراً موثقاً اعتمد عليه في هذه الفرضية سواء وثيقة أو مخطوط أو حتى كتابات مؤرخين، واعتمد بعضهم على كتابات رحالة أوروبيين، أو وثائق عن التجنيد الإجباري، وساقوها على أنها وثائق عن ضريبة الغلمان.

(١٧) اتضحت عدة أمور من عرض آراء المستشرقين وهي:

- اختلاف واضح حول سبب تكوين الإنكشارية.
- اختلاف أقوال المؤرخين حول كيفية تربية هؤلاء الأبناء.
- الاختلاف حول صاحب هذه الفكرة.
- موقف الأسر المسيحية من هذه الضريبة.

(١٨) ترسخ الإسلام في نفوس العثمانيين بدرجة كبيرة، ولذا من غير المعقول أن يخالف العثمانيون الشريعة الإسلامية في أول عهدهم، إذ أنه في الشريعة الإسلامية تقع الجزية في المال وليس في الأبناء.

(١٩) اعتمدت الدولة العثمانية في جيش الإنكشارية على ثلاث مصادر أولهما الأطفال الأيتام المشردين في شوارع المدن المفتوحة حديثاً، ثانياً على ما تقدمه الأسر المسيحية طوعية دون ضغوط، ثالثاً على أسرى الحروب، وهذا الأخير شكل أضعف مورد للأطفال.

(٢٠) من غير المعقول أن يؤخذ أطفالاً دون سن العاشرة وينتظرهم السلطان حتى يكبرون ويتعلمون فنون القتال، ويصبحوا جاهزين لدخول أي معركة، فهذا

يثبت أنهم كانوا يجمعون في سن الخامسة عشرة وما فوق والأطفال الصغار هؤلاء هم فقط الرعيل الأول والثاني على الأكثر.

(٢١) ثبوت القاعدة الشرعية بأنه لا إكراه في الدين وهي من مبادئ الإسلام والتي سار عليها العثمانيون ولم يحدوا عنها مطلقاً.

(٢٢) الطفل المشرّد اليتيم الأب والأم، تصبح تبعيته لصاحب الدار أي الحاكم وإذا كان مسلم فإن الطفل يصبح مسلم بالتبعية.

(٢٣) ليس بالضرورة أن يكون خمس الغنائم أطفال فمن الممكن أن يكون أموال أو متاع.

(٢٤) أثبتت بعض الوثائق أن الأطفال كانوا في سن الشباب، وبالتالي هذا يطبق عليه مفهوم التجنيد الإجباري، والذي مارسه الدول قديماً، ولا تزال تمارسه حتى اليوم.

(٢٥) وهذه الوثائق التي أوردها أحد المؤرخين جاءت مركزه على فترة ضعف وانحلال في قوة الدولة العثمانية العسكرية.

(٢٦) مقاومة بعض الأهالي لهذه الضريبة على حد زعمهم جاءت من العبء الاقتصادي الذي يقع على عاتق الأهالي نتيجة مبيت قافلة الشباب في قرعتها.

(٢٧) ساعد على تضخم فكرة جمع الشبان، أن من يقوم بهذه المهمة جنود ومندوبين من جنسية مختلفة عن جنسية الشبان، وبالتالي أعطى ذلك الإحساس بأنهم يجمعوهم بشدة وقهر وأنها ضريبة تجمع وليس تجنيد إجباري.

(٢٨) يرفض بعض أصحاب التيمارات والإقطاعيات الزراعية تسليم الغلمان، وهذا يعني ضياع الأيدي العاملة مما يقودنا إلى أن أعمارهم في سن الشباب.

(٢٩) الوثائق التي وردت في هذا الصدد تركزت على بلاد البلقان، مما يعني أنه من الجائز أنه مورس جمع الشباب في هذه المنطقة ولكن ليس على صورة شكل ضريبة غلمان، وإنما تجنيد إجباري.

(٣٠) أغلب الشباب الذين جمعوا كانوا يدينون بالإسلام والدليل أنهم حملوا السلاح لحماية الإسلام.

(٣١) لم يكن الإنشكارية يشكلون معظم الجيش العثماني، وإنما هم فرقة في جيش يتكون من عشرات الفرق.

(٣٢) إذا افترضنا جدلاً أن الدولة العثمانية مارست هذه الضريبة، فهذا لا يرتقي إلى أعمال المسيحيين في مسلمي الأندلس وبلاد المجر، وأوروبا بالزنوج والبلاد العربية التي احتلتها وما تفعله إسرائيل في فلسطين، فهذا يأتي قطره في بحر الدماء التي أغرق الغرب المسيحي فيه الشرق الإسلامي.

ثم تعرضت الدراسة في الفصل الثاني إلى تسلط الإنشكارية وجبروتهم، حيث أفرد للفصل الثاني ثلاثة موضوعات، واختص الأول منها بأسباب تمردات الإنشكارية حيث أوضحت الدراسة أن تمردات الإنشكارية انقسمت إلى أربعة أسباب:

(٣٣) الأول منها يتعلق بالسياسة العليا وانحصر في الآتي:

أ- تقاعس السلاطين عن الخروج للحرب وإرسال الصدر الأعظم لقيادة الجيوش بدلاً من السلطان مما أدى إلى انخفاض الروح المعنوية للجيش العثماني، وخاصة الإنشكارية.

ب- عدم وجود قاعدة ثابتة لتولية السلاطين عرش الدولة العثمانية، فقد أخذوا بمبدأ الاستخلاف، وبالتالي فمن الممكن أن يأتي الحكم في الأبناء أو الإخوة، مما أوجد بين هذه الأطراف خلاف وصراح، تدخلت فيه الإنشكارية بصورة

حادة لترجيح كفة من تريد حسب رغبتها.

ج- سيادة نظام الأعطيات والهبات على أفكارهم وأعمالهم، في أنه إذا حدث ولم يصرف أحد السلاطين هذه الأعطيات، صار عرضه للتمرد والثورة وصارت هذه الأعطيات بمرور الوقت فريضة على السلاطين.

د- أسهموا في خلق روح الكراهية عند الأهالي في الولايات العربية العثمانية والأوربية على حد سواء لحكم الدولة العثمانية، فقد كثرت تعدياتهم على الأهالي من نهب الأموال وهتك الأعراض.

هـ- تزايد أعداد الإنشكارية بشكل كبير شكل عجزاً واضحاً في أدائهم، بالإضافة إلى أن بعضاً من هؤلاء اندرجوا في الإنشكارية ليس بسبب الحصول على الرواتب والأعطيات، وإنما ليشكلوا جواسيس للدول الأجنبية خاصة روسيا، فعملوا على بث روح الفتنة والفساد بين صفوف الإنشكارية. كما أدى تزايدهم إلى عجز الخزينة عن دفع رواتبهم والقيام بتوفير مستلزماتهم الضرورية، وكان إنضمام أفراد إلى الإنشكارية أكبر من السن المطلوب، سبب عدم خضوعهم للتدريبات العسكرية لوقت كافٍ.

هذا الخليط غير المتجانس جعل الإنشكارية تظهر بصورة مشوهة، وأوجد انقساماً بين جيلين منفصلين تماماً، تميز الجيل الأول بقوته وسعيه في الفتوحات إما للنصر أو لطلب الشهادة في سبيل نشر الإسلام، أما الجيل الثاني فهو جيل يرفض الخروج للحرب، وإذا خرج يثور في ساحة المعركة لأتفه الأسباب.

(٣٤) أما عن السبب الثاني وهو السبب الاقتصادي فقد تركز في الآتي:

أ- انخفاض قيمة العملة التي كانت تصرف بها رواتب الإنشكارية، حيث كانت العملات مغشوشة بمعادن بخسة الثمن، وبالتالي لا تقبل في الأسواق والحوانيت، مما يؤدي إلى ثورتهم، كما أنه في بعض الأحيان نتيجة لعدم

وجود عملات صحيحة في دار سك العملة يضطر السلطان إلى إخراج رواتبهم من خزينته الخاصة، تسكيناً لعصيانهم، أو تحرم الإنشكارية من رواتبها لبعض الوقت.

ب- والسبب الرئيسي في هذه المسألة اليهود، حيث سيطروا بشكل كبير على الاقتصاد العثماني، ولأن اليهود دائماً يعملوا وفق مخططهم الصهيوني، فقد تمكنوا من سك عملة رواتب الإنشكارية بمعادن مغشوشة حتى يدفعوهم إلى الثورة والتمرد وبالتالي ينخفض مستواهم القتالي وتضعف الدولة العثمانية، هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى فإن الدولة العثمانية كانت تحظر استخدام العملات المغشوشة وبالتالي تتمرد الإنشكارية عند رغبتها في شراء أي سلعة مما يؤدي إلى نهب الإنشكارية لبيوت الأهالي والمزارعين الفقراء، مما يولد حقد وكرهية للحكم العثماني في الأقاليم العربية والأوربية، وهذا ما أرادته الصهيونية.

(٣٥) والسبب الثالث فقد كان اجتماعي، حيث أن إلغاء الحظر المفروض عليهم بمنع الزواج، أدى إلى ارتباطهم بأسرهم، وتربية الأبناء، وتعودهم على حياة الاستقرار والراحة والرفاهية مما أفقدهم الهمة في القتال.

(٣٦) أما عن السبب الرابع فقد تركز في نفسية الإنشكارية حيث أصيبوا بالغرور والكبرياء نتيجة لأعمالهم البطولية السابقة التي أعطتهم إحساس بأن جميع مطالبهم مجابة معتمدين على دعاء الحاج بكتاش فقط، رافضين أي محاولة للإصلاح.

(٣٧) هذه الأسباب مجتمعة أدت إلى صراع داخلي في كيان الدولة العثمانية، بين السلاطين والإنشكارية نتج عنه مؤسسة عسكرية بائره تعاني الهزائم المتلاحقة وتسهم في إضعاف كيان دولة إسلامية عريقة.

تناول الموضوع الثاني نفوذ الإنشكارية داخل القصر السلطاني، والذي لم

يظهر إلا في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي، وأتضح في هذا الصدد أن تركزت تدخلاتهم على من سيتولى العرش، فمثلاً نجدهم أرغموا مراد الثاني على الاستمرار في الحكم، كما ساعدوا بايزيد ابن محمد الثاني على تولي السلطة ورجحوا كفة سليم الأول على إخوته.

(٣٨) لم يكن لهم أي ضلع أو تدخل في مقتل أبناء سليمان القانوني، والمؤامرة التي حيكّت من قبل زوجته روكسلانه مع بعض أعوانها.

(٣٩) تولى الحكم سلاطين ضعاف الشخصية ساعد على زيادة نفوذ الإنشكارية وتعليهم على الشخصيات المهمة في القصر السلطاني من صدور عظام ووزراء وانتهاك لحرمت منازلهم.

(٤٠) في عهد محمد الثالث ظهرت نتيجة مهمة لتدخلاتهم في القصر السلطاني، هي تدخل الحريم في سياسة القصر بالتعاون مع الإنشكارية، وصار الطرفان يحكيان المؤامرات والدسائس ضد السلاطين والصدور العظام.

(٤١) صار السلاطين ألغوبة بيد الإنشكارية تولي وتعزل من تريد، فقد ركزت الإنشكارية على تولية سلاطين ضعاف الشخصية، قليلي الخبرة في الشؤون السياسية والعسكرية لكنها لم تول قط سلطاناً مصاب بمرض التخلف العقلي أو الجنون كما ردد بعض المستشرقون.

(٤٢) لم يقدموا على أي عمل من شأنه عزل سلطان أو تولية آخر إلا بناء على فتوى من شيخ الإسلام إذ كانوا يجبروا المفتي على إصدار الفتوى كما وأن هيئة العلماء قد تطرق إليها الخل وبالتالي كانوا يفتوا بما لا يعلموا.

(٤٣) أكبر جريمة ارتكبتها الإنشكارية وتعتبر نقطة سوداء في تاريخها، هي قتل السلطان عثمان الثاني بمنتهى البشاعة لما فيها من استهانة بشخصية السلطان وهيبته وكانت هذه الجريمة بداية لجرائم كثيرة ارتكبتها الإنشكارية بعد ذلك.

(٤٤) تنوعت بعد مقتل السلطان عثمان الثاني أسباب ثوراتهم بالإضافة إلى الأسباب السابقة الذكر، كانت أيضاً بسبب منع الخمر والتبغ الذي أقيمت عليه الإنشكارية بشدة.

(٤٥) عصر مراد الرابع تميز بالقوة، واستطاع أن يحد من تمرد و تصرفات الإنشكارية الرعناء لفترة من الزمن، ولو قدر له أن يقضي على الإنشكارية لتغير تاريخ الدولة العثمانية.

وأفردت الدراسة الموضوع الثالث لتدخلات الإنشكارية في السياسة العليا، حيث شكل أكبر خطر على سير الفتوحات والمعارك إذ أدى ضعف الإنشكارية إلى ضعف واضمحلال المركز العسكري للدولة العثمانية أمام أعداءها وتعرضها لهزات عنيفة وخسائر جسيمة.

(٤٦) كانوا يثورون على السلطان إذ بقوا دون حرب لمدة طويلة، مثلما حدث في عهد السلطان بايزيد الثاني.

(٤٧) كانوا أحد أهم الأسباب التي أدت إلى توقف الفتوحات في بلاد فارس، حيث ثارت الإنشكارية على السلطان سليم الأول، بحجة البرد القارس وقلة المؤن.

(٤٨) لم تعد أخلاقهم، أخلاق المحارب المسلم إذ أنهم أخفقوا في الالتزام بوعود السلطان في معاهدات التسليم فعندما يدخلون أي مدينة أو قرية يمارسون سلب ونهب أموال الأهالي وانتهاك حرمتهم، مثلما حدث أثناء فتح جزيرة رودس في عهد سليمان القانوني، ومثل الخراب الذي ألحقه ببلاد المجر، كما تكررت نفس المأساة في أثناء فتح جزيرة قبرص في عهد سليم الثاني.

(٤٩) اتخذ سليمان القانوني إجراءات ضدهم حيث فرق بعضهم في الأقاليم، وقتل البعض الآخر.

٥٠) كانت معركة ليبانتو البحرية المحك الأول الذي فضح تعفن وفساد نظام الإنشكارية المختل.

٥١) من أساليبهم الجديدة في عهد مراد الثالث، اتخاذهم الحرب وسيلة للنهب والسلب، حتى أنهم أرغموه على دخول حرب طاحنة في بلاد المجر على الرغم من ضعف استعدادهم العسكري، وهذه الحرب زلزلت كيان الدولة العثمانية.

٥٢) كانوا سبباً مباشراً في إرغام السلطان عثمان الثاني على عقد معاهدة الصلح مع بولونيا، بحجة طلبهم للراحة.

٥٣) مهدوا بتمرداتهم لضياح بغداد من حوزة الدولة العثمانية، وعندما أراد خسرو باشا استردادها لم تطيعه الإنشكارية واثرت عليه، فعزم السلطان مراد الرابع على التخلص منهم فأباد رؤوس الإنشكارية، وأستطاع أن يفرض سيطرته عليهم لفترة من الزمن.

٥٤) سيطرت الإنشكارية على القرارات السياسية في عهد محمد الرابع، مما شجع الطامعين في السلطة على الثورة والتمرد.

٥٥) نتج عن فسادهم وتمردهم، انتقال العدوى إلى البحرية العثمانية، حيث استفاد أسطول البنادقة من عدم الانضباط في البحرية العثمانية وانتصر على الأسطول العثماني عام ١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠ م مما نتج عنه ضياح بعض ممتلكات الدولة العثمانية عند مدخل الدردنيل.

٥٦) كانوا أحد أهم الأسباب في ضياح فتح أبواب فينا أمام الإسلام، نتيجة لسوء أخلاقهم في التعامل مع المسيحيين في القرى المحيطة بفيينا. كما خاف القائد العام للجيش من نهب الإنشكارية للمدينة إذا ما سلمت طوعاً، فطال أمد الحصار حتى تكالبت أوروبا على الدولة العثمانية ومنيت الدولة العثمانية بهزيمة أمام أبواب فيينا عام ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٧ م.

(٥٧) توالى الهزائم على الدولة العثمانية وبدأت تفقد أجزاء من أراضيها تدريجياً، الأراضي التي رواها الجيل الأول من الإنشكارية بدمائهم.

(٥٨) في عهد سليمان الثاني هاجم أعداء الدولة العثمانية ممتلكاتها في اليونان كما أخذت النمسا البوسنة والهرسك واستولت على قلاع المسلمين هناك، ووقع المسلمون في يد الأعداء. وضاعت أجزاء من الصرب وبلاد المجر.

(٥٩) أسهم ضعف وتمردات الإنشكارية في عقد معاهدة كارلوفتس^(*) في عام ١١٠٩ هـ / ١٦٩٩ م وفيها تنازلت الدولة العثمانية عن ولاية بأكملها وهي بلاد المجر وترانسلفانيا للنمسا وعن آق لروسيا. ولبولونيا عن مدينة كاميليك، وتنازلت للبندقية عن إقليم دلماسيا وترك المسلمين تحت رحمة عدو مسيحي لا يعرف الشفقة. وكانت هذه أول معاهدة خاسرة توقعها الدولة العثمانية، ولم يكن الأمر خسارة لأقاليم فقط، وإنما تحطيماً لأمال الدولة العثمانية وتفوقها العسكري.

(٦٠) أرغموا السلطان أحمد الثالث على التنازل عن العرش وعزلوه لأنه أوقف الحرب مع الدولة الصفوية وعقد صلح معها، مما يعني منعهم من نهب البلاد والحصول على الغنائم وكانت هذه وسيلتهم الجديدة للحصول على الأموال.

(٦١) في عهد السلطان عبد الحميد الأول، هزمت الدولة العثمانية أمام روسيا واضطرت سنة ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م إلى عقد معاهدة كوتشك قينارجة المجحفة في حق الدولة العثمانية، بسبب تمردات الإنشكارية، حيث تنازلت الدولة العثمانية بموجب هذه المعاهدة عن القرم وأعلنت استقلالها التام،

(*) كارلوفتس: بلدة يوغسلافية على نهر الدانوب تقع في الجنوب الغربي من زغرب. محمد

وإعطاء روسيا الحق في حماية المسيحيين التابعين للمذهب الأرثوذكسي، وهذا يعني التدخل في شئون الدولة العثمانية، الداخلية كما تضمنت المعاهدة أن تتعهد الدولة العثمانية بدفع أربعة ملايين روبل لروسيا خلال ثلاث سنوات.

(٦٢) أساءوا إلى سمعة الدولة العثمانية في بلاد الصرب حيث اعتدوا على الأهالي بوحشية سواء بالقتل أو بنهب أموال الأهالي بعد انتهاء حرب الدولة العثمانية مع النمسا، بحجة أن الأهالي اشتركوا مع النمسا ضد الدولة العثمانية في الحرب مما سبب للدولة العثمانية الحرج خاصة بعد توقيع معاهدة الصلح. ولم يقتصر هذا الأمر على بلاد الصرب فقط بل شمل الأفلاق والبغدان والبوسنة والجبل الأسود.

(٦٣) زاد ضغط الإنكشارية على الأهالي في الصرب مما أدى إلى قيام ثورة ضدهم اتسمت بالدموية وتخللتها مذابح عنيفة حتى خرجت عن حكم الدولة العثمانية عام ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م وكان أول شعب سعى للخروج عن السلطة العثمانية، على الرغم من أنه كان أكثر شعوب البلقان خضوعاً للعثمانيين.

(٦٤) تباطأ السلاطين العثمانيون في معاقبة الإنكشارية في بلاد الصرب، مما شجّع شعوب البلقان الأخرى على التخلص من الوجود العثماني المتمثل في نظرهم في وجود الإنكشارية الظالمة.

(٦٥) جعلوا الدولة العثمانية في حالة ترقب مستمر، مما جعلها مشغولة بأمورها الداخلية، وخلق فرصة للأعداء للانتفاض على ممتلكات الدولة العثمانية.

أما الموضوع الثالث فقد أختص بموقف الإنكشارية من النظم العسكرية الحديثة، حيث أن الهزائم المتلاحقة التي منيت بها الدولة العثمانية في أوائل القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي أظهرت ضرورة الإصلاح

العسكري خاصة مع تنامي قوة أوربا الاقتصادية وبالتالي العسكرية.

(٦٦) عندما قررت الدولة العثمانية إصلاح الجيش زادت مشكلة الإنشكارية تفاقماً إذ لم يكن الأمر سهلاً أبداً حيث قوبل بمعارضة شديدة واستهلك قوة رجال الدولة لمدة تزيد عن نصف قرن من الزمان ظهر خلالها مدى تخلف وعجز الإنشكارية عن درء الخطر عن الدولة العثمانية، ومع مطلع القرن الثامن عشر الميلادي أصبح لدى السلاطين فكرة راسخة عن ضرورة إصلاح الإنشكارية خاصة بعد تخاذلهم في صد خطر الأعداء.

(٦٧) محاولات إصلاح فرقة الإنشكارية بدأت مع بداية القرن الثاني عشر الهجري الموافق القرن السابع عشر الميلادي إلا أنها مع الأسف لم تكن محاولات مؤثرة أو لها أصداء بعيدة، وغالباً ما كانت تنتهي في بعض الأحيان بالفشل أو بقتل السلطان مثل عثمان الثاني أو خلعة مثل مصطفى الثاني وأحمد الثالث.

(٦٨) إن عدم تقبل ما هو جديد ومواجهته بثورة عارمة لهو من طبيعة البشر والحياة، فإن كل جديد يواجه بالحذر حتى التعرف عليه، وبالتالي تقبله، خاصة إذا لم يمس الشريعة الإسلامية. وجزء من هذا حدث مع الإنشكارية لم تتقبل الإصلاح في البداية ثم تمادت في غيها حتى حققت الإصلاح وعدته كفراً وكانت هذه الركيزة الأساسية في كل ثوراتهم.

(٦٩) في عهد سليم الثالث كانت الإصلاحات التي نفذها بداية عهد وطور جديد لإيقاد الدولة من الأطماع الأوربية والضغط الاستعماري.

(٧٠) أسس قوة جديدة على الطراز الأوربي أسماها "النظام الجديد" ولم يستغنى عن الإنشكارية وإنما كانت بجانبهم، ثم ثارت عليه وألغيت هذه الفرقة، على الرغم من نجاحها في المهمة الموكلة لها، حيث تصدت لحملة نابليون بوناپرت أمام عكا، والقضاء على فساد عصابات بلاد الروملي المسلحة،

وخلع السلطان سليم الثالث ودفع حياته ثمناً لهذا الإصلاح، فقد كونوا جبهة معارضة مع العلماء.

(٧١) تأثرت الولايات العثمانية بمعارضة الإنشكارية للنظم الحديثة، حيث تمردت الإنشكارية في بلغراد وأمسكت بزمام الأمور فيها.

(٧٢) على الرغم من مقتل سليم الثالث إلا أن النظام الجديد كان قد أكتسب كثير من المؤيدين بين الأهالي والوزراء، ولم يمت النظام الجديد بل دبّت فيه الروح والحياة من جديد مع تولي محمود الثاني الحكم.

(٧٣) استصدر محمود الثاني فتوى من شيخ الإسلام بضرورة استخدام الإنشكارية للأسلحة الحديثة، وهذا ما اختلف فيه محمود الثاني مع سليم الثالث، وهي كسب ولاء ومساعدة الهيئة الدينية حيث حرص محمود الثاني على موافقة شيخ الإسلام بوجوب إصلاح الإنشكارية، ولم يتبع منهج سليم الثالث الذي فقد حياته لأنه لم يضمن ولاء شيخ الإسلام.

(٧٤) حرص السلطان محمود الثاني على إضفاء الصبغة الشرعية على قرارات محاضر اجتماعاته، لكن ذلك أيضاً لم يفيد، إذ صنعت الإنشكارية الأحداث بنفسها التي قادت إلى التخلص منها.

المبحث الثاني والأخير خاص بالقضاء على الإنشكارية ومناقشة وجهات النظر حول إلغاء الإنشكارية، لم تكن فكرة القضاء على الإنشكارية وأبانتها وليدة ذهن محمود الثاني، وإنما جاءت في ذهن عثمان الثاني، ولكنه فشل في ذلك ودفع حياته ثمناً لهذه الفكرة، كما فشل في إنجازها إبراهيم الأول.

(٧٥) جاءت خطوة القضاء على الإنشكارية نتيجة خطة مدروسة وخطوات محسوبة، ونتيجة حتمية للأحداث التي صنعتها الإنشكارية بنفسها.

(٧٦) لقد أحاطت بمحمود الثاني أخطار كثيرة، فكان لا بد لمواجهة هذه الأخطار من وجود جيش منظم وقوي يعتمد عليه.

(٧٧) أخذ السلطان محمود الثاني موافقة شيخ الإسلام لشروع قتالهم عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م.

(٧٨) تبع القضاء عليهم إصدار فرمان سلطاني جاء فيه إلغاء شاراتهم وأبطلت ملابسهم واصطلاحاتهم وتم إرسال فرمانات بذلك إلى جميع الولايات العثمانية للقضاء عليهم.

(٧٩) أنشأ فرقة "عساكر منصوري محمدي" أي العساكر المنصورة المحمدية. تبع ذلك إلغاء منصب أغا الإنكشارية واستبداله بمنصب "سر عسكر" الذي له جميع اختصاصات القائد العام للجيش.

(٨٠) أجرأ خطوة قام بها محمود الثاني بعد القضاء على الإنكشارية إصدار فرمان بحل الطريقة البكتاشية وإلغاءها.

(٨١) تعطل ظهور نتائج إلغاء الإنكشارية بسبب رفض محمد علي باشا مساعدة محمود الثاني إرسال خبراء عسكريين لتدريب الفرقة الجديدة.

(٨٢) مثلت حركة القضاء على الإنكشارية بداية التطور والرغبة في التحرك إلى الأمام وأمدت في عمر الدولة العثمانية، وأعطتها مزيداً من القدرة على مواجهة الدول الأوروبية.

(٨٣) لم يكن القضاء على الإنكشارية سبباً في تكاليف الأعداء حولها، بل وقعت الدولة العثمانية فريسة للأعداء قبل القضاء على الإنكشارية بزمان بعيد.

(٨٤) صارت الدولة العثمانية عارياً دون جيش ومطمعاً للأعداء، منذ أن تحول الجندي الإنكشاري إلى شخص ثوري ومتمرّد. وبالتالي أصبح عاجزاً عن مواجهة الأعداء.

(٨٥) لم يأخذ السلطان محمود الثاني الوقت الكافي ليحقق النتائج المطلوبة، إذ بذل السلطان محمود الثاني جهوداً مضاعفة لتدريب العساكر المنصورة

المحمدية على أحدث الطرز العسكرية الأوروبية، ولم يحل عام ١٢٥٥هـ / ١٨٩٣م إلا و أصبحوا من أهم جيوش العالم الذي يعمل لها حساب.

(٨٦) ظهرت كفاءة الحساكر المنصورة المحمدية في الحرب مع روسيا التي اكتشفت مدى تقدم وتطور جيش الدولة العثمانية الجديد، بينما حدث تراجع لجنودها.

(٨٧) خطوة محمود الثاني صحيحة من أوجه كثيرة، ولكن الخطأ كمن في أنه لم يضمن ولاء الأقاليم العثمانية التي حوله، حتى تمده بجيوش مؤقتة تدافع عن ممتلكات الدولة العثمانية، خاصة موقف محمد علي باشا والي مصر. وهو بذلك لم يجد جيش يعتمد عليه في الوقت الذي يقوم فيه بتدريب فرقته الجديدة.

(٨٨) التوقيت الذي تم فيه القضاء على الإنشكارية، كان خاطئ، إذ وجب القضاء على هذه الفرقة قبل أكثر من مائه وخمسين عام، أي في عهد مراد الرابع، الذي أظهر من الكفاءة ما يقدره الإقدام على مثل هذه الخطوة في وقت كانت فيه أوربا تشمر عن ساعديها لابتلاع ممتلكات الدولة العثمانية.

(٨٩) لم تكن أوربا تسمح بأي إصلاح في الدولة العثمانية خاصة روسيا، التي سعت لإفساد هذا النجاح وإخماد أنفاسه وهو في المهد.

وهكذا ذكرت أهم النتائج التي تضمنتها موضوعات الرسالة والتي في مجملها تعكس دور الإنشكارية كأحد أسباب سقوط الدولة العثمانية.

أرجو أن أكون قد وفقت فيما قدمت من عمل وبالله التوفيق والسداد.

﴿ قُلِ اَللّٰهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴾

(سورة آل عمران آية ٢٦)

الملاحق

تعداد الإنكشارية على مر السنين

م	السلطان	تاريخ الإحصاء	عدد الإنكشارية
١	سليمان القانوني	٩٣٠هـ	١٢,٠٠٠
٢	مراد الثالث	٩٨٢هـ	١٣,٦٠٠
٣	مراد الثالث	٩٨٢هـ	٢٧,٠٠٠
٤	مراد الثالث	١٠٠٢هـ	٤٨,٠٠٠
٥	محمد الثالث	١٠٠٤هـ	٤٥,٠٠٠
٦	أحمد الأول	١٠١٨هـ	٤٧,٠٠٠
٧	مراد الرابع	١٠٤١هـ	٤٦,١١٣
٨	مراد الرابع	١٠٣٣هـ	٤٤,٨٠٠
٩	مصطفى الثاني	١١١٠هـ	٧٠,٠٠٠
١٠	أحمد الثالث	١١٤٠هـ	٨١,٠٠٠
١١	سليم الثالث	١٢٢٠هـ	١١٠,٠٠٠
١٢	محمود الثاني	١٢٤٠هـ	١٤٠,٠٠٠ (١)

(١) أحمد جودت: تاريخ جودت، بيروت، ١٣٠٨ هـ، الجزء الأول، ورقة ١١٠. جورجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، مجلة الهلال، الجزء الثامن، السنة السابعة عشر، ١٣٢٦ هـ ١٩٠٩ م ص ٤٦٢.

العريضة التي قدمها أغا الإنشكارية للسلطان سليم الأول

ورد بعد تهنئة السلطان بالنصر على عدوه ما يلي:

(.... لقد أعدم غدرًا وظلمًا قرابة خمسة وأربعين ألف شخص في بلدنا، وحوالي عشرين ألفًا في فارس " بلاد العجم " بتهمة الرفض والإلحاد. ومع تمسكنا الشديد بالدين الحنيف، وتعصبنا الشديد له، وغيرتنا عليه لم نحصل على فتوى صحيحة ومقتعة عن معنى الرفض والإلحاد. كذلك أغفل عنا جلالة السلطان سبب سفك كل هذه الدماء، والدافع الشرعي لقتل كل هؤلاء بغير ذنب إنهم كانوا يؤذنون في أوقات الصلوات الخمسة مثل أهل السنة تمامًا، ويتوضأون ويصلون ويصومون، ويتلون القرآن، وعلى لسانهم دائماً الكلمة الطيبة " لا إله إلا الله. محمد رسول الله " بأي سند شرعي يجوز قتلهم؟؟ فهل هم ممتنعون عن أداء الصلاة؟ وإن كانوا يرددون في الآذان وإقامة الشعائر " أشهد أن محمداً رسول الله وأن علياً ولي الله " و" حي على خير العمل " ونعتبره نحن أهل السنة والجماعة مخالفاً للشرع الحنيف، فإن الشافعية يصلون وأيديهم مبسوطة أحياناً، وعلى صدورهم أحياناً أخرى. وإن كانوا يرددون في الآذان " أشهد أن علياً ولي الله " ونعتبره بدعة، فهذا مثل بناء المئذنة في المسجد الذي نعتبره بدعة حسنة. وكلنا مقر ومعترف بأن علي ولي الله " فلن نحارب العجم " أي الفرس " بعد الآن، حتى ولو صدرت الأوامر السلطانية بالقتال. لقد خربت دولتهم مع أن ما سفك من دماء لا يساوي كل هذا " (١)

(١) محمود حسن الصراف: معركة جالديران سنة ٩٢٠هـ - ١٥١٤م، د. ط، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١م، ص ١١٨-١١٩.

رد المفتي على العريضة التي قدمتها الإنشكارية

" قد ثبت لدينا في حضرة علماء أهل السنة والجماعة أهل المذهب الحق، أن هذا المذهب مخالف للقرآن والسنة والجماعة. لذا فهو باطل ومنحرف عن الإسلام. وكل شخص من المسلمين يقبل هذا المذهب ويتبعه فهو مرتد، ويجب على ملك الإسلام إنزال العقاب على المرتدين، ولا يسمح بتواجد هذا المذهب الباطل الذي يجد الشيوع والانتشار في الدول الإسلامية لأنهم يعرفون القرآن، الذي هو كلام الله، حادث ومخلوق، ويؤولون معانيه الشريفة، ولا يقبلون القياس في كل مسألة شرعية، والتي لا تكون محكمة، ويقومون بالعمل ضد آراء أهل السنة، وهي مخالفة يقرون واجبها، وإجماع الأمة لا يعرفون مشروعها، ويقرون أن الشيخين ذي النورين غاضبان للخلافة ومرتدان ويسبونهما. أما في حق أم المؤمنين عائشة فإنهم ينعتونها بالإفتراء والبهتان، بل يتهمونها بتهمة غاية في الشناعة، ويلعنونها، ويكفرون أغلب كبار الصحابة، ومن بينهم أغلب العشرة المبشرين وأصحاب الصفة وبدر وتحت الشجرة ويسبونهم، ويصفون أهل السنة بأنهم أسوأ من الكفار. ويحلون أموال المسلمين وأرواحهم وأغراضهم، وأغلب الأفعال الحرام هي حلال عندهم، والحلال عندهم حرام، ويغيرون في أحكام القرآن " (١)

(١) محمود حسن الصراف: معركة جالديران سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٤م، د. ط، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١م، ص ١١٩، ١٢٠.

شجرة سلاطين آل عثمان

كوندوز ألب

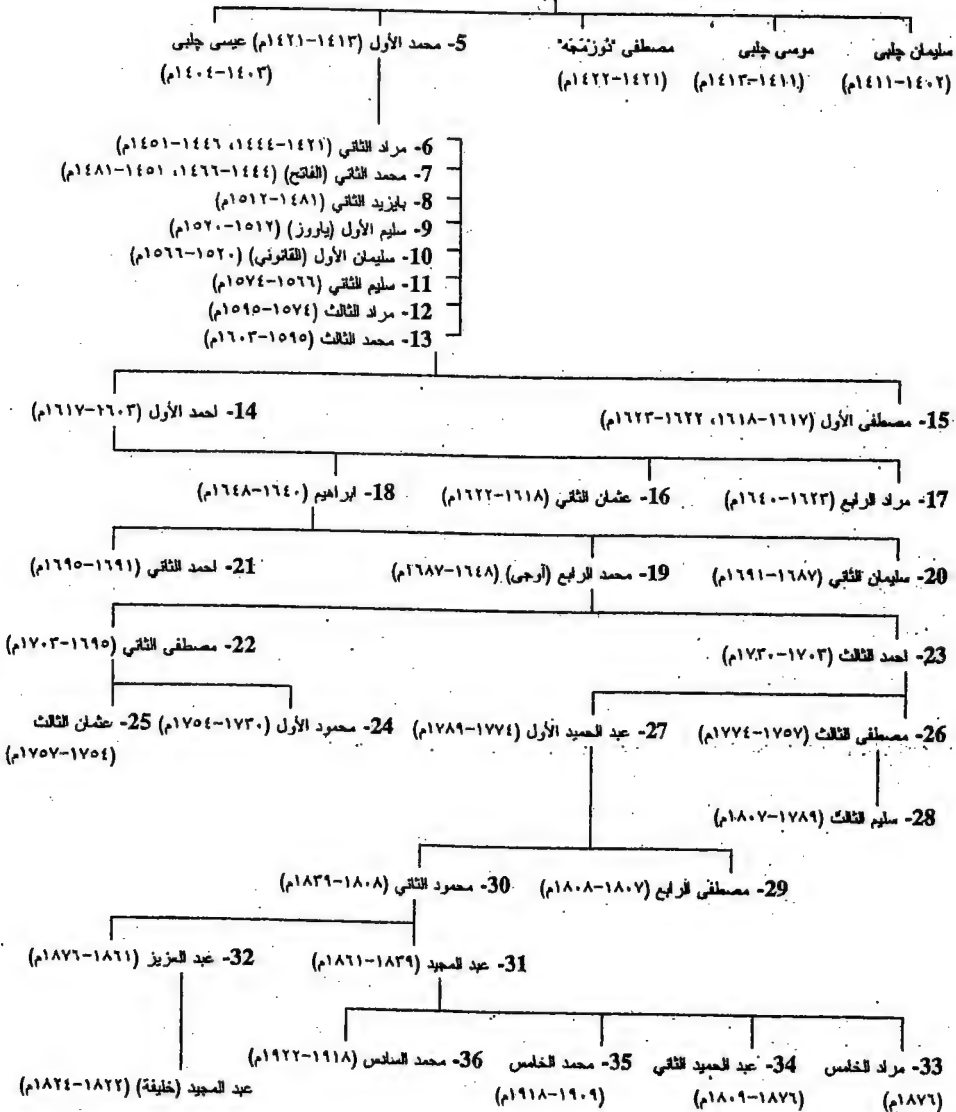
لرطغرل غازي

1- عثمان غازي (ت ١٣٢٤م)

2- لورخان غازي (١٣٢٤-١٣٦٢م)

3- مراد الأول (١٣٦٢-١٣٨٩م)

4- بايزيد الأول (الصاعقة) (١٣٨٩-١٤٠٢م)



الفتوى الشرعية

تبارك الله ما أحسنه القادر المطلق الذي له الحق في معاقبة القوم وإلقاء اللوم المتعلق بإرادته القاطعة لكل من يتجبر مثل فرعون أو يكون كالبراهمة أو الهنود الذين يشعلون نار الفساد في معابد المجوس وهو الذي أطفأ نار النمرود وهو القاهر لا تأخذه سنة ولا نوم بطرفة عين قادر على جبروت كل جبار وهو يعطي المال لمن يريد ثرائه وهو السلطان الأعلى لديه كل شيء يطلبه العبادة وهو يصيب العالم بالآلم إذا أراد فتعالى الله ما أحسنه مالك الملك بحق إذا أراد الهلاك للمفسدين فيكون وهو يقطع دابر الكافرين الأفاكين الذين كانوا كالباحثين عن حتفهم وإذا لم يكون العون من الله لأمرأ فأول ما يجني عليه استعادة وعلى سبيل المثال فإن الإنشكارية الذين أضروا بمصلحة البلاد وأصابوها بالخلل والفساد هكذا ستكون نهايتهم وعبرتنا عن ذلك صحف وتواريخ العالم،

فهذه الفرقة تم جلب أفرادها في البداية من الأتراك في عهد حضرة السلطان اورخان خان غفر الله له، أحد أجداده العثمانيين أصحاب المعالي ولكن بعد ذلك وبناء على إخفاقهم في هذا العمل فقد تم اختيار أفراد هذه الفرقة من الأسرى الكفار الذين تم تركهم امتثالاً وطواعية للأتراك العثمانيين.

وتم تنصيب ضابط عليهم بملابس وكسوة خفيفة خاصة ولقد كانوا يتميزون عن باقي طبقات الناس الأخرى وإن كان قد حدث شقاق كبير بتقسيمه هذه الفرقة في أول عهدها وهؤلاء الشباب أصحاب الدين الجديد والذين طغت سيئاتهم على حسناتهم قد سلبوا من الدولة فكرها الصائب. إن السلطان سليم أسكن الله تعالى روحه في دار النعيم صاحب الحضور العالي قام بالقضاء على الجماعة والزمرة الفاسدة من الإيرانيين ووجد رئيسها الشاه إسماعيل الصفوي ولذلك فإن السلطان سليم أسد عظيم، وبعد أن تمزق جيش هذا الشاه في صحراء جالديران قال الشاه

يا علي مدد حتى آثار لدم الحسين، وقد صدر فرمان عالي الشأن في حق تحرك الموكب الهمايوني إلى حلب الشهباء لاستكمال القتال الذي أراده بغيره تطهير الديار الشرقية من أهل الإلحاد الكثيرين وتدمير السلالة المفسدة المضرة وأبادةها بالكامل في شهر ربيع الأول ومن ثم فإن القضاء على الجماعة المفسدة تسبب في عودة الآسنة إلى باب السعادة وهكذا فإن المفسدون كانوا يحولون دون تحقيق المصلحة التي هي خير محض.

إن السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان السلطان سليمان خان طيب الله تعالى ثراه خرج مرات عديدة عند بداية عهده ليباشر أحوال البلاد بانتظام ووجد أن الذين قاموا بتخريب بيوت المسلمين وسلبها ونهبها من علماء ورجال صغار وكبار بسبب فساد وخراب ما قام به أربع سلاطين قد فزعوا إلى الراحة في توليتهم الأمور فإتهم قد اقترفوا ذنب مفاده إثارة القتل والاضطرابات في السلطنة ومنصب السلطان لأنهم تراخوا في بعض الأمور وإن العمل العظيم الأخير الذي رأيناه رأي العين وشهد لنا يوم بعد يوم هو ظهور صلاح الأحوال إزاء الكافرين عند الله ولي نعمتنا ونعمة العطاء وقاطع جذور أرباب الظلم وأهل البدعة ومطلع جميع كيان الدولة مثل الدم الفذر الذي يسري بجميع عروق الجسد وهذا بلاء مضاعف على مدى خمسمائة عام فأجناسهم قلبت على أنجاس وأقوالهم أقوال أوباش فهم لا يحبون على الإطلاق الخير للسلطنة العلية المؤيدة بالظل الإلهي وإمحاتهم متعلق بالإرادة الأثرية لله تعالى، إنهم أعداء لأسباب الخير بلا شك وطبقاً لمفهوم أن الباطل لا يمكن أن يستمر فإنه خلال ساعات من تحرك هؤلاء قضى الأمر أستعيز بالله «اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض وبما كنتم تفسقون أقبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» وهذا الكلام الكريم مصداقاً لوعيد المولى سبحانه وتعالى لمن طغوا واستفحل فسادهم وأمرهم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

أرشفيف توب قابي سراي إستانبول:

تصنيف فرمان لـ

١- رقم $\frac{9287}{26}$ E

أواسط ربيع الآخر ١٠١٧ هـ .

٢- تصنيف فرمان لـ

رقم الوثيقة $\frac{9296}{29}$ E

٩ ربيع الآخر ١٢٦٢ هـ

٣- ٥٥٢٨ E

١١ ذو القعدة ١٢٤١ هـ

٤- $\frac{5814}{2}$ E

أواسط ٩١٨ هـ

٥- $\frac{9297}{6}$ E

أواسط جماد الآخر ٩٨٨ هـ

٦- تصنيف ١١٤٥٧ E

السنة الأولى من تولي سليم الأول السلامة
السنة الأخيرة من حكم بايزيد الثاني.

$$E \quad \frac{9298}{13} \quad -7$$

٢٨ صفر ١٠٣٤هـ

$$E \quad \frac{9284}{2} \quad -8$$

١٨ ذو الحجة ١٠٥٥هـ

$$E \quad \frac{5216}{39} \quad -9$$

أواسط ذو القعدة ١٤٢١هـ

١٠- ١١٨٨٧ E

٢٢ صفر ١١٨٤هـ

أرشفيف رئاسة الوزراء إستانبول:

١١- دفاتر مهمة

دفتر ١١١

ص ٦١٧

١٧٠١م

١٢- دفاتر مهمة

دفتر ١١٤

ص ١٧٢

حركة إصلاح في بداية القرن ١٨م.

١٣- BOA

تصنيف دفاتر مهمة

دفتر رقم ٧

دفتر رقم ٢٦

١٤- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ١٦٦٧٣

سنة ١٢٣٥هـ

١٥- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ١٩٣٧١

١٦- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ١٥٨٣٧

١٧- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ١٢٧٢

١٨- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ٢١٢٦٥

١٩- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ١٧٤٦١

٢٠- خط همايوني HAT.H

رقم الوثيقة ١٧١٠٧

١٢٣٧هـ

محمود الثاني

٢١- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ٨٢٦٥

١٢٠٣هـ

عبد الحميد الأول - سليم الثالث

٢٢- خط همايوني H.H

وثيقة رقم ٢١٤

مصطفى الثالث

عبد الحميد الأول

٢٣- خط همايوني H.H

رقم الوثيقة ١٩٣٠٤

HAT.H - ٢٤

رقم الوثيقة ١٧٣٩٣

٢٥ جماد الأولى ١٢٤١هـ

HAT.H - ٢٥

رقم الوثيقة ٦٦٣٣

سليم الثالث

تمردات مصر

HAT.H. - ٢٦

رقم الوثيقة ١٧١٠٧

محمود الثاني ١٢٣٧هـ

بلاغ من نائب سلوري

HAT.H - ٢٧

وثيقة رقم ١٦١٢٢

رواتب الإنشكارية.

HAT.H - ٢٨

رقم الوثيقة ٣٦٦٤

سنة ١١٧٧هـ

HAT. H - ٢٩

رقم الوثيقة ١٧٢٣٧

HAT. H - ٣٠

رقم الوثيقة ١٧٣٥٧

HAT. H - ٣١

رقم الوثيقة

٤٢٣٨

HAT.H - ٣٢

رقم الوثيقة

٧٩١٧

عثمان الثاني

١٠١٣هـ - ١٠٣١هـ

١٦٠٤م - ١٦٢١م

HAT.H - ٣٣

رقم الوثيقة ١٧٣٤٩

HAT.H - ٣٤

رقم الوثيقة ٣٩٤٦

سليم الثالث

١٢١٦هـ - ٢٧ ربيع الثاني

H.H - ٣٥

رقم الوثيقة ١٦٤٠٤

HAT.H - ٣٦

رقم الوثيقة ١٧٣٥٤

محمود الثاني

٢١ جمادى الأولى سنة ١٢٤١هـ

HAT.H. - ٣٧

رقم الوثيقة ٢١٨١٣

محمود الثاني

HAT.H - ٣٨

رقم الوثيقة

١٧٣٧٤

محمود الثاني

ثانياً: المخطوطات:

- ١- أحمد جودت إسماعيل علي
تاريخ جودت، بيروت، ١٣٠٨هـ، الجزء الأول. ترجمة. عبد القادر مصطفى الدنا البيروني، بيروت، سنة ١٣٠٨هـ.
- ٢- أحمد عرابي
تاريخ الملوك العثمانية والوزراء والصدور ومشايخ الإسلام والقبودانات
تاريخ النسخ ١٣٧١هـ، محفوظة في مركز البحث العلمي بجامعة أم
القرى تحت رقم ٦٤١ تاريخ.
- ٣- أوك سوزي يازان
مبدأ قانون بكيجري أوجاغي تاريخي متن باضيه فرليان
موسقوا ١٩٨٧م
دوغو يازيلي أكيترلي
سرسي ٧٩
- ٤- حسين ابن كمال البغدادي القادري
الر المصان في أيام دولة آل عثمان
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية قسم المخطوطات محفوظة
تحت رقم ٠٤٤١٦٧ .
- ٥- عبد الغني النابلسي
الكشف الشافي والبيان الوافي في معرفة حوادث الزمان في دولة آل

عثمان.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية قسم المحفوظات محفوظة
تحت رقم ٢٠٦٦٦.

٦- علي إبراهيم البويتجي الشافعي

سلوك سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد يشتمل على تاريخ سلاطين آل
عثمان.

محفوظة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٦٧٥ تاريخ.

٧- محمد الزنبلي الرمال

سيرة الجراكسة وما وقع بينهم مع السلطان سليم بن بايزيد بن السلطان
محمد فاتح القسطنطينية من الحروب والقتال.

محفوظ في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٦٣٢ تاريخ.

٨- محمد أسعد السيد أحمد الإستانبولي القاضي المعروف بصحافتر شيخي
زاده. المتوفي سنة ١٢٦٤هـ

أس ظفر

إستانبول - ١٢٤٣هـ

المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم "٥١٦٤ س، ٤٨٣٥" تاريخ تركي.

٩- مؤلف مجهول

تاريخ آل عثمان

الناسخ: جدا ويردي

تاريخ النسخ: ٩٥٨/٣/١٠هـ

محفوظة بمركز الملك فيصل الإسلامي تحت رقم ٣٦٦٦.

ثالثاً: المصادر العثمانية:

- (١) أبو الفاروق: تاريخ أبو الفاروق، تاريخ عثمانيد، الطبعة الأولى، مطبعة أمدي، ١٣٢٩هـ.
- (٢) أحمد راسم: عثمانلي تاريخي، إستانبول، ١٣٢٨هـ، الجزء الأول.
- (٣) شمس الدين سامي: قاموس تركي، إستانبول: مطبعة سي، ١٣١٧هـ.
- (٤) عاشق باشازاده: تواريخ آل عثمان، إستانبول، ١٣٣٢هـ.
- (٥) عاصم: عاصم تاريخي، مطبعة سنده أولنمشدر.
- (٦) عبد الرحمن شرف: تاريخ دولت عثمانية، الطبعة الأولى، إستانبول: معارف نظارات جليلة سنك، ١٣٠٩هـ.
- (٧) علي رشاد: تركيا والتنظيمات: تاريخ الإصلاح في الدولة العثمانية، د. ط، إستانبول: مطبعة عامره، ١٣٣٢هـ.
- (٨) كامل باشا: التاريخ السياسي للدولة العلية العثمانية منذ تأسيسها وحتى الفترة الأخيرة للسultan عبد الحميد، الجزء الأول، د. ط، إستانبول: مطبعة أحمد إحسان، د. ت.

رابعاً: المصادر العربية والمعرية:

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) إبراهيم حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- (٣) أحمد الأنصاري الطرابلسي: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، د.ط، ليبيا: طرابلس، مكتبة الفرجاني.
- (٤) أحمد جودت علي: تاريخ جودت، تحقيق: عبد اللطيف محمد الحميد، الطبعة الأولى، لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- (٥) أحمد زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، الطبعة الأولى، لبنان: دار صادر، ١٩٩٧م / ١٤١٧هـ.
- (٦) أحمد محمد الحموي: فضائل سلاطين بني عثمان، تحقيق محسن محمد حسن سليم، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- (٧) إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، الطبعة الأولى، مصر: المطبعة الأميرية، ١٣١٢هـ.
- تاريخ الدولة العثمانية، تقديم ومراجعة حسن الزين، لبنان: دار الفكر الحديث، د. ط، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- (٨) خليفة محمود: تاريخ ملوك الألبا، د. ط، د.م، د. ت.
- (٩) سليمان خليل بطرس جاويش: التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية، د. ط، بيروت: مطبعة المعارف، ١٨٧٣م.
- (١٠) شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق حسن السماحي سويدان،

- الطبعة الأولى، دمشق: دار ابن كثير، ٢٠٠١م / ١٤٢٢هـ.
- (١١) الكاساني الحنفي: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٢هـ.
- (١٢) محمد أحمد إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الطبعة الثانية، مصر: مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م / ١٤٠٢هـ.
- (١٣) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، الطبعة الثانية، لبنان: دار القرآن الكريم، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- (١٤) محمد فريد المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، الطبعة السابعة، لبنان: دار النفائس ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- (١٥) محمد كرد علي: خطط الشام، د.ط، د.م، د.ت.
- (١٦) محمد مختار: التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- (١٧) الموفق ابن قدامة: المغنى - الكافي، د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت. الجزء العاشر.
- (١٨) يلمازا وزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة: محمود الأنصاري، إستانبول: مؤسسة فيصل للتمويل، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م / ١٤٠٨هـ.

خامساً: المراجع التركية الحديثة:

- (١) إحسان ثريا صرما: مساوئ التنظيمات، د. ط، د. م، ١٩٨٨م.
- (٢) إسماعيل حقي أوزون جارشيل: التاريخ العثماني - لواء القابي قولي " من تشكيلات الدولة العثمانية " لواء الإنكشارية ولواء الأعجمي أوغلان، المجلد الثاني، الطبعة الثانية، أنقرة: نشر مجمع التاريخ التركي - اتحاد المؤرخين الأتراك، ١٩٨٤م.
- (٣) إسماعيل حقي أوزون جارشيل: من تاريخ اعتلاء السلطان سليم الثاني العرش من معاهدة قارلوقجه عام ١٦٩٩م، المجلد الثالث، القسم الأول، الطبعة الرابعة، أنقرة: مجمع التاريخ التركي، ١٩٨٨م.
- (٤) ألبرت هويرليبير: إدارة الإمبراطورية العثمانية في عهد القانوني، الطبعة الأولى، إستانبول: دار نشر سورج ١٩٨٧م.
- (٥) حيتا نور أقصون: التاريخ العثماني، المجلد الأول، د. ط، إستانبول: دار نشر أوته كن، ١٩٩٤م.
- (٦) جوزيف فون هامر: التاريخ العثماني الكبير، المجلد الأول، د. ط، إستانبول: دار نشر روج دال، ١٩٨٩م. المجلد الرابع، ١٩٩٥م.
- (٧) رشاد أكرم قوجسي: الإنكشارية، د. ط، إستانبول، ١٩٦٤م.
- (٨) ستانفرد شو: الدولة العثمانية وتركيا الحديثة، د. ط، إستانبول، ١٩٨٢م.
- (٩) سليمان قوجسه باشي: التدخل الأجنبي في الثورات العثمانية، د. ط، إستانبول، ١٩٩٣م.
- (١٠) عرفان كوندوز: الدولة العثمانية والتصوف، د. ط، إستانبول، ١٩٨٤م.

- 11) Mebmet Zeki Pakalin: Osmanli Deyimleri Ve Terimlevi 50 zlugu istanbul 1977. Cilt III.
- 12) Eyyub Efendi: Kanunnamesi , I U. Ktp Ty 734.
- 13) Mbdulkadir Ozcan: Fatin ' in Teskilat Kanunnamesi Ve Nizam Alem icir Kardes Katli. Meselesi , Istanbul 1973.
- 14) Dr. Dhmed m. Salem (1798 – 1848) Yillar Arasinda , misip ulemasi Doktora Tezi , I. V Ed fak 1996. 4 bolum.

سادساً: المراجع العربية:

- (١) أبو عبد الله محمد بن أبي السرور البكري: نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان، تحقيق: يوسف علي الثقفي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: مطابع الصفا، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- (٢) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، الطبعة الثامنة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٠م.
- (٣) أحمد صائب، محمد توفيق جانا: وقعة السلطان عبد العزيز، د.ط، مصر: مطبعة هندية، د. ت.
- (٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- (٥) أحمد نوري النعيمي: اليهود والدولة العثمانية، الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- (٦) إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الطبعة الثانية، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- (٧) أميرة علي مداح: نظرة متأنية في تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، الطائف: دار الحارثي، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- (٨) بسام الصلي: فن الحرب الإسلامي في العهد العثماني، الجزء الخامس، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ت.
- (٩) حبيب السيوفي: الإنشكارية في الدولة العثمانية، د. ط، لبنان: مطبعة الرحبانية المخلصية، ١٩٤٠م.
- (١٠) جلال يحيى: العالم العربي الحديث، الجزء الأول، د. ط، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨م.

- (١١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، الجزء الثاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة السادسة، ١٩٦٤م.
- (١٢) حسن الضيفه: الدولة العثمانية الثقافة، المجتمع والسلطة، الطبعة الأولى، لبنان: دار المنتخب العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- (١٣) حسين مؤنس: الشرق الإسلامي في العصر الحديث، الطبعة الثانية، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٣٨م.
- (١٤) حسين ليبب: تاريخ المسألة الشرقية، د. ط، القاهرة: مطبعة الهلال، ١٩٢١م.
- (١٥) خلف دبلان خضر الوديناتي: الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م، د. ط، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- (١٦) زياد أبو غنيمه: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، الطبعة الثانية، إسطنبول: دار الفرقان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- (١٧) ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، الطبعة الثانية، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٠م.
- (١٨) سعيد أحمد برجاي: الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، د. ط، بيروت: الأهلية للتوزيع والنشر، ١٩٩٣م.
- (١٩) سليمان صالح الخراشي: كيف سقطت الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، دار القاسم للنشر، ١٤٢٠هـ.
- (٢٠) سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، د. ط، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- (٢١) السيد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، د. ط، القاهرة: المطبعة العالمية، ١٩٧٠م.

- (٢٢) سيد مصطفى: الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية ١٨٠٣هـ، تحقيق خالد زيادة، الطبعة الأولى، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩م.
- (٢٣) الصفصافي أحمد المرسي: إستانبول عبق التاريخ روعة الحضارة، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- (٢٤) عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، الجزء الأول، الطبعة العاشرة، الرياض: العبيكان، ١٤٣١هـ / ٢٠١١م.
- (٢٥) عبد السلام عبد العزيز فهمي: السلطان محمد الفاتح القسطنطينية وقاهر الروم ٨٣٣هـ - ٨٨٦هـ / ١٤٢٩م - ١٤٨١م الطبعة الأولى، دمشق: دار القلم، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- (٢٦) عبدالعزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، د. ط، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م.
- (٢٧) عبد العزيز محمد عوض: بحوث في تاريخ العرب الحديث، الطبعة الأولى، عمان: مكتبة المحتسب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- (٢٨) عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية العصر الحديث، د. ط، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- (٢٩) عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون ١٥١٦م - ١٩١٦م، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٧٤م.
- (٣٠) عبد اللطيف عبد الله دهيش: قيام الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
- (٣١) عبد اللطيف محمد الحميد: سقوط الدولة العثمانية دراسة تاريخية في العوامل والأسباب، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة العبيكان ن ١٤١٦هـ /

١٩٩٦م.

(٣٢) عبد الوهاب بكر: الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني من القرن

١٨، الطبعة الأولى، القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢م.

(٣٣) علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي،

١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

(٣٤) علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، دمشق: منشورات

مكتبة طرابلس العظمى العالمية، ١٩٩١م.

(٣٥) علي محمد محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب

السقوط، الطبعة الأولى، دار البيارق، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(٣٦) عمر الإسكندري وسليم حسن: تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل

الوقت الحاضر، مراجعة: أ. ج. سفدج، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة

مدبولي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

(٣٧) عمر عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي ١٥١٦م - ١٩٢٢م د. ط، د.

ت، القاهرة: دار النهضة العربية،

(٣٨) محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، د. ط،

الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

(٣٩) فايقه محمد عبد الصمد بحري: أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في

أوروبا، رسالة ماجستير لم تطبع، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

(٤٠) قيس جواد العزوي: الدولة العثمانية - قراءة جديدة لعوامل الإحطاط،

الطبعة الأولى، لبنان: الدار العربية للعلوم، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

(٤١) محمد الأرناؤوط: دراسات ووثائق حول الدفشرمة، الطبعة الأولى، الأردن:

دار قدسية، ١٩٩١م.

- (٤٢) محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣م.
- (٤٣) محمد جميل بيهم: أوليات سلاطين تركيا المدنية والاجتماعية والسياسية، د.ط، صيدا: مطبعة الفرقان، ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م.
- (٤٤) فلسفة التاريخ العثماني أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها، د.ط، د. م، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.
- (٤٥) محمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ٦٩٨هـ - ١٣٤٣هـ / ١٢٩٩م - ١٩٢٤م. الطبعة الأولى، لبنان: بيروت المحروسة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- (٤٦) محمود شاكر: موسوعة التاريخ الإسلامي المعهد الإسلامي الجزء الثامن، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- (٤٧) محمد ضياء الدين الرئيس: تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية أثناء الدور الأخير للخلافة ١٧٧٤م - ١٩٢٤م، الجزء الأول، د.ط، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٠م.
- (٤٨) محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني في عصر محمود الثاني ١٨٠٨م - ١٨٢٩م، الطبعة الأولى، القاهرة: دار التراث، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- (٤٩) محمد كامل عياد: تاريخ اليونان، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، دمشق: دار الفكر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- (٥٠) محمد كمال الدسوقي: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، د.ط، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٦م / ١٣٩٦هـ.
- (٥١) محمد موفاكو: تاريخ بلغراد الإسلامية، الطبعة الأولى، الكويت: مكتبة دار

العروبة. المكتبة البلقانية، ١٩٨٧م / ١٤٠٧هـ.

(٥٢) محمود حسن عبد العزيز الصراف: معركة جالدران ٩٢٠هـ / ١٥١٤م أولى صفحات الصراع العثماني الفارسي الأسباب والنتائج، د.ط، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١م.

(٥٣) محمود السيد: تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، الطبعة الأولى، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٩م.

(٥٤) المعتصم بالله إبراهيم شعوط: جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين حتى فتح القسطنطينية، رسالة ماجستير لم تطبع، جامعة أم القرى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

(٥٥) نوفان رجا الحمود: العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي، د.ط، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

(٥٦) ياسين سويد: التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الإمارة المعينية ١٥١٦م - ١٦٩٧م، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠م.

(٥٧) يوسف اصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم محمد زينهم محمد عرب، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

(٥٨) يوسف علي رابع الثقفي: موقف أوروبا من الدولة العثمانية، الطبعة الأولى، الطائف: دار الحارثي، ١٤١٧هـ.

سابعاً: الكتب المترجمة

- (١) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح السعداوي، د. ط، إستانبول: مركز الأبحاث والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، ١٩٩٩م.
- (٢) برنارد لويس: إستانبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ترجمة سيد رضوان علي، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- (٣) بول كولنز: العثمانيون في أوروبا، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، د. ط، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
- (٤) بيري أندرسون: دولة الشرق الإستبدادية، ترجمة: بديع عمر نظمي، الطبعة الأولى، لبنان: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٣م.
- (٥) جورج زيدان: مصر العثمانية، ترجمة و تحقيق: محمد حرب، الطبعة الثانية، مصر: دار الهلال، ١٩٩٧م.
- (٦) خليل إينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الاتحاد، ترجمة: محمد الأرناؤوط، الطبعة الأولى، لبنان: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢م.
- (٧) روبيرمانتران: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.
- (٨) س. موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورة العثمانية، ترجمة عصام محمد الشحادات، الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- (٩) عبد القادر د ده أغلو: ألبوم العثمانيين، ترجمة محمد جان، د. ط، إستانبول: الدار العثمانية للنشر، د. ت.

- ١٠) فليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة: أنيس فريجه، د.ط، لبنان: دار الثقافة، ١٩٦٥م.
- ١١) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نبيه أمين فارس - منير البعلبكي، الطبعة الثانية عشر، لبنان: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.
- ١٢) محمد فؤاد كويريلي: قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، د. ط، القاهرة: دار الكتاب العربي، د.ت.
- ١٣) محمود رفيف أفندي: التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ترجمة: خالد زيادة، د. ط، جروس، د. ت.
- ١٤) محمود شوكت: التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة ١٨٢٥م، ترجمة: يوسف نعيه - محمود عامر، الطبعة الأولى، لبنان: دار طلاس، ١٩٨٨م.
- ١٥) هـ. أ. ل. فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ترجمة: محمد زيادة - السيد العريني، الطبعة الثانية، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٧م.
- ١٦) هارولد لامب: سليمان القانوني سلطان الشرق العظيم، ترجمة: شكري محمود نديم، د. ط، بغداد: شركة نبراس، ١٩٦١م.
- ١٧) هاملتون جب - هارولديوين: المجتمع الإسلامي والغربي وأثر الحضارة العربية في الفكر الإسلامي في الشرق الأدنى، ترجمة: عبد المجيد حسيب القيسي، القسم الأول، الطبعة الأولى، دمشق: دار المدى، ١٩٩٧م.
- ١٨) مؤلف مجهول: تاريخ الأتراك العثمانيين، ترجمة: حسين لبيب، ثلاثة أجزاء، د. ط، القاهرة: مطبعة الواعظ، د. ت.

ثامناً: الموسوعات العربية والتركية:

أولاً الموسوعات العربية:

- (١) دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم زكي خورشيد - أحمد الشنتناوي، المجلد الخامس - المجلد السابع، د. ط، د. ت.
- (٢) الموسوعة العربية الميسرة: إشراف محمد شفيق غربال، المجلد الأول، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- (٣) الموسوعة العربية العالمية: الجزء الثالث، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

ثانياً: الموسوعات التركية الحديثة:

- (١) دائرة المعارف الإسلامية التركية: مادة ينّي تشري، إستانبول، د. ط، ١٩٨٦م.
- (٢) الموسوعة الإسلامية: الوقف الديني بتركيا، فرقة الدوشيرمة الإنشكارية، إستانبول، ١٩٩٤م.

- 1) **Islam Ansiklopesi cilt 14 , Ankara 1990 Yeni Ceri Maddesi Osmanli “ Tarin”**
- 2) **Ve Medeniyet cilt 1 1rcica, Istanbul 1999.**

تاسعاً: الدوريات:

- (١) جورجى زيدان: تاريخ الجند العثماني، مجلة الهلال، الجزء الثامن، ١٩٠٩م / ١٣٢٦هـ.
- (٢) زين العابدين شمس الدين نجم: الوظائف العسكرية والتشكيلات القتالية في العهد المملوكي، مجلة كلية الملك فهد العسكرية، العدد ٣٩، ١٤١٣هـ.
- (٣) الصفصافي أحمد المرسي: الدولة العثمانية والولايات العربية، مجلة الدارة، العدد الرابع، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- (٤) عبد العزيز محمد عوض: التنظيمات العثمانية في الولايات العربية، مجلة الدارة، العدد الأول، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- (٥) محمد عبد اللطيف البحرأوي: من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم، مجلة الدارة، العدد الرابع، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

الوثائق واللوحات

وثيقة (٤)

بارم

نیم وزیم

مؤیدیم
تغیرک وادادق سازه فالاری معلوم علیهم السلام
نعمه دولت خیریت و جوی و عساکر شجاعیه کوز افغان ایدوب شفاور میل ایدونارک
سنگد استار انجمنین و کلاب همایونی و فی بعضی نطقه جبارت ایدوب
ایدوب و استاره ایدوب حکاک ایدوب و ایدوب استاره ایدوب
عوض ایدوب و ایدوب برکری بیکی ایدوب مذکره ایدوب باقم موکالی
نمایند
فدوتلو
و فی نعمت ایدوب
خدا و رحمت طاعت

سُورَةُ

[illegible]

HAT.H لرشیف رئاسة الوزراء بامستانبول.

19674

قيام الإنكشارية بتمرد وفتنة عظيمة في محافظة خربروت .

وشیقة (هـ)

بعد ان باناف ولسانك شف سید

عطوفتکارا راقشعارا جلی المہا سلطانم حفظہ
 آردوی ہما جوڑہ اولیٰ بکچی عسکری باب اصفیہ داروب بوزرغوش بخشش استعاسی دولہ تیرنہ عومیتارنہ اذن طہ
 اصراری جانب اصفانہ دن صوب شادوی بہ کلون تخریرتن مسطور دکل ایسہ دخی بوخصص مصدہ اولون آدم قواری
 طرزن سوی خالصانہ مزہ تخریر و فہام اولمش اولوب بودافہ رشیدون عودت و دوغماہ وصولدہ لودرکٹ آزال
 نزد خالصانہ مزہ کلوب مصدون معیت اصفیدن بلہ بشیوز قدریادہ عکراپیش دیباطہ کلہ اوزرہ ایمش سزکہ
 خبریکہ دارمیدون ہونلرکے اعادہ لریچون ہرقین نقیین الیم دیباط اوکنہ وارسون بوسرکیرلرکدہ جلی اولقرنرہ
 اعادہ ایسون اگرکلرلر ایسہ اورسون باطرسون سزودخی برنگہ کوندرین دیمکلہ طرزدون دخی اول مادہ دن
 خیرم واردرکن غالباً عسکرکے برازا ایسہ براغازینہ اذن ویربرجکدر دیوجوب ویشیدی تادیخ وقیمہ ثناکارین
 ایکی کون مقیم دیباط محافظی امراپشادون و دیباط کرکجی مشاقتیزن و دیباط بیشکاہنہ نقیین ایکی ہرقین قودانی
 اسمیل قودانن کلون مکتوبارنہ و برقطعہ عربی العبارة اعلیٰ اوردوی ہر یون طرزن بلہ بشیوز نفر مقداری بکچی
 عسکری و براز بوزاق و مولیٰ نفرائی دیباتلہ کلوب و ولترنہ کمالہ اوزرہ قابقلر استکلرن ہارنن اذن تکراری
 اولیٰ بکچی ہرقاری دخی صارتین اولیٰ بکچی ہرقاری ہر یکہ صارت ابرہ میچ جیرا توقیف ایتہ لردہ شہری خراب
 ابرہ جکری نمایان اظہرینک بوغاز قبالہ راویہ دلہ ہونلری اذ بہ قلمہ سنہ جلب ویش اذن کون نقیین اعطایا
 نقیین ابرہ دلہ کیفیتی جانب اصفانہ بہ تخریر و استیذان اولکلرن طرف صداقتناہید دخی رقومار ولترنہ کمالہ اوزرہ
 اذن و دخصت وریسی ماوی فرنا جلیل افشان و دودنہ بینی سالف الذکر عسکری ولترنہ امرارایملہ اوزرہ
 اولقرنی تخریر وانہا ایدکلری محاط علم عالیاری ہورلرقن اولباب فرنا من لہ الوردی (۱۰) ج



۶۶۳۳ HAT.H لرشیف رئاسة الوزراء باستانبول.

شکوی للسلطان من محافظ دمیاط بخصوص مطالبه الإنکشاریة المستمرة
 للمال وغبتهم في السفر دون إذن .

میر غفانه پاشه بر بلوکوی دولت سله سی به جزه بهر قاضی بفرستد جمله مره سله سی
یکمیزده او مقوله او بنه دارانی کجا دفع و از او ایروب بوند به بله باوشه از ان و دولتک رضا سنه خارج صرته بولنا مقصده
دو دولتک لشیر مر و از او سه اطاعت و انضاد و عجله بانو نضات عمره و صفات ابدا ان بگویند بر اندر تر تخمین دهیم قول قول صفت
نا سبب کلاده از او سه نشاندنی شکست و برین از انی اخذ و رفت ایله اغای سنه کند بریزر و بویعه از او فحاحه هیچ برنده
بریزر صحتا بیخوب و فطرت نادیده از او بر این سبب و بر سوید کوزه اغای مومالیه قبولی دمی بگویند نایک نموده بگویند بطلانه
بوزنک او درین به نایتم و نایر به استخفافند بکند مندی و مقصده بجهه بریزر دمی و اندر دمی بر او کوزد و بویعه از او درین به
اجان مغلوط ابراز یله بعد از به سوختانی منتظران و با این ابدال و غایانک رضا سنه خارج بر همین تجویز نایه حکمرانی و حال
بارتاهیری تحصیل ایچره جابه و با شدنی فدا و غای مومالیه از او در دمی کز انک اجزای مرفعه صدف و استقامت لغت
ایله حکمرانی افاده و فطرت ایستی اول و از او درین حکم طبعه مساعدی او درده و حال اوج و رفت قول او در ده مجموع ضابطه یعنی فطرت
ارسته کر و از او باشد و باقی فطرت و سائر فطرت طاقی و اوسطه با یکدیگر بهر فطرت بهر دوزده اغاری دمی رفعت بر
صفحه او بخواند و بر این مملوده مناسبتر بر این اصلین نشانخته لری خوبا و خوب حال ابراز بولان بولان اغای سنه کند و بویعه از او درین به نایتم و نایر به استخفافند بکند مندی و مقصده بجهه بریزر دمی و اندر دمی بر او کوزد و بویعه از او درین به

[illegible]

وثيقة (٦)

و شیقة (۷)

د

ی و لایق نه نزن قلعه بدو
 ن تجویم صورت بدنه برتیب و صفت بندگانه به باشی اسکیتیم بشارت با
 بدی منظور و هیانه نزن بیرونه ایچ خاکبای و لایق نه نزن قیسم قلندر
 بیانات و توفیق و لایق نه نزن وار لایق نه نزن افند ایره جگر مدونه
 ل ایالت مدونه به و خیم که نزن الی و نهانها اشقیای مرقوم نهان
 لرینه عوکه و مدار اولیوب اغور میا به موقور شاهانه ده ظهور و
 خوف ایزد کفی و انیم خلقی تو لرینه بند و نصیحت اوزره ایچ اشقیای مرقوم
 بندگانه ایره جگر افک افند اوزی تو لرینی کلایا در یای عیدت مالد
 پاره آنچه باب محمد و هیانه نزنه قالدی علم الف و فون هالا مرقوم
 اقصای حمدی به شمشیر نهانها اید تو میرایه ایچ ناز و عیضه بندگانه
 نزن عودت اید خیم نه نزنه دفترانیک اتفاقیه تراونیک هارو
 ب جمعه کجکه هجیم به تراونیک نرنیا اید جگر محضری مصلیه تراونیک
 فی برکنه قاضی مصلیه داعیه نیه اخبار اتمکه اهالی مرقوم هارو
 نه نزن و طرف بندگانه کلیدی اهالی مرقوم اخبار اولدوره گاه پاشا قیسی
 اتمکه کی یاز قال و قید نقص هیر لری بر لوی لرینه کدوب قاضی مصلیه
 خودتون پاشا قیسی بفرط حرکت هارو ایره مصلیه والیه اهالی
 و زرده قوه الی و کجی لری یوز و اکیوز و بعضا اوز و و ورق یوز نقد
 و تیزی اطلافه اتمکه اتمکه اولدوری و خدای رضای نایباری محضری و اتمکه
 ری عصیان و شقا و تدبیری روم ایچیه و الدین کلورایه استانه علیه به
 و مضال برمدول بندگانه کجی و خاکبای و هیانه نرنیه تا تارم تو لرینه و نرنیه
 ی و هیانه نرنیه و اصل و هو بندگانه مرقوم کلیمه افک افند اشقیای
 بیابده و هارو امروفرمان مرجمه و شقیقت بیایان و و تلمعما تلمعما طفا
 نرنیه خیم نرنیه

الک
 و
 و
 و

وثيقة (٨)

وثيقة (٩)

[illegible][illegible]

دکاه عالی یکجور قشور قلندر کی اوله بر قشور لریک الواحدک اولرک التي عدد قشور لریک مررون اولی اوزره مجدداً انشاسته اوده علیہ
تعلق واد بطریه فرماک عالی لریک صاد اولر یکنه بناؤ ذکر اظاک التي عدد قشور مررون انشا واقضا ابرک نقوش و ترهیبی تنظیم و طوایر الحارثه
ختامه رسیده اولریقی حاوی شق ثالث و فتر دای عزیز افری قولر لریک تقدیم ایدری تقریر طرف متجمع الشرف اصفا نذرک و کاه ها و
عوض اولر قشور شویکجور قشور لریک البته بوسنه کیم اولر ابرک عمله محسوسه افری بشود ویدو خط کرایک شوقفرون شرافت صدق و
موجبغه بقیه تغییر اولر قشور لریک بوسنه مبارکه ده انشا و کیمی بقوله اسبابه متوقف و منقطع ایسه شمیرک شروع و استحقاقی امرینه
مبادود برل صورت نظامی افاده یه مسادعت اولریک بابنک بالوی تقریره صاد اولرک فرماک عالی برینه استاذ محفوض مرزولر صورت
حسن نظامی لری المطالع موی الیه عزیز افری قولر لریک نامود تغییر و تجدیری اولریقی قشور لریک ختامی وقت شتاده اولرک باقی
تغیر اولرک جنی قرق بر عدد یکجور قشور لریک وقت شتاده تغییر لریک عید اولر یکنک ایام سیفده تقریر اولر یکنه اوده علیه تعلق ایدرک
قشور لریک اصل شغل لریک اولرک و دیو نسی که افره ناک بر حال اعطایله ختامی محققای اوده علیه دن اولریک مدبرسه سیله
هیر نجات نذرک و خاک کرکی امینی منش افری قولر لریک زنده بقایا اولر یکنه موی البرک حسابی دویت برل فرود دایه حال یکجور یقی بیلک
و یا خود یکجور سکن لریک غرضی مقداری افره مصادق مذکوره به اعطا و مقصود کیم کشف دینه نوزم کرایک اوجیو الی که افره دخی و غنایه
زاده لرون حاجی بولود اغا محفایه کشف کیم قنوج بینه تعالی خلقات مذکوره نظامینر اولر قشور اولر قشور و ادا اولر قشور
ایکنه مذکوره ناک بوسنه مبارکه ده ختامی محفایه اعتنا اولر قشور و عزیز افری ناک مصالح افری اولر یکنه معتقدین کرک بر قولر لریک
بنا امینی نصبیله محفوض مرزولر وجه محروم اوده تنظیمی موافق اوده سایلری ایسه شمیرک محفایه قیدایله افری موی الیه طرفه
علم و خیر اعظم نوزم کله کیمی معلوم دونلری بیولر قشور امر و فرماک در خط و سواد تسلط هم حفر تلک بکند

۷۷
مالتی نیکو دوستی
افری نیکو دوستی
استقبال اولفندہ نیکو دوستی
چھٹا نیکو دوستی

وثيقة (۱۱)

شوکلو کواتلو مہاتلو قدرلو ولینتم افتم

صدر سابق یوسف پاشا قدرلو موثق اولہ مدیندن وکالت مطلقہ ری خدمت جیلہ ری وریں جانج
عسکر حسن پاشا بزرگ لرنہ اہالہ بوردلقدن ناشی چاوشباشی کنج عثمان آغا چاکری مہرہایون
اخذ و حسن پاشا بزرگ تبسم وارودی ہایونہ کورنی و عبدملرکاری دخی صدر اعظمی مشارالہ
چاکر نیک وصولہ دکن قائمقام نصب اولدین مشر بیاض اوزرنہ شرفیافہ صدور اولون ایک قطعہ
خط ہایون کرامت شہزادی بدیل خکسی امین خاکی قدرلہ اشہد ماہ رمضانک اون ایجنی بازار کوف
راصل و در حال چاوشباشی آغا مقتضای ماموریتی اوزرہ موثر شریفی یوسف پاشا دن الوب بر قدرلہ
قائمقام خلعتی اباس ایدر کون حکم یوم مذکورہ و دیں طرفہ نزلایہ غیت و صدر اعظمی مشارالہ
استجابہ سارعت ایدیک و صدر سابق مشارالہ یوسف پاشا ارادہ شاہانہ ری بموجبہ با اعلیٰ رشتہ
ایمان اولنقلہ صدر اعظمی و دروز نہ محلہ ماموریتی تنظیم ایدر رایہ رابطہ ری ویرہ چکاری و قدرلہ
قائمقام اموریہ اشتغال ایدیکہ بنا ایدیکہ اردوسنک فطر دربطی قول کورنی ابرارد اولنقلہ زغجی
قدرلہ تبہ و نا کید اولدین محاط علم عایدی بوردلرہ او و فرمان شوکلہ کواتلو مہاتلو قدرلو ولینتم
افتم پاشام ہفتلہ کدر

HAT·H ۷۹۱۷ لرشیف رئاسة الوزراء بإستانبول.

تدريب جند الإنكشارية في عهد السلطان عثمان الثاني على يد كتحدا
الإنكشارية لإرائيل والذي يدل غسمه على أنه يهودي.

۴۵
۱۹۵۴

شکرتو کرامتو مهابتو قدرتو ولایتو اقدم
بنده نقالی توهیدات هابونلرین ابقا و توهید اولنه حق مناصب دیوانه ناک معروض حضور عالی شو شاهانه لری قنات
دفتری مبارک قلم عنایت رقم ملوکانه لریله تصحیح یورلدیغی دهرله تبیین و بر مقدار بابوسی خط هابون مکارم قرون
یاد شاهانه لریله توشیح یورلوق ایچون تقدیم قلمقله دفتر مذکورک بالایی معینجه ابقا و توهید لریله اذن هابونلرین
دیو خط شریف شوکت و رف داوانه لریله تزیین یورلوق بابین امر و فرمان شکرتو کرامتو مهابتو قدرتو ولایتو
اقدم یادشاهم حفر یلر کند

دفتر مصححه مذکور بیکوی کتابی اوزرینه جویند منصب اولماش برحققه و لری بابین خط هابون شاهانه لری شرف صدر
موقوف اولدوق لایحه اخذی و حال ایشا لری ایسی یوسف آگاه اخذی و اریه ایسی بابین اخذی قولدی خاطر کلوب لکه کتابت
مذکوره بکده مقدورک تحقیق مدار اولور قیلدن اولدیفند بشفه بیکوی قلملوی هفتقه ده ایکی کون کاتب تواناغه کلوب قلم
اولوسی ترتیب ایلدی بر مقدار قییم جاری اولدیفند بنا بیکوی کتابی اولدر صاحب دایره و سکا اولور نوزمه دن ابروی معادن
اولون حالون و موی ایلدن یوسف آگاه اخذی بنج لری صاحب دایره اولدیفنی و اضحای دن اولقله بومورنک کتابت مرقوم
کراج موی ایلدن و کلک سارون فنی قوللریله توهیدیه اوده سینه لری متعلق اولور ایسه دفتر معروض مذکوره اقیق بر اعلیون
کتابت مذکوره اولور هم طول اولور اقتضا ایلر بکی قریه علم عالی لری یورلدوق امر و فرمان حفر مده لری لری کند

۴۲۳۸ HATOH لرشیف رئاسة الوزراء بایستانبول.

تعیین أحد جنود الإنکشارية في منصب كاتب الإنکشارية .

وثيقة (١٣)

یادِ حق

بسم و ذبحم
 شرعاً مقبول و در حد فقه و حرم است. همه نماز جمعه سه توفیق است. ایداد ایداد

سَوَكَاو كَرَاغَد حَلَاو قَدَرَتَاو دَعِ نَغْمِ اقْتَمِ

بِكُورِ اَغْلَمِ قَوْدَرِ بُوَكُوْدِ اَبَاسِ فُضَيْلَتِه بِرَمَقَادِ اَغَا قُوْمَتِه دَارِ بِنِي شَمَقَا سَحْلَه اَوْلَجِه دَاوَرِه اَعْرَاقِي بِرُقَطَه يَهْدِ سِلَاقِي عَابِدِي

اِرْسَالِ اَنْجَمِ اَوْلِ بَقْدَه اَقْضَا اِيْدَه خُطْبَتِي اَبَاسِ دَاوَرِ اَوْنَمِ دِلَه شُكُورِ مَقْدَرِ مَعَالِمُورِ سَاهَا اَرِي جَوِلَه اِيْجَوَه عَوْضِ

وَقَعِيمِ قَلَمِي اِيْدَكِ دَاغِي مَوَالِيَه بِنِجِ لَرِي سَهْلَكِ كَلِيوَرِ وَكُفُورِ طَاغُوْدِ نَفْسِه اِرَاقِي نَقِيرِ اَلْمِي بَاسِ بَاوِيْجِي دِوَاظِلَه اَسْفَادِ

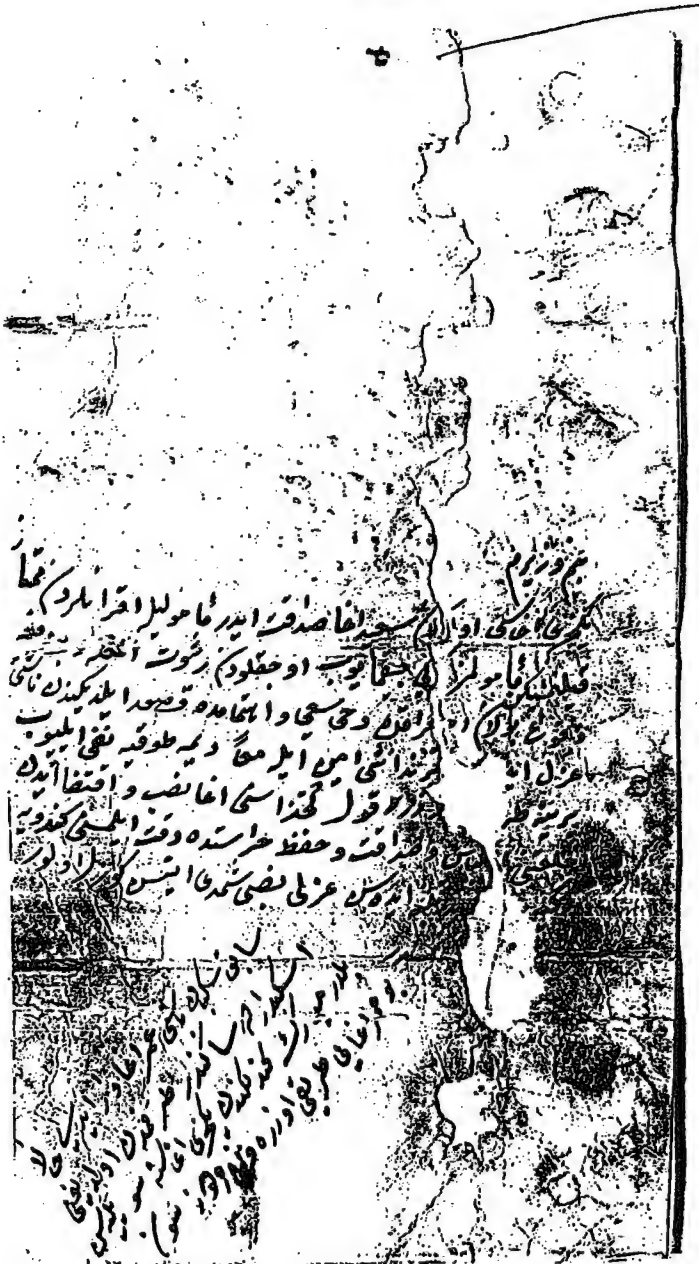
اِيْجَمِ اَوْلِ بَقْدَه بَا، كَلِيوَرِه اَوْدَرِدَه نَقِيرِ اَلْمِي سِيَاوَشِ اَوْلَقْبِه نَقِيرِ كَلِيوَرِ كِي اَقْضَا اِيْدَه اَمْرِ سَبْقِي اَصْدَارِ دَاوَعَا اَوْلِ بَقْدِي دِهْنِه

عَمِ عَالَمُتَوَلِ شَهْرِيَاوِدَرِي جَوْرَدَفِ اَمْرِ دَوَلَه سَوَكَاو كَرَاغَد حَلَاو قَدَرَتَاو دَعِ نَغْمِ اقْتَمِ

دَارِ شَهْمِ حَضَرْتِ نَكِدَرِ

۱۷۲۳۷ HAT.H لرشیف رئاسة الوزراء بایستانبول.

قرار سلطاني بتعيين أغا الإنكشارية .



١٥٨٣٧ خط همایونی H.O.H ارشيف رئاسة الوزراء بإستانبول.
 أمر سلطاني بعزل ونفي آغا الإنكشارية لتعاطيه الرشوة وتعيين آغا الكتخدا
 مكانه .

وثيقة (١٦)

اذن معلوم اوشتر

عرض بنده بمقداد ودمه شکرلو کرانلو مایلو قدرلو وانی نعم اذم

جناب مقبل الجود والاحسان وبتنازله دوات اشی وجان جک عزاب لطفه عن النقاد والنقصان استان شایخ الوردکان پادشاهان

الی غایه الزمانه مقسم وظائف بزکان ولبا حاجتمندان دودن ابدی کیه امانی و همان مقاصد حله چاکر ^{عنان} زده خالص العباد و سب کمال شهاد

وکرند به ملاک ابله امین مجرمه سب از سبیل شکرلو کرانلو مایلو قدرلو وانی نعم اذم پادشاهم شفاعت به مفا درگاه عالی کجی ویا

وهدار و جیبی و طبعی و موهبی و غیره وانی دساتر دانه خوردن دربار عارف قرار بیک بود و مستحق و فخری برسط موابدی غیر از عی فزانه

۱۶۱۲۲ HAT·H ارشیف رئاسة الوزراء بایستانبول.

بیان برواتب الإنکشارية .

وثيقة (۱۶)

ب

جمع و تعداد او ششده موجب مذکور ملک اجمالت

معارف توفیق ربانی و معاضدت بجهت جلالا بپایه تیره و تعداد در پیشگاه دیوان مقدس بنیاد شاهان لرزم جمع و تعداد او ششده موجب مذکور ملک اجمالت

و واقع اودون کلایون و قاری و جبهه ششک خالصه ای مرفوع عتبه عیای خسران ای نمیشد منظورهای دیوانی بپایه عطف علیه شاهان و کواش

بپایه تاجدار لرزم توفیق و تقبیل و خدمت دیوانهای خالصه و رسم درین سلطنت سینه ای او شده عبدالمصطفی آغا لرزم جبهه سانی زمین خالصه

خسروانه لرزم احراز ستایه مفاخره ایلام خجسته ساعده عتبه ملکا ای بپایه لرزم اشیر خجسته جاگزین ملک باو ای ازین هایتیم ایستاد

دیو مبارک خطهای دیو سکوت و تیره تیغ دینی بهارمه بایه امروزمه سرکاو کرانلو مراتلو قزقلو و بی نعمت اقم بادشاهم خجسته لرزم

معرضه واریز
معرضات چاکری به جواب این اودزه بودعه تا نام حلیج علی قزلی بر بله لطفا و موده ارسال و اصداد بویز بر قطعه
قائم مفعله علیه ناک خلاصه مفهوم مناسبات مرسومین شهر سرحد عظیمات تحصیل اسباب نظام و سخاکای و بوزلار
تقویت باردوی اقدار عاجزانه ملتمز دنت و طی النعمان لری و لمعدن ناشی محال متعدد معامه دن تقییب و ترتیب
بیرون عا کرد و خنار و مهمات و لوازم سائر ناک بالذات استجالی باین اصداد بویز او مضمونه بناء عسکر بر اشیای که
علیه دن بغیری بودعه دخی اخضا ابرن محله مجددا او امر موکده اصداد بویز او مضمونه بناء عسکر بر اشیای که
مادری و وصل حوالی برینه و مولری و مایعات مذکوره ناک الحالون تخمین مامول او مفعله بیر چکن انشا اولنه حق
سفایک بر مقدار اکیلی و ضروری دخی قریبا قریب ختام اولتی اودزه او دینی و حبلدن کله جلن مهمان چخانه
و طوخانه و خیمای مهمان تخفیف انشا او دینی اودزه او دینی و حبلدن کله جلن مهمان چخانه
و بگذر کا فکله سندن اولدن ددگاه عالی کوی قزلی ناک سکان بن سکه ای مواجیلری و طقسان بر سکه ای کوشت بهار
و بجه بی و طریقی قزلی ناک سکان دوت مواجیلری بر مقدار ضروری سکان بن مواجیلری تنظیم بویزینی و بوز
تحصیل اسباب بساد قصبه عا کرد و مهمان صرفه ایچون هزینه های بوزن شد بیک نمش بش پل غروش اواز اول
چو دینی امر و زمان بویز امر و زمان او طایفم اقدار فر کرد قاعن مطبوعه ملکنداری و قوانین مغربله ای
حضر صلیرن عنده و عند الناس بایان شکویش اولون حسن مساعی و مزب مساعی و طی النعمان لری خاصه ناک
زخیرین لری مستغرق بر مینوبت و محفوف صنوف احسان و معرفت اتمکله دعای بقای عمر و دیناری کرارینه بای
اولسندر خناتلی حضرتی و جود مسعود و طی النعمان لری اخات روزگار دن مأمون و سایه شفقت و رحمتین
بر قزلی اودزه ابر مرهون ایلیمه ایی کرک و خنایر و عا کرد استجالی و کرک سائر مهمات سفینه ناک
شکالری باین اقدار فر فرزند حاشا اودزه قدر ضروری و نهاده تجیز بویزینی جزا و یقینا معلوم عا جراتم
انما مضاعفه لیاقت

وثيقة (۱۷)

ج

سوز قابل غریب و صبر و ...
 جاذی الدولینک اغریه دل و بیرون تقیبات و عیقل و عیقل و نقد و حسن تدبیر و ...
 بود و علی عمر بنده و مرول و قدون و دائره مرعکریک مصادق و فی مقایسه معلوم سبزه و ...
 عنا بکاد این پرودا اگر منقوده مذوره بشاون کونه دل بیگانه حکمت و حول ابله زاد و خبر و ...
 این مسافه متباعد و درون ملک اعداده زاد و خبر و ...
 از کتاب اتمه کلمه ملتجیح بیان اولیوب و فی الحقیقه بود و عا کر کثیره جمعه ملک و فاضلین زاد
 و خبر و علی و اقبال طراد زنی و پره ملک اردو و قداری و نزل امینی و مکاری باشی و ...
 مقتضای شرب عامیانه لری افروزه ابله پنه بهانه کرب و این فتن قریه و اصل اولیکن انواع کفایت و ...
 فساد و خاد اینک حال و امرین اولی و فی کیهان سب و ...
 نریغ و کرائی اسامیه نوره و بوق و لریک بود و دائره مرعکریک اداره نریغ و ...
 کساد و فغان ملک با شیلر و وفاد و طرفین نوار دایون عکر کریک و ...
 اینیه ملک اداره و زاد و خبر و لری دوت و با خف و طراد ابله او و نریغ ساعت مسافه کثیره و ...
 و اسکان و فاضل و محض لطف آی و خف و نریغ پادشاهی نریغ اولی و ...
 و ...
 جاذی و ...
 امکان و ...
 کله ملک بهاد و ...
 زاد و خبر و ...
 غریب لجه ناز و اضطراب اینک در الله ایون و رسول الله ایون اولون و ...
 ...

وثيقة (۱۷)

د

مهربان طری سده چون د

مرحمت و الحال مقابل و مدافعه اعلا ده اولون بشو عاكر منصور نيك بونا زن و دهن بيكانه سده
 نظام جيتاينه دذبحه اكان و مكن اولن چون بوقا ليزيل كسانا وسع و سطاغت عاجزانه هي نوسيه
 ساعك و عنيات و دفر مذخورى باش محاسبه دفر ليزنه قدر و بقيه مطالبان اولن طغوز بول التثني
 كز بول طغنا انچه غرض افساد و مفدا نياز مند او بغم اوزده بو قدر عاكر منصوره نك دفا خدن كليت و خراب ايله
 يارود و قدر دارى و نزل اينجا بولن ابد او بغيرن ناشى مقدار و افي مبالغ ايله اردو و قدر دارى و نزل اينجا بغيرن
 و او قوز فرق كون فرق ايله عزل ايله على جناح الطير بر جابه لحوق و وصوله سار عندي بنديه و تاكيد و همت
 جيه خاتل ك فبا بعد خاتن شطيله كلمسى مكن اولوب و اينده بهاره ناخبرى موجب قتل امو و او جيه حبله
 قوه دن ايمانله ساعك و مروت و ديا بكون موصله تحيل او فان مبايعه بشو نيك دغى براعتا ارم جيتاينه
 نيدر و ايمانلى موصله تنبيه بوز غله طوائف عكره يا فاضله دفا هيت و بسره عظيم صيات و وقايت
 بولن بابلن امر و فرمان من له الامرا هزير فر كرسى



وثيقة (١٨)

یارشاهم

بنم و ذریعہ
اسلامی و طوائف شریعہ تقریریں مجتہدین ہدایت کر کے یوں ہی ہوتی ہیں۔

نوکلانو کرمانلو مرابانو قدرتلو ولی نعمت اقدم
شیخ الوصل سید محمد عارف افندی داعیلک باش هو قدری حاجی حسین خان کهنه بود رفه وفان ایدوب بکجری او جاعنده تصرف
اولیغی ایچوز رفه طغوز افندی بویسی محلول اولدی و سوزای مرقومک امانه و سیخانه وام کلتم و هبیه نام ورق نفر کریم سی قاشلی
ایدکی یانله محلول رفه مقبای زبورده اده کورده مناسب مقداری وظیفه حساب یولانی افندی شارابه داعیلدی مخصوص فاک
والتی ایدر بکجری اسمینک مقبای اولدینده محلول رفه غما خزینه مانده اولمده اوزده سندی بوریلوب خله کوزلوش
اولوب انجه افندی شارابک انراسه نظر رفه لر تحا جینده و افندی شارابه داعیلدی رفی شیخ معزولی اولوب اسحاق
نقضای شیخه علیه ملاکانه لرده کورده مجوز وظیفه نویسنه محتاج و اولدی فطرها یوده شاهانه لری صدورده شوق اولان
سازده رایتا عیامک شرطیه کورده رفه لرک بهرینه بکیش رفی ده کسان رفی وظیفه نفیسن قریب عده شیخ
سوقف امر و اوده مراحم فاده جران ایدری ایدکی محاط علم عالی دی بورلوق امری فرانسه نوکلانو کرمانلو
ناجدا ویدلی اولولر بادشاهم هفت نیکید
مرابانو قدرتلو ولی نعمت اقدم

۲۱۲۶۵ خط همایونی H.O.H ارشیف رئاسة الوزراء باستانبول.

أمر بصرف رواتب جندي إنكشاري متوفي لورثته الأربع بنات ، وتسجيل أسمائهن في سجلات الإنكشارية .

وثيقة (۱۹)

بسم ویرم
 یکی ای غاسناک غیزنه طوطی دی بیک یوق سترضا باند کوزن غیزنه ایدر بیک کوزن مدخله انفسی سه اوان بشیک غوش
 دخی موی ایله واون بیک غوش دخی بهی بلغم ی اولدوق ییری بشیک غوش غیزی نون کوز بربرز نون غیزه اولدوق
 کفیا موی الیه بار ویرم

شکلو کراندو مهاباد قرینو قنقم اقزم
 کچره عجم اهل اسلامک سلطنتی تیری ایز اولدنی آساده نقرانک خط و ربطه مدار اولمه ایون میخانه سردنر ایزلش ویکری
 قوزنیک اکثر عاید دخی میخانه مربوط ملک سید حصار اولدنی مصارفه مدار وزیر شوده وغیرتی مستخرج اولمه غرضه بنی
 کیفیت برون اقم باقیر جاکی خرج هیون شاه نزن بالاسندان صحیفه یزی صدور اولان خط هیون غنا بقون ملکانه زی بیضیم
 اوان بشیک عروش ضریانه عا موه نزن اغای مولیه قوزنر عطا و کشیدی ایله هذه اغای مولیه قوزری خط و ربطه نقران
 ختم بیل و زار کشت و لار ایزرک بوقریب اسلام نزن زیاده مصارف ضرور به حصار اوشی و حسب الوقت عا ندان و مقنانه
 دخی بوقریب دسترس اوله مدنی بیضی نزن ایدر اسلام اولدنی اولدنی اغای مولیه قوزنر اعط اولنه جنی محاط علم عالی و بیدر نزن
 بوسه مسکن سینه شاه نزی بویور ایزر ضریانه عا موه نزن اخذ جلب ایدر تخفیا اعط اولنه جنی محاط علم عالی و بیدر نزن
 اردلان شکلو کراندو مهاباد قرینو قنقم اقزم شاههم

۱۵۲۳۶ خط همایونی H.H. ارشیف رئاسة الوزراء باستانبول.
 تنفيذ الأمر السلطاني بإغلاق محلات الخمر ، لأن جنود الإنكشارية صرفوا
 كل رواتبهم على هذه المحلات .

وثيقة (٢١)

عذب يا شافاك هنيو فانه سيد و بكر فو كثر من مهنون فانه رسته و دفتر بده اعدام و فخر نظير و معلوم هونم انك
افاطو طر فانه انك كثر في ارضه و دما بجهه ادراسي دفي حذر ديز به قنوي حذر اولدم مستاد ايرك برصيب
دختر شند و عا و النسي ايلديكي ادره قنوي قنيلو و سكونده و ديزي و برسير و دله سرك قنوي اولون هونم عزاد
عقا حادير حيدر المور فانه جاي سيد قنوي بيشله دفي بكيه اولون استركي بلسه شادان اولده و داسكو و طر حذر
واله مستاد ايرك اقشيدن كوره هواج حذر و بشه به كوند رستو شفا ايلديكي امرك اهدار و ارشدر قنوي اولون
مهر برتر اولون به اهدار و شفا و قنوي

دوندو عنايلو عاطفتو زافو موندو و نلنم كرم نلنم انك حذر
رستخانه ديه و دعت عليه برمدن و دما هده حال دله مفرو و اولده حذرني جاي و ايش اولدي
و نلجه مقابله بالكل فده مشابه سده اولقدن نلني ادره اتفاقا آرايله بيجوي اوجانك قديم
اصولنه خليل كلامان اوزنه فقط نلنم و نلنم سنده بيجوي اورط ايرك برزند بوز ايشير قنوي
نقيله بلا اولدنه استر و نقبا به نروج ملج حبات ايجام ايجود جميعه نلجه ايله نفي و فاره
اعلده و خروج على السلطان فحوسه اجساد و عصيانه ايش اولديغه بنا بتوفد الله الملك العزيز
و بلا و نلني نلني حذرني في الملبه عليه افضل النعمه مادامه السخون و ارضيه ادره و ملعت كارله
اوندرينه مامور سويله فله الحمد و الله جزاي و بقره ايرك اوجانك شطيله بيجوي اوجانك بيجوي اوجانك
مملوك ايش و عوفه في اظر عري اولدنه اخذ ايجام شطيله بيجوي اوجانك بيجوي اوجانك بيجوي اوجانك
بيدياوب بيجوي ايجام و بيه معلم عكره و عوفه محمدية نام شرافت ارسايله عكره بيز و نلني
مفتي بادشاهه تظيل و بيه معلم عكره و عوفه محمدية نام شرافت ارسايله عكره بيز و نلني
اوله حيله جند روز غلنده افضا ايدنه نلني سده سنده نلني اوجانك بيجوي اوجانك بيجوي اوجانك
ايرك ارضه و مفتاح قلم بيجوي ضابطنده اولده و عرف بدو به كوره بيجوي اوجانك بيجوي اوجانك
مواد بولنده حيله بولنده ضابطنده و دقة طر قنده ضبط و اجر الوصي و انفاذ امر على اسبابك شريك
استخفافه مبادت قلتمني امر استوسه و نلني القصد نلني بركي درونجي جمعه كوفي انامل بيلني غلنده
فيا نلنه ساميلري مفاد نلني فير اطلوع جاكر اولوب سلطنت سنده سرمد القيامك بيلني غلنده
هر حيله فوت و نلني بالدرجات اعلى ديه بيلنه زياد ايكه برمدن و عوفه نلني اوجانك بيجوي اوجانك
هر حيله عوفه و نلني شقاوت كانك عوم اطاعت و ايجاب دوت و نلني بيلني قضا خيال بيله
النموني مجرد بولندو شقاوت كانك عوم اطاعت و ايجاب دوت و نلني بيلني قضا خيال بيله
نلني مملندي رواجنه صرف نلني نلني مملندي رواجنه صرف نلني نلني مملندي رواجنه صرف نلني

وشیقة (۲۱)

ب

بصیرت و اختیار و نری نزد بندگی که کفر و باطل بر زمانه برو دشمنانه و به محمد بن علی غلبه کند
و باطنی صوص بوشاده روسیه لونک و دیگر عریضه جا کرده مینه اولی افری اوزره ابرائیلونک
بصیرت و کانتند اقتضای کونج و جهاد و مقابله بالکله متعاله فزاید کریمه مخصوص
ایت کریمه تذکیر الیه بوصورته و کون علیه دشمنه جواب و یرمک ایچونه اینتر برار معلوم عرک
لوقم و غیرت و می خوال اولندوق الزم ایدو کنی اعتراف دند صکره مواجهه رنده اوزانه سبدری
قوت و تقیم مال شریفیه شمدیه کون او جاعک رفع و تغییریه دار شوکتیاب مرام ضاب
افندک و سازک هیچ بگونه حضور و نیلری اولدقیه و قوتی نام اولوب هقلنده حمت و دافعا
شیخه سابقه دره صرف انظار الیه اطاعت و درون الزم اولدله عرکک رابطه اصلیه ای شجونه
هفت بدلفسه ایله و بشقه او جاعه نامی اولدیه رو کند و ایچیزده نفرت خیر و یقینه شروع اولدیه
یو کادخی ملائکه معاذ الله تعالی ایچانی ملاحظه اینجه راک دشمنانه برابجه صورندله
سارتری مد طرف الله هقلنده اینجه بی انتاج ایچشدر ای حاصل کجوری او جانی رفوع
ایچر بوطفره و سار حالد اهل عصه و مطیع اولدله بگونه نوصه ارادی اولوب و هرک
نقرف اولدقی معاشنه ملاحظه بوفدر و سفارده اعلک و یرش اغار و سار اوقا ایدندک
سابعه حضرت یاد شاهیده اخر برته الیه تلطفی مکندر بوللو عوام یسند اولدجه بصیرت کلان دخی
طرف جا کردنه بیانه وضع و ینده بادت اولنقله جمله ای اظهار اطاعت و انقیاد الیه بلو نزد
وقیل و قال الاله بریه بی انزل و جاعه قبول ایتمش و بعدیه سار سر و کجریانه و عهده دانه و می ایدند
جب اینتر برارک نه مع ناب و صفی جمله علما و شایخ مملکت مجتمع اولدقی حالد سالف الذکر فرماید
جب اینتر برارک نه مع ناب و صفی جمله علما و شایخ مملکت مجتمع اولدقی حالد سالف الذکر فرماید
کوندر باوجی تدارق و بیانه اینتر لدر کده اندوخی نوزمه سمع و فاعنی صمیمی کز بیانه اولدیه کویانه
الله کلیمه شهادتی تذکاره دوامر اولنقله شرعیه و اوقا
سالفه عشره امر و ادرسه نفاذ

وثيقة (۲۱)

ج

الزمري جرد ... رواجه صرف ...
 آخيه روه فقط كند و كار و مصلحتي رواجه صرف ...
 و نظروا به سلطنت سینه ناك دول ساره خصوص غايه مقابله ...
 خيلي وقت دير و صده عيه مرتبه سنه و ارض ايدوكي عندا ولي التا هويا اولفله او مور و هويا باوقا ...
 بوكرو الطاف و عنات حضرت باري هم عليه جناح و قنبا ...
 دولت عليه و جميع امت محمد اوزر لرزله ...
 و خصوصا جانب رسالت شاف حضرت يغمري عليه و اله اعلى الصاوة و السلامه سبله عكر زنجي ...
 فقال باختر و الله اولاره الله الشا الله تعالى محضا فيصه و حضرت الرب و ال اوله اوزر ...
 فوق منور و به دولت عليه ابد فرقه بود و به مجدا فوزله اولفله هاله حضرت خيرا لظن ...
 روح عالم اولوه شوكاب كرا شتاب ابد الله تعالى بالفوز و الفقه و انما و كامله اقد من حضرت ...
 وجود حضرت اولاد ملكه ليه جميع كدورنده موده و ايام عمر و ديه و دولت عليه ليه روز اوزر ...
 و كافه ملام سینه ليه توفيقان صمدينه سنه مقوله و دشمنانه ديه و دولت عليه بي منزله و نكود ...
 ابدان ذات و النعماني دني با توفيقه الی روفه و نجي من عيب اولفله خالي ابله آيه دولت ...
 ابدی الدوله كرا عكر خيرو نعلي و كرا بولنه قدر بوج خزانه اندوني مثلا و كلفي مجرد امت محمد ...
 و رعبا و بريانك كال آسایش و سزا خدي اسبابي استخالد عبات برضا ايدوكي ارباب عقول ...
 عندك ظاهر و اشكارا و لوجها لاف الذكر امنه و في النعماني لدى المطامعه فوامه عالي و روفيه قد ...
 مصلحتي اظهار اونه آمدشود كيف اهابك محمود غاري اولاره و اطرافله اكليه و شايه ...
 افكاره تبع و كوتنه غرضه سر كيات عكر جمع ابد جكر پنج حقوقيه امر و درر مثلا ...
 قبل و قاله بادت و قومي محفوظ اولفله بنه از غرض و جوده و اهابك محمود غاري قوي كچر ...
 عبادت ابرج اكثر اهل عصه و مطيع و بادت و قومي انرا امتش اولفله با تقياب مقام جاري ...
 ابد و كنده راس مروت اولوه استوار زوده با عود و صف خد تيزالده ربط شيراز اراضيه ...
 قلعي كال سازه به دني و بيله و قياس اوله بنت خبره بيله متعبا بالله تعالى اظهار و اجرايه ...
 ثبت برله يوم نكود افوناب و فني و اعياه و سار برفج منجي جلب و كيف افاده ...
 و انشاده ديه مكره مدرسه و علما و مشايخ بلده و اوجا قوا غلوك و سر و جدي بغير و ظلمد به

رضو عنايتو عاطفتو راڻو مروتو ولى نعم كريم فتح اعظم سلطان محمدي
 وافر مندنيرو دولت عليه ابد مدت و صحنه ديه ميه و شريفه حيات و كفايه نعم و انوار نعم
 و غلب و خبات قصيده نذير خبر به مخالف و دربار رف لوای محوس تفاوت ابد طاقه
 باغچه كثره الملتك محمد الله على تاثير نظره كبر نظير حضرت خليفه اهل قلع پنج مفسد
 و احيای نام و شاه عنود و خوندي علمه و معلم عاكره موده محمد به نام خيرات ايله نقره نوز
 ترتيب يورلر بختي ميه بونده اقم شرفي و رود اولوه نيرينامه سايلدي مفضله از و ديه
 باعده حضرت خلد بالاعد والوعيد محضاسه جلوه نوابه جناح چا نذير بمهم عليه ايله
 قبول و انشال ايندريلوب و بيلوده اعلوم و محضري تقديم و امرنامه و انشال ايندريلوب
 اخرج و وصاي لازمه خبر به جلد و فارص و واه والى و محضري حضرت بن ليله نيرينامه
 خاكيای عاليه نيرينامه نيرينامه بعد فارصه عطفو صالح باس محضري خبر ايله فارصه
 انشال حاوي و ارد اولوه اعلوم و محضري نيرينامه نيرينامه و جلد و البسي عاكره نيرينامه
 بنصرى و مفسره اخبرده ملكه بصره نيرينامه نيرينامه و دفع و انشال و نيرينامه سموع چاكرى اولوب
 بونك اوزر به مصلح خبره خبره نيرينامه نيرينامه ابرحنده شايد بصره قبل و قال اولوه ملاحظه
 و مشار اليك نيرينامه نيرينامه راس سرحد اولوه ابرحنده و جوهنده خنجره اغانيه اطرافى
 بر كاغد ياز و در يلوب مشار اليك كوتوش ايرى بودنده و انشال نيرينامه نيرينامه طرف عاكره نيرينامه
 بونك اوزر به مصلح خبره خبره نيرينامه نيرينامه ابرحنده و جوهنده خنجره اغانيه اطرافى
 و مشار اليك نيرينامه نيرينامه راس سرحد اولوه ابرحنده و انشال نيرينامه نيرينامه طرف عاكره نيرينامه
 بر كاغد ياز و در يلوب مشار اليك كوتوش ايرى بودنده و انشال نيرينامه نيرينامه طرف عاكره نيرينامه
 مكنتيله و انشال نيرينامه نيرينامه ابرحنده و جوهنده خنجره اغانيه اطرافى
 بميه و بار اوجا قلوبى و سارنده و بگر بر قطعه محضري و نيرينامه نيرينامه نيرينامه
 ... اصل اوليه نيرينامه نيرينامه ...

وثیقه (۲۲)

ب

اولین اولی بنده انارده دخی بولنامه چیداندرودون جمله سی دقیقه در سحانه ارسال اولدغی
 وارضون بوندده غیری اورطه مانی و سارینه بولنوب بکجی صابلی و تفرقی و او جاعل
 مجموع متفرعانی مرفوع اولدوره مکنده قول کزده و افانی اولدوره امور طرف جاکزده سده تقیگی بانی
 و سار مامور بنیله روت اولمقده اولوب فقط دعاوی صمنده اهل اسلام اخذ حسی
 ماده سی اکثر مالک اونه دینرو او جاقده خارج اعیانه و و بود در معرف و وساطتله اولدور
 بوندوس طرف بکانه سده مامور اولمقده شعیبک ارضوع اعیانه و سار محلاک دخی
 مندم و بود لرینه اهال اولدغی و قوی بانی مویله مامور اولدغی دیگر امار حلیله اولو
 اخشی و بعد فارص و دانه وارعه اوزره و صابای مقضیه ایله بعد ایداعزام قلعقله بوزر صرخی
 ترتیب عسکره دانه و سار کونه اومرینه ظهور ایزرینه ان شاء الله العلیه سابه راقوبه عایده
 انقازیه سار عن قله بانی و بیانی و سبله ابرار اخشی و اشد ان شاء الله تعالی لدی شرف الوصول
 و بایع و هر حال امر و فرمانه قضاو عنایتو عاقلقانو راقاو مردانو و انعم کریم شیم
 قلم سلطانم حضرت بکده



دوئو عنایتو عاقلقانو راقاو مردانو و انعم کریم شیم اقم عظامم حضرت بک
 درووه قلمه ده دوزار قوا غیله قلمه نقراتان خانه ری اولوب طرف هر بیده وضع او طانه تفراغه
 شعی صیفه لوزم دکل ایسه ده شتاده او طره یا بر طو اققنا ایتج و ذکر او طانه خانه لوده نواوه
 ... امر اولدورنده بالورضا خانه مذکور در جمله سی ایشا و دوزار
 اقامه اولدغی ایدوکی قاض

وثيقة (۲۲)

ج

خنجرک دخی اطاعتی ساس
 قلندری و سالفایا به امرنامه و حق التقدیرک
 اختری و طرف جاگرد به تقان و صفه بدشقه
 و تبدیل و دکاند و نشانه رفع و اوجاع مزبور و متاعه عرف بدنه دخی دفع اولوب اشعار عیان
 جور برون امرعاج و نرفا و لندره باور و دونه قدیمی باشی محمد غایب لایله بودم عرف و شرف ساس
 اولفند و نشانی عبد شریف و غلبه بر کوه صکره ثانی عبد نریب و دیوانه و دای و کذا اجتماع علیه علیه و نایب
 قران و اعداده و مجموع و خطابا و دایم و دوزخی قدر بعضه کلمات مؤثره بیان بدشقه مقدّمه
 بعضه سافل طرفه عاکر مزبیه محمدی ثانی نسیم و طریح بر مضمع امت محمدیه اولوب جنس آخری
 ابرک و یو بعضه زحان سامعه رس بزرگی اولوب اولفند بنا مجلس مذکور علما بودی در میان
 سید برخی ایشتم عاکر مزبیه به معلم عاکر صورت محمدیه نامک نسیمی حضرت سید صلی الله تعالی
 علیه و سلم اقتضای نسبت و استاد ایل خیر و معنی منج اولفند و زره انجده نقاد و تبرکا و اشع اولفند
 یوسفه اولفند محمدی و کل ایدی و یحاک و کدر جمله من الله الحمد اول فرائد محمد و زو بوکا دار
 انوال مفره بیانه فلفله و جوه بدنه اشخاص و کندی بلز سوزیدر نسیم و عدرد یو اعتبار و طرف
 جاگرد به دخی نوبین اشعار بره و علی نکر و رسم اطاعت و تسبیحی جمله کبیرانه اولفند و اغای بود
 مواجده سند کویانه اولفند و بر زطوفه فرمایه عایشانه اوجاع مزبور و متاعه فرغانه و سار اشیا
 و ادرطه مالی تحری اولفند و زمانه غنیمت و زدار فله یزید بولوب سفینه خلفه دور اولفند کلوز
 چند عدد قرغانه و تخمائی اخرج و از دوزم قلعه جبهه خانه سنه وضع اولوب بر فطره معنی و قری
 تقدیم قلندری و از دوزمه بولانه چند نفر ادر طر و دونه اولفند حصار و طبع اولفند و غیر استار ایل
 بعضه قلمده بولانه هیراسته دخی النوب حفظ و از دوزم ایالتناک حاوی اولفند و فضا لراد
 جمله سنه دخی امجلیل اشانه صور سنه سیله مؤکد بولوب ایلر مقصود در اینکار بهر لرم قول بدنه

و شیقة (۲۲)

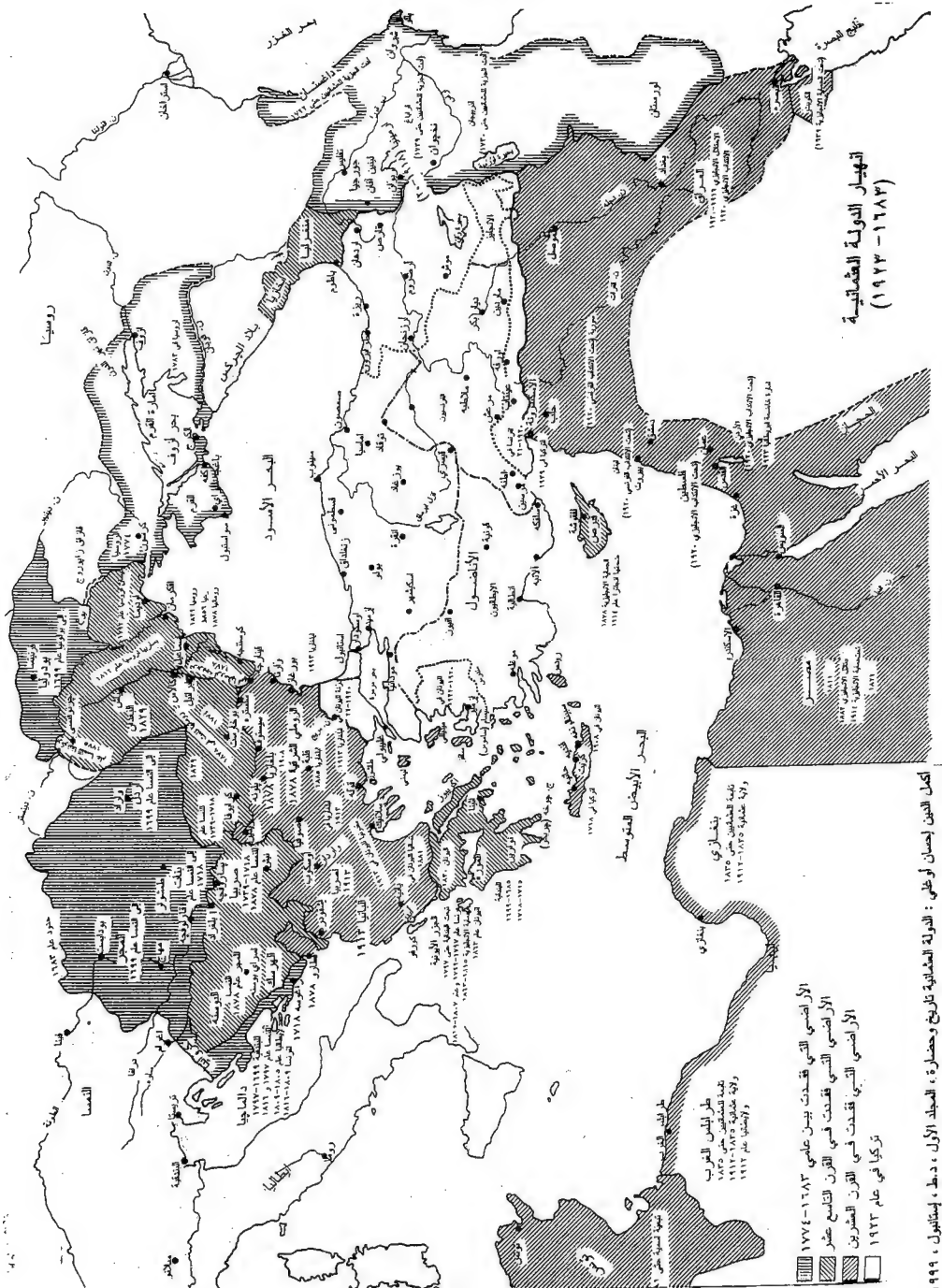
د

و ضمیمه د فی بولنده اقامتاری او ...
 و ساری جمله خارج قلمبه نقل و ایضا برله نفقات مرقعه خانه مدلوله ...
 و علم عساکر مشوره محبیه به تحریر اچوید ارض و مدینه نفقات و سکر دکانه تهیه سند بشم اصححه
 و وانی و فی مناسب سکر دله حاضر نسج و قاضی طرفی بود قضا فیصیه به متوجها ارض و مدینه مرور
 ایده عطف و مواالح یا شایسته مدینه و فی مذاکره اولمخ اولمخ ایتم بولک و از اراده سینه ظاهر مدینه
 ترتیب قلمقه اولمخ برآمد اقم صورت ترتیب اشعاریه امانندی باین امر و وظایف مدینه و فی



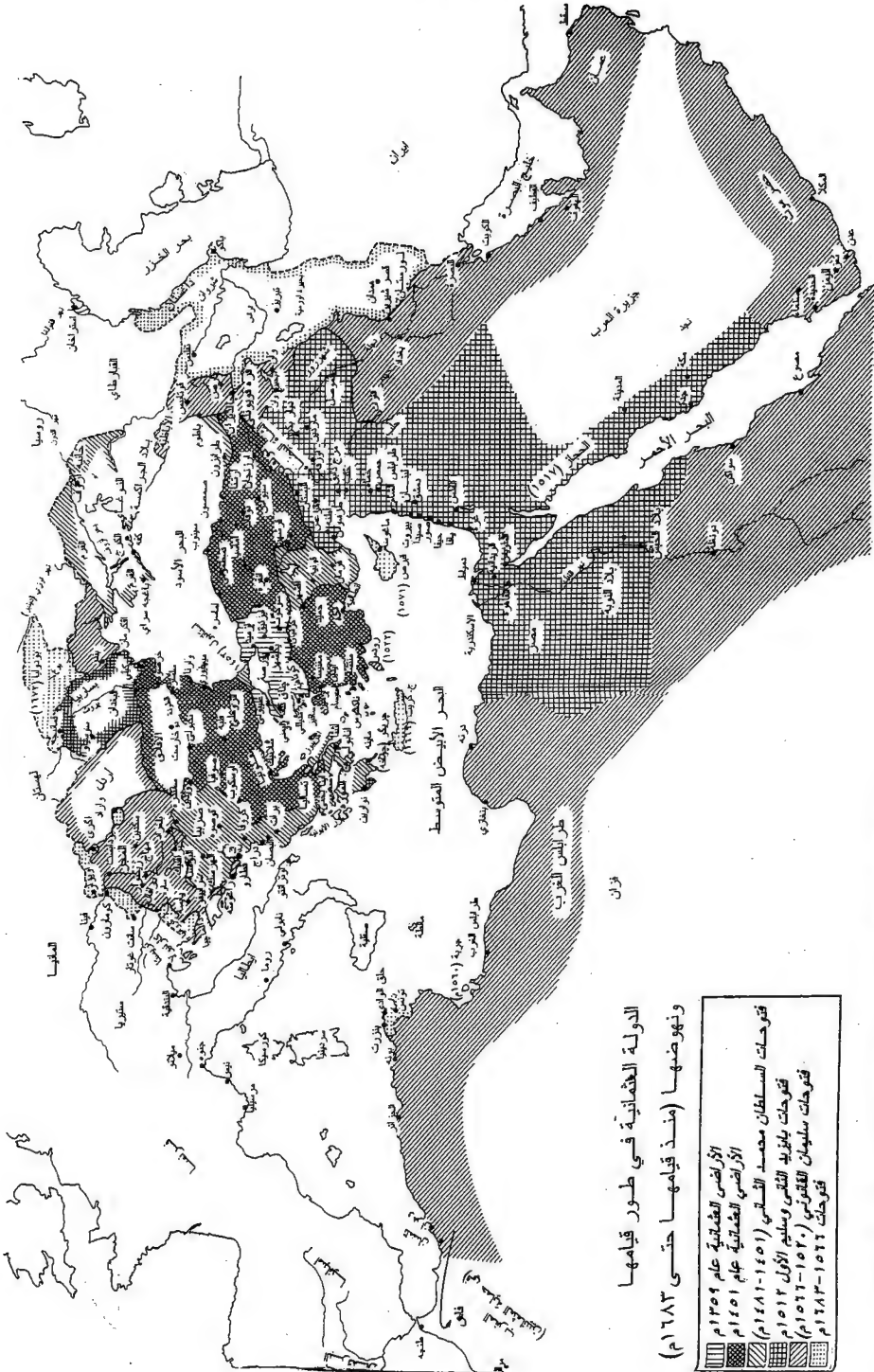
اجرا الحاقی و محاکمات محکمه نشا هانده پدید آمد. در اینجا از دوا رسیدن از دست ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
اورنگ بسیار بهر طرف و بر طرف و یا اندر دره و غی غیغ خفا پدید آمد و در هر یک از اینها ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
اورنگ و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
و اندر و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
کلیا آورده و ن فال را از این غیغ ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
جانب شریف عزت ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
مستقل اورد و ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
بر عجب تواریش پدید آمد و ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
معه به کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
قدح نکرده چیه خانه لبه فتح تسلیم آمده ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
بایت به کار ساز اگر احوال از اینه و بات نکرده خاضعید خطا با ظرف وای محکمه مسعود بودی ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
سازد تا که محکمه را بنیاد یک ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
نورم الحقه مژده زنده دین هکده فتح و زینت و جلاله ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
الویه و قضا نشاند اوری محاکمه وضا بظانند اینا یا بر بنده بهر بله بهر بله بهر بله ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
بنت بن سار از اندیجی جوگی ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
او لایقی گذر دره کرک خجسته و ناکید از نکلده ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن
یکجوری محاکمه و نام و نشان از طریق ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن ^{مرد} و کوهی و دلائی ضعیف و نشان دادن

شکل (۱)



أكمل الدين لوطني : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، المجلد الأول ، دط ، إستانبول ، ١٩٩٩ م .

شكل (٢)



أكمل الدين إسماعيل أو طي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، المجلد الأول ، د. ط. ، إسطنبول ، ١٩٩٩ م .

شكل (٣)



فلقه جي باشي
رئيس مفروزه ترافق المصدر الاعظم
وتحرسه وتوزل العقوبه بين .

اغا يماضي
تابع لاغا الاكشاريه وبيراس
عدداً من الشواش .

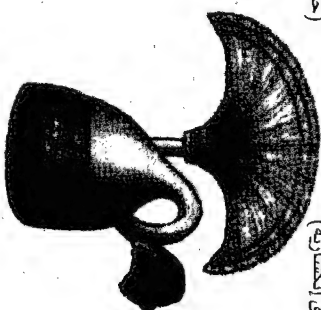
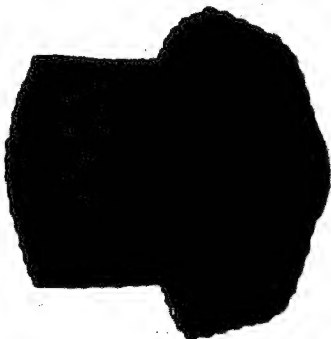
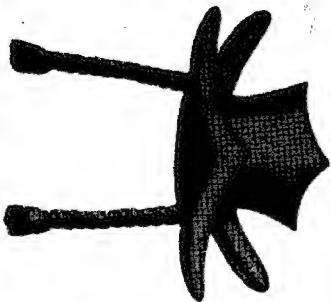
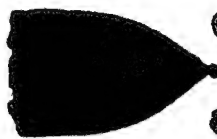
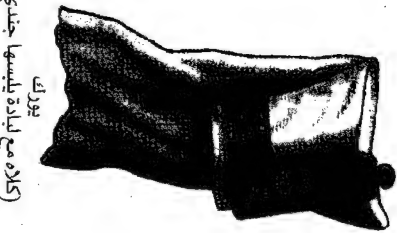
بيگيري افاغسي
اغا الاكشاريه .
امره الاغا ويشرف على المراسم في

باش جاووش
هو أحد ضباط الاكشاريه وتحت
امره الاغا ويشرف على المراسم في

تکه لي
من ضباط الاوجاق كان يعمل
في دائرة شيخ الاسلام .

قول اوغلي باش جاووش
باش شاولي عبيد السلطان الذين
هم في الاصل من ابناء الاعاجم وكان

التي بلوك سباهيرنه مخصوص



يكيچيري ضابطلاني قاورغي اوفات
عادية مخصوص



(قاووق ضابط الانكشارية يرتديه في
الاولقات العارضة)



بکيجيري قاروغي
(قاووق انکشاريه)

خميره جي ڪسوٽ سڻي
(ڏي راس رامڻي ڦٽايل الهاون)

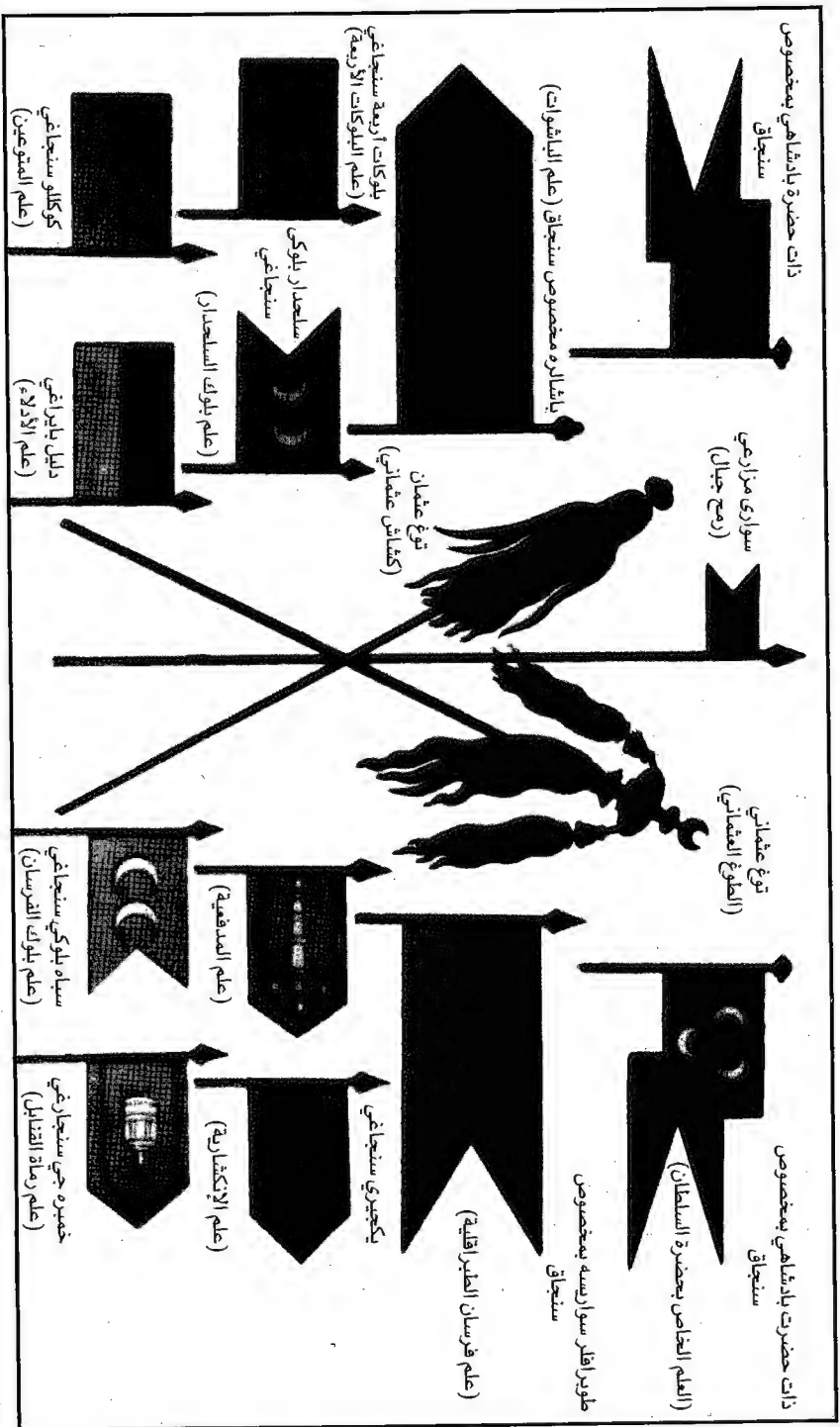
زرد کو ملک
(قمیص معدنی بلبه المقاتل)

يكعيري ضابطاني كلاهي
(كلاة ضابط الانكشارية يرتديها أثناء
الاحتفالات والمراسم)

أزياء مختلفة للرأس والصدر

محمود شوكت : التشكيلات والأبناء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى ١٨٢٥م، الطبعة الأولى، دمشق : دار طلاس، ٢٠١٩م.

شكل (٥)



أعلام ورايات مختلفة

محمود شوكت : التشكيلات العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة ١٨٧٥م، الطبعة الأولى، دمشق : دار طلاس، ١٩٨٨م.

شكل (٦)



حرية جي
فرد من بركات الإنكشارية
رافق الأغا وحرس الصدر
الأعظم وكلف بمهام خاصة

سلام دين بكجيري
جند من الإنكشارية مهمتهم تقديم
التحية والتعظيم للسلطان ووزرائه
ولهم تاليفهم الخاصة

كبيجه لي بكجيري
(سلطان ملك النسيبي)
فرد من وحدة التشريعات
السلطانية

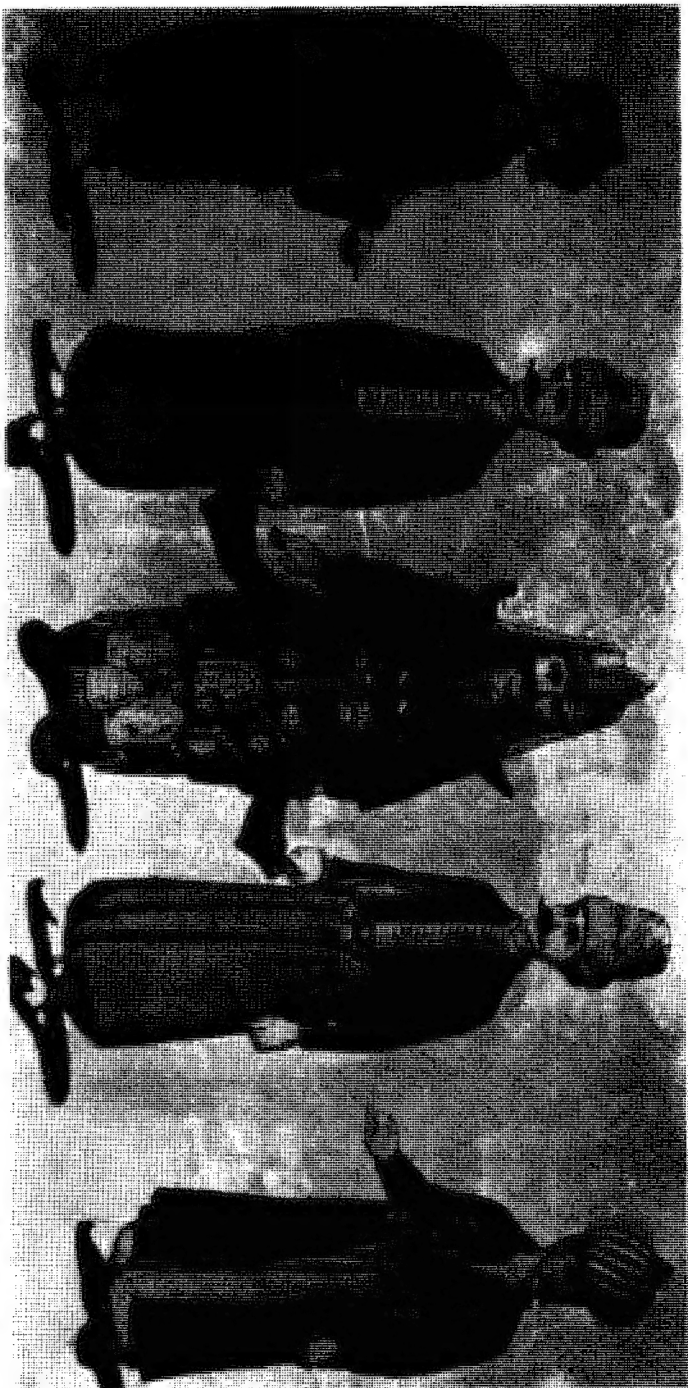
صولاقي
هو فرد من المشاة من حرس
السلطان الشخصي الذين كانوا
يرافقونه أثناء السلم والحرب

علوفة كتوزون بكجيري
هو فرد مهمته تأمين متطلبات
الجيش من المال وتوزيع
الرواتب على الجند

أبناء عسكرية

أبناء محمود شوكات : التشكيلات والأبناء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة ١٨٢٥م، الطبعة الأولى، دمشق : دار طلاس، ١٩٨٨م .

أبناء قادة إحدى وحدات الإكشارية (الأورطة)



شكل (٧)

برنجي أورطة لك أشجي

أوستة سي

هم عناصر عشية الأورطة الأولى
في أوحاق الإكشارية وكان يرأسهم
(اسطة العشية) .

قره قوالمقجي

أوتوزا يكينك أشجي أوستة سي

هو رئيس عشية الأورطة رقم (٣٢)

وهو من ضباط الإكشارية، لهم زي
مميز عن بقية العشية .

قره قوالمقجي

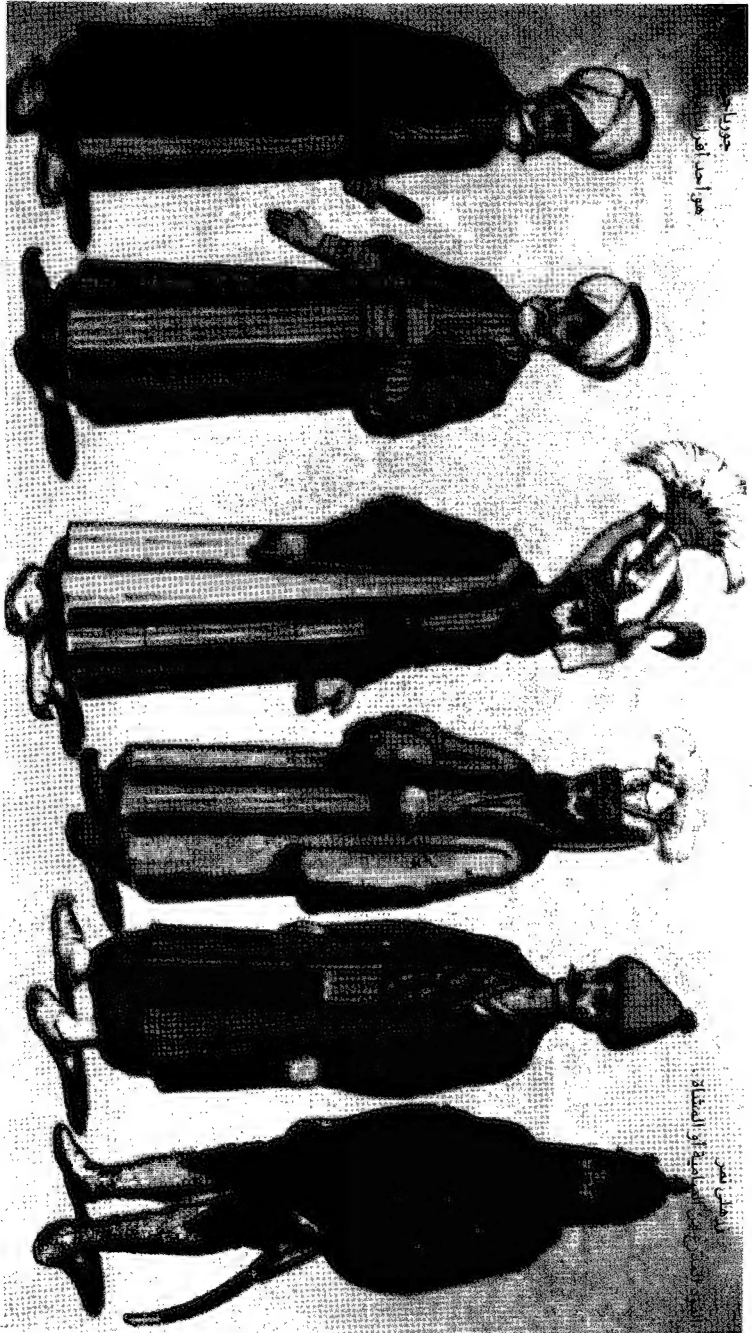
أشجي أوستة سي

هو معلم العشية وكان للعشية زي
موحداً إلا أن زيفهم يختلف عن زي
عشية الأورطة رقم (٣٢) .

أبناء رسمية

محمود شوكت : التشكيلات والأبناء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة ١٨٢٥م، الطبعة الأولى، دمشق : دار طلاس، ١٩٨٨م .

شكل (٨)



جوربا
هو أحد أفراد

الجنود
الذين ارتدوا الزي العسكري أو المشاة

أولاد باشي

هو مساعد الجورجي يعمل على ضبط الأورطة وتأمين طماهما وكساقهما ويقيم معها في الفرقة.

كنخدار بك أو كنخدار سي

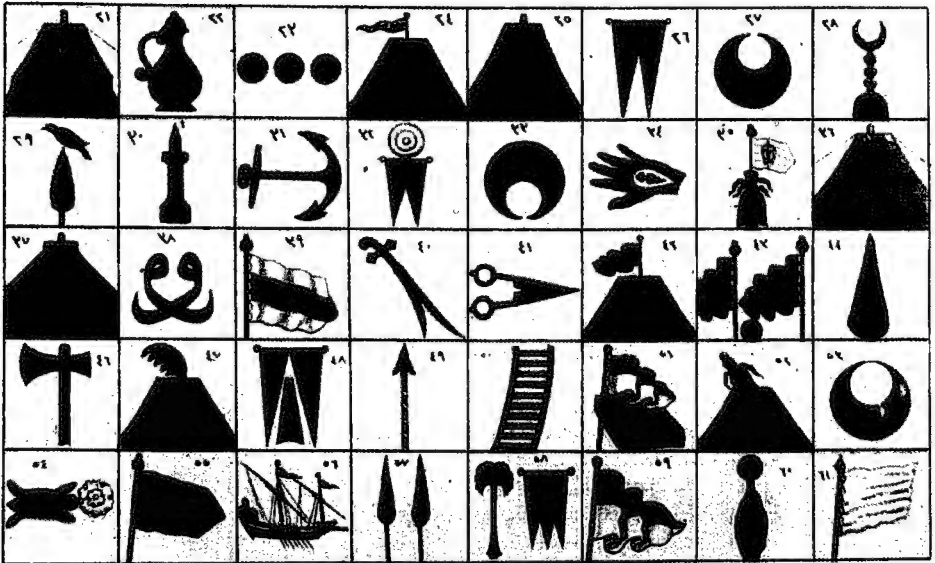
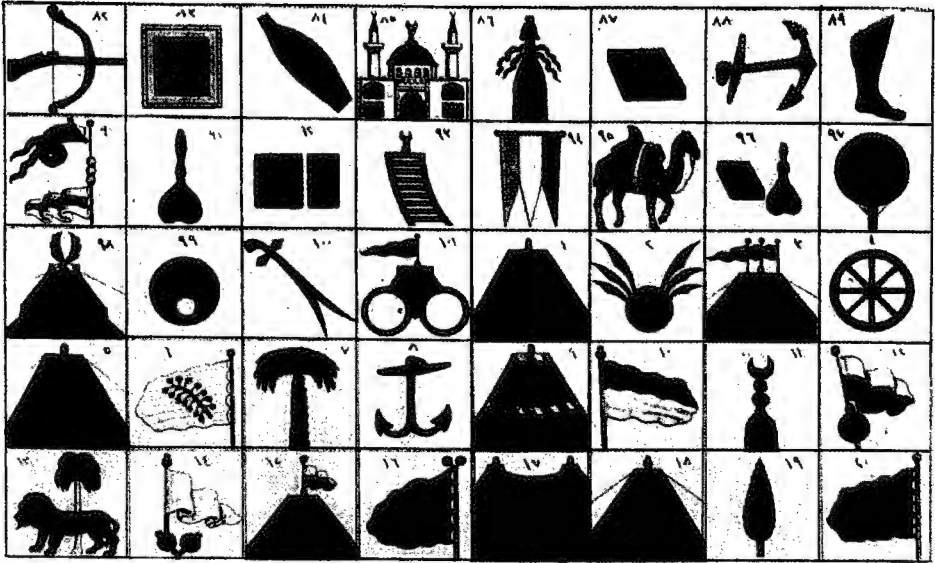
هو المعاون الأول لأغا الإنكشارية هو بمثابة قائد الشرطة العسكرية هو ضابط من ضباط الإنكشارية يسهر على الضباط الجدد ليل نهار مسؤول على تنفيذ الأوامر وتدريب في الشوارع والمحلات العامة . جند الإنكشارية وتطبيق النظام .

أوليه جاويش

صاحبة جورقاري

محمود شوكت : التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة ١٨٢٥ م، الطبعة الأولى، دمشق : دار طلاس، ١٩٨٨ م.

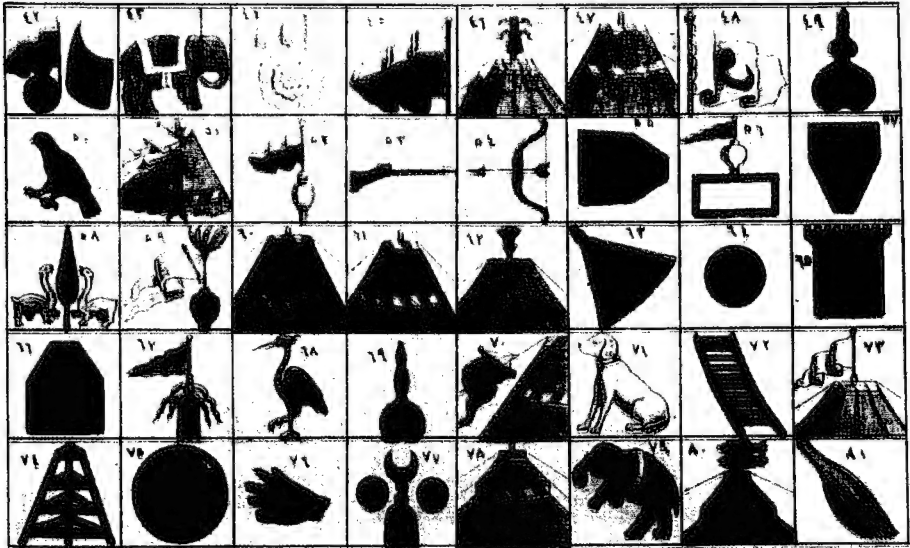
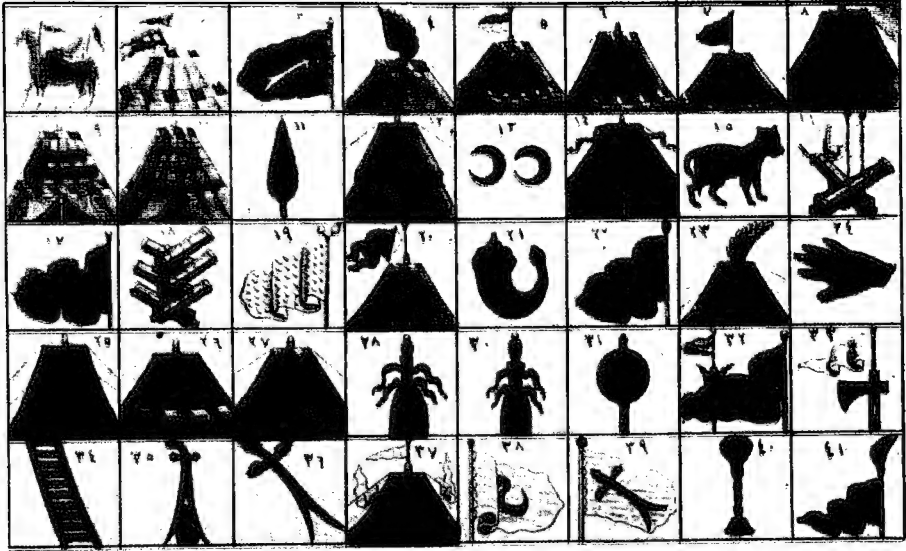
شکل (۹)



الشارات والنياشين الخاصة بأورطات وبلوكات الإنكشارية

أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د.ط، استانبول، ١٩٩٩م.

شكل (١٠)



الشارات والنياشين الخاصة بأورطات وبلوكات الإنكشارية

أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د. ط، استانبول، ١٩٩٩ م.

شكل (١١)



شيخ الإسلام بني جري أغاسي
عبد القادر ده أوغلو : اليوم العثمانيين، د.ط، استانبول : الدار العثمانية للنشر، د.ت .

شكل (١٢)



عبد القادر ده أوغلو : اليوم العثمانيين، د.ط، استانبول : الدار العثمانية للنشر، د.ت .

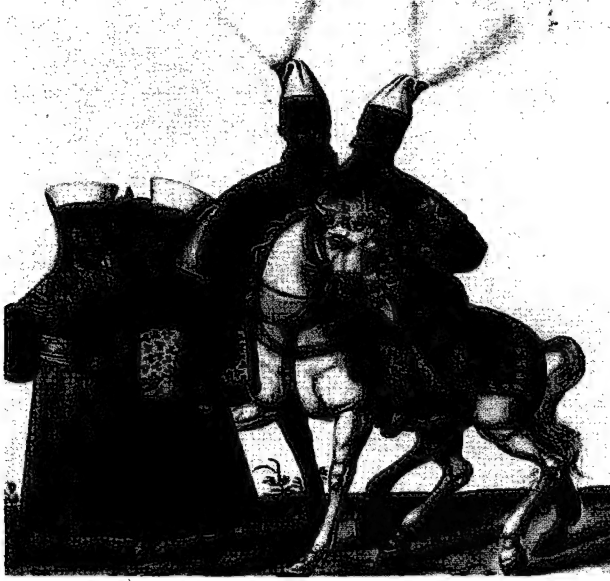
شكل (١٣)



صولاق

عبد القادر ده أوغلو : ألبوم العثمانيين، د. ط، استانبول : الدار العثمانية للنشر، د. ت .

شكل (١٤)



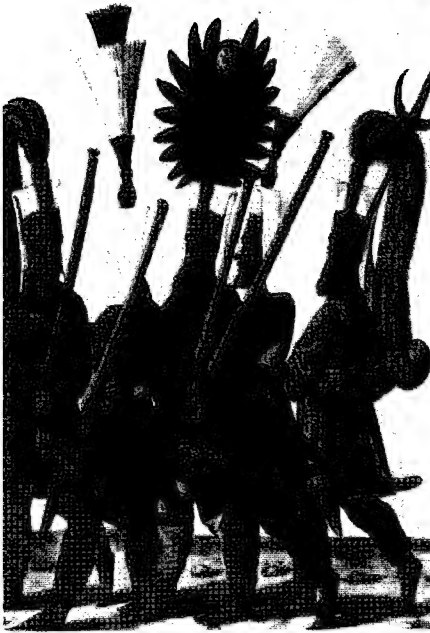
من جنود الإنكشارية، المترجلة (يايا)، والركبة (صولاق)



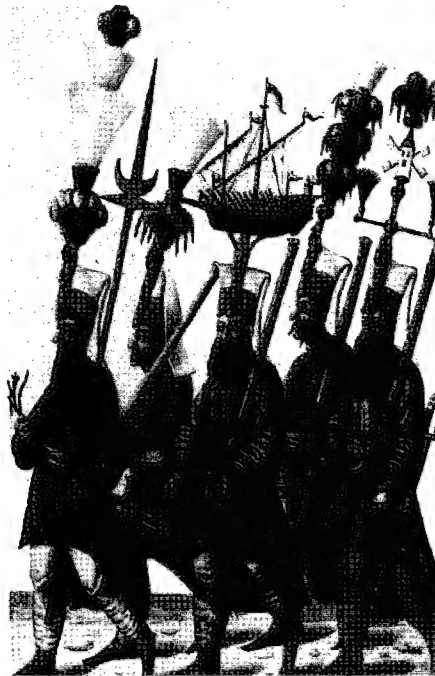
السباهية المسلحة

أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د. د. ط.
إستانبول، ١٩٩٩ م.

شكل (١٥)



من ضباط الإنكشارية



من ضباط الإنكشارية في عرض رسمي

أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د دط،
إستانبول، ١٩٩٩ م .

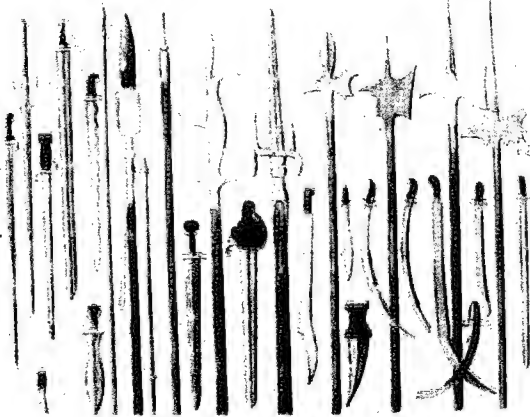
شكل (١٦)



(١)
سكبان باشي

جوربا جي

أغا الانكشارية



بعض الأسلحة المستخدمة
في الجيش العثماني .

أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د. د. ط.
إستانبول، ١٩٩٩ م .

شكل (١٧)



كجلي نضر : جندي من الجيش الإنكشاري .
 نظام جديد بين باشي : قائد الجيش المستحدث في عهد السلطان سليم الثالث .
 بين باشي : قائد الطابور في العساكر المنصورة المحمدية .
 طويجو باشي : جندي من الجيش الإنكشاري .
 عبد القادر ده أوغلو : البوم العثمانيين، دن، استانبول : الدار العثمانية للنشر، دت .

شكل (١٨)

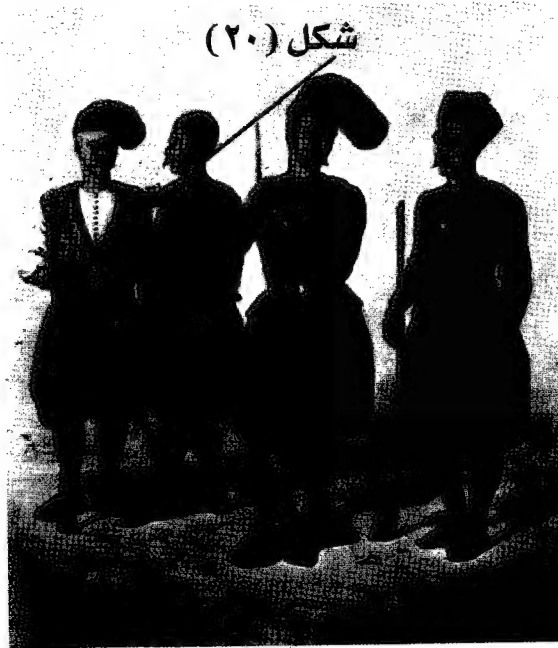


١ - نويتجي : جندي من حراس الجيش الإنكشارية .
 ٢ - صالما نضاري : إنضباطيون يراقبون حركات جنود الإنكشارية .
 عبد القادر ده أوغلو : البوم العثمانيين، دن، استانبول : الدار العثمانية للنشر، دت .



أورتا ساقالي : المسئول عن تأمين الماء للإنكشارية
 قرّة للوفجو : صفار الجاوشات من جنود الإنكشارية
 باش قرّة قوللوقجو : رئيس قرّة قوللوقجوين

عبد القادر ده ده أوغلو : ألبوم العثمانيين، د. ط، استانبول : الدار العثمانية للنشر، د. ت .



جنود النظام الجديد الذي أوجده السلطان سليم الثالث

عبد القادر ده ده أوغلو : ألبوم العثمانيين، د. ط، استانبول : الدار العثمانية للنشر، د. ت .

شكل (٢١)



١) فوجي دوزة قزاقية ٢) فوجي دوزة قزاقية ٣) فوجي دوزة قزاقية ٤) فوجي دوزة قزاقية ٥) فوجي دوزة قزاقية ٦) فوجي دوزة قزاقية

من جنود جيش «النظام الجديد»

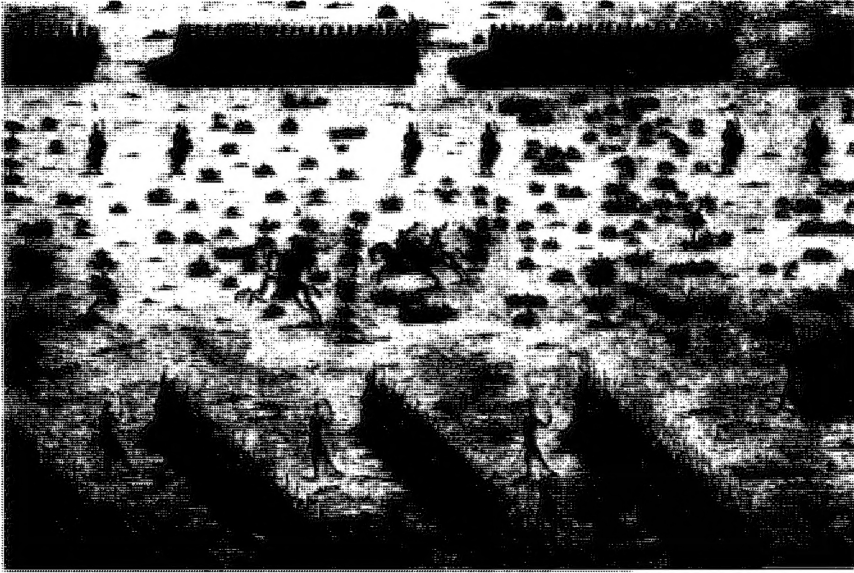


١) فوجي دوزة قزاقية ٢) فوجي دوزة قزاقية ٣) فوجي دوزة قزاقية ٤) فوجي دوزة قزاقية ٥) فوجي دوزة قزاقية ٦) فوجي دوزة قزاقية

من جنود جيش «العساكر المنصورة المحمدية» ايان تشكيله

اكمل الدين احسان اوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د.د.ط،
إستانبول، ١٩٩٩ م.

شكل (٢٢)



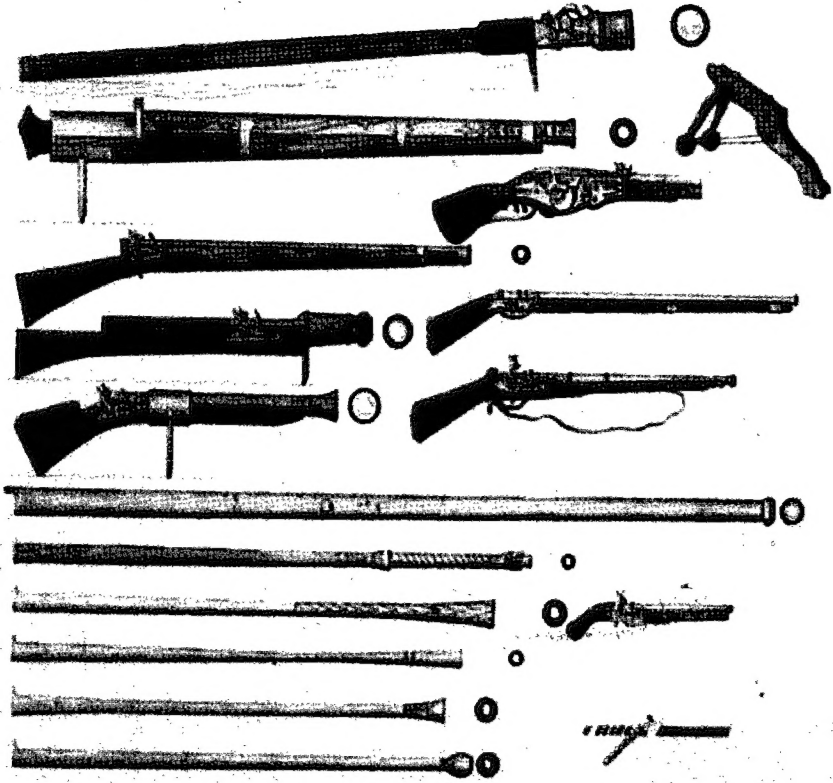
من جنود جيش «العساكر المنصورة المحمدية» إبان تشكيلة
أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د.ط،
إستانبول، ١٩٩٩ م.

شكل (٢٣)



العساكر المنصورة المحمدية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني
أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د.ط، إستانبول، ١٩٩٩ م.

شكل (٢٤)



بعض الأسلحة النارية التي استخدمها الجيش العثماني .

أكمل الدين إحسان أوغلي : الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، المجلد الأول، د.ط،
إستانبول، ١٩٩٩م .

فهرس المحتويات

الصفحة

الموضوع

٥	الإهداء
٧	ملخص الكتاب
٩	تقديم
١١	المقدمة
٢١	التمهيد
٢١	تعريف مصطلح الإنكشارية

الفصل الأول

نشأة الإنكشارية

٢٩	المبحث الأول: الأوضاع العسكرية في أوائل العهد العثماني
٤٧	المبحث الثاني: تأسيس الإنكشارية
	المبحث الثالث: آراء المستشرقين ومن شابههم حول الإنكشارية والرد على هذه الآراء
٩٩	

الفصل الثاني

تسلط وجبروت الإنكشارية

١٥٣	المبحث الأول: أسباب تمرد الإنكشارية
١٨٣	المبحث الثاني: نفوذ الإنكشارية داخل القصر السلطاني
٢٤٧	المبحث الثالث: تدخلهم في مسائل السياسة العليا

الفصل الثالث

تفاقم خطر الإنكشارية

٣١٧	المبحث الأول: موقف الإنكشارية من النظم العسكرية الحديثة
-----	---

٣٦٩	المبحث الثاني: إلغاء فيالق الإنكشارية.....
٤٠٣	الخاتمة.....
٤٢١	الملاحق.....
٤٢٩	قائمة المصادر والمراجع.....
٤٥١	الوثائق واللوحات.....